المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

لمنشئيها

الدكتور يعقوب صروف و الدكتور فارس نمر

قيمة الاشتراك — في القطر المصري جنيه مصري واحد وفي سورية وفلسطين والعراق ١٢٠ غرشاً مصرياً وفي الولايات المتحدة ٦ دولارات اميركية وفي سائر الجهات ٢٦ شلناً

اشتراك الطلبة والمدرسين — قيمة الاشتراك للاساتذة والطلبة الذين يرفقون طلبهم بقيمة الاشتراك وبشهادة من رئيس المدرسة تكون ٨٠ غرشاً مصرياً في مصر و ٩٥ غرشاً مصرياً في الخارج

الاعداد الضائعة — الادارة لا تعد بتعويض المشتركين ما يضيع من اعدادهم في الطريق ولكن تجتهد ان تفعل ذلك

المقالات — لا تقبل المقالات للنشر في المقتطف الا اذا كانت لهُ خاصة ولا يعد قلم التحرير بارجاع المقالات التي لا تنشر فنرجو من حضرات الكتّاب ان يحتفظوا بنسخة من المقالات التي يرسلونها

العنوان — ادارة المقتطف بالقاهرة — مصر

AL-MUKTATAF

An Arabic Monthly Review of Current Science and Literature.

Published in Cairo Egypt

Founded 1876 by Drs. Y. Sarruf & F. Nimr

EDITED BY F. SARRUF

SUBSCRIPTION PRICE : Egypt & the Sudan 1 L.E. or 5 Dollars

Foreign 120 P.T. or 6 Dollars

لوحتان من اللوحات الفنية التي صورها المصور المصري محمد ناجي على جدران البهو في مدخل مستشفى المؤاساة بالاسكندرية

المقتطف
مجلة علمية صناعية زراعية
الجزء الاول من المجلد الخامس والثمانين

١ يوليو سنة ١٩٣٤ — ١٩ ربيع الاول سنة ١٣٥٣

لبنات الـكون

الدقائق الاساسية في بناء الاجسام

الالـكترون والبروتون والنوترون والبوزيترون[1]

من الاقوال المعزوّة الى السر جيمز جينز العالم البريطاني الـكبير ان الرياضي فقط ، يستطيع الاجابة عن مسائل تتعلق ببناء الـكون المادي . وانه اذا اجاب فلا يفهمهُ الاَّ رياضي مثله . وقد يكون هذا القول صحيحاً . ولـكن الطبيعة الانسانية لا تحتاج الى تثبت من الرياضة العالية لـكي تستثيرها انباء المـكتشفات الحديثة في عالم الذرّ . خذ مثلاً على ذلك رجلاً يدعى ديراك . فهو استاذ من اساتيذ جامعة كمبردج . عمد في سنة ١٩٣١ الى المرقم والورق والمعادلات الرياضية العالية، فأنبأ بوجود دقيقة غير معروفة من الدقائق التي تتركب منها الاجسام . وفي سنة ١٩٣٢ كان الاستاذ كارل اندرسن الاستاذ بمعهد كاليفورنيا التكنولوجي يراقب صوراً لاصطدام الاشعة الـكونية بذرّات الهواء وجزيئاته، فرأى شيئاً يتصرف تصرف الدقيقة التي انبأ بها ديراك . هذا هو البوزيترون ندُّ الالـكترون الحقيقي وصنوهُ واحدث اللبِنات في البناءِ الـكوني . بل قبيل اكتشاف البوزيترون اكتشافاً تجريبيًّا كان الاستاذ شدك — من جامعة كمبردج كذلك — قد اكتشف النوترون . فأضيف هذان الاكتشافان اذ كانت الآراء متعددة متباينة في تعليل الاشعة الـكونية وأصلها ، والكون الآخذ في الاتساع وطبائعه، فقال الفلـكي الاميركي الاستاذ شابلي « الفروض العلمية اكثر

[1] فصل من كتاب « فتوحات العلم الحديث » الذي صنفه رئيس تحرير المقتطف ليكون هديته السنوية ١٩٣٤

مما نحتاج اليه» . وشبَّه ولز العلم الحديث بجدّ غنيّ جاء الى ملعب احفاده بطائفة كبيرة من اللعب فأصبح الاطفال وهم لا يدرون ما يفعلون بها جميعاً

ولكن هل هذه الفروض العلمية الكثيرة ألاعيب حقيقةً نتسلى بها ثم ننبذها ؟ ألا نستطيع ان نتذكر عبرة التاريخ في هذا الصدد ؟ الم يتنبأ كلارك مكسول بمعادلاته الرياضية من ستين سنة بوجود الاشعة اللاسلكية ؟ فهل يصحُّ — ونحن نعلم من عجائب الراديو ما نعلم — ان نقول ان ذلك الاكتشاف الرياضي كان ألهية او العوبة علمية فقط ؟

بناء الذرة

كانت الذرة في نظر العلماء ، حتى اكتشاف ظاهرة الاشعاع في اواخر القرن التاسع عشر ، دقيقة لا تتجزأ . فلما تبين ان الراديوم وغيره من العناصر المشعة ، تتفجر ، وتنطلق منها مقذوفات متباينة ، كان حتماً على الباحثين ان يسألوا انفسهم : وكيف يمكن ان تكون الذرّة ، تلك الكرّة الصغيرة الصلبة التي لا تتجزأ ؟

وما لبث الباحثون ، حتى اثبتوا ان الاشياء التي تنقذف من عنصر الراديوم على ثلاثة أصناف

(١) دقائق لها وزن نسبيٌّ كبير وتحمل شحنة كهربائية موجبة دعيت « دقائق الفا »

(٢) دقائق خفيفة (اخفُّ من دقائق الفا نحو الفي مرة) وتحمل شحنة كهربائية سالبة . دعيت « دقائق بيتا » وهي الالكترونات

(٣) اشعة شديدة النفوذ لا تحمل شحنة كهربائية ، فدعيت « أشعة غمّا » ثم ثبت انها من قبيل الضوء قصير الامواج اي من قبيل أشعة اكس

وخطر لأحد اساتذة الطبيعة في جامعة « مَجِلْ » الكندية — الاستاذ ارنست رذرفورد وهو لورد رذرفورد الآن — ان يستعمل هذه المقذوفات الراديومية كالقنابل يطلقها على الذّرة ، لعلَّهُ يستطيع ان يحطمها ، فتبيحهُ اسرارها . ووالى تجاربهُ حين عاد الى انكلترا ، الى الجامعة التي تخرّج منها — جامعة كمبردج — فأثبت بالتجربة والبرهان العملي ان الذرة ليست كما ظنَّ من قبل كرة صلبة لا تتجزأ [١] ، بل هي كما تقتضي ظاهرة الاشعاع ، مؤلفة من اجزاء . وكان في خلال تجاربهِ يطلق دقائق الفا على ذرّات الذهب ، فتتخلّل الدقائق الذرّات ، وانما كان يتفق احياناً ان ترتدَّ احدى الدقائق التي اطلقها ، كأنها صدمت في الذرة كتلة راسيةً ، فارتدّت عنها بعد اصطدامها بها

فجعل رذرفورد همّهُ ان يبلغ تلك الكتلة : ومضى يطلق القنابل على المعقل ، ويحسب حساباً

(١) السر جوزف طمسن هو اول من اكتشف الالكترون في اواخر القرن الماضي عند بحثه في مرور الكهربائية في الغازات

لعدد القذائف التي ترتدّ ، وقوة ارتدادها ، ومن هـذا كله رسم رسماً عجباً ، هو التصميم الاول لبناء الذرّة . فجعل في وسط الذرّة كتلة صغيرة دعاها النواة ، وعلى ابعاد متباينة منها — تزيد الوف المرّات على قطر النواة — اقام الالكترونات وهي اجسام صغيرة جدًّا تحمل شحنات كهربائية مضادة ومعادلة لشحنة النواة . وهذه الالكترونات في رسمه كانت تدور حول النواة دوراناً طبيعيًّا كدوران السيّارات حول الشمس

وكذلك تلمّس رذرفورد قلب الذرّة في الظلام

ولكن هل النواة ، دقيقة فردة ، او مجموعة مندمجة من الدقائق ؟ هـذا سؤال تصدّى له مارزدن Marsden احد اعوان رذرفورد باطلاق دقائق الفا على ذرة الايدروجين . ودقيقة الفا هذه تفوق ذرة الايدروجين اربعة اضعاف وزناً ، فلما اطلقت دقائق الفا على ذرات الايدروجين بسرعة ١٢ الف ميل في الثانية مزّقت الالكترون الذي حولها ، فانطلقت نواة الذرّة بسرعة ١٩ الف ميل في الثانية . ولكن مارزدن عجز عن الحصول على جزءٍ من نواة الايدروجين ، وفي جميع التجارب التي جرّبها ، كانت نواة الايدروجين تتصرف كأنها دقيقة لا تتجزأ

وتلاهُ رذرفورد فوجّه دقائق الفا الى ذرّات النتروجين . ووزن النتروجين كما لا يخفى يفوق وزن الايدروجين نحو ١٤ ضعفاً . وكانت الدقائق التي اطلقها رذرفورد كذلك قلما تصيب ، بل ان معدّل اصابتها كانت بنسبة واحدٍ الى مائة الف . ولكن كلما اصابت احدى دقائقهِ هدفهُ — اي نواة ذرّة النتروجين — كان ينطلق منها نواة ايدروجين . ثم وجّه قنابله الى ذرّات الصوديوم ، فخرج من ذرّات الصوديوم نوى ايدروجين كذلك . ثم وجّهها الى ذرّات الالومنيوم والفصفور ، فكان في جميع هذه الحالات ، يحصل على نوى الايدروجين

فهل الايدروجين هو المادة التي تبنى منها نوى الذرّات ؟ قبل ذلك بقرنٍ من الزمان كان الدكتور بروت Prout احد اطباء ادنبره قد اقترح رأياً مؤداهُ ان جميع العناصر الكيمائية مبنية من الايدروجين . وكان هذا الرأي وليد الخيال في الغالب . ذلك ان بروت نظر في الاوزان الذرية في بعض العناصر فوجدها ارقاماً صحيحة ، فقال والخيال رائده ، ان الكون اذا كان منسجماً ، وجب ان تكون فيه العناصر مركبة من اخف العناصر الذي وزن ذرته واحد اي الايدروجين . واذن فقد يكون الايدروجين ، هو الهيولى التي قال بها القدماء . ولكن علماء الكيمياء في ذلك العصر اعرضوا عن رأي بروت وأهملوهُ . على ان التاريخ كثيراً ما ينقض اقوال الثقات وينزلهم عن عروشهم . وكذلك ما انقضى قرن من الزمان على بروت ومعارضي رأيه ، حتى تبين لرذرفورد ان نواة الايدروجين تنطلق من كل ذرة يطلق عليها دقائق الفا ، واذاً فهي لبنة من لبنات الكون الاساسية فأطلق عليها اسم بروتون او « الاويل »

وكتلة البروتون تفوق كتلة الالكترون ١٨٥٠ ضعفاً . فكأن كتلة الذرة كلها في بروتونها

خذ بروتوناً واحداً والكتروناً واحداً يدور حواليه ، فأنت امام ذرة من الايدروجين . وهي ابسط الذرات بناء . وتليها ذرة الهليوم . ووزنها يفوق وزن ذرة الايدروجين اربعة اضعاف . واذاً فذرة الهليوم يجب ان تحتوي على اربعة بروتونات . وانما البحث اثبت ان لهذه الذرة الكترونين فقط يدوران حول نواتها . فكيف تستطيع كهربائية الكترونين ان تعدِّل كهربائية اربعة بروتونات لان المفروض ان الشحنة الكهربائية الموجبة على البروتون تعادل الشحنة الكهربائية السالبة على الالكترون . وفي سبيل التغلب على هذه العقبة وتخطيها فرض بناة الذرات ان في نواة ذرَّة الهليوم الكترونين محبوسين يعدلان بروتونين من البروتونات الاربعة . وكذلك يعدِّل الالكترونان الدائران حول النواة البروتونين الباقيين

ثم بسط العلماء صورة بناء الذرة من عنصر الهليوم وأطلقوها على ذرَّات سائر العناصر ، لانهم وجدوا ان في كل ذرة منها ، يزيد عدد البروتونات على عدد الالكترونات الدائرة حولها

وكذلك ترى ان نواة الذرة منطقة محشوكة بالبروتونات والالكترونات . ونوى الذرات على ذلك تحتوي على جميع البروتونات في الكون المادي ، ومعظم الالكترونات ، وجلّ ما له وزن، حتى ليكاد الكاتب ان يُغرى بأن يقول « ان الذرة انما هي النواة »

معقل الذرة وفتحه

من النواميس الكهربائية ان الدقائق التي تحمل نوعاً واحدة من الشحنة الكهربائية تتنافر .وقد حسب الاستاذ صدي الانكليزي قوة هذا التنافر . وضرب المثل الآتي عليها لتقريبها الى الافهام. قال اذا اخذنا غراماً من البروتونات ووضعناه عند القطب الشمالي . واخذنا جراماً آخر ووضعناه عند القطب الجنوبي . فالتنافر بين الجرامين ، يقلُّ طبعاً ، كمربع المسافة بينهما . ومع ذلك تبقى قوة هذا التنافر تعدل ٢٦ طنًّا . والغريب في كل هذا ان البروتونات التي تتنافر هذا التنافر العظيم ، محشوكة معاً في النواة حتى ليصعب تفريقها ، لعظم الطاقة التي تربطها

والعلماء لا يستطيعون انْ يحلُّوا هذا السرَّ ، الاَّ اذا مزَّقوا النواة واستباحوا اسرارها

فالذرَّة في نظر العلماءِ كالمعقل قلب حصنهِ النواة، والكهارب بمثابة القلاع الخارجية التي تحيط بهِ. وقد حملوا على القلاع لخطّموها وعرفوا على وجهٍ من الدقة جلَّ ما يهمهم معرفتهُ عن الجوّ الالكتروني الذي يحيط بالنواة وبنائهِ وخواصهِ .ولكن النواة تنطوي على اسرار يريدون استباحتها فهم لذلك يعدّون المدافع الضخمة والقنابل المدمّرة لتحطيم هذا الحصن . لقد احدثوا ثغرات فيهِ ولكنهم لا ينون عن الاستنجاد بمدافع جديدة ووسائل مبتكرة حتى يبلغوا غايتهم ، اذا كان بلوغها في متناول الانسان

والقذائف التي يستعملها العلماء لدكِّ حصون النواة نوعان . فثمَّة اولاً دقائق الفا التي تنطلق

من تلقاءِ ذاتها من ذرَّة الراديوم ، وهي من اسرع المقذوفات التي يستطيع العالم الطبيعي استعمالها ومن اعظمها طاقة ، لذلك قيل انهُ اذا اطلق تيّار من دقائق الفا على مادة من المواد ، فيحتمل ان تصيب دقيقة منها نواة ذرّة من الذرات او تمير على قرب عظيم منها ، وفي الحالين لا بدَّ ان تؤثر في القوى التي تربط بين اجزاءِ النواة ، فتفقد النواة استقرارها وتنقسم الى دقيقتين

ومن قبيل دقائق الفا دقائق اكتشفت من عهد قريب تعرف باسم «النوترونات» . ذلك ان عنصر البريليوم اذا قذف بدقائق الفا ، لم تنطلق منهُ بروتونات كما يحدث في النتروجين وغيره . بل ينطلق منهُ اشعاع قوي النفوذ . فأثبت الدكتور شدك الانكليزي ان هذا الاشعاع انما هو تيّار من دقائق لم تعهد من قبل دعاها نوترونات وهي تماثل البروتونات في ان وزن النوترون كوزن البروتون اي واحد (١) ولكن النوترون متعادل الكهربائية حالة ان البروتون موجبها . وهذه النوترونات قذائف عجيبة يمكن استعمالها باطلاقها على نوى ذرات اخرى وهي لتعادل كهربائيتها تخترق ذرات المادة من دون ان تفقد شيئاً كثيراً من طاقتها ، ولا تنمُّ على نفسها الاَّ اذا اصطدمت بنواة ذرّة من الذرّات . وقد أثبت باحث يدعى « فذر » ان اطلاق النوترونات على الأكسجين يحوّلهُ بقذف دقائق الفا من نوى ذرّاتهِ . وهذه حقيقة لها شأن خاص لان اطلاق دقائق الفا على الاكسجين لم تؤثر فيهِ على الاطلاق

هذا عن النوع الاول من القذائف وهي القذائف التي تنطلق من تلقاء ذاتها من انحلال العناصر المشعة اوما هو من قبيلها ولكن العلماء ادركوا ان توسيع نطاق معرفتهم يقتضي انواعاً جديدة من القذائف لتحطيم نواة الذرة واستباحة اسرارها . وكان معروفاً ان اطلاق تيار كهربائي في غاز لطيف يخرج منهُ مقذوفات منوّعة من ذرَّات وجزيئات مكهربة (ايونات) سريعة الانطلاق . فاذا زادت سرعة هذه الذرّات المنطلقة بامرارها في فراغ معرّض لفعل الجذب المغناطيسي ، فقد تصبح سرعتها كافية لاطلاقها على نوى الذرَّات بغية تحطيمها

فاذا أطلق مثلاً تيّار كهربائيٌّ في غاز الايدروجين في احوالٍ معيّنة انقذف وابل من القنابل الصغيرة لا ينقذف مثلها من مائة الف غرام من الراديوم في الوقت نفسهِ . ثم ظُنَّ انهُ اذا استعملت تيارات كهربائية عالية الضغط — من رتبة مليون فولط — تمكن العلماءُ من الحصول على مقذوفات سريعة يستطيعون استعمالها كما استعملوا دقائق الفا من قبل

ومعلوم ان للايدروجين نظيراً وزن ذرتهِ ضعف وزن الايدروجين العادي وهو ما يعرف بالدوتيريوم في اميركا وبالدبلوجين في انكلترا . وقد عمد الاستاذ لورنس الاميركي الى اطلاق نوى الايدروجين الثقيل وهي تعرف باسم دوتونات ثم زاد سرعة انطلاقها بطريقة خاصة استنبطها ، فوجدها افعل في تحطيم الذرّات من البروتونات العادية

والآلات التي بنيت لقذف هذه القنابل آية من آيات الصناعة الكهربائية الحديثة . فآلة الاستاذ

لورنس الاميركي تشتمل مثلاً على مغناطيس وزنهُ ٨٥ طنّاً من شأنهِ ان يزيد سرعة البروتونات المنطلقة من الغاز حتى تبلغ طاقتها نحو خمسة ملايين فولط . واما الآلة التي بنيت في معهد ماستشوستس الصناعي باشراف الاستاذ فانده جراف فتطلق مقذوفات بسرعة ٢٦ الف ميل في الثانية

النظائر وسرّ النواة

كان العلماء يعتقدون ان ذرّات كل عنصر تشتمل على عددٍ ثابت من البروتونات والالكترونات . فذرّة الاكسجين مثلاً تشتمل على ١٦ بروتوناً و١٦ الكتروناً . ومن قبل كان الكيماويون قد عيّنوا وزن الاكسجين الذرّي فجعلوهُ ١٦ وقاسوا عليهِ الاوزان الذرية لسائر العناصر . فلما اكتشف طمسن طريقتهُ المغناطيسية العجيبة[1] لمعرفة اوزان العناصر ثبت ان معظم ذرّات الاكسجين وزنها ١٦ ولكن بعضها وزنهُ ١٧ او ١٨ ومتوسط نسبة هذه الذرّات التي وزنها ١٧ او ١٨ الى الذرّات التي وزنها ١٦ كنسبة ١ الى ٥٠٠ ثم ظهر ان عنصر الرصاص لهُ ثمانية اصناف من الذرّات مختلفة الوزن . واما عنصر الزئبق فلهُ تسعة اصناف وكذلك عنصر القصدير لهُ احد عشر صنفاً

هذه الاصناف من العنصر الواحد تعرف باسم « النظائر » isotopes اطلقهُ عليها الاستاذ صدي الانكليزي . وقد ثبت حتى الآن ان ٧٢ عنصراً من العناصر الكيمائية، لكلٍ منها نظيران او اكثر بل قد ظهر ان للعناصر التي درست نحو ٢٧٠ نظيراً ، وهذا يعني ان نواة كل نظير تختلف وزناً عن نواة النظير الآخر ، لان كتلة الذرّة في نواتها

وفهم النظائر أمر لا ندحة عنهُ لفهم الحملة التي يوجهها العلماء الى نواة الذرّة . فهي اولاً قد تمكنهم من ان يلمحوا شيئاً من بنائها . وثانياً لانها تبين لهم عظم القوى التي تربط بين اجزائها . ذلك ان وزن النواة اقلّ من مجموع اوزان اجزائها . خذ مثلاً دقيقة الفا . فهي في الواقع نواة ذرّة الهليوم . ووزنها ٤ر٠٠٢ ولكن دقيقة الفا مكونة من اربعة بروتونات والكترونين ومجموع اوزان هذه الاجزاء ٤ر٠٣٢ فنواة الهليوم تزن ٠ر٠٣٠ اقل من وزن اجزائها . هذا الفرق في الوزن يمثل المادة التي تحوّلت الى طاقة عند تكوين دقيقة الفا من اربعة بروتونات والكترونين . والطاقة التي تنشأ عن تحوُّل هذا القدر من المادة الى طاقة تعدل ٢٧ مليون الكترون فولط[2] . ولذلك يجد العلماء نواة الهليوم — او دقيقة الفا — من أعسر الدقائق على التحطيم . بيد ان نواة الاكسجين تنقص (١٢٣٨ر) عن مجموع اوزان اجزائها . وهذا يعني ان هذا القدر من المادة قد تحوّل الى ١١٥ مليون الكترون فولط وهي الطاقة التي تربط بين اجزاءِ نواة الاكسجين

(١) تشتمل هذه الطريقة على قطبي مغنطيس احدها ازاء الآخر . ثم يطلق في الفسحة بين القطبين وابل من الذرّات التي أُينت ionized اي فقدت جزءاً منها حتى اصبحت لها شحنة كهربائية . فيجذب المغناطيس هذه الايونات ومقدار الجذب يختلف باختلاف كتلة الذرة

(٢) اي طاقة الكترون سائر بضغط كهربائي قدره ٢٧٠٠٠٠٠٠ فولط

فلما اكتشفت نظائر الاكسجين اخذ بعض العلماء المدققين يحسبون . قالوا ان وزن نواة الايدروجين يعدل $\frac{1}{16}$ من نواة الاكسجين بعد حساب ما يتحوَّل من المادة الى طاقة كما تقدم . وعلى هذا يفهم كون وزن الاكسجين الذرّي ١٦ وان ذرّتهُ مؤلفة من ١٦ بروتوناً وانَّ نواة الايدروجين مؤلفة من بروتون واحد . ولكن ما القول في ذرّات نظيري الاكسجين اللذين يزنان ١٧ و ١٨ . ان ١٦ بروتوناً لا يمكن بحالٍ من الاحوال ان تكوّن نواةً وزنها ١٧ او ١٨ فكيف يعلل ذلك ؟ هل يمكن ان يكون عنصر الايدروجين عنصراً غير نقيٍ ، وهل لهُ نظيرٌ يماثله ، في خواصهِ الكيمائية والطبيعية ويختلف عنهُ وزناً ؟

الايدروجين الثقيل

هذا الاعتبار النظري الصرف حمل طائفة من علماء اميركا على البحث . فأتى الاستاذ اليسن (معهد الاباما الصناعي) بأدلة على وجود نوع من الايدروجين تختلف ذرّاتهُ عن ذرات الايدروجين العادي . وعمد الاستاذ يوري (جامعة كولومبيا) والاستاذ بركويد (مكتب المقاييس بوشنجطن) الى تقطير الايدروجين السائل على بردٍ قريبٍ من درجة الصفر المطلق فاستفردا ذرات ايدروجين وزن كل ذرة منها ضعف وزن ذرة الايدروجين العادي . فأطلق على هذا النوع من الايدروجين اسم «دوتيريوم» وفي انكلترا دعي « دبلوجين » . وأطلق على نواته اسم « دوتون» في اميركا و «دبلون» في انكلترا . وقد كان لاكتشاف هذا النظير شأن خطير في دوائر العلم ، يفوق ما كان لاكتشاف النظائر الاخرى من خطورة الشأن . ذلك ان نواة هذا النظير نوع جديد من النوى يجب استكشافه ومعرفة بنائهِ . ثم ان الدوتونات نفسها تستعمل الآن كقذائف تطلق على نوى العناصر والنظائر المختلفة بغية تحطيمها[1]

النوترون وبناء النواة

في اوائل سنة ١٩٣٢ اذيع من انكلترا ان الاستاذ شدِك اكتشف دقيقة جديدة اطلق عليها اسم « النوترون » . هذا الاكتشاف يمكن ان يؤخذ دليلاً على اسلوب العلم وعلى شيوعيته . ذلك ان طوائف من العلماء ، في بلدان مختلفة ، مهدوا بمباحثهم الطريفة ، الطريق لاكتشاف النوترون على يد الاستاذ شدك

ففي سنة ١٩٣٠ كان العالمان الالمانيان بوث Bothe وبكر Becker يطلقان دقائق الفا على لوحة من معدن البريليوم . فكانت الدقائق المسدَّدة ، تصيب بعض نوى البريليوم فتطلق هذه من تلقاء نفسها اشعة غريبة شديدة النفوذ . فظن بوث وبكر ان هذا الاشعاع من قبيل اشعة غمّا التي تخرج

(١) راجع آخر الصفحة الخامسة من هذا المقال

من الراديوم وانما تفوقها طاقة وقوة اختراق . وفي سنة ١٩٣١ قام الاستاذ جوليو الفرنسي وزوجته (كريمة مدام كوري) بتجارب من قبيل تجارب الالمانيين

فوضعا حوائل من مواد مختلفة بين البريليوم الذي يطلق هـذه الاشعة وغرفة التأيين onization chamber،[1] فوجدا انهُ اذا كان الحائل من مادة فيها غاز الايدروجين كمادة البرافين ، زاد عدد الايونات المتولدة في غرفة التأيين وهو غير منتظر ، بل المنتظر حجب بعض الاشعة الصادرة من البريليوم بواسطة هـذا الحائل . ويعلل ذلك بأن هذه الاشعة الصادرة من البريليوم تصيب بعض ذرّات الايدروجين في البرافين فتطلق بروتوناتها بسرعة ١٨ الف ميل في الثانية . فقالا اذا كانت اشعة البريليوم امواجاً فطاقتها يجب ان تكون ٥٠ مليون الكترون فولط

واذن فهذه الظاهرة عجيبة تثير الدهشة لان المواد المشعة لا تطلق دقائق لها طاقة تزيد على ٦ ملايين الكترون فولط مثل دقائق الفا المنطلقة من عنصر البولونيوم . واذن فالبريليوم يطلق اشعة تفوق طاقتها عشرة اضعاف طاقة الاشعة المسدّدة اليهِ وهذا غريب

ففرض جوليو وزوجتهُ ان هذه الاشعة المنطلقة من البريليوم امواج ، وانها في قصرها وقوة نفوذها تقع بين اشعة غما التي تخرج من الراديوم والاشعة الكونية التي كشفها ودرسها ملكن ورهط من اكبر علماءِ العصر

قرأ شدِك عن هذه التجارب العجيبة ، فعمد الى أنابيب قديمة من الراديوم كانت قد اهديت اليهِ ، بعد ما فقد الراديوم فيها خواصه العلاجية ، فاستخرج منها عنصر البولونيوم وهو يختلف عن الراديوم في انهُ لا يطلق الاَّ دقائق الفا حالة ان الراديوم يطلق دقائق الفا وبيتا واشعة غما . وكان يعلم ان طاقة دقائق الفا ٦ ملايين الكترون فولط . فاذا كانت تستطيع هذه الدقائق ان تقذف من البريليوم اشعة طاقتها ٥٠ مليون الكترون فولط فهو اما امام ظاهرة غريبة جديرة بالبحث حرية بالتفسير

اطلق شدِك دقائق الفا من عنصر البولونيوم على البريليوم ووضع بين البريليوم وبين غرفة التأيين حائلاً من النتروجين ، فكانت الاشعة المنطلقة من الراديوم على النتروجين عنيفة كل العنف حتى انها احدثت في غرفة التأيين ٣٠ الف ايون . هنا توقف شدك وقال : لو كانت اشعة البريليوم التي اصابت النتروجين من طاقة ٥٠ مليون الكترون فولط ، لما استطاعت — بحسب النواميس المسلَّم بها — ان تحدث مثل هذا العدد من الايونات . بل لما استطاعت ان تحدث اكثر من ١٠ آلاف ايون

ولكن اذا فرض ان الاشعة المنطلقة من البريليوم هي دقائق مادية كتلتها ككتلة البروتون وتسير بسرعة تعدل عُشْر سرعة النور فاحداثها ٣٠ الف ايون في غرفة التأيين يصبح امراً معقولاً

---

(١) اداة تستعمل لقياس قوة الاشعة وهي غرفة تحتوي على غاز . فاذا مرت فيها تيار نزع بعض الالكترونات من الذرات فتصبح ايونات (اي دقائق مكهربة او شوارد كما دعاها بعضهم) وتحصى هذه الايونات فيقاس بعددها قوة التيار

ثم اذا فرض ان هذه الدقائق لا تحمل شحنة كهربائية ــ وهي لذلك لا تتأثر بالجذب المغناطيسي ــ فعندئذٍ يمكن تعليل قوة اختراقها المواد على اوفى وجهٍ

وكذلك كشف عن «النوترون» . وقد اثبتت التجارب ان النوترونات يمكن اطلاقها من مواد اخرى عدا البريليوم . والرأي الآن على ان النوترون لبنة اساسية في بناء نواة الذرَّة

ولكن بناء النوترون نفسه مثار للجدل . فبعضهم يحسبه دقيقة فردة لا تتجزأ . وبعضهم يذهب الى انهُ مؤلف من بروتون والكترون وقد حشكا معاً فلا ينفصل احدها عن الآخر . وهذا الرأي يماثل لنا مشابهة النوترون للبروتون وزناً . ويمثل كذلك تعادل كهربائيتهِ لان شحنة البروتون فيه تعدّل شحنة الالكترون . فهو بحسب هذا الرأي ذرّة ايدروجين ولكن المسافة فيها بين البروتون والالكترون قريبة جدًّا حتى تكاد تكون معدومة

ان بناء النوترون على هذه الصورة يغيّر الرأي في بناء نواة الذرة . كنا من قبل ، نفرض ان النواة مؤلفة من بروتونات والكترونات كل الكترون منها يعدّل بروتوناً ولما كان عدد البروتونات يزيد على عدد الالكترونات فالعدد الزائد من البروتونات تعدله الالكترونات التي حول النواة. فأصبحنا اليوم نقول ان النواة مؤلفة من بروتونات ونوترونات . وكذلك نستطيع ان نفهم بناء الدوتون (ذرة الدوتيريوم او الايدروجين الثقيل) فنواة الايدروجين الثقيل مؤلفة من نوترون (بروتون والكترون متلاصقين او يكادان فيعدّل احدها الآخر) وبروتون . وخارج النواة الكترون واحد يعدل البروتون الذي داخلها . اما نوى الذرات في العناصر الثقيلة فقد تكون مبنية من مجموعات من البروتونات والنوترونات والدوتونات والهليومات (heliums اي نوى ذرات الهليوم وكل منها مؤلف من اربعة بروتونات) فنواة الاكسجين تتصرف كأنها مؤلفة من اربعة هليومات (١٦ بروتوناً) . اما البريليوم فعنصر اقل استقراراً والمرجح انَّ نواته مؤلفة من هليومين (الهليوم اربعة بروتونات) ونوترون وهذا هو النوترون الذي ينطلق منها عند توجيه دقائق الفا الى البريليوم كما حدث في تجارب بوث وبكر وجوليو وشدك .وقد جاء في الصحف العلمية من عهد قريب ان اطلاق الدوتونات على عنصر الليثيوم كان افعل في قذف تيارات النوترون من اطلاق دقائق الفا على البريليوم

البوزيترون صنو الالكترون

واذ كانت الدوائر العلمية دهشة متحمسة ، لكشف النوترون وامكان استعماله في تصحيح بعض الآراء العلمية السائدة عن بناءِ نواة الذرّة ، جاءَت الانباء بكشف دقيقة اخرى يرجّح انها كذلك من لَبِنات الكون الاساسية

جاءَ هذا الكشف بطريق العَرَض . ذلك ان الاستاذ لورنس كان يبحث في الاشعة الكونية . والاشعة الكونية شديدة النفوذ تخترق لوحاً سمكهُ بضع اقدام من الرصاص . ولكنها تعيي الباحثين فلا يستطيعون درسها مباشرة . ولذلك يعمدون الى فعلها في دقائق الهواءِ . ذلك ان هذه الاشعة تصيب بعض دقائق الهواءِ فتؤيّنها (اي تزيل جانباً منها فيصبح الباقي ولهُ شحنة كهربائية) وفي سنة ١٩٢٩ حاول العالم الروسي سكوبلزن Skobelzyn ان يصوّر مسارات الاشعة في غرفة غائمة[١] وتبعهُ ملكن واندرسن فحسّنا الطريقة واتقناها وصوّرا بها مسارات الاشعة الكونية كما يدل عليها اصطدامها بدقائق الهواءِ في غرفة غائمة . في هذه الصور لاحظ اندرسن عدا مسارات الاشعة الكونية خطوطاً مزدوجة ومنحنية فاسترعى نظرهُ اولاً ان هذه الخطوط المنحنية لا تكون الاَّ ازواجاً . وثانياً ان احدها منحرف الى اليمين والآخر الى اليسار . اي ان احدها سالب والآخر موجب . وتبيّن عند البحث ان الخط السالب المنحني انما هو الالكترون . ولكن لم يستطع احد ان يعلّل الخط الموجب . ذلك ان اصغر وحدة للكهربائية الموجبة عرفت حتى ذلك الوقت كانت وحدة البروتون . وكتلة البروتون تفوق كتلة الالكترون ١٨٥٠ ضعفاً . فاذا كان الخط الموجب يمثل البروتون فيجب ان يكون انحرافهُ اعظم جدًّا من هذا الخط البادي في الصورة

فقال اندرسن في ذاته ، ان البروتون ليس صنو الالكترون بل صنوه دقيقة اخرى اصغر من البروتون كتلتها مثل كتلة الالكترون وشحنتها موجبة بدلاً من ان تكون سالبة . ودعا هذه الدقيقة البوزيترون . ثم توالت التجارب فأيدت اكتشاف اندرسن واشهرها التجارب التي قام بها بلاكِتْ واوكياليني في كمبردج

***

وقد اختلف العلماء في تسمية هذه الدقيقة فقال بعضهم ان لفظ بوزيترون قد يخدع الاَّ اذا تخلّينا عن لفظ الكترون وسميناهُ نغاترون . ونحن نستطيع ان نتغلب على هذه الصعوبة فنسميهما الكهرب الموجب (البوزيترون) والكهرب السالب (الالكترون)

***

وكذلك يرى القارىء ان لبنات الكون ، ونحن نكتب هذه الكلمات في منتصف سنة ١٩٣٤ هي اربع : الالكترون (الكهرب السالب) والبروتون (الاوّيل) والنوترون (المحايد اي لاسالب الشحنة ولا موجبها) والبوزيترون (الكهرب الموجب) . وكل دقيقة من هذه الدقائق لا تزال لغزاً من الالغاز ، ومن يدري فقد تسفر المباحث الجارية الآن عن نتائج تجعل لبنات الكون الاساسية اكثر من اربع ٍ او قد تحوّلها الى اثنتين فقط هما الكهربان الموجب والسالب

---

(١) الغرفة الغائمة طريقة تتبين بها مسارات الدقائق التي تمكن رؤيتها بما تتركه من الاثر في الطريق الذي تسلكه

جولات في الادب الاوربي

روح القصة في الادب الحديث

لحسن محمود

كنت في احدى الليالي جالساً في مقهى مع جماعة من الادباء وتناثر الحديث فاصطفى كل واحد منا واحداً من الجماعة يتحدث اليهِ في صوت رفيق ومال اليّ احد افراد الجماعة يسألني ما هي الكتب التي قرأتها في السنوات الاخيرة فوجدت فيها اكبر مثال للنزعة الحديثة في الادب القصصي فجذبت ورقة امامي وانتضيت القلم واخذت ارسم خطوطاً ورموزاً في غير قصد كي يكون لديّ مجال للتفكير فانني والحق اقول حرت في الاجابة ولكنني رأيت ان اترك الامر للعاطفة بدلاً من الفكر فاذا هي تملي عليّ اسماء لكتب اربعة ظهر بعضها منذ سنوات وظهر البعض في السنتين الاخيرتين وهذه الكتب بحسب ظهورها رواية توماس مان الالماني التي اسماها « الموت في البندقية » ورواية اندريه جيد الكاتب الفرنسي التي اسماها «المزيفين» ورواية «الامواج» لفرجينيا وولف الكاتبة الانجليزية ورواية « عالم جديد جريء » لألدس هكسلي

وما ان كتبت هذه الاسماء الاربعة حتى عجبت لنفسي لانني لم اضع بين هذه القصص قصصاً كنت ولا ازال اعجب بها واتخذها مثالاً للادب الحديث : فلماذا لم اختر كتاباً من كتب د. هـ. لورنس مثلاً ؟ ولماذا لم استشهد بفن جيمس جويس في رواية « عوليس » ؟ لست بمستطيع ان اقول ان توماس مان كسر في قصة « الموت في البندقية » قيود القصة القديمة كما فعل مؤلف «عوليس» الذي حاول ان يصور حياة مدينة بأسرها في اقصر من يوم وليلة ويرسم كل ما يمر بخلد رجل في اثناء تفكيره ، عجبت لنفسي اذ وضعت قصة نشرت في سنة ١٩١٢ مثل قصة « الموت في البندقية » الى جانب قصة نشرت في سنة ١٩٢٥ مثل قصة « المزيفين » الى جانب قصتين ظهرتا في السنتين الاخيرتين وعجبت لنفسي اذ لم اميز بين قصة قصيرة مثل « الموت في البندقية » وبين قصص طويلة من النوع الذي اصطلحوا على تسميتهِ بالرواية

كل ذلك اخذته على نفسي ورأيت انني ربما تسرّعت في الحكم وآثرت مجرد الميل على الوصول الى الحقيقة. ولكنني كلما اطلت التفكير وجدت ان اختياري لم يكن عبثاً واني اذا كنت قد اغفلت روايات فيها مثال حي للنزعة الحديثة فبعدت عن لورنس وادبه واغفلت جيمس جويس وتعقيداته

واهملت مارسيل بروست ودقائقه النفسية فاني لم اكن في اختياري غير موفق ولم اكن عن الصواب بعيداً

ربما كنت اجد في لورنس ما يتخذ مثالاً للنزعة الحديثة : في « قوس المطر » وفي « عصا هارون » بل اكثر من ذلك في « الثعبان ذي الريش » ، ففي لورنس نجد نزعات حديثة بادية في اكثر صفحاته — وان مباحثهُ ودورانه حول اللذة الجسدية وتمجيده لها وحرقه البخور دائماً امام آلهة الحب واللذة نزعة حديثة من نزعات هذا العصر وانهُ لمن المستطاع ان نقرأ ما شئنا من ادب عصر الملكة فيكتوريا دون ان نجد اثراً لتلك النزعة ، قد نجد تيارات قليلة دائمة في جميع عصور الادب ولكنها تيارات خفية وربما قيل ان النزعة الواقعية تصف نقائص الناس ومثالبهم وتصور الامور بحيث لا ترحم سرًّا ولا تكتم تفصيلاً ولكن النزعة الواقعية تفعل ذلك ابداً عن غرض هو تصوير الحياة الواقعية فحسب ، فليس في ادب القرن التاسع عشر — فيما عدا الطلائع التي تسبق العصر بزمن مديد — ما يشبه دعوة لورنس وليس لورنس وحده بل البعض من معاصريه ايضاً ، فتمجيد اللذة الجسدية واتخاذها قاعدة للحياة هي نزعة حديثة بلا ريب ولكن ما اخطأ فيهِ لورنس هو اعتباره ان اللذة الجسدية هي القاعدة الوحيدة للحياة انما نعيش من اجلها او يجب ان نعيش من اجلها ، وانما نموت من أجلها او يجب من أجلها ان نموت. وفي ذلك كان لورنس يعارض أدب العصر السابق له الذي تجرد من اللذة الجسدية او لم يذكرها الاَّ في معرض الذم ولكن لورنس ذهب الى أبعد من ذلك فقد اتخذها ديناً ونصب نفسهُ لهذا الدين كاهناً ومبشراً وتكلم عن هذا الدين بتعصب الدعاة الاول عن عقيدة ثابتة فيما يبشر بهِ ويدعو اليهِ وربما كان مبلغ هذا التعصب ومداه ناجماً عن علة نفسية كما يقول البعض ليست هي الاغراق في معرفة اللذة وانما هي الحرمان من معرفة اللذة وربما كان لعلة نفسية اخرى ولكن مهما يكن الامر فان دعوة لورنس لاقت نجاحاً وصار لدين اللذة مكان معترف بهِ في العالم الادبي الحديث ولكن لحسن الحظ لم يأخذ العالم بمقاييسه فقد قبل التعاليم على أن يضمها الى عقائده الاخرى ، فليست اللذة الجسدية إذن — وهي الطابع الغالب على مؤلفات لورنس — هي ما نريد ان نعتبره نزعة حديثة فقد يكون الاهتمام باللذة الجسدية احدى النزعات ولكنا نبحث عن روح الادب الحديث ونزعته في تياره الاكبر

وفي مارسيل بروست اين نجد النزعة الحديثة ؟ نحن نعلم ان بروست اختطَّ في قصصه خطة تكاد تكون فريدة وعرض لنا صوراً في طريقة غريبة ابتدعها فقد رسم لنا حياة مارسيل وبطل قصته وهو طفل يفكر تفكير البطولة المبعثر وفي منزل سوان ذلك السيد البسيط الذي كان صديقاً لأمير من اكبر الامراء وصوَّر لنا حياة ذلك السيد يتقلب بين الشك والغيرة وصوَّر حب مارسيل لجلبرت وخيبته ثم رغبته في التخلص من شبح هذا الحب ثم تقلبه في شمس الدوقة جرمانت وما يحوطها من جوّ ارستقراطي يعرفهُ بروست حق المعرفة وما فيهِ من ديدان مزخرفة وحشرات مذهبة ووصف

لنا حياة شارليس العجيبة وميوله الزائغة يحمل سرًّا خائفاً مضطرباً مهدم الاعصاب

هذا الفن قائم على التحليل الدقيق المسهب الى درجة الاملال وان كان شديد الجاذبية فذلك الفحص المستمر وتقطيع الجسد وما داخل الجسد وفحص كل جزء بمنظار — ذلك العزف على وتر واحد وتكرار نغمة واحدة ، وتلك الصور المتتابعة في اسلوب متصل معقد ان هو الا نزعة حديثة في الادب . ولكن هل هي روح العصر الحديث ؟

ثم جيمس جويس الذي يشبه بروست في طريقته بعض الشيء وان كان يختلف عنهُ في نواحٍ متعددة ماذا يظهر لنا من عناصر جديدة ؟ انهُ يروي لنا قصة يوم واحد او اقل من يوم من حياة رجل عادي من اهل دبلن هو المستر بلوم اليهودي الاصل الذي جاوز الاربعين من العمر وهو رجل مرهق بعمله اذ هو منظم اعلانات وبحكم هذا العمل يدخل هذا المتجر وذاك وبحكم هـذا العمل يكون مع الناس رفيقاً ولهم مداهناً ، ثم يصوّر لنا الكاتب امرأته الحسناء التي تخونه وتتخذ خليلاً بعد خليل وهو حزين لذلك مهموم ولكنهُ لا يجرؤ على اتخاذ خطوة حاسمة لانهُ لا يجد في نفسهِ من علائم الرجولة مايساعدهُ على ذلك ونرى صورة ستيفن ديدالوس الذي عرفناه في صباه في رواية سابقة لجويس وصف فيها حياة هذا الصبي وهو يتعلم في المدارس ورأينا نموه الذهني والجسدي ، وهو في رواية «عوليس» فتىً يستعد لاتمام دراسته في فرنسا ونتتبع في هذه الرواية حركات بلوم في يومه ونراه ينتقل من مكان الى مكان ويقوم بأعمال عدة اكثرها بعيد عن عمله حتى ينصرف الى ستيفن اي حتى يعثر تلماك على عوليس كما في «الاوديسة »

***

اراد جويس ان يصوّر لنا حياة رجل في اقل من يوم وليلة داخل المدينة ولكنهُ اراد اكثر من ذلك ان يعكس لنا حياة مدينة عظيمة صاخبة بحسناتها ورذائلها . ثم اراد ابعد من ذلك ان ينقل الصور التي تمر في مخيلة العقل الانساني وهو في غمرات الحياة . وهذا ما دعا جويس الى ان يخلق لنفسهِ اسلوباً جديداً مليئاً بالاستعارات والتشابيه والاشارات الى حوادث ماضية وهو اسلوب يصعب تتبعه ولكنهُ ابتدع ليؤدي الغرض المقصود منهُ وليس أدلّ على صحة هذا القول من المقابلة بين اسلوبهِ في مجموعة القصص المسماة « أهل دبلن » وبين أسلوبه في « عوليس » ثم بين اسلوبه في «حياة الفنّان في صباه» واسلوبه كذلك في «عوليس»

ولا ريب في ان تعقد الاسلوب ظاهرة من ظواهر الادب الحديث وهي نتيجة للتعمق في التحليل النفسي ونجد هذه الظاهرة واضحة في كل من بروست وجويس وقد بنيت على فكرة جديدة في فن القصة . فالكتّاب المحللون يزعمون ان القصة كما نراها في الكتّاب الذين يسيرون على المبدأ القديم ان هي الا نتيجة الانتخاب والاختيار فالروائي يختار ما يريد ان يقوله عن شخصيات روايته ويكتم ما يريد ان يقول ويصف جوانب منهم ويسكت عن جوانب ويتكلم عن مواقف ويهمل

مواقف فيوفق احياناً ويخطىء احياناً وهو في الحالين عابث بجزء كبير بل بالجزء الاكبر من الحقيقة يخفيه ، فصور الكاتب في روايته ان هي الا صور مبتورة واذا بدت للقارىء صوراً كاملة ، واذا بدت لهُ في ثوب الحقيقة فانما ذلك نتيجة عمل ذهني كان من الاولى ان لا يحدث

وهذه النظرية هي بلا ريب خطوة نحو الطريق الصحيح وبها اخذ الكتّاب في الادب الحديث بوجه عام غير ان البعض تطرّف فيها والبعض لم يتطرّف ونجد عناصر هذا المذهب في لورنس ونجد استعمالاً مستمرًّا له في جويس وفرجينيا وولف وبروست على اختلاف في كل منهم ونجد تطرفاً في استعماله في رواية كرواية « الحج » لمسز ريتشاردسن التي سجلت فيها حياة بطلة روايتها « مريم هندرسن » فأخرجت عشرة اجزاء من هذه الرواية ولما تبلغ بطلة الرواية سن الاربعين . وقد يكون لنا ان نتساءل هل وفقت مسز ريتشاردسن حقيقة في تسجيل هذه الحياة تسجيلاً دقيقاً وهل يمكن لكاتب مهما أغرق في هذه الطريقة ان يصل الى ان يثبت كل شيء ؟ عقيدتي ان ذلك ليس مستطاعاً

فالاختيار اذن قائم دائماً ومسز ريتشاردسن نفسها لا تستطيع الاّ ان تكون كغيرها من الروائيين

يتبين لنا الآن في وضوح مدى العلاقة بين هذه الطريقة وبين ما يفعلهُ اطباء النفس على طريقة فرويد فالمسلك في الحالين واحد والغرض متشابه : الاطباء يتطلعون الى الوقوف على خفايا نفس العليل فيطرحون عليه في جلساتهم اسئلة عدة يحاولون بها ان يستطلعوا سره الكمين فيقتربون من موضوع هذا السر احياناً ثم يبتعدون بقدر ما يجدون فيه من استعداد الى ان يوفقوا في معرفة سرّ الداء وسبب العلة والكتّاب الحديثون يسجلون الدقائق والتفصيلات باسهاب للوقوف على علة الحوادث

***

كل هذه النزعات المختلفة تؤثر بلا ريب في سير الادب الحديث ولكنني لم ارد ان ارى فيها ما يدل على الروح الحقيقية للادب فان هذه الروح في خلاصتها هي شيء ابعد من ذلك ، لقد اردت نزعة خفية تتمثل فيها نفسية العصر وهذه النزعة وجدتها في القصص الاربع التي اشرت اليها

فقصة توماس مان عن « الموت في البندقية » هي بلا ريب من خير القصص التي الفت في هذا القرن حتى لتكاد تبلغ حدَّ الكمال وقلما نجد لها مثيلاً في روعة الاسلوب على بساطته وموضوعها رحلة رجل مكدود جاوز الستين مدير لمصرف الماني اضنى العمل جسمه وحطّم اعصابه نال الثروة والجاه ولكنهُ في سبيل ذلك كاد يفقد الحياة فهو يرحل الى البندقية لعلَّ شمس ايطاليا وسماءها يعيدان اليهِ شيئاً من الصحة التي يلتمسها وقد وجد الراحة الجسدية ولكنه وجد تعباً نفسيًّا فان عاطفة غريبة غير معقولة تولدت فيهِ هي اهتمامه بغلام في نحو الحادية عشرة من عمره اهتماماً لا يدري هو سببه وازدياد هذا الاهتمام الى ان صار شاغلاً لتفكيره فلا يطيب له شيء غير مراقبة

الغلام مراقبة دائماً ، وانتشرت الكوليرا في اثناء ذلك بمدينة البندقية فأسرع الاجانب الى الرحيل عنها ويزمع اهل الغلام الرحيل فيذهب الرجل المحطم ليرقب الغلام في سفره ويودعه بآخر نظرة فيجلس على مقعد وعينه لا تتحول عن غلامه الذي لم يتصل به قط ولو بكلمة واحدة ويتحرك القطار فاذا الرجل يرتمي على المقعد ميتاً

***

لم يخرج توماس مان في وضع هذه القصة عما هو مألوف ولكن فيها الروح الحديثة التي نشير اليها لا نعني ذلك الحب غير الطبيعي الذي شعر به رجل جاوز الستين لغلام في الحادية عشرة من عمره ، حب لا يمكن ان ينشأ عنه شيء وليس له غاية وانما الذي نعنيه هو تصوير ذلك القلق والاضطراب النفسي الملازم للحياة الحديثة فهذا الرجل كان يريد الراحة في سن يستحق فيها هذه الراحة ويريد ان يخلد الى السكون في وقت يجب فيه السكون ولكنه بدلاً من ذلك لا يجد غير التعب الذي خلقه لنفسه كأن الحياة في ضجتها وصخبها وسرعتها تأبى ان تعرف الراحة فاذا كان العالم قد فقد البساطة وتعقدت وسائله المادية فان النفس تأبى الاَّ ان تصير معقدة شأن الحياة المادية فالانسان لا يستطيع ان يحول دون خلق المتاعب والمشاكل لنفسه والادباء الحديثون لا يستطيعون الاَّ ان يصوروا هذه الحيرة وهذا الاضطراب النفسي

أما رواية « المزيفين » لاندريه جيد فهي جديدة في كل شيء سواء في ذلك موضوعها او اسلوبها الفني وهي ليست كالروايات العادية اذ لا نجد لها موضوعاً او نظاماً متتابعاً او فكرة ظاهرة محددة ويعالج المؤلف كثيراً من الموضوعات في الحوار الذي يدور بين اشخاص وأهم شخص في الرواية هو ادوار الروائي الذي يؤلف رواية باسم « المزيفين » ومن ذلك نرى ان المؤلف انما اراد ان يصور نفسه في صورة بطل روايته وتراه يروي لنا حوادث هذا البطل احياناً وأحياناً ينقل مذكراته ، واشخاص الرواية مجرّدون تجريداً تامًّا من الرادع الخلقي ولكنهم يمثلون فكرة اكثر مما يمثلون احياء ومع ذلك نرى هذه الرواية تمثل الحياة العصرية حق التمثيل بصخبها وضجتها ، باضطرابها وحيرتها

واذا رجعنا الى رواية «عالم جديد جريء» نجد لوناً آخر من الوان الفن الحديث هو الفكاهة الممزوجة بالسخرية فقد اراد منا الدس هكسلي ان نرى العالم كما يبدو في المستقبل اذا تطورت الامور تطوراً منطقيًّا وفاقاً لبعض الآراء التي يقول بها بعض العلماء اليوم ولا ريب في ان هذه الرواية العجيبة بعالمها العجيب إن هي الاَّ نقد لاذع في قالب روائي للنزعة المادية التي ينزع اليها العلماء ويتطرّف فيها بعضهم وميل بعض هؤلاء العلماء الى الاغراق في الاستنتاج ونسيانهم الواجب الاول في البحث العلمي وهو ان يحتاطوا اشد الاحتياط في ابداء آرائهم وان لا يسلموا

برأي الآنّ بعد ان تثبت لهم صحته بالتجربة العلمية الصحيحة . لقد تمكن العلم من هدم اركان الاوهام وازال دولة الآراء والمعتقدات التي لا تقوم على اساس ونال العلم نصراً كبيراً ولكن كيف كان ذلك ؟ لم يكن العلم لينجح نجاحاً يذكر لو لم يقم على طرق البحث النزيه المجرد من اية غاية الاّ الوصول الى الحقيقة او الاقتراب منها فاذا حاد العلم عن هذه الخطوة وأخذ يندفع في طرق الحدس والتخمين فانه لا بدّ فاقد مكانته بين الناس

ففي هذه الرواية كما في سائر روايات الدس هكسلي نزعة دائمة الى السخرية القاسية المرة ومما يؤخذ عليه دائماً جفاؤه نحو شخصيات رواياته على ان موضوع هذه الرواية بطبيعته مما يلائم الدس هكسلي ويظهر بجلاء جوانب عبقريته

ان الدس هكسلي اتى في هذه الرواية بشخصية فذة هي شخصية الشاب المتوحش الذي نشأ بين القبائل الهمجية يتكلم لغة انجليزية غير لغة الناس الذين نشأوا في « العالم الجديد الجريء » فولدوا في المصانع ودبت فيهم نسمة الحياة نتيجة لتفاعل كيميائي فهو يتكلم لغة تعلمها من كتاب مجهول عثر عليه لشاعر اندثر ذكره وعفا أثره لان المدنية التي يصفها هكسلي تأبى الاتصال بالقديم وهذا الشاعر هو وليم شكسبير

في هذه الشخصية نرى أثر الروح الحديثة التي رأيناها في المؤلفات السابقة ، نرى التردد والحيرة القريبة من اليأس على ان الكاتب ابتدع لها سبباً معقولاً وعلة مقبولة وكيف لا يكون الشاب المتوحش في حيرة من امره وهو يرى كل ما يحوطه عجيباً بحيث يصعب عليه فهم الامور كيف تجري وفهم الناس كيف تفكر : ان عالمنا لم يبلغ بعد مبلغ هذه الحياة العجيبة التي وصفها هكسلي في روايته والتي ينتظر ان يصل اليها لو صحت احلام بعض العلماء ولكن عالمنا الآن بما هو فيه جدير بأن يكون موضع الحيرة

***

وفي رواية « الامواج » لفرجينا وولف ماذا نرى ؟ هل نرى شيئاً غير هذه الحيرة في فهم الحياة ؟ وغير هذا القلق الذي استولى على النفوس ؟ تصف الرواية حياة اشخاص وتتبعهم وهم اطفال وهم صبية وهم فتيان ثم وهم رجال ثم شيوخ تتلقفهم الحياة وتطوح بهم الى هذا الشاطىء أو ذاك كما تفعل الامواج وهم قد يناضلون حيناً ويمانعون ولكن بحر الحياة المترجرج أقوى منهم وأعز سلطاناً

إن هذا الكتاب ان هو الاّ نشيد موسيقي يعزف على آلات عديدة متنوّعة الاصوات صاخبة احياناً وهادئة احياناً وقد يكون في آخر نغماته روح الاستسلام ولكنه استسلام الحائر الذي اراد ان يعرف الحقيقة فعجز عن استجلاء السر

الاصداء

حكاية مؤلفٍ وكتاب

كنا خمسة في الحديقة الغناء التي تحيط بفندق «مينا هوس» عند سفح الهرم الكبير ، والوقت وقت الغسق والحديث يتنقل من الادب الى الفلسفة الى السياسة . وكان احدنا اميركيًّا طويل القامة عريض المنكبين قيل لنا انهُ روائيٌّ مشهور ، يجني من مؤلفاتهِ نحو عشرة آلاف جنيه في السنة . وكانت ترافقهُ زوجتهُ ، وهي ربعة نحيفة القوام ، في عينيها ألقة الذكاءِ والاحساس المرهف ، ويبدو على وجهها انها من اصلٍ الماني . وكان ثالثنا انكليزيًّا تقلّب في الاعمال الصحافية والادبية في بلادهِ حتى استقرَّ اخيراً في منصب الناقد الادبي الاول لجريدة « الترانسكربت » وهو من اكبر المناصب الادبية مقاماً في بلادهِ . اما الرابع فكان صحافيًّا مصريًّا درس في فرنسا وبريطانيا وحذق لغتي البلادين ، واكبَّ على الفلسفة في السوربون ، ولكنَّ السياسة زجَّتهُ في معتركها فاقتحمهُ اقتحام فارس مغوار

جلسنا نتجاذب اطراف الحديث حول مائدة الشاي . فانتقلنا من حديث الجوّ والآثار القديمة ، الى حديث نزع السلاح وعصبة الامم واكتساح القومية الجامحة لمعظم بلدان اوربا . ثم تطرقنا الى سياسات الدول الغربية في الشرق الادنى ، في مصر وسوريا والعراق . وما لبثنا ان سررنا جميعاً بخروجنا من معمعة السياسة الى حلبة الادب ، واذا الحديث يدور ، ونحن لا ندري على مقام « الحظ » في ميدان التأليف . فذكر بعضنا اسماء نفر من المؤلفين ، ليس لمؤلفاتهم قيمة من الناحية الادبية رغم ما اصابوهُ من صيت ذائع وثروة طائلة . وذكر البعض الآخر اسماء نفر آخرين من المؤلفين اوفوا على الغاية من إجادة التأليف ولكن مؤلفاتهم لا يقرؤها الاَّ قليل من المثقفين

وكان الاميركي صامتاً يصغي ، فاذا هو عند هذا الحدّ ، قد استوى في مكانهِ وقال بلهجة القطع « انا لا اصدق ان للحظ ايَّ أثر في نجاح المؤلف »

فملكت الدهشة وجوه الصحب لهذا التصريح الحاسم ، ولحظ هو ذلك ، فاذا التصريح البسيط ، ينقلب خطبة بليغة تدور على الاجتهاد والسعي وشق المرائر وعدم الاعتراف بالخيبة وختمها ، ويدهُ في صدرتهِ كأنهُ نبوليون التأليف بقوله « ان كلمة الحظ لا توجد الاَّ في معجم الكسالى »

فنظر اليهِ الانكليزي ، نظرة هدوءٍ وطمأنينة وقال : لا اظنك تصدق كلَّ ما تقول . فاذا شئت سردتُ لك عشرات الحوادث كلٌّ واحدةٍ منها تدحض حكمك المطلق فقلنا معاً : نكتفي بواحدة منها فوقف قليلاً ريثما اشعل لفافتهُ . ثم قال : اذا شئتم — رويت قصةً وقعت وهي غريبة في بابها

الاَّ انها تمثل نصيب « الحظ » في الحياة بوجهٍ خاص ، اكثر من اية قصة تناهى اليَّ خبرها
نقرأ في هذه الايام عن قصص اصابت رواجاً عظيماً فطبعت منها مئات الالوف من النسخ . وحكايتي تدور على احداها

كان في لندن دار للنشر تعرف بدار « ريد وروجر » قوامها جون روجر وابنهُ وليم ، لان اسرة ريد كانت قد انقرضت قبل حوادث حكايتنا بنحو عشرين سنة . وكان روجر وابنهُ يفتخران بانهما لا ينشران من الكتب الاَّ ماكان في رأيهما من الادب العالي . على انهما كان يجهلان اساليب النشر الحديثة كاعلان مطبوعاتهما ، اعلاناً يشوّق اكثر مما يصدُقُ ، وحثّ النقّاد على افتنانها[1] لكي يسير ذكرها في الناس . وكان الاب روجر لا يستطيع ان يمسك عن طبع كتابٍ اعجب بهِ ، غير حاسب لرواجه حساباً . وكان علاوة على ذلك يدهش ويتململ من نوع الكتب التي تخرجها المطابع ويكثر اقبال الجمهور عليها . وكانت هذه الدار قد اصابت مكانة في ميدان النشر ونجاحاً ماليّـا . فاصبحت في العقد الاول من القرن العشرين ولا قبل لها بمجاراة بيوت النشر الجديدة فقلَّ عليها الاقبال ، وهدّدها الافلاس . فعرض على صاحبيها رجل يدعى بَجُتْ — هذا اسم مستعار لهُ — ان يشتري الدار محتفظاً باسمها ، وبالشاب وليم روجر وكيلاً لهُ وقارئاً[2]

وماكاد بَجُتْ يتسلّم مقاليد الامور ، حتى نقل الدار من شارع زريٍ الى شارع نخم ، واخذ ينشر من الروايات ما يقبل عليهِ الجمهور ، وكان ذا قدرة عجيبة على تبين تيارات الرأي الادبي العام ، من دون ان يفهم او يقيم للادب وزناً صحيحاً . وساعدهُ في عملهِ ، صيت الدار التي اشتراها ، فاقبلت الدنيا عليهِ ايمَّا إقبال

وبقي روجر الاب متصلاً اتصالاً اسميّـا بالدار الى ان ادركتهُ الوفاة . وكان ابنهُ وليم وكيلاً لا حقَّ لهُ في الادارة ، وقارئاً لا يقام لآرائهِ وزن ما . ذلك ان بجُتْ كان يخشى ان يعتمد على آراء الفتى الادبية ، خشية ان يقتفي خطوات والده وينصرف عن الخطة الجديدة التي رسمها

وفي سنة ١٩١٠ ذهب بجُتْ الى نيويورك ، وبقي وليم في منصب المدير ، خلال غيبتهِ

وفي احد الايام اذكان جالساً في مكتبهِ ، دخل عليهِ شاب اصفر الوجه غائر العينين اقنى الانف يتأبط اصول كتاب ، فارتمى على كرسيّ هناك وقذف باصول الكتاب على المائدة

قال : انني لا استطيع ان امنّي نفسي بفخر قبولك هذا الكتاب فهو رواية لا تشبه الروايات السيّارة ولا تعالج موضوعاً يستفزُّ الشعور الضعيف بل تدور على فكرة قلما يشار اليها في المجتمعات الراقية . وقد شرفني كل ناشر في لندن برفضها على اني أرغب في اطلاعك عليها ان لم يكن لديك مانع

وتبين وليم في الشاب شيئاً غامضاً استرعى نظره ورأى وما كذبهُ فؤاده ان هذا الجفاء

(١) الافتنان مدح شيء وذمه اي المحاسن والاضداد
(٢) القارىء في دور النشر الاعجمية رجل يقرأ اصول الروايات التي تعرض للنشر قبل قبولها او رفضها

وهذا الاستخفاف كانا حجاباً لنفسٍ دقيقـة الحسّ . واحسَّ بدافع قوي يدفعـهُ الى الظهور بمظهر الصداقة لهذا الشاب غائر العينين . فجعلا يتحدثان . وكلما تقدم الحديث زال الجفاء في كلام الروائي . ثم ما لبث ان صارح الناشر ، بأنهُ لا يملك شروى نقير ، وان روايتهُ « الاصداء » . — وهذا ليس اسمها الحقيقي — كانت مناط امله الاخير . ثم قال ثق ان الرواية ممتازة . فقد بذلت فيها نفسي . واني لواثق من جودتها ، ثقة الملاّح ببيت الابرة (البوصلة) . ولكنني لا آمل في الحصول على مبلغ كبير لقاءَ نشرها . فليس فيها مواربة ولا نفاق . بل انها ترسم الحياة كما هي ، لا كما ندّعيها او نتظاهر بها . وانك لتقلدني منّة اذا قرأتها ، واسرعت في ردّك عليَّ

فوعد وليم بالشروع في قراءتها حالاً

قال : ليس لديَّ ما يشغلني الآن . فاذا جئت غداً بعيد الظهر فقد استطيع ان افضي اليك بقراري في شأنها

وكأن شيئاً في الفتى الروائي اثار كوامن النفس في وليم الاديب ، فسرعان ان اقبل على الرواية يقرؤها . ولم يكد يقرأ بضع صفحاتٍ حتى ادرك بميزان ادبه الحسَّاس انهُ قد فاز بلقية . فلما انجز قراءتها في الهزيع الاخير من الليل، اقتنع بأنهُ قد عثر على آية من الآيات . كان اسلوبها قويًّا متزناً ألمعيًّا، وكانت من سطرها الاول الى الاخير، تنبض نبضاً شعريًّا متدفقاً من نفس سداها الاخلاص ولحمتها دقة الاحساس . ولكنها من حيث النشر كانت لا تتفق هي وسُبُل ذلك العهد . لانها تعالج موضوعات نفسية بعيدة عن نفوس الجماهير ، بعد مبادىء النسبية او الراديو حينئذٍ عن افهامهم . كان الجمهور لا يزال متأثراً بتعاليم العصر الفكتوري . وقلَّ منهم من سمع باسم فرويد والتحليل النفسي . وكانت الحياة تميل الى النزعة الخيالية ، لان الحرب ، التي غيرت النظم الاجتماعية وازاحت لثام الاوهام الشعرية عن حقائق الحيـاة ، كانت ما تزال في طيّات الغيب . ولو نشرت رواية « الاصداء » في سنة ١٩١٠ لاستقبلت استقبال فتاة تسير حينئذٍ في شوارع لندن مجمومة الشعر قصيرة الحلّة الى حدّ الركبتين وفي فمها لفافة من التبغ

احسّ وليم عند ما اتمّ قراءة الرواية ، انهُ قلب في القفر صخراً فعثر بماسة . ثم تذكر رئيسهُ بجت فخبا ذلك البريق في عينيه . ايقبل بجت ان ينشر الرواية ؟ ايجرؤ هو على المغامرة بقبولها للنشر ؟ ولو كانت المسألة رهن قراره لما تردّد . ولكنهُ ادرك ان بجُتْ لن يقبلها . وبجُت عائد من اميركا بعد بضعة اسابيع . وكان وليم لا يزال متحيّراً في ما يفعل ، لما دخل عليهِ دان كارتر — لندلّ على المؤلف بهذا الاسم — فلما اقبل عليهِ ، احسّ وليم ، برابطة عطف خفيةٍ تربطه بهذا الفتى ، فأعرب عن اعجابهِ العظيم بروايتهِ العجيبة، ثم بسط لهُ الحالة كما هي ، والبواعث التي تحول دون اتخاذه قراراً حاسماً في موضوعها . وختم بقولهِ : اذا اردت ان تصبر حتى يعود المستر بجُتْ من نيويورك، فقد استطيع ان أقنعهُ . ولكنني لا اريد ان يؤخذ قولي هذا على انهُ تعهُّد بـ . . . . . .

فعبس وجه الفتى بعدما استبشر عندما اعرب لهُ وليم عن اعجابهِ بروايتهِ وقال :

لما كنت قد صارحتني بموقفك اودُّ ان اصارحك انا كذلك بحالتي . فانني لست املك فلساً واحداً ولا استطيع بوجهٍ من الوجوه ان اصبر بضعة اسابيع . بل لا استطيع ان اصبر بضعة ايام. لم اتناول بعد مقابلتك امس الاَّ فنجاناً من القهوة ، ولا اتذكر آخر مرة اكلت فيها حتى الشبع .

وضحك ضحكة استهتارٍ رنَّ صداها في الغرفة ثم قال : وارجو ألاَّ تحسب انني احاول التأثير في مشاعرك بقولي هذا . انما ابسط لك لماذا لا استطيع الصبر بضعة اسابيع . وما يزال امامي دار او داران للنشر !

انقبضت نفس وليم ، وامتدت يدهُ الى جيبهِ من تلقاءِ نفسها وهو يقول « اذا سمحت بقرض صغير . . . » ولكن الفتى قاطعهُ مخاطباً : انني لا استعطي . انا لا اطلب احساناً . ثم ضرب بقبضة يدهِ على اصول الكتاب وقال أتظنني مغفَّلاً لا ادرك قيمة كتابي ؟ ان في هذا الكتاب ثروة لمن يجرؤ على نشره

فقال وليم : ولكنني بسطت لك عذري . ولو ان كتابك كان رواية عادية لكان . . . .

فوقف الفتى ، وتأبط اصول كتابهِ واتجه الى الباب قائلاً : « انكم معشر الناشرين تثيرون غضبي وشفقتي في آن . أنتم اناسٌ لا تملكون ذرّة من الخيال . اعرض عليكم كتاباً ذا قيمة خاصة ، ولكنهُ يختلف عن الروايات العادية التي تنشرونها ، فلا تجرؤون على نشره ! انكم لأجبن من الارانب »

وما كاد يصل الى الباب حتى استوقفه وليم قائلاً :

« قِف . أَقبلُ ان أُخاطرَ حتى ولو طردتُ لاجلها . انني اؤمن بهذا الكتاب . انا اعلم انهُ آية من الآيات . ولا استطيع ان افرّط فيها »

فالتفت اليهِ دان كارتر وهو لا يكاد يصدق . وكأنَّ وليم كان يناجي نفسه ... لابدَّ من المغامرة وقد تصيب هذه الرواية نجاحاً عظيما ... ثم جلسا يتحدثان في شروط الاتفاق . عندئذٍ انبأ المؤلف صاحبهُ ان اسمهُ الحقيقي ليو فرجوسن . فلما عرض عليهِ نصيباً من الربح يوزع بعد طبع الكتاب وبيعه فرغ صبرهُ وقال : « الم اقل لك انني احتاج الى المبلغ نقداً . ألا تستطيع ان تدفع ثمن الرواية فوراً » . وبعد تردد كثير عرض وليم على فرجوسن خمسين جنيهاً ثمناً مطلقاً للرواية وحقوق طبعها جميعاً . وقال انا اعلم ان المبلغ يسير ولكنني لا اجرؤ ان اعرض عليك مبلغاً اكبر من هذا

فقال فرجوسن « ولو كنت مكاني لادركت ان مبلغ الخمسين جنيهاً هبة سموية » .

وكذلك تناول وليم دفتر التحويلات المالية وشرع يكتب التحويل بعد توقيع العقد الذي نقلت بموجبه جميع الحقوق في رواية « الاصداء » من مؤلفها الى دار « ريد وروجر » بلا قيد ولا شرط

وما كاد المؤلف يخرج حتى استسلم وليم للهم . فآناً يحسب نفسهُ رجلاً احمق لانهُ غامر هذه المغامرة وآناً آخر يهنيء نفسه لانهُ كشف عن آية من آيات الفن الروائي فيدركه الخجل للمبلغ اليسير

الذي بذله في ابتياعها . ولكنه كان يطمئن نفسه بأنهُ اذا نشرَ الكتاب وأصاب رواجاً فانهُ يكون مقدمة لبلوغ المؤلف ما يتمنى في عالم الادب

وكذلك لبث وليم، والآراء تتنازعه ، ينتظر عودة بجُت من نيويورك . ولما عاد هذا حاملاً في جعبته الروايات مضمونة الرواج ، وقرأ « الاصداء » تحققت مخاوف وليم . فان بجت ارغى وأزبد ورمى بأصول الكتاب ، جاحظ العينين منتفخ الاوداج ، محقراً ولم بما نثره عليهِ من صفات الحمق والتهور . ووليم صابر يتوقع سكون العاصفة يحاول هنا وهناك ان يقول كلمة دفاعاً عن الرواية ومؤلفها . فلما عرض بجت بوالد وليم جنّ جنون الشاب وأخذ قمعته وعصاه ومضى

هنا توقف الانكليزي هنيهة عن سرد قصته ، وحدّق في الفضاء البنفسجي يحيط بالهرم الكبير بعيد الغروب ثم انتبه الى ان الصحب ينتظر نهاية القصة فرمى بعقب لفافته واستأنف حديثه فقال :

كان ذلك سنة ١٩١٠ وانقضت اثنتا عشرة سنة ظلّت فيها رواية « الاصداء » مطوية في قِمَطْرٍ يكسوها الغبار . واستحالت نفسية الجماهير في بريطانيا في خلال هذه السنين . كانت السنوات الاربع الاولى منها سنوات رخاء واقبال وسلام ، وكان الناس في خلالها يأبون كل حافز للتفكير ، ويعرضون عن كلّ من يقول حقيقة تمزق عن عيونهم ذلك الغشاء الورديّ . ثم تلتها سنوات الحرب ، وهي سنوات حافلة بالآلام والفظائع والعنف ، فتمزق الحجاب عن كل عمل مصطنع ، او شعور مقلد ، وتعرت نفوس البرايا امام شبح الحرب . وجاءت بعدها اربع سنوات من الفوضى ، فانقلبت النظم الاجتماعية وتغيرت الآراء والآداب ، وقام جيل من الناس لا صبر له على المغالطة والمواربة يريد الحقيقة غير مقنّعة ويرفض ان يسير في طريق الحياة وعلى أبصارهِ غشاوة

وكان أثر هذا الانقلاب في ادب الرواية عظيماً فبارت الروايات التي كانت رائجة قبل الحرب ونشأت طائفة جديدة من الكتّاب تعالج شؤون الحياة معالجة صريحة ، وكان بَجُت كما قلت رجلاً يعرف مهابّ الرياح في ميدان النشر ، فكان ينشر الكتب التي تشغل موضوعاتها اذهان الناس ، سواء أكانت علماً ام تاريخاً ام سياسةً ام ادباً على آخر طراز . وكذلك لما اقبلت سنة ١٩٢٢ كانت داره في مقدمة دور النشر في لندن

ووقعت جناية ما اروعها في لندن حينئذٍ . ذلك ان سيدة جميلة من كرائم البيوت اغرت رجلاً بقتل زوجها ، لكي تستطيع ان تفرّ مع عشيق لها ، في عروقه آثار واضحة من دماء الزنوج . وكانت محاكمتها من اشهر المحاكمات الغرامية في العصر الحديث . رسائل الغرام التي تليت في المحكمة ، والحوادث الغريبة التي كشف اللثام عنها ، والعوامل النفسانية التي حللت وبسطت على مسمع من الناس ، ثم نشرت جميع تفصيلاتها في بعض الصحف ، كل ذلك كان توطئةً لاعظم نجاح ادبيّ احرزتهُ رواية بعد الحرب

كانت شفتا الانكليزي وهو يقول هذه الكلمات تنقبض ثم تنبسط . وكانت غنة صوته تتقلب

تقلباً يسترعي الانتباه ، كانهُ كان ينبش من قلبه ذكريات طال عليها الامد ثم قال :—

وطالما فكَّرت كيف خطر على بال بجت ، ذكر تلك الرواية المنسية ، المطوية في قمطرٍ قديم تعلوها طبقة من الغبار ، وانني لاستطيع ان اتصوره ، وقد خطرت بباله ، كيف راح يفتح القماطر ويقفلها ، باحثاً عن اصول الرواية التي اشترتها داره رغماً عنهُ بخمسين جنيهاً قبل اثنتي عشرة سنة . بل استطيع ان اتصورهُ وقد عثر بالاصول وجلس يقرؤها ، واجداً فيها من تحليل النفوس ما يشبه كل الشبه ، العجائب التي اسفرت عنها المحاكمة في تلك الجريمة . عند ذلك لا بدَّ ان يكون قد قفز فرحاً لان هذا الكتاب ملكه الخاص بلا قيدٍ او شرط . فأسرع في طبع الرواية . وكانت النتيجة فوق ما توقع . ذلك ان موجة الاقبال عليها ، ظلّت ترتفع اسبوعاً بعد اسبوع حتى اصبح الطابعون عاجزين عن مجاراة ما يطلبهُ الجمهور منها . وكانت مثاراً لمناقشة حادة بين النقّاد على صفحات الجرائد وترجمت الى عشرات اللغات . ثم حولت الى رواية مسرحية ومثلت فالى شريط سيمي

ولما اراد بجُت ان يخرج روايات اخرى من قلم هذا المؤلف بحث عنهُ فلم يجده . فظن ان الرجل لا بدّ ان يرى كتابهُ ، وقد حاز هذا الاقبال فيجيء من تلقاءِ نفسه طالباً نصيباً من الربح . ولكن المؤلف لم يقبل . فبحث عن اسمه الحقيقي ، فعثر عليهِ بعد تفتيش دقيق على كعب التحويل الذي اعطيهِ قبل اثنتي عشرة سنة فاذا هو « ليو فرجوسن » . فذهب الى مكتب من الجواسيس وطلب اليهم ان يبحثوا لهُ عن هذا الرجل . . . . .

هنا توقَّف الانكليزي عن الحديث . وكلنا شوق الى معرفة النتيجة . فقلنا معاً اوهل وجدوهُ !

قال : الجوابِ بالايجاب والنفي معاً . بعد انقضاءِ بضعة اسابيع ابلغ مكتب الجواسيس صاحبنا بجُت ان رجلاً يدعى ليو فرجوسن توفي قبل تسعة اشهر في ملجإٍ من ملاجئ المعوزين ، وكان سبب موتهِ داءَ السلِّ وقد ثقَّل الجوعُ وطأتهُ

وتوقف ثانية والتفت الى صديقنا الاميركي ، وقال : ماذا تقول في هذه الحادثة ، عن علاقة الجدارة بالنجاح . الرجل الذي وضع اروج كتاب عرف بعد الحرب ، مات في ملجإٍ . والرجل الآخر الذي عرف قيمة الكتاب طرد من عملهِ . والرجل ...بجُت ... أثرى منهُ . كيف تعلل كل هذا ؟

فتململ الاميركي في كرسيهِ ورفع يديهِ ، يشير بهما اشارة مبهمة ، وقال متردداً «و..ول..لكن.. كيف تعلم ان الرجل الذي مات مسلولاً في الملجأ كان مؤلف الاصداء »

فهزَّ الانكليزي كتفيهِ وقال اولاً لان الاسم « ليو فرجوسن » ليس اسماً مألوفاً ، ثم انهُ وجدت صورة في مخلفات الرجل الذي مات في الملجأ ، وانني لأستطيع ان اعرف تينك العينين أين رأيتهما

فقلنا جميعاً انت . . . انت . . . ؟

فقال . . : نعم . لقد اتفق انني كنت في هذه الحادثة . . . احد ابطالها الثلاثة — وليم ا

الطب المصري القديم

معارفهم الطبية ووصفاتهم وأمراضهم

للدكتور حسن كمال

﴿ تمهيد ﴾ كان الاعتقاد السائد بين نفر كبير من الاثريين الى عهد قريب ان الطب المصري القديم اكثر اتصالاً بالسحر منهُ بالعلم . لان الادراج البردية الخمسة او الستة التي كانت معروفة الى ذلك العهد لم تحو الكثير من العقاقير الهامة (وان كان بعضها لا يزال مستعملاً الى الآن في كثير من الامراض) ولكنها حافلة بالتعازيم والدعوات التي كانت تتلى على المرضى وقت تعاطي الدواء . وهذا القول قريب من الحقيقة الى حدّ ما . خصوصاً اذا لاحظنا ان بعض الوصفات كانت تعازيم سحرية او دعوات قدسية . وفي درج منها لم يهتم الكاتب بذكر مقادير العقاقير اللازمة للعلاج مع اهتمامه بذكر الدعاء الخاص للحالة . ثم اننا اذا فحصنا محتويات كل درج على حدة وجدنا انها لم ترتب بعناية تامة . كذلك العقاقير المذكورة في الوصفات كانت تختار احياناً من مواد ذات فعل سحري مثل لبن امرأة حملت ذكراً او مواد غاية في القذارة على اعتبار ان اقذر العقاقير أنجعها مثل براز الذباب أو دم الفأر

هذا باختصار كان رأي معظم الاثريين الى عهد قريب . لكننا كلما تعمقنا في الموضوع وزدناه فحصاً وتمحيصاً اتضح لنا ان علم الطب كان منتشراً في القطر بانتظام وعناية . وان وصفاته المذكورة تحوي آلاف من اسماء النباتات والعقاقير المجهولة المعنى . وان البعض من العقاقير المعروفة قد ثبت فعلهُ وعمَّ استعماله وأضحى الآن بين العقاقير التي نصفها في تذاكرنا الطبية اليومية لمرضانا . ثم ان الباحث النزيه في الادراج البردية المذكورة يجد فيها بيانات هي في الحقيقة اساس الطب الحديث . فالقلب فيها معتبر مركز الاوعية . وهذه موصوفة بأنها منتشرة في سائر اجزاء الجسم . وان نبضها دليل عليها لان النبض هو « كلام القلب الداخلي » . هذا التعريف كافٍ لان يظهر انهُ كان لدى اسلافنا فكرة عن دورة دموية وان كانت غير تامة وعن ماهيَّة النبض وعلاقته بضربات القلب لان وصفه بأنهُ « كلام القلب الداخلي » دليل قاطع على اتصاله بحركات العضلة القلبية . لكننا بجانب ذلك نجدهم يظنون احياناً ان هذه الاوعية تحمل دماً او ماءً او مواد اخرى . وهذه الظنون توارثها الخلف مدى الدهور من شرقيين وغربيين حتى ظهرت مبادىء الطب الحديث . ويأبى التاريخ المصري الاَّ ان يكون منال العجب . وتأبى المدنية المصرية الاَّ ان تكون انموذج العبر . لذلك نجد انهم

في الوقت الذي نراهم يتكلمون عن وجود مياه ومواد اخرى بالاوعية يفسرون بعض الامراض بأسباب اقل ما يقال عنها انها مطابقة لاحدث الآراء عندنا . فانهم يقولون ان كثيراً من العلل ناجم من مرض الاوعية وعدم قيامها بوظائفها الطبيعية . وان العلاج حينذاك يجب ان يوجه الى تبريد الاوعية او تسكينها او تجديدها او إبطاء دورتها بالعقاقير الخاصة . وهذا من العجب العجاب

هكذا كان موقف العلماء الاثريين من الطب المصري القديم الى عهد قريب . لكن حدث منذ عشر سنوات تقريباً ان اكتشف درج بردي يعرف باسم صاحبه (ادوين سميث) أنار الظلام الحالك الذي كان مخيماً على هذا الموضوع . ورفع منزلة الطب المصري القديم الى ذروة المجد والفخار . فتغيرت به آراء الباحثين . وانزوى من اجله كل منتقد وراء الستار . وخرس كل همّازٍ مشّاءٍ بنميم . وظهر وقتئذٍ ان الادراج البردية السابقة هي في الحقيقة ادراج كانت تتداولها العامة وانها مزيج من الرأي العلمي والجهل العامي . اما قرطاس (ادوين سميث) المذكور فوجد انهُ مثال الكتاب الطبي من حيث ترتيب مواده التي تبدأ بأمراض الرأس اولاً ثم اعضاء الجسم التي تليه حتى القدمين ، واحتواؤه ايضاً على كثير من اصول الجراحة وبالاخص جراحة العظام والاجزاء السطحية. اما شرح حالاته فعلى غاية من الدقة والنظام. فكاتبه يبدأ بذكر اسم الداء ثم طريقة فحصه ثم تشخيصه ثم علاجه وانذاره . وهو الاسلوب الذي يدرس الآن في كلياتنا الحديثة . وكثيراً ما يذكر الكاتب اسفل كل حالة ملاحظات تفسيرية تظهر مهارة عجيبة في معرفة المرض وطريقة فحصه والسبب الذي احدثه . واغرب من هذا وذلك ان الاساتذة الذين راعهم هذا المستوى الطبي العالي في هذا الدرج استرعت نظرهم عبارة واردة في ظهره خاصة بطريقة ارجاع الشيخ الى صباه [1] . فقال بعضهم هذا دليل قاطع على مزج الطب بالشعوذة . لكن هل محاولة الرجوع الى الشباب ضرب من الشعوذة . ان ابحاث الاستاذ فرنوف كفيلة بالاجابة على هذه التخرصات . والغريب ان معظم المعلومات الطبية يرجع تاريخها الى عهد الاهرام (٢٦٠٠ — ٢٢٠٠ ق.م.) ذلك العصر الذي ابتكر تشييد المباني بالاحجار وابتدع الهندسة الفراغية وهندسة الانهر والحساب والقانون والسياسة والفنون الجميلة وغير ذلك

ان الالمام بهذا الموضوع في فصل واحد أمرٌ محال . محال لكثرة مباحثه وغزارة مادته . لكنني سأجتهد ما امكن في ايضاح هيكله . ليتمكن القارىء من تكوين فكرة عامة عنهُ لان البحث في الطب الفرعوني يتطلب اولاً دراسة الكتب المصرية القديمة البردية المسماة ادراجاً او قراطيس . ثانياً البحث فيما وصلت اليه معارفهم في فن التحنيط خاصًّا باجزاء جسم الانسان . ثالثاً البحث في الآثار من تماثيل ونقوش ومومياءات مما له علاقة بالامراض وطرق العلاج والجراحة . هذه باختصار النواحي الثلاثة المهمة التي اريد ان اعرض لها الآن

---

(١) الغرض من هذه الوصفة هو ازالة التجعدات الجلدية وتغيرات كبر السن بالوجه . وتتلخص في اغلاء نبات يقال له همايت مجهول النوع عدة دفعات ثم دهن الوجه بالعجين الناجم من هذا الاغلاء . وهذا النبات قريب في فعله من « حسن يوسف » الذي لا يزال مستعملاً عند العامة للآن لنفس الغرض

القسم الاول

١ — ﴿ الكتب الطبية القديمة او الادراج او القراطيس ﴾ قرطاس ايبرس . هو أضخم هـذه الكتب . عثر عليه بمقبرة الاقصر مع قرطاس ادوين سميث عام ١٨٦٢ م . واشتراه الاثري الالماني ايبرس حينذاك . وهو الآن محفوظ بمتحف ليبزج بألمانيا وفي حالة جيدة جداً . وعلى ظهر هذا القرطاس دونت تواريخ هامة ساعدتنا كثيراً على معرفة عدة ازمنة مجهولة . والمعروف ان هذا القرطاس دوّن حوالي عام ١٥٠٠ ق . م . لكن لغته واعتبارات اخرى فيه تدل على انهُ منسوخ من كتب اخرى اقدم منهُ بقرون عديدة . خذ مثلاً ما ورد في احدى عباراته من انها مأخوذة من وصفة من الاسرة الاولى (٣٤٠٠ ق . م .) وفي اخرى انها من زمن احـدى ملكات الاسرة السادسة . لكن ذلك لا يعني ان نأخذه قضية مسلمة . لان المصريين كانوا كثيراً ما ينسبون معلوماتهم الى اجدادهم اعلاءً لشأنها وزيادة في فائدتها . لذلك تجدوننا لا نعتمد كثيراً على مثل هذه العبارات بل على نوع الخط والقواعد النحوية واساليب التعبير مما يتغير بالتدريج مع الزمن . وعلى ذلك فلا يبعد ان يرجع تاريخ الكتب التي نسخ منها كتاب ايبرس الى الاسرة الثانية عشرة او الثالثة عشرة (حوالي القرن العشرين ق . م .) . ولو ان بهِ بعض عبارات من المحتمل ارجاعها الى عهدٍ اقدم من هذا بكثير

وكتاب ايبرس يحوي وصفات عديدة لامراض كثيرة متباينة . وكل وصفة مكوّنة من عدة جواهر . وامام كل جوهر مقداره اللازم . وآخر كل وصفة طريقة تعاطي الدواء . وهناك اجزاء لا تشمل العلاج فقط بل اعراض المرض وطريقة تشخيصه .وقد تضاف الى ذلك ايضاً بعض عبارات ايضاحية . ولا يسع الباحث في هذا القرطاس الاَّ ان يستنتج بانهُ مجموعة كتب صغيرة بعضها طبي والبعض الآخر روحاني . وكتابة هذا القرطاس في شكل أعمدة أشبه بجرائدنا اليومية . ويبلغ عددها المائة وعشرة أعمدة . وعدد وصفاته ٨٧٧ وصفة

٢ — ﴿ قرطاس هيرست ﴾ اكتشف عام ١٨٩٩ بدير البلاص بالصعيد . وفي عام ١٩٠١ اشتراهُ الدكتور ريزنر الاثري واهداهُ الى جامعة كاليفورنيا بامريكا . واوائل هذا الكتاب قد تلفت نوعاً . والباقي في حالة جيدة جداً . وهو يحوي خمسة عشر عموداً من النصوص الطبية . ويرجع تاريخه الى حوالي ١٥٠٠ ق . م . وفيه شبه كبير بقرطاس ايبرس السابق . حتى ان بعض عباراته مطابقة في كلياتها وجزئياتها لبعض عبارات قرطاس ايبرس . ويبلغ عدد وصفاته ٢٦٠ وصفة

٣ — ﴿ قرطاس برلين الطبي ﴾ احدث عهداً من القرطاسين السابقين . لكنهُ يحوي عبارات قديمة العهد . وعباراته مكتوبة باهمال ومحشوّة بالاخطاء . ويحوي ٢٤٠ وصفة . بما في ذلك العبارة المذكورة على ظهره الخاصة بمعرفة العقم ونوع الجنين في الرحم . وكان العثور عليهِ في القرن التاسع عشر

بواسطة بسالاكا بمقبرة في سقارة يرجع تاريخها الى عهد رمسيس الثاني (١٢٩٢ — ١٢٢٥ ق. م.)

٤ — ﴿ قرطاس كاهون الطبي ﴾ اكتشفهُ السير فلندرز بتري عام ١٨٨٩ اثناء القيام بحفائره في جهة الفيوم. وهو اقدم من القراطيس المذكورة اعلاه. ويرجع تاريخه الى عهد الاسرة الثانية عشرة (٢٠٠٠ — ١٧٩٠ ق. م.). وهو ممزق. لكن نصوصهُ واضحة. وهي خاصة بفن الولادة وامراض النساء. وتحوي ٣٤ وصفة

٥ — ﴿ قرطاس لندن الطبي ﴾ اغلبهُ روحاني ويرجع الى زمن الاسرة التاسعة عشرة (١٣٥٠ — ١٢٠٠ ق. م.) ولو ان عباراته اقدم بكثير من ذلك. وهو محفوظ في متحف لندن تحت رقم ١٠٠٥٩

٦ و ٧ — ﴿ قرطاسا متحف ليدن وتورين ﴾ هما قرطاسان طبيان روحانيان يحويان قليلاً من الوصفات الطبية

٨ — ﴿ قرطاس (ادوين سميث) الطبي ﴾ هو اهمها كان العثور عليهِ بمقبرة بالاقصر عام ١٨٦٢ م. وفي تلك المدة اشتراه المستر (ادوين سميث) وقد اعتراه بعض التلف وفقدت بعض نصوصه. لكنهُ اهتدى اليها واشتراها بعد ذلك على دفعتين. ثم توفي وانتقل القرطاس بعد ذلك الى ابنته (ليونورا سميث) التي اهدتهُ الى الجمعية التاريخية بنيويورك. ويبلغ طول القرطاس الآن ٤٫٦٨ متراً. انما يظن انهُ كان يبلغ خمسة امتار طولاً. ويتراوح عرضه بين ½ ٣٢ و٣٣ سنتيمتراً وهو يقرب من عرض القراطيس القديمة التي يرجع تاريخها الى ما بين المملكة الوسطى (٢١٠٠ — ١٧٠٠ ق. م.) وعهد الامبراطورية (١٥٥٥ — ٧١٢ ق. م.) وفي هذا القرطاس اثنا عشر لوحة متعاقبة وتحوي ٢٢ عموداً من النصوص المصرية القديمة منها ١٧ رأسية و ٥ أفقية. ويظن ان هذه النصوص المصرية القديمة كتبها عدة اشخاص لاختلاف واضح في الخط

وبمقارنة الخطوط المصرية القديمة التي في هذا القرطاس بالخطوط المستعملة ايام ملوك الرعاة لوحظت بينهما مشابهة كبيرة. وعليه فلا يبعد ان تاريخ هذا القرطاس يرجع الى القرن السابع عشر قبل الميلاد. ويلاحظ ايضاً ان كاتب هذا القرطاس كان يجيد الخط لكنهُ لم يكن طبيباً. وانهُ ترك بعض الاحرف بدون ذكرها. وراجع كتابته وصححها بالمداد الاحمر فوق الاسود وبالمداد الاسود فوق الاحمر. وتشتمل السبعة عشر اعمدة الرأسية على شرح ٤٨ حالة مرضية لم يذكر لها شيء من الادوية. وهذه الحالات تبدأ بالرأس وتنتهي بالقدمين وهي موصوفة وصفاً دقيقاً كما يشاهد ذلك في الحالة المرقوم لها بالرقم ١٨ وتعريبها: —

تعريف عن جرح عظمة الوجه zygoma

الفحص اذا فحصت مريضاً بجرح غير مشقوق (اي وخزي) واصل الى العظم أدخل المسبر فيهِ فان وجدت عظمة الوجه سليمة شخّص الحالة بانها جرح فوق عظمة الوجه وهي حالة قابلة للعلاج

العلاج : ضع على الجرح لحماً صابحاً في اليوم الاول . بعد ذلك ضع عليهِ زيتاً وعسلاً يومياً الى ان يتحسن

ملاحظة : اذا كان الجرح غير متسع الفتحة وواصلاً الى العظم فهو جرح صغير واصل للعظم ليس فيهِ شقّ بل هو ضيق ولا توجد شفتان له (وهذا منتهى الدقة في وصف الجرح الوخزي) اما من خصوص مكان الوجه المصاب فهو الموضع الكائن بين تجويف العين وفتحة الاذن خلف الفك

وعلى هذا المثال وردت في القرطاس احوال كثيرة من الامراض . وقد ذكر الكاتب المصري ان بعض الحالات عسرة العلاج . وهذه ملاحظة جديدة لم تستعمل سابقاً في الادراج الطبية . ويبلغ عدد الامراض التي يعرف علاجها وقتئذٍ اربعة عشر مرضاً . وبذلك امتاز قرطاس ادوين سميث عن غيره بشرح الحالات الممكن علاجها والعسرة الشفاء . وصرف النظر عن ذكر الوصفات الكثيرة التي تشاهد في باقي القراطيس الطبية

***

وتشاهد في هذا القرطاس ملاحظات كثيرة واردة بعد شرح كل حالة . بخلاف ما هو متبع في القراطيس الطبية الاخرى . وهذه الملاحظات تظهر لنا ما وصل اليهِ اطباء المصريين من علم التشريح فتزيد معلوماتنا الحالية في هذا الموضوع . وورد في هذا القرطاس عدة كلمات طبية لم يرد ذكرها في عبارات القراطيس الاخرى من ذلك لفظ (جما) الذي ظهر من الوصف انهُ يعني عظمة الوجه zygoma وكذلك كلمة (امعت) التي وصفها الكاتب بانها تعني الجزء الخلفي للفك السفلي (وهو المعروف باسم Ramus) وقد شبههُ الطبيب القديم بمخلب الطائر . ولا يزال التشبيه مستعملاً عندنا في احوال طبية متباينة مثل لسان التوت Rasberry tongue ولسان الشليك Strawberry tongue والورم الشبيه بالكمثرى Pyriform tumour . وورد في الحالة المرقومة بالرقم ٨ ان الطبيب كان يميز في احوال جروح الجمجمة بين كسور العظام وتلف الانسجة التي فوقها

***

ومما يدل على مهارة الطبيب تحرّيه للوقوف على سبب المرض حيث اورد لنا ما تعريبه : « آخر حالة من امراض العمود الفقري بالعنق هي اصابتهُ بمرض (سحم) وفيهِ يفقد المريض سمعه وكلامه ويصاب بشلل بذراعيه ورجليه . ويقول الطبيب حينذاك ان الحالة خطرة . وان الاصابة عبارة عن تدخل احدى حلقات العمود الفقري في حلقة اخرى نتيجة سقوط المصاب على رأسهِ من اعلى الى اسفل . وان ذلك يمنعهُ من رفع رأسهِ وحمل ثقلها على عنقه »

ومنهُ يتضح ان المقصود بمرض (سحم) هو تدخل حلقات العمود الفقري بعضها في بعض . (حالة رقم ٣٣ بالقرطاس)

القسم الثاني

الى هنا انتهى ما اردنا ايراده عن القراطيس الطبية الهامة . وسنبحث الآن في المعلومات التي اكتسبها قدماء المصريين من مزاولة فن التحنيط آلاف السنين العديدة . فنقول ان الاجراءات الكثيرة التي اتبعها قدماء المصريين في التحنيط هيأت لهم الوسائل لمعرفة احشاء الجسم الداخلية من حيث شكلها ونوعها وعلاقتها بعضها ببعض مما لم يتيسر لاي عنصر بشري آخر . وبديهي ان التحنيط له تأثير كبير على تاريخ الطب لانهُ عوّد اذهان الشعب على احتمال قطع الجثث الميتة واخراج احشاءها وذلك لمدة طويلة من الزمن تُربي على العشرين قرناً . وهكذا تمكن اطباء اليونان في عهد البطالسة ان يشرّحوا الجثث تشريحاً علميًّا في الوقت الذي كان مثل هذا العمل محرّماً في سائر انحاء العالم (راجع مقال الاستاذ اليوت سميث في مجلة العاديات المصرية ج ١ص ١٩٠)

ومعلوم ان التحنيط يستوجب استخراج الاحشاء الباطنية والصدرية والتأثير فيها بالعقاقير . لذلك كانت هذه العملية درساً تشريحيًّا قيماً لمن يقوم بها . وجميع الاحشاء (ما عدا القلب الذي كان يترك غالباً في موضعه) كانت تفصل اولا من الجسم ثم تغسل على حدة ثم تحنط بالطريقة المختارة واعتاد القوم بعد تحنيط هذه الاحشاء ان يضعوها في اربعة اوانٍ تحت حماية اولاد حوريس الاربعة ومنذ عهد الاسرة التاسعة عشرة(١٣٥٠—١٢٠٠ ق. م.) بدأ القوم يصنعون اغطية لهذه الاواني بهيئة رؤوس اولاد حوريس المذكورة وهي (رأس آدمي ورأس نسر ورأس ابن آوى ورأس قرد) . لكن في عهد الاسرة الحادية والعشرين (١٠٠٠ — ٩٤٥ ق. م .) اندثرت هذه العادة الدينية واكتفى القوم بلف تلك الاحشاء في اغلفة كتانية مع تماثيل صغيرة لاولاد حوريس المذكورة ثم وضعها بالتالي داخل الجسم المحنط . وبديهي انطرق التحنيط التي اتبعها المصريون افهمتهم كثيراً عن مظاهر الاحشاء واشكالها وعلاقتها بعضها ببعض داخل الجسم بل وبمقابلتها باحشاء الحيوانات الاخرى التي كانت منذ اقدم العصور المعروفة تذبح وتقطع وتقدم قرباناً للآلهة او غذاء لاصحابها . ومما هو جدير بالذكر ان الخط الهيروغليفي (الذي يرجع ابتكاره الى ما قبل حكم الاسر بمدة طويلة) لا يحوي من الاشارات الخاصة باجزاء الجسم او الاحشاء الداخلية الاّ ما له علاقة بالحيوانات فقط مما يدل على ان معرفة المصريين الاقدمين لتشريح الحيوانات كانت اقدم عهداً من معرفتهم لجسم الانسان . من ذلك اشارة القلب وتلفظ (اب) فانها تمثل قلب الثور لا قلب الانسان . كذلك اشارة الحلق والعنق فانها تمثل رأس الثور وحنجرته وقصبته . ثم ان اشارة الرحم تمثل رحم البقرة ذا القرنين . كذلك «الاذن» فهي تشبه اذن حيوان من ذوات الاربع . وعلى هذا النمط رسمت الاشارات التي تمثل الاضلاع والعمود الفقري واللسان والاسنان. اما اشارات الخط الهيروغليفي التي تعني اجزاء جسم الانسان فتمثل الاجزاء الخارجية التي تعنيها من جسم الانسان فقط . وهذا دليل قوي على عدم معرفة القوم لاحشاء الانسان الداخلية وقت ابتكار الخط الهيروغليفي

ومن الادلة على معرفة القوم لاي علم من العلوم كثرة تعداد الالفاظ التي يستعملونها في تعبيراتهم في هذا العلم . واللغة المصرية القديمة تحوي ما ينوف على مائة اسم تشريحي لاجزاء الجسم مما يشير الى امكانهم التمييز بين اجزاء الجسم في الوقت الذي كان يتعذر ذلك على غيرهم من الامم . نعم ان تقسيم الجسم بواسطة قدماء المصريين الى اعضائه المتباينة لم يشمل الا الاعضاء الكبيرة والمتوسطة الحجم ولم يجزم التمييز بين الاعصاب والعضلات والشرايين والاوردة . ولكن اساس علم التشريح على اي حال فضله راجع اليهم دون سواهم

اما فيما يختص بعلم وظائف الاعضاء فقد سبق ان ذكرت ما جاء بقرطاس ايبرس الطبي بخصوص القلب والاوعية من ان القلب هو مركز اوعية الجسم وان هذه الاوعية تتفرع منه الى سائر انحاء الجسم وان النبض هو كلام القلب الداخلي وانهُ دليل هذه الاوعية حيث كانت . وهذه العبارة مأخوذة من كتاب اقدم عهداً من قرطاس ايبرس كما هو واضح من عنوان العبارة وتعريبه «مبدأ معرفة فن الطب . طريقة تفهم حركة القلب وسرّ القلب » . يلي ذلك بيان بسائر اوعية الجسم الدموية كل عضو بما يخصه . وبعض هذه الاوعية مطابق للحقيقة والآخر خيالي . لكن لم يذكر الكاتب شيئاً معيناً عن دورة الدم في الجسم بالرغم من ان البعض يرى ان ما ورد في العبارة المذكورة كافٍ لاثبات ان قدماء المصريين كانت لديهم فكرة عن هذه الدورة والثابت على كل حال ان هؤلاءِ القوم اعتبروا القلب اهم عضو بالجسم ومركز الفهم والانفعالات النفسية . فكان ذلك باعثاً على عدم نزع القلب من الجسم وقت التحنيط فكان القوم يتركونهُ محله متصلاً باوعيتهِ الكبرى بالرغم من نزعهم لجميع الاحشاء الصدرية الاخرى حوله . وسوف نذكر عن معلوماتهم لوظائف الاوعية ما يطابق معلوماتنا الحديثة بصرف النظر عن البعيد منها عن الصواب . فقد روى هؤلاءِ القوم ان الانف يغذيهِ وعاءَان دمويان . وكل اقليم جداري بالرأس يغذيه شريانان وهاذان يغذيان ايضاً مؤخر العينين القريب منهما واعتُبرت الدموع من افرازات الجفون . ونسبت تغذية الشعر الى وعائين دمويين بمؤخر الرأس . وورد في القرطاس ان الهواء يدخل الجسم عن طريق الانف ثم الى الرئتين والقلب

وبخلاف ذلك نجد انفسنا امام معلومات وهمية بعيدة من الطب الحديث . ولا غرابة في ذلك فالطب حينذاك كان في مبدئهِ . والخزعبلات والتخرصات لا تقلل من اهمية جزئهِ السليم . والثابت ان تعدد المباحث والنظريات وقتئذٍ دليل قاطع على شدة حرصهم على الحقيقة وولعهم بالفن واهتمامهم بجزئياتهِ وكلياتهِ . وهو سعيٌ مشكور وجهدٌ مبرور

اما علم الامراض وطبائعها المعروف بالباثولوجيا فليس من السهل تفهمهُ من مخطوطات هؤلاء القوم لعدة اسباب . اهمها عدم معرفتنا لمدلول الالفاظ العديدة . ثم اننا لو فرض وعلمنا المدلول بوجه عام فهناك عدة اسماء لامراض متشابهة المعنى متباينة التخصص . خذ مثلاً ما ورد بقرطاس ايبرس عن الاورام فانهُ يحوي حوالي الستة اسماء لهذه الحالة المرضية . ولا نزال نجهل نوع المرض

بالضغط الذي يعنيه الكاتب في هاتهِ الاحوال . فمدلول اللفظ الحقيقي لا يزال غامضاً . ومن الجائز جدًّا ان هـذه الاورام تحزم الخراجات بانواعها رغم البلهارسيا وغير ذلك . والمحتمل ان معظم الامراض التي كانت تهم القوم وقتئذٍ هي نفس الحالات المتفشية اليوم بين الفلاحين كالديدان المعوية والرمد الحبيبي والبلهارسيا والخراجات المختلفة ولسع الحشرات ولدغها والتهاب المهبل والاذن الوسطى

واقدم العمليات الجراحية التي قام بها قدماء المصريين خلاف التحنيط هي عملية الختان التي كان ينظر اليها من وجهة دينية اكثر من الوجهة الطبية . وقد كانت معلوماتنا الى عهد قريب عن جراحة قدماء المصريين محصوره فيما هو وارد بالجزء الاخير من قرطاس ايبرس لكن لما اكتشف قرطاس ادوين سميث وجدت فيه معلومات كثيرة من هذه الناحية وقد سبق ان المعنا الى ان هذا القرطاس مقسم بحسب الحالات لا بحسب العلاج . وهو خاص بجروح سائر اجزاء الجسم من الرأس حتى الصدر . وما عدا ذلك فلا يزال مفقوداً . وهذا الترتيب دليل على اتقان التقسيم ومراعاة النظام العلمي

القسم الثالث

والآن ننتقل الى القسم الثالث وهو الخاص بامراض قدماء المصريين التي وجدت بمقابرهم وجثثهم. فنقول ان الحصوات البولية بالمثانة وجدت في جثث قبل عهد الفراعنة وحصوات الكلى في جثث من عهد الاسرة الثانية (٣٠٠٠ ق . م .) وحصى الكيس الصفراوي في موميا من عهد الاسرة الحادية والعشرين (١٠٠٠ — ٩٤٥ ق . م .) وعثر الدكتور روفر على بويضات البلهارسيا في كلى موميات من عهد الاسرة الحادية والعشرين

وذكر الاستاذ شاتوك وصفاً لمرض الاورطي بجثة الملك منفتاح وذلك بمجلة Lancet ١/٣٠ ١٩٠٩ وايضاً الدكتور روفر فانهُ اورد كثيراً من امراض هذه الاوعية في مجلة Jour of Path. & Bact ج ١٥ سنة ١٩٠١ وعثر الاستاذ اليوت سميث اثناء فحص موميات من الاسرة الحادية والعشرين على حالة . صحية لديوت وحراج بارد بالظهر وتقوسات عديدة بالعمود الفقري ودرن بعضل الفخذ . وعثر على ورم خبيث من نوع osteo-sarcoma وورم (لحمي) في رأس عظمة الذراع بموميا من عهد الاسرة الخامسة بالجيزة (٢٥٦٠ ٢٤٢٠ . ق . م . ولم يعثر على حالات carcinoma (سرطان) حتى العهد اليوناني حيث وجدت في الانف والحلق والمستقيم

وهناك حالتان لمرض الحنف talipe وجدت احدهما في موميا الملك سبتاح (١٢١٠ ق.م.)[1] والثانية بجثة قسيس من عهد الاسرة الثانية عشرة (٢٠٠٠ — ١٧٩٠ ق . م) . ووجد النقرس gout في جثة رجل هرم بجزيرة الفيلة من اوائل العهد المسيحي حيث لوحظت رسوب املاح بيض كثيرة فوق العظام المشطية لابهامي القدمين واخرى حول عظام باقي اصابع القدمين وايضاً فوق عظمتي الساقين والشظيتين والجهة الخلفية للردفتين والاوتار الخلفية للساقين . وايضاً بعظام اليدين

(1) Elliot Smith Royal Mummies Cairo 1912 p 71.

والذراعين . وهذه الجثة محفوظة الآن في متحف كلية الجراحين الملكية بلوندرة

اما تلف الاسنان فنادر في الجثث التي يرجع تاريخها الى ما قبل عهد الاسر . كذا في موميات الفقراء الذين كانوا يقتاتون بالاغذية الصلبة كالخضراوات الغير مطبوخة . اما الموميات التي وجدت في عهد الاهرام وبعده (لما دخل البذخ على معيشة المصريين وعمت الرفاهية منازلهم) فانها وجدت مصابة بتلف الاسنان وخراجات الفكين مع رسوب الطرطير بشكل واضح

وكثيراً ما عثر على التهاب المفاصل الشبيه بالروماتزم Rheumatoid arthritis في موميات مصر والنوبة حتى ليندر وجود جثة من تلك الارممة العتيقة سليمة من هذا الداء [1] ووجدت عدة حالات لالتهاب العظام في جثث العهد القديم وهذه تشمل التهاب الانف المزمن والتهاب النتوء الحلمي للاذن وتقيحات عظام الجمجمة وعدة حالات لخلع المفاصل وكسور العظام مصحوبة بنتائج متباينة من التحام جيد الى مضاعفات غاية في الخطورة

ومومیا رمسيس الخامس مصابة بطفح الجدري . وفي نفس الجثة آثار لقيلة مائية بالصفن

وشوهدت اعراض التهاب الزائدة الدودية في موميا سيدة من العهد البيزانطي واخرى مصابة بالتصاقات بلوراوية بالرئة اليسرى حيث وجدت الرئة المذكورة في حالة انكماش . وحالات لسقوط الامعاء وسقوط المهبل . وعثر الدكتور جرنفل على اثر لمرض برحم موميا في العهد الفارسي [2]

وعدا الامراض التي وجدت بالموميات المصرية توجد عدة تماثيل ورسوم على جدران المقابر تظهر لنا حالات مرضية خلاف المذكورة اعلاه . فشاهد قبر الكاهن روما السوري الاصل المحفوظ الآن بمتحف كوبنهاجن بالدانمارك يحوي رسماً للكاهن المذكور مصاباً بشلل طفلي بالرجل اليمنى . اما رسوم وتماثيل الاقزام في العهد الفرعوني فكثيرة للغاية وهي تمثل مرض Achondroplasia اوضح تمثيل . وهناك رسوم على الآثار لمرض الكساح ومرض درن العمود الفقري (پوت) . ويلاحظ على تمثال الملك اخناطون (اسرة ١٨) اعراض مرض Dystrophia Adiposo Genitalis التي تتلخص في تأنيث الشفتين وبروز البطن واطالة الجمجمة وكبر الفك السفلي واستسقاء خفيف بالدماغ [3]

بقي علينا الآن ان نذكر شيئاً عن عقاقير قدماء المصريين وما بقي منها محافظاً على مركزه بين الادوية الحديثة . والبحث في هذا الموضوع ليس بالهين . لاننا لا نزال نجهل مدلول معظم اسماء هذه العقاقير . نعم ان هناك مئات من الجواهر ذات الاصل الحيواني والنباتي والمعدني مذكورة ضمن الوصفات لكننا لانزال نجهل معظم هذه الحيوانات . وكل ما يمكننا معرفته هو الجزء الخاص من الحيوان مثل شحمه او لحمه او دمه . اما الحيوانات المعروفة التي كانت اجزاؤها تستعمل في التطبيب فهي الثور والحمار والماعز والغزال والوعل والخنزير وفرس البحر والأسد والفأر والوطواط

(1) Arch. Survey of Nubia Report-1907-8 (2) Philosophical Transactions 1825
(3) El. Smith. Camb. Unv. Med. Soc. Mag. Vol IV No. 1.

والقنفد والاوز والخطاف والنسر والهدهد والضفدع والثعبان والسلحفاة وعدة انواع من السمك واما النباتات التي كانت تدخل ضمن الوصفات فلا نزال نجهل اغلبها . وكان القوم يستعملون كل النبات او ورقه او بذره او فاكهته او عصيره او جذوره او راتنجه

وقد كان استعمال الاجزاء الحيوانية كالسابق ذكرها معتبراً في القرن التاسع عشر مثال الجهل بالعلم والخلط بالشعوذة . لكن المباحث الحديثة اظهرت لنا العجب العجاب

فأصبحنا الآن نعلم ان بعض الامراض ناجم عن قصور غدد الجسم وهذه تعالج بتعاطي ما يقابلها من غدد الحيوانات . فرض المكسيديما ناجم عن فشل الغدة الدرقية ويعالج بتعاطي هذه الغدة المأخوذة من الثور . كذلك مرض ادرار البول الغير سكري (ديابيطس انسبيدس) فهو ناجم عن فشل الغدة النخامية Pituitry ويعالج بتعاطي خلاصة هذه الغدة المعروفة باسم بتروترين Pitruitrin والانيميا الخبيثة التي هي نتيجة قصور الكبد تعالج الآن بتعاطي هذا العضو نيئاً من اي حيوان . ويرى البعض ان تعاطي المعدة النيئة كاف ايضاً لشفاء هذا الداء القتَّال . كذلك مرض التكزز tetany فيعالج بخلاصة الغدة المتاخمة للدرقية . وهكذا . . . . . هذا من جهة الامراض الناجمة من فشل الغدد . لكن هناك امراض اخرى ناجمة من قلة الفيتامين بالجسم مثل الكساح والبلاجرا وهي امراض مصرية قديمة تعالج الآن بالفيتامين (د ـ D) في حالة الكساح المستخرج من كبد السمك . والفيتامين B 2 في حالة البلاجرا وهو كثير في اللحوم والخميرة والحبوب . وبعد كل هذا يحق لنا ان نتسأل هل كان أجدادنا عالمين بخواص الاعضاء الحيوانية وانواع النباتات حتى اكثروا من وصفها لا مراضهم كما نصفها نحن الآن

وما اوردناه عن صعوبة معرفة الحيوانات والنباتات الطبية ينطبق تماماً على الجواهر المعدنية المذكورة ضمن الوصفات العديدة

والسائل الذي تتعاطى العقاقير معه هو عادة الماء او اللبن او الشهد او النبيذ او الجعة . اما الدهان والمروخ فأغلب وصفاتهما تحوي الشهد او الصمغ او الراتنج او شحوم حيوانات متعددة . وكانوا احياناً يتعاطون العقاقير جافة بشكل مسحوق . وأحياناً ينقعونها او يغلونها او بين بين . وجرت العادة ان الادوية الظاهرية كانت تستعمل بالدعك او بالدهان او بشكل لبخ . وكثيراً ما وصف القوم الحبوب والاقراص المستحلبة والاقماع . ويذكرون آخر كل وصفة طريقة الاستعمال كما نفعل الآن تماماً . فكانوا يقولون مثلاً يؤخذ هذا الدواء ليلاً او نهاراً ، قبل الغذاء او بعده ، وهكذا . وأمام كل جوهر مقدارهُ اللازم مما يشير الى عنايتهم بعلم الاقرباذين

والى قدماء المصريين يرجع كثير من الفضل في ابتكار عدة عقاقير لا نزال نستعملها للآن . منها النشادر (وكانوا يستخرجونه بسحق او حرق قرون الحيوانات او اظفارها او حوافرها او عظامها) وذلك بشكل بخور او علاج موضعي . وهذه الطرق المبدئية في استخراج النشادر

واستعماله هي الاصل في بقاء هذا الدواء في الطب اليوناني والسوري والعربي والاوربي في عهد القرون الوسطى . وكان يطلق عليه في القرون الوسطى اسم « hartshorn » ومعناه قرن الايل . ومحلول النشادر المائي لايزال يعرف في وقتنا هذا باسم Liq. Ammoniae او "Spirits of Hartshorn"

ومن اهم عقاقير النبات قشر الرمان . وهذا النبات قديم العهد في مصر . وكثيراً ما عثر على فاكهته بالمقابر الفرعونية. ووردت بقرطاس ايبرس وصفة لطرد الديدان من الامعاء تتلخص في سحق قشر الرمان ومزج ذلك بالماء ثم تعاطيه (ايبرس لوحة ١٦ سطر ١٥ —١٨) . واستمرت هذه الوصفة متبعة عدة قرون في بلاد متنوعة كآشور واليونان والعرب . وهناك وصفات مصرية قديمة تحوي الشبث (Dill) والكزبرة (Coriander) والكمون (Cumin) والكراوية (Caraway) والحلبة (Fenugreek) وكان الاثريون يقولون باستعمال اليبروح او الماندراغورا (ويقال له Podophyllum) في الطب الفرعوني لكن ذلك لم يثبت للآن . نعم انهُ عثر على فاكهة هذا النبات بمقبرة توت عنخ آمون . لكن ذلك كان بقصد الزينة فقط . والرأي السائد انهذا النبات ليس مصريًّا بل استجلب من الخارج للزينة . وان النبات المسمى بالمصرية (ديدي) لا يعني اليبروح

***

قال هيرودوتوس وديودوروس واسترابون وغيرهم ان المصريين زرعوا نبات الخروع واستخرجوا من بذره زيتاً استعملوه للاضاءة . وقالوا انهذا النبات كان يعرف وقتئذ باسم (كيكي) لكن هذا ليس صواباً . والثابت ان زيت الخروع بالمصرية اسمه (دجام) . وهناك نص مصري في متحف اللوفر بفرنسا من الاسرة السادسة والعشرين يقول باستعمال هذا الزيت للاضاءة اما اسم الشجرة النباتي المعروفة بهِ الآن فهو Ricinus وورد بقرطاس (ايبرس) علاج لاطلاق البطن يتلخص في مضغ حبوب الخروع وتعاطيها مع الجعة . ووصفة اخرى لاسكان الالم تتلخص في التدليك بزيت الخروع . . . وكان القوم يتعاطون بذور الخروع للامساك والضعف العام والصداع وغير ذلك

واهم العقاقير المعدنية التي كانوا اول من استعملها في الطب هي السلقون (red lead oxide) والشبة وملح الطعام وكربونات الصودا والنطرون. واليكم مثال لوصفة لطرد الديدان المعوية (ايبرس لوحة ١٣ سطر ١٢ — ١٥) : —

حبوب شجرة (نوزم)	١	
لبن	١	سخن . امزج معاً . تجرّعه على اربعة أيام
عسل نحل	١	هذا الدواء يطلق البطن
حبوب الحلبة	١	
نبيذ	١	

وذكر قدماء المصريين امراضاً عديدة تصيب العيون وبالاخص اجفانها . ويظهر ان الشعرة كانت كثيرة عندهم . وانهم كانوا يستأصلونها بالنتف . والقراطيس البردية تحوي عدداً وفيراً من وصفات العيون يمنعنا ضيق المقام عن ذكرها . واهتم القوم بأمراض الاذن وعالجوها بالعلاجات الموضعية . واستعملوا لذلك الشبة وصفراء الثور والمرّ . وحقنوها بالنبيذ وغيره [١]

اما الطب المصري في اواخر عهد الفراعنة فوردت عنهُ بعض قراطيس تحوي وصفات عجيبة تطابق كثيراً من وصفاتنا . خذ مثلاً ما جاء منها في احد القراطيس [٢] (١٠٠ ب . م .)

﴿ المرهم الاصفر للجروح المتقيحة ﴾ كالمين (كربونات الزنك الخام او حجر التوتية) ٤ درهم ابيض الرصاص ٨ درهم دقيق ناعم ٤ درهم اكسيد الحديد ferric oxide ١ درهم زعفران ١ درهم افيون ٣ اوقيات صمغ ٤ درهم ماء

﴿ لايقاف النزف ﴾ مسحوق الشبّة يبطل النزف حالاً

﴿ للارق ﴾ سيكران Henbane او Hyoscyamus ... ينسون ١ درهم افيون ٤ اوقيات تمزج معاً . وتتعاطى بطريق الفم

وهناك قرطاس بردى قبطي (٨٠٠ — ٩٠٠ ب . م) يقال له قرطاس المشايخ [٣] يحوي حوالي ٢٣٧ وصفة . منها الوصفة الآتية لالتهاب الاذن الحاد . افيون. دهن عجل . لبن . امزجها معاً . ثم دفّئ المزيج وضعه في الاذن.فان الالم يسكن حالاً . لكن حذار ان تصف هذا الدواء قبل ان تأخذ أُجرك . وتعلمون ان السرّ في ذلك راجع الى الافيون الذي يسكن الالم لوقته . وان زوال هذا الالم وراحة المريض قد يقنعانه في عدم الحاجة الى الطبيب فيبخل عليهِ بأتعابهِ وهكذا بدأنا نشعر بالغبن الذي كان يقع على زملائنا الاقدمين اذا ما صادف علاجهم نتيجة ناجعة

ما كان تأثير الطب المصري القديم على الحديث ؟ وكيف حصل هذا التأثير ؟ والى متى استمر ؟ . والجواب على ذلك ما اورده الاستاذ (وارن دوسن) [٤] من ان جانباً كبيراً من معلومات ديوسقوريدس (٥٠ ب . م) وجالينوس (١٣٠ — ٢٠٠ ب . م) وبلينوس (٢٣—٧٩ ب . م) وغيرهم مأخوذة بطريقة مباشرة من القراطيس المصرية . وهذه المعلومات لقنت بواسطة هؤلاء الفطاحل الى اطباء القرون الوسطى باوربا وصارت اهم اركان الطب العشبي herbalist وتعاليم الطب القيّمة في القرنين السابع عشر والثامن عشر . وقد استمر الطب المصري محافظاً على جوهره بعد دخول المسيحية مصر الى ان ظهر الطب اليوناني الذي اخذ يمتزج تدريجاً باصول الطب الفرعوني [٥]

---

(1) Oxyrhynchus Pap. Grenvel & Hunt vol II No 234 p. 134-136

(2) Oxyrhynchus Pap. Hunt Vol VIII No 1088 p. 110—115

(3) E. Chassinat, Un Pap. Méd. Copte (Cairo 1921) No 114 line 242-3.

(4) Science Progress 1927 p. 283

(5) Proc. of the Roy .Soc. of Med. vol XVII pp 5—7, Warren Dawson

تجارب الانسان والنبات

للامير مصطفى الشهابي

يتجبر الانسان على الارض ويستكبر ، ويتيه على المخلوقات السائرة بادراكه وعقله : ويسخر النبات والحيوان لأغراضه ، ويعمد الى النباتات في تربتها فيستأصلها من جذورها ويدفنها حية او يطعمها ماشيته او يحرقها تحريقاً ويذرو رمادها في الريح والهبوب ، ثم يدك تلك التربة او يبسطها ويشيد عليها شاهقات القصور بمقاصيرها الهادئة وأفنيتها الواسعة وبلاطها المجزّع وفسيفسائها الآخذة بمجامع القلوب . ومتى انتهى من عمله هذا شمخ بأنفه وتصلف في قوته وأيّده ونظر الى الطبيعة المغلوبة على امرها نظرة القائد المعتز بالنصر وراح يتباهى بأعماله الباهرة وبمدنيته الزاهرة وهي تجتاح كل عقبة تقف في سبيلها سواء اكانت تلك العقبة راسخة متمكنة ام رجراجة مضطربة

ويظن الانسان في غروره انه قد غلب النبات على امره وأنهُ قد ازاحه عن منابته واستولى على بلاده وجعلها مستعمرة يتصرف بها تصرف المالك في ملكه . لكن هذا النبات الذي يبدو ضعيفاً لأعين البسطاء من الناس لا يبيت على ضيم ولا يغمض له جفن على قذى ، فهو يظل ينبت ويتكاثر حوالي القصر القائم على تربته حتى اذا لاحت له غرة من صاحب ذلك القصر قذف ببزوره داخله فانتشت ونمت فيه . اما اذا غدر الزمان الخؤون بأهل القصر وسكانه فطاح بحضارتهم الحائلة ومدنيتهم الزائلة فهنالك تشاهد النبات قد ثارت ثوائره وتباشرت بالخير أزاهره فما بين البلاط وفي شقوق الجدران وعلى السطوح وفي كل مكان ضيق او واسع يستطيع فيه الحياة بعناء او برخاء وتراه ينشب جذوره في ضيق من سم الخياط فيقلق البلاط ويفرج ما بينه ويصدع حجارة الجدران ويزيحها عن مواضعها حتى يدك بنيانها دكّا . ولا ينفكُّ يعمل في هذا السبيل اناءَ الليل وأطراف النهار الى ان تتفتت حجارة القصر وتستحيل تراباً فيكون النبات قد عاد الى وطنه المحبوب وطهره من بقايا الانسان الغاشم الظلوم وعاش بأمان وصفا له الزمان ولسان حاله يقول « ان عادت لعقرب عدنا لها ... »

وربما ظنَّ القارىء ولا سيما اذا كان مصريًّا انني ابالغ فيما اقول ، لان المصري يعيش في بلاد ترتوي بماء النيل لا بماء المطر فلا تتكاثر الأعشاب في صحاريها ولا تلتفُّ ولا تستأسد ولا يزحم

بعضها بعضاً . لكن الامر على خلاف ذلك في الارض القريبة من خط الاستواء حيث وفرة الامطار وارتفاع الحرارة تمدان النباتات بغذاء وماء وقوة فيسمو قدُّها ويكبر جرمها ويعظم خطرها حتى اذا تركت وشأنها نشأت منها حراج غبياء الشجر وادغال يتسابق فيها العشب والجنبة وجميعها متشبثة بالارض تتزاحم على الشبر منها وتتقاتل في امتلاك كل ذرة من ذراتها . وليست البلاد الشمالية اي اوربا وما على سمتها من البلاد بأقل إنباتاً لمختلف النباتات البرية ، بسبب غزارة امطارها وان كانت حرارة الجو فيها ادنى منها في البلاد القريبة من خط الاستواء

ولهذا اذا نظر المصري الى اهرام الجيزة مثلاً وجدها موطدة الاسس ثابتة الاركان سليمة السطوح لم يعبث بها عابث من مملكة النباتات لأن هذه لا حياة لها في ارض جفَّ ترابها وتلاعبت في اجوائها اشعة الشمس المحرقة ، ويجد ابا الهول جاثياً أمام مدينة المعز يهزأ بتعاقب الايام وتتالي السنين والقرون وهو اجرد امرد تطوف العين في هيكله الضخم فلا تقع على نبتة واحدة تسبّح خالقها في الغدوّ والآصال . لكننا اذا ركبنا البحر الى سيام مثلاً وطوَّفنا في بعض مصانعها ومعابدها القديمة الفيناها غرقى في غابات من الاشجار الملتفة . فهذا صنم عظيم للآله بوذا قد طوقت عنقه النباتات المعترشة حتى همت بخنقه ، والبسته في رأسه قلنسوة من اوراقها المتشابكة ونسجت على منكبيه ابرادها السندسية ، وحلَّت زنديه باسورتها الزمردية ، ولم تتورَّع في هجومها وانحائها عليه فغطت اذنيه لكي يصم وفرَّخت في عينيه لكي يكف ويعمى وانبتت بزورها في فيه حتى تخمد منه الانفاس ، ثم صاحت بالناس تعالوا فانظروا ماذا صنعت بربكم الاعلى واعبدوه ان كنتم لمثله عابدين ولكن لا تنسوا انني سأحيله بعد حين الى تراب وطين

وما لنا وللبلاد البعيدة نتمثل بها ما دام في بلادنا امثال كثيرة لما ذكرت . فلقد مررت في السنة الماضية بخرائب افامية الشهيرة شماليَّ الشام فوجدت بعض النباتات قد مدّت جذورها في شقوق العُمُد والتماثيل وكأنها تهزأ بها وبناحتيها . ومررت بقرية حقيرة من قرى حلب بعض ارضها مكسو بفسيفساء رومانية قديمة فاسترعت نظري ازهار علت جسم غادة حسناء من فواتن الفسيفساء . وحدث ان مرَّت في تلك الفترة قافلة من الابل وكان في رفقتي عالم فرنسي فقال لي ان بلادكم مفتاح الجزيرة وهي مهما تعاقبت فيها المدنيات ومهما عشقها الفاتحون فانهُ لا يدوم فيها غير هذه الازهار وغير اصحاب هذه الابل

والخلاصة ان صاحب الارض الحقيقي هي نباتاتها فهي التي استولت على سطح الكرة الارضية في طولها والعرض . وما مدنية الانسان بقصورها ومدنها ومصانعها ومعابدها وهياكلها سوى بقع صغيرة تلطخت بها بشرة هذه الارض . وهي كلها صائرة الى الزوال لان النباتات اذا غذتنا بحبوبها وأثمارها وكستنا بنسيج أليافها وكانت اكبر دعامة في بناء حضارتنا المتتالية فهي لا تجيز لنا ان نتجاوز على حرمها الاقدس فنلوّثه بهذه المدنيات الزائفة

الكريم والفتى والسيد

What is a Gentleman?

للدكتور امين باشا المعلوف

٢

اما مؤنث جنتلمان لفظاً فهو جنتلموُمَن ومعناهُ المرأة الكريمة اي الطيبة الاصل والشائع في الاستعمال كلمة ليدي يقابلها بالعربية كريمة وسيدة وست وخاتون ولا يقال فتاة بهذا المعنى . اما الكريمة فقد وردت في كتب اللغة وسيأتي ذكرها في مادة كرم قال الطغرائي في لامية العجم

نؤُمّ ناشئة بالجزع قد سقيت   لحاظها بمياه الغنج والكحل
قد زاد طيب احاديث الكرام بها   ما بالكرائم من جبن ومن بخل

واما السيدة فمعروفة عند الخاصة والعامة يلقبون بها نساء الاشراف من القرشيين . واذكر ان صاحب نشوار المحاضرة كان اذا قال السيدة اراد بها والدة الخليفة دون غيرها واما لفظة ستّ فكان يستعملها اذا خاطبت جارية احدى نساء القصر فانها كانت تقول لها يا ستي والكلمة مولدة وهي واردة في شعر البهاء زهير كثيراً وفي نشوار المحاضرة كما تقدم وشائعة في الشام ومصر وكانت في لبنان لقباً لنساء الامراء ، والمشايخ ، واما في العراق فلم اسمعها الاَّ في مخاطبة الراقصات والمغنيات الاجنبيات او عند ذكر قبر في جانب الكرخ يسمونهُ قبر الست زبيدة وهو ليس قبر السيدة زبيدة زوجة الرشيد بل قبر اميرة سلجوقية بهذا الاسم . واما الخاتون فقد ذكرها صاحب القاموس قال : الخاتون للمرأة الشريفة كلمة اعجمية وزاد صاحب التاج استعملها الفرس والترك والجمع الخواتين . وقال محيط المحيط: الخاتون كلمة اعجمية للمرأة الشريفة وهي من لغة التتر تلقب بهِ نساء الملوك عند العرب . واذكر ان ابن جبير كان لا يقول الخواتين الاَّ لنساء الملوك ومثله ابن بطوطة فانهُ سافر في ركب اميرة رومية هي زوجة خان التتر او الخزر في ذلك العهد فكان اذا ذكرها قال الخاتون والكلمة شائعة في العراق فاذا ذكروا احدى الكرائم قالوا الخاتون مثل فاطمة خاتون واميليا خاتون وصورما خاتون وهذه عمة بطريرك النساطرة الحالي ويسميها الانكليز ليدي صورما وكانت المس بل رحمها الله تستحسن هذا اللقب كثيراً وقد زرتها مرة وكنت لا اعرف بيتها فركبت عربة وقلت للسائق خذني الى دار الخاتون فاخذني توّاً الى منزلها وكان في اطراف المدينة فقالت كيف عرفت الدار فقلت على اهون سبيل فاني ركبت عربة وقلت للسائق خذني الى دار الخاتون واظنها ابتسمت لذلك واذكر انهُ جرى ذكر سيدة في بغداد فقالت احدى السامعات ان فلانة حقيقة خاتون اي انها ارادت بخاتون ما يريده الانكليز بكلمة ليدي

قلت ان كلمة خاتون شائعة كثيراً في العراق ويتلوها لقب خان فيقولون مثلاً ربيعة خان وحسيبة خان ولعلها ترخيم خانم على انهم يقولون ايضاً خانم وهانم وجميعه مؤنث خان اي ان خانم وهانم مؤنث خان ومعناها ملكة ولفظة خان تمت الى ما معناه ملك بالانكليزية واللهجات الجرمانية واصلها خانـغ باللغة الجغتائية اي التركية القديمة وخانم اصلها خانغم ومثل ذلك بكـم مؤنث بك سمعت جميع ما تقدم من الاديب التركي المشهور يوسف سامح بك نزيل مصر في ايامنا وكثيراً ما كنا نجتمع للسمر في صيف سنة ١٩١١ والسنة التي تلتها. ولما كان البحث الآن في كرم الاخلاق والمروءة وكنت آليت على نفسي الاَّ اذكر احداً من الاحياء ولكنني وجدت الفرصة سانحة والواجب يقضي عليَّ ان اذكر بعض الذين كنا نجتمع واياهم في هذه المجالس من كرام القوم ممن تجلى فيهم الكرم في احسن معانيهِ فنهم الدكتور شبلي شميل فتى لبنان الحرّ الشهم ورفيق بك العظم من فتيان العرب وساداتهم وحسني بك يكن واخوهُ رضا بك من فتيان مصر وساداتها. وربما عدت الى هذا البحث في فرصة اخرى وضربت امثلة على اعمالهم مما اختبرتهُ بنفسي رحمهم الله جميعاً. واني لم اذكر اسماءهم لادبهم الجمّ او لعلمهم الواسع او لسخائهم او كياستهم بل لما كانوا عليهِ من مكارم الاخلاق اي ان كل واحد منهم كان فتىً اي جنتلمان

ومن القاب الكرائم في العراق « بكـم » وهي شائعة في الهند وايران وفي الكرخ والكاظمية في بغداد وربما في كربلاء والنجف واللفظة كما تقدم مؤنث بَاك ومما يحسن ذكره ان اهل العراق ولاسيما في الموصل يلفظون كلمة بك كما كان يلفظها الترك قديماً ومثلها كلمة بَـكـم اي بفتح الباء وهي شبيهة بلفظ الانكليز للكلمتين الآتيتين اي Beg & Begum فخان معناها في الاصل ملك او سلطان او امير ومثلها بك وكلنا نعرف اسم ارطغرل بك فاتح بغداد وكان من السلاطين السلجوقيين

ولنبحث الآن في ماجاءَ عن الكريم والفتى في كتب اللغة وكلام العرب فقد جاءَ في التاج ما نصهُ : الكـرَم محرَّكة ضد اللؤم يكون في الرجل بنفسهِ وان لم يكن لهُ آباء ويستعمل في الخيل والابل والشجر وغيرها من الجواهر اذا عنوا العِتـق واصله في الناس. قال ابن الاعرابي كرُم الفرس ان يرق جلده ويلين شعره وتطيب رائحتهُ. وقال بعضهم الكرم مثل الحرية الاَّ ان الحرية قد تقال في المحاسن الصغيرة والكبيرة والكرم لا يقال الاَّ في المحاسن الكبيرة كانفاق مال في تجهيز غزاة وتحمُّل حمالة يوقى بها دم قوم . وقيل الكرم افادة ما ينبغي لا لغرض فمن وهب المال لجلب نفع او دفع ضرر او خلاص من ذمّ فليس بكريم . وقد كرُم الرجل وغيره بضم الراء كرامة على القياس والسماع وكَرَماً وكَرَمة محركتين فهو كريم وكريمة وكِرمة بالكسر ومُكرم ومُكرمة بضمهما وكُرام كغُراب واذا افرط في الكرم قيل كُرَّام مثل رُمّان . الى ان قال اي صاحب التاج والكريم الواسع الخلق والصدر الصفوح عن الذنب . الى أن قال وقوله تعالى « واعتدنا لها رزقاً كريماً » أي كثيراً وقولهُ تعالى « وقل لهما قولاً كريماً » اي سهلاً ليناً وقوله تعالى « ويدخلكم مدخلاً كريماً » أي حسناً وهو

الجنة . الى أن قال ومما يستدرك عليه الكريم من صفات الله تعالى واسمائهِ وهو الكثير الخير وقيل الجوّاد وقيل المعطي الذي لا ينفد عطاؤه وقيل هو الجامع لانواع الخير والفضائل والشرف وقيل حميد الفعال وقيل العظيم وقيل المنزه عما لا يليق . الى ان قال واذا وصف بهِ الانسان فهو اسم للاخلاق والافعال المحمودة التي تظهر منهُ ولا يقال كريم حتى يظهر منهُ ذلك والكريم ايضاً الحرّ والنجيب والسخيّ والطيب الرائحة والطيب الاصل والذي كرّم نفسه عن التدنس بشيءٍ من مخالفة ربهِ . وايضاً الرقيق الطبع والحسن الاخلاق والواسع الصدر والحسيب والمختار المزيّن المحسّن والعزيز عندك والحج وايضاً الجهاد وفرس يغزى عليهِ والبعير يستقى بهِ . وكتاب كريم اي مختوم او حسن ما فيهِ وقرآن كريم يحمد ما فيهِ من الهدى والبيان والعلم والحكمة . وقول كريم سهل ليّن ورزق كريم اي كثير ومدخل كريم حسن

والكريم ايضاً الرئيس والعفيف والجميل والعجيب الغريب والعالم والنفيس والمطر والجود والمعجز والدليل على التهكم فهذه نيّف وثلاثون قولاً في معنى الكريم ولم اره مجموعاً في كتاب الى أن قال والكريمة الاهل وقيل شقيقة الرجل والجمع الكرائم . قلت والكريمة بمعنى الشقيقة شائعة في الحجاز سمعتها غير مرة بهذا المعنى والكريمة في الشام ومصر ابنة الرجل الكريم وهي شائعة بهذا المعنى . الى ان قال صاحب التاج وفي الحديث ان الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن ابراهيم لانهُ اجتمع له شرف النبوة والعلم والجمال والعفة وكرم الاخلاق ورياسة الدنيا والدين . انتهى ما اريد نقله عن التاج . وفي سائر كتب اللغة ما لا يخرج عن ذلك والمآل واحد ولا بأس بايراد ما جاء في محيط المحيط مما لم اعثر عليه في التاج . قال صاحب محيط المحيط ما نصه : قيل الكريم قد يطلق على الجوّاد الكثير النفع وقد يطلق من كل شيء على احسنه كما قيل الكريم صفة ما يرضي ويحمد في بابه . يقال رزق كريم اي كثير وقول كريم اي سهل ليّن ووجه كريم اي مرضٍ في حسنه وجماله وكتاب كريم اي مرضٍ في معانيه وفي جزالة الفاظه وفوائده ونبات كريم اي مرضٍ فيما يتعلق به من المنافع . والكريم من كل قوم ما يجمع فضائله . كليّات . انتهى ما اريد نقله

ثم انهم ميزوا بين الكرم والشرف فالشرف يقتضي له آباء اشراف اما الكرم فقد يكون في الرجل بنفسه كما جاء في تعريف الشرف في ص ٦٧٣ من مقتطف الشهر الماضي . فالكرم خُلق يكون في الرجل بنفسه يرثه عن آباء كرام او لا يرثه . اما اللؤم فكتب اللغة مجمعة على انهُ ضد الكرم . قال صاحب التاج اللؤم بالضم ضد العتق والكرم ومرّ له في الكرم انهُ ضد اللؤم وعاب جماعة عليهِ (أي على الفيروزابادي تفسيره الكرم في قوله انهُ ضد اللؤم وتفسيره اللؤم في قوله انهُ ضد الكرم) ووقع في شرح الشواهد للعيني ان اللؤم ان يجتمع في الانسان الشح ومهانة النفس ودناءة الآباء وهو من اذم ما يهجى به وقد لؤم لؤماً بالضم فهو لئيم وفي الاصل شحيح النفس

فالكلام صريح على ان الكرم ضد اللؤم وعندي ان الكرم خلق في الانسان كذلك اللؤم

يكونان عن الآباء وهو الغالب وقد لا يكونان وهو نادر والكرم صفة ما يحمد واللؤم صفة ما يذم لذلك وصفوا الكريم اي الطيب الخلق والاصل بالجود والسخاء ووصفوا اللئيم اي الدنيء الاصل بعكس ذلك اي ان الكريم ليس معناه في الاصل السخيّ المعطاء الوهّاب بل الكريم في خلقه وفي نفسه ولما كان من فطرة العرب السخاء غلب معنى الكريم على السخي الجوّاد المعطاء وهو ليس كذلك في الاصل . اما الانكليز فمعنى الكريم عندهم الطيب الاصل كما تقدم في ص ٦٧٤ وما يليها من مقتطف الشهر الماضي ثم اشتقّ من هذه المادة الاصلية الفاظ اخرى تدل على الجود والسخاء وغير ذلك من المعاني فكلمة جنتل يقابلها الكريم بالعربية ثم تفرَّعت منها المعاني الاخرى بالعربية والانكليزية . اما الكلمة الانكليزية فقد بينت اصلها عن معجم وبستر في الشهر الماضي وأما مادة كرم العربية وعلاقتها اللغوية بالكرْم اي شجر العنب فلا محل للبحث فيه الآن ولعل اصلهما واحد ومن شاء زيادة البحث فليراجع مادة كرم في الامهات

اما الفتى فقد جاء في تاج العروس ما نصه : الفتى الشاب يكون اسماً وصفة . وفي المصباح الفتى في الاصل يقال للشاب الحديث ثم استعير للعبد وان كان شيخاً مجازاً لتسميته باسم ما كان عليهِ قبلاً وقوله تعالى « واذ قال موسى لفتاه » جاء في التفسير انهُ يوشع بن نون سماه بذلك لانهُ كان يخدمه في سفره ودليله قوله « آتنا غداءنا » وقال الراغب ويكنى بالفتى والفتاة عن العبد والامة ومنه قوله تعالى « تراود فتاها عن نفسه » . الى ان قال صاحب التاج والفتى ايضاً السخيّ الكريم وهو من الفتوّة يقال فتىً بيّن الفتوّة نقله الجوهري وهما فَتَيان بالتحريك ومنه قوله تعالى « ودخل معهُ السجن فتيان » جاز كونهما حدثين او شيخين لانهم كانوا يسمون المملوك فتىً . الى ان قال والفُتوَّة بالضم والتشديد الكرم والسخاء هذا لغة وفي عرف اهل التحقيق ان يؤْثر الخلق على نفسهِ بالدنيا والآخرة وصاحب الفتوة يقال له الفتى ومنهُ لا فتى الاَّ علي . وقول الشاعر

فانَّ فتى الفتيان من راح واغتدى لضرّ عدوّ او لنفع صديق

وعبروا عنها في الشريعة بمكارم الاخلاق ولم يجيء لفظ الفتوَّة في الكتاب والسنَّة وانما جاء في كلام السلف واقدم من تكلم فيهِ جعفر الصادق ثم الفضيل ثم الامام احمد وسهل والجنيد ولهم في التعبير عنها الفاظ مختلفة والمآل واحد . انتهى ما اريد نقله عن التاج . وفي لسان العرب مما لم اعثر عليهِ في التاج : قال القتيبي ليس الفتى بمعنى الشاب والحدَث وانما هو بمعنى الكامل الجزل من الرجال يدلك على ذلك قول الشاعر

ان الفتى حمَّال كل ملمَّةٍ ليس الفتى بمنعَّم الشبان

وفي اساس البلاغة : هذا فتى بيّن الفتوة وهي الحرية والكرم قال عبد الرحمن بن حسّان

ان الفتى لفتى المكارم والعلى ليس الفتى بمغلج الصبيان

وقال آخر : يا عز هل لك في شيخ فتىً ابداً وقد يكون شباب غير فتيان

انتهى ما اريد نقله عن كتب اللغة . وللاديب العراقي الكبير مصطفى جواد نزيل القاهرة مقالة نفيسة في الفتوة في لغة العرب ص ٢٤١ وما يليها من المجلد الثامن قال فيها ما يأتي : الفتوَّة مذهب حيوي ديني سلك بعد ظهور الاسلام لتهذيب الاخلاق ونعش النفوس وبث العبقرية وتوكيد المؤاخاة بين الناس والدعوة الى الفضائل والشجاعة والتجافي عن الرذائل والجبن فالفتوة عند الفتيان هي استجماع النعوت الكريمة والاخلاق القويمة والطباع السليمة والجرأة والاقدام ولا سيما السخاء والكرم . وقال في مبعثها : ان الفتيان ينسبون طريقتهم هذه الى الامام علي عليهِ السلام فهو قدوتهم وفيهِ اسوتهم ويؤمنون بأنهُ اول الفتيان وأقدسهم لورود « لا فتى الاَّ علي ولا سيف الاَّ ذو الفقار » في فتوته المقدسة وشجاعته الفذة . ثم ذكر الاديب الكبير شيئاً كثيراً عن الفتوة وتطوراتها فقال ما يأتي : حكم التطور جار على كل امور الدنيا ولذلك تطورت الفتوة اطواراً شتى فدخل فيها الغناء ورمي البندق وتطيير الحمام المسابقة . قلت وقد كتب ذلك قبل مجيئه الى مصر ومروره بالشام فما قوله الآن في فتوّات مصر وزملائهم قبضايات الشام . وقد لقيته بالامس فسألته هل تعرف العامة في بغداد كلمة فتوّة فاني لا اذكر اني سمعتها منهم بمعنى الفتوة عند عامة اهل مصر قال لا وانما يقولون اشقياء اي انهم يستعملون الجمع مكان المفرد قلت اذكر انهُ يقال في بغداد ابو جاسم اي ابو قاسم قال نعم يقولون ذلك . اقول ان أبا قاسم لا تزال شائعة في الشام بهذا المعنى فيقال أبو قاسم وابو حمد وابو علي ولا يزال بعض البيوت المعروفة في الشام يكنى بهذه الاسماء ولعلَّ اجدادهم كانوا فتياناً ومن اهل المكارم وهم يفخرون بهذه الكنى . ثم ان كلمة فتوة في مصر وزميلتها كلمة قبضاي في الشام ليستا بالمعنى الذي تفهمه العامة بل لا يزال وراء ذلك شيء من النجدة والمروءَة . اما كلمة قبضاي فهي على ما قيل لي تركية الاصل ومعناها الخال الضخم او الخشن ولا يزال أثرها في بيروت حتى الآن في قولهم مرحباً يا خال . والجواب يعزّك يا روح

وان اول عهدي بكلمة فتىً بمعنى جنتلمان كان في الثورة العربية فقد رأيت في دمشق امراً عسكريًّا بتعيين ضابط لا اذكر اسمه الآن وانما كتب في الامر ان الفتى فلان ابن فلان منح رتبة الملازم الثاني وهو ما يفعله الانكليز اذا ذكروا ضابطاً بلا رتبة سابقة ولا يزالون يفعلون ذلك حتى الآن كما اذا عين تلميذ بهذه الرتبة او طبيب لاول مرة فانهم اذا ذكروا اسمه قالوا جنتلمان ولا اعلم من ادخل كلمة الفتى بهذا المعنى ولعلَّ ضباط الثورة اخذوها عن سليم بك الجزائري شهيد العرب . وكان رحمه الله اديباً وعالماً مشهوراً وفتىً من فتيانهم وان كثيرين من ضباط الجيش العثماني السابق هم من تلامذته ولا يزالون يذكرون ما كان عليهِ من كرم الاخلاق

فما ورد عن الفتى في كتب اللغة يدل على انهُ الشاب الحديث والعبد والكامل الجزل من الرجال والسخي والكريم اي الحرّ لان السخاء غير الكرم فاستعار العرب كلمة فتىً للمعاني المتقدمة كما استعارت العامة كلمة آدمي للرجل الكريم الاخلاق وكما اشتقوا كلمة مروءَة من المرء اي الرجل

ولا اريد الآن ان ابحث في الفتوّة ولا في صحة ترجمتها وقد ترجمها الاديب العراقي مصطفى جواد او صاحب مجلة « لغة العرب » كما يأتي La Chevalerie arabe واظنها ترجمة صحيحة لا غبار عليها . وانما البحث الآن في كلمة جنتلمان . ولنذكر الآن بعض ما ورد في الكريم والفتى في كلام العرب وهو كثير وانما نجتزىء بالقديم منه . قال طرفة بن العبد البكري في معلقته

فلولا ثلاث هنَّ من لذة الفتى وجدّك لم احفل متى قام عوّدي

قال الزوزني في الشرح لولا حبي لثلاث خلال هنَّ من لذة الفتى الكريم لم ابالِ متى قام عوّدي من عندي آيسين من حياتي اي لم ابالِ متى مت . ثم ذكر طرفة في الابيات التالية هذه الخلال اي خلال الفتى الكريم في ذلك العهد اي عهد الجاهلية فالاولى شربة من الكميت والثانية اغاثة الخائف المذعور والثالثة مغازلة حسناء في يوم الدجن وكان طرفة غفر الله لنا وله يحسب لذة الفتى في هذه الخلال الثلاث قلت ولا يزال البعض على رأيه فطرفة كان جاهليًّا يشرب الخمر وكان يغازل حسناءهُ في خدرها وفي يوم دجن ماطرٍ لا يراه فيه احد او يفاجئه فيه مفاجيء فلم يغازلها على قارعة الطريق او يضايقها في غدوّها ورواحها . وان قيل ان الفتى الشاب الحدث لأن طرفة قتل في شبابه فجده قبله يقول :

فالحرب لا يبقى لجا حمها التخيل والمراح
الاَّ الفتى الصبّار في الـــنجدات والفرس الوقاح

فهو لا يريد بالفتى هنا الشاب الحديث بل الرجل المجرّب في الحروب . وقال طرفة في قصيدة يفتخر بقومه

اجدر الناس برأس صِلدمٍ حازم الأمر شجاع في الوغم
كامل يحمل آلاء الفتى نبه سيّد سادات خِضمّ

فقد وصف الفتى هنا احسن وصف ثم قال

وتفرّعنا من ابنيْ وائل هامة المجد وخرطوم الكَرَم

فالكرم هنا معناه طيب الاصل كما تقدم في مادة كرم . وقالت قتيلة بنت النضر بن الحارث

امحمّدٌ ولانت ضِنءِ نجيبة من قومها والفحل فحل معرِق
ما كان ضرّك لو مننت وربما منَّ الفتى وهو المغيظ المحنَق
والنضر اقرب من اصبت وسيلة واحقهم ان كان عِتق يعتق

قال شارح ديوان الحماسة وقد نقلت عنه هذه الأبيات : الضنء الولد والنجيبة الكريمة والمعرق من كان له عرق في الكرم والمعنى يا محمد ان التي ولدتك كريمة قومها والذي ولدك سيد عريق في الكرم فانت خلاصة شريفين والمعنى اذا كنت كذلك فما كان يضرّك لو مننت على ابي واطلقتهُ وليس هذا عيباً عليك اذ قد يعفو الفتى مع انطوائه على الغيظ والحنق. قات وقد وردت هذه الأبيات في طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة ولكنه قال الحارث بن كلدة الثقفي والصواب القرشي لا الثقفي

ولعلَّ احسن ما قيل بهذا المعنى ما وقع لابي الاسود الدؤلي مع عمر بن ابي ربيعة على ما جاء في

الجزء الاول من الاغاني قال : حج أبو الاسود الدؤلي ومعهُ امرأتهُ وكانت جميلة فبينما هي تطوف بالبيت اذ عرض لها عمر بن ابي ربيعة فأتت ابا الاسود فأخبرتهُ فأتاه ابو الاسود فعاتبه فقال له عمر ما فعلت شيئاً فلما عادت الى المسجد عاد فكلمها فأخبرت أبا الاسود فأتاه في المسجد وهو مع قوم جالس فقال له

واني ليثنيني عن الجهل والخنا وعن شتم اقوام خلائق اربع
حياءٌ واسلامٌ وبُقيا وانني كريمٌ ومثلي قد يضرّ وينفع
فشتّان ما بيني وبينك انني على كل حال استقيم وتظلع

فقال عمر لست اعود يا عمّ لكلامها بعد هذا اليوم ثم عاد فكلمها فأتت أبا الاسود فأخبرتهُ فجاء اليه فقال لهُ

انت الفتى وابن الفتى واخو الفتى وسيدنا لولا خلائق أربع
نكولٌ عن الجُلّى وقربٌ من الخنا وبخلٌ عن الجدوى وانك تبّع

ثم خرجت وخرج معها ابو الاسود مشتملاً على سيف فلما رآها عمر اعرض عنها فتمثل ابو الاسود

تعدو الذئاب على من لا كلاب لهُ وتتقي صولة المستأسد الحامي

قلت الكريم في البيتين الاولين معناها الكريم في طبيعته اي الواسع الخلق والصدر كما تقدم في مادة كرم يريد ابو الاسود ان يقول يمنعني عن الجهل والخنا وشتم الناس اربع خلائق اي طبائع هي حيائي واسلامي واشفاقي وكوني كريماً ولكن الفرق بيني وبينك اني مستقيم وأنت تظلع اي تميل في مشيك . ولا ادري كيف يكون معنى الفتى في البيتين التاليين الاّ بقولنا كريم اي جنتلمان فتجد ان هذه الابيات حوت معاني جنتلمان في ثلاث كلمات هي الكريم والفتى والسيد

وقال سلمة الجعفي يرثي اخاه لامه :

فتىً كان يدنيه الغنى من صديقه اذا ما هو استغنى ويبعده الفقر

قلت هذا لعمري من احسن صفات الجنتلمان اي الرجل الكريم وفي ديوان الحماسة شيء كثير من هذا : وقال آخر معرّضاً بحديثي النعمة

إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا من كان يألفهم في الموطن الخشن

وقال المتنبي : ولكن الفتى العربي فيها غريب الوجه واليد واللسان

وهذا مثل قول شكسبير « فتيان من فيرونا » وهو ما يقوله القائد الانكليزي عند مخاطبة ضباطه وما كان يقوله الانكليز في كثير من كتاباتهم وما كان يقوله سيبويه في مخاطبة تلاميذه وما يقوله الاساتذة من الانكليز والاميركيين في مخاطبة تلاميذهم وهذا يوافق المعنى الرابع من معاني جنتلمان بالانكليزية على ما جاء في ص ٦٩٨ من الجزء الماضي ويدل على أن العرب وشعراءهم كانوا على أدب كبير . وعليهِ أرى ان المعنى الاول من كلمة جنتلمان هي الفتى والكريم والسيد كذلك المعنى الثاني والرابع والخامس والسادس . أما المعنى الثالث فلا يقال غير الفتى أي ان جميع المعاني يصلح لها كلمة فتى وكريم وسيد . أما المعنى الثالث فانه لايصلح لهُ الاّ الفتى

الدكتور رضا توفيق

آراؤه في السلالة، وشكل الحكومة ، والحرية ، والديمقراطية ، والاريستوقراطية ، والفن والشعر ، والفن والطبيعة ، والفلسفة

لالياس ابو شبكه

ليس من السهولة في شيءٍ أن آتي — في هذه الصفحات القليلة من المقتطف — على جميع المراحل التي جازها صديقي الكبير الفيلسوف الشاعر الدكتور رضا توفيق بك في حياة طويلة طافحة بجلائل الاعمال وألوان الاضطراب ، فالإقدام على عملٍ كهذا يستغرق وقتاً طويلاً ومجلدات ضخمة لان حياة هذا الرجل إنما هي ملحمة كثيرة الوقائع ، متعددة الصور ، تبدأ عند اعلان الحرب بين تركيا وروسيا ، تلك الحرب الطاحنة التي كانت نتائجها وخيمة على مسقط رأس الشاعر ، وتنتهي — وقد لا يجوز لنا ان ننهيها — في مطلع الثلث الثاني من هذا القرن العشرين

ولد الدكتور رضا توفيق من أب تحدّر من سلالة ألبانية فكان آخر عقبٍ من اولئك الفرسان الاشداء الذين نشأوا في الجبال فاستمدوا الصلابة من الصخور والصراحة من الطبيعة التي لا تتصنّع ولا مشاحة في أن الشاعر ورث عن أجداده المتحمسين بعض خلال لا يزال يحترمها وبعض هفوات كانت شؤماً عليهِ في حياتهِ السياسية ، على أن هذه الهفوات المزعومة تقوم على فضائل جبلية كتعشق الاستقلال المطلق ، والتمرّد على كل سلطة لا تدعمها عاطفة احترام للرتب الانسانية . وكانت أمّهُ شركسية تمتّ الى قبيلة « شابسيح » المتحدرة من القفقاس ، وقد يكون الدمُ التركيّ المتمشي في عروق الشاعر متصلاً بهِ من جدتهِ لابيهِ ، وهي تركية من مكدونيا

فهذا الخليط في الدم يجعلنا نجاري الشاعر في إنكاره النظرية القائلة بنقاوة النسل ، وهي ضلال فظيع تكاد عدواهُ تغمر هذا القرن العشرين الذاهل المضطرب ! ... فهو يذهب الى ان نقاوة النسل إنما هي نظرية خلقت لدعم جنسية مصطنعة لتبرير سلطان ممهّد هو ينبوع جميع الفتن التي تهدّد السلام العالمي . فثمة طائفة من العلوم كالتاريخ والاتنولوجيا والانطروبولوجيا وغيرها تبرهن على أن البشر الحاليين قد جبلتهم حروبٌ متواصلة منذ عشرات من القرون ، وأن العوامل التي تجعل من شعبٍ أمةً متفوقة انما هي عديدة ، ولا يخفى أن تمازج الشعوب إنما هو اهمّ هذه العوامل واشدها تأثيراً . فالشعب اليوناني القديم ، وهو أنبغ الامم التي درجت على سطح هذه الكرة واكثرها تفوقاً من ناحيتي الثقافة والخلق ، كان مزيجاً من شعوب مختلفة ، وفي هذا برهان واضح على خطإِ النظرية القائلة بنقاوة السلالة

ولنعد الى الدكتور رضا توفيق فنقول انهُ ولد في « جسر مصطفى باشا » وهو مدينة صغيرة تقوم على ضفاف مريج — وقد اصبحت اليوم مدينة بلغارية معروفة باسم « ساريبرود » — في ٢٣ رمضان ١٢٨٣ الموافق للعام ١٨٦٨ ، ولما بلغ السابعة من عمره جاءَ بهِ والده الى اسطنبول ، وكانت الحرب بين تركيا وروسيا على وشك الانطلاق ، فأتيح له ان يشهد تلك الحوادث المشؤومة التي كانت وبالاً على تركيا ، ولا يزال يذكر خلع السلطان عبد العزيز والسلطان مراد الخامس وجلوس عبد الحميد على العرش وغير ذلك من الحوادث الخطيرة

وفي أثناء تلك الحوادث كان الشاعر منصرفاً الى الدرس في قلب الطبيعة التي اوحت اليهِ تعشقها ولا مشاحة في ان للطبيعة يداً على شاعريته التي ارتفع بها الى مستوى كبار الشعراء في تركيا . وفي العام ١٨٨٢ انتظم في المكتب السلطاني ، الاَّ ان طبيعته الميالة الى الاستقلال ، المتمردة على كلّ نظام دقيق ، وعلى كلّ ساطة لا تستطيع أن توحي اليهِ بالثقة والاحترام جعلت حياتهُ في تلك الجامعة صعبة لا تطاق . واخيراً في العام ١٨٩٠ اتهم بالائتمار على الحكومة فأُلقي القبض عليهِ وسجن اربعين يوماً . ومنذ ذلك الحين بدأت حياته السياسية التي دامت ثلاثين سنة . على اننا نضرب صفحاً عن ذلك العهد المضطرب من حياته ، ونكتفي بأن نقول ان الدكتور رضا توفيق يعيش في البلاد العربية منذ احدى عشرة سنة مغموراً بعطف صاحب السموّ الامير عبدالله . وهو يقيم اليوم على ضفاف الشاطئ الوردي المضطجع عند اقدام مدينة جونية في تلك البقعة الرمادية من لبنان ، المتوّجة بالاكمات السبع الممتدة من جبل حريصا الى طرف خليج جونية والشاخصة شخوصاً ازليًّا الى الشفق البعيد المتموّج بجميع ألوان الشمس الصريحة

والدكتور رضا توفيق شيخ يدلف الى العقد السابع من العمر ، على ان الطبيعة خلعت على هيكله الجبار كلّ ما في وسعها فلم تستطع الايام أن تزيل عن جسده بريق الشباب . ففي عضلاتهِ القوية ، تلك العضلات المفتولة الشبيهة بعضلات المصارعين ، وفي قامته المستطيلة كالاسطوانة ، واندلاق صدره الى الامام ، واسترسال كتفيه الى الوراء ، وفي اتزان مشيته العصبية ، ولفتاته السريعة المتيقظة ، في ذلك كله عناصر من الشباب الجبار تخونها شعور بيضٌ هي اكليل السبعين

جبهة نافرة عالية تشطر الوجه الى شطرين متساويين أغدقت قمتها على الرأس شعراً غزيراً ترامت أمواجه الى سفح الرقبة ونفرت منها موجتان فانتشرتا مشعثتين كلٌّ منهما على أذن . وفي سفح هذه الجبهة المنحدرة يعبّس حاجبان متسقان جيلان تطمئنّ تحتهما مقلتان ساذجتان على ما فيهما من البريق الذكيّ هما مقلتا الفيلسوف الشاعر ، وانك لترتاح الى تلك الاشعة الغريبة المنبعثة من وراء نظارتيه الذهبيتين والمنتشرة شعاعاً على تينك الوجنتين المشرّبتين بألوان خمرية كألوان الشفق قبيل الغروب ، انك لترتاح الى ما يطفو عليها من الوجدان النيّر المغمور بأعذب ما في القلب البشري من زبد الرحمة والحب . وأول ما يقف نظرك عليه في ذلك الرأس المردود الى السلالة العبرانية القديمة ،

او اذا شئت الى فلاسفة اليونان في عهد سقراط وافلاطون لحية كثيفة تنحدر كالشلال الى مغرس الثندوتين ثم يتجمع بعضها على بعض فتعبير الوجه هيئة نبيٍّ خرج من التوراة ، وفي حنجرة هـذا الرجل لا أعلم أية كنارة أم أي أوتار ساحرة يهزك منها في الكلام صوت ، عذب تشدّ به غنّة كالتي تصدر عن رجع النحاس ، فهو اذا كلمك أطربك بحديثه وصوته معاً . والفيلسوف الشاعر رضا توفيق مبسوط العلم باللغات الفرنسية والانكليزية والفارسية واليونانية والعربية

ولننتقل الآن الى آراء الدكتور رضا توفيق في الادب والاجتماع ، ولا سيما المسائل المتعلقة منهما بالحرية والواجبات والحقوق والدين والحكومات وغيرها من المسائل التي يعبر عنها البعض بصيغ مبهمة لا يستقيم لها وزن والتي كثيراً ما تنجم عنها مجادلات عقيمة مزعجة

﴿ شكل الحكومة ﴾ لا يزال كثيرون ، منذ نحو من قرن الى اليوم ، يعلقون شأناً كبيراً بشكل الحكومة حتى ان جميع الانقلابات الثورية تكاد تكون وليدة تلك العقيدة الذاهبة الى ان الحكومات تتوقف على اشكالها . غير ان الدكتور رضا توفيق يخالف هذا المذهب قائلاً انهُ وهم محض ، وان الاختبار اظهر له في مواقف متعددة ان كل شيء يتوقف على الحرب او على السلم فثمة علاقة دقيقة بين الادارة المطلقة او المحافظة او الديكتاتورية والحروب العامة او المحلية . اما الشكل فليس سوى بطاقة او اعلان او صورة لا طائل تحتها ، ولقد قال احد الشعراء الفرنسيين ان شكل الحكومة يشغل افكار المجانين ، ولكن افضل الحكومات هي افضلها ادارة [1]

وكان كانت وسبنسر يقولان : « ان افضل الحكومات هي اقلها ادارة »

﴿ الحرية ﴾ ان كلمة «حرية» تدعو الى الالتباس كجميع الالفاظ المبهمة او كمعظمها . ثم ان هناك اصطلاحين للحرية ، الاول هو الاصطلاح النفساني وآخر الاصطلاح السياسي الاجتماعي . ولما كانت النفسانية psychologie نوعاً من العلم الطبيعي فانها لتضطرّ الى انكار الحرية ، اذ ان كل نوع من انواع العلوم يجتهد في شرح جميع العوامل التي يدرسها بأسباب من شأنها ان تحدد هذه العوامل ، اذن فجميع العلوم مجبرة بحكم المنطق على الاقتناع بأن كلّ حادث انما هو نتيجة اسباب عديدة لا نعرف الآ بعضها

ولقد اتيح للبعض ان يزعم ان الذي اصطلح على تسميته بـ « الارادة البشرية » او « الارادة المطلقة » انما هو السبب الاهم الذي يحدد أعمالنا ، على ان النفسانية العلمية تبرهن لنا على ان الارادة نفسها ليست سوى عامل محصّل من عدة اسباب نفسية فيزيولوجية تشترك بدون علم منا في عمل دماغنا ، ولما كان العمل الدماغي هو الذي يتيح لنا فرض تعديلات على الافعال المنعكسة التي تسببها العوامل الخارجية فمن البديهي ان يخيل الينا اننا احرار

ولقد تناقش العلماء المسلمون طويلاً حول هذه المسألة العسيرة لاجل تقرير المسؤولية البشرية

(1) La forme de l'etat préoccupe les fous, Le mieux administré est le meilleur de tous

من الوجهتين الدينية والحقوقية ، وظلوا يتناقشون حولها قروناً طوالاً . ثم انقسموا الى ثلاث فئات او مدارس : (المعتزلة) وهي القائلة بالارادة المطلقة ، واصطلاحها (ان شاء ترك) و (الجبرية) او اتباع مذاهب القدر الذين كانوا يذهبون الى ان المقدّر لا يستطيع النزول على سنة التعديل . و (اهل السنّة) الذين كانوا يعتقدون ان للانسان « ارادة جزئية » يستطيع معها الاختيار بين مقدورين لا مناص منهما كالخير والشر مثلاً . وهـذا المذهب الاخير هو المعروف اليوم بمذهب «الحرية في الاختيار» وهو الذي يعتنقه الدكتور رضا توفيق بحجة ان العلم يوافق اهل السنّة في مذهبهم لان الارادة المركزية هي في الدماغ

اما الحرية السياسية فهي احترام الشريعة الوضعية مع التمتع الممكن بالافعال التي لم يستدركها التشريع المستبد . وخلاصة القول هي خضوع اختياري لقانون يرمز الى ارادة شعب مثقف ، وليس خضوعاً جبريّاً لارادة سلطان او حاكم فرد اريسطوقراطيّا كان او ديموقراطيّا ، او لارادة وصوليّ او ديكتاتور . واما الحرية الاجتماعية فهي حقّ الفرد في ان لا يخضع لتقاليد بلد بشرط ان لا يكون تمرّده مخالفاً للشريعة الوضعية او للاصطلاح الاخلاقي الادبي المقرر في العالم

﴿ الديموقراطية ﴾ ذلك هو رأي الفيلسوف رضا توفيق في الحرية ، اما رأيه في الديموقراطية فيلخص بما يلي :

يراد بالديموقراطية حكومة الشعب . ولكن أيستحيل ذلك ؟ لقد حصر الفيلسوف العظيم شوبنهور هذه المسألة في برهان ذي حدّين ، فقال: « انه لمن الظلم المحرّم ان يحكم شعب بالرغم منه » وهذا حقّ على أنهُ أضاف إلى ذلك قوله: « وان الشعب ولدٌ ويظل ولداً ويحكم بالرغم منه » . وهذا يبعث على القنوط . الآن القرآن — لحسن الحظ — أعطى أفضل حلّ لهذه المسألة العسيرة، فقد جاء فيه قول الآية : « ولقد كرّمنا بني آدم . . . » إذن فالانسان مكرّم أيّا كان ، وينبغي ان تحترم قيمته الانسانية التي لم يستمدها لا من ملكٍ ولا من رئيس جمهورية بل من نعمة الله نفسهِ الذي خلقه على صورته . ولقد اضاف النبيّ قوله : (سيّد القوم خادمهم) وإذن فأول شرط من شروط السيادة ان يكون السيد خادم الشعب الذي اولاه السيادة عليه

﴿ الاريسطوقراطية ﴾ يراد بالاريسطوقراطية ، حكم الشعب بأفضل شخص بشري . على ان الاريسطوقراطية هي اليوم نوع من الامتياز الاقطاعي الوراثي يقوم على (حق الفتح) الذي لا يوفر لمدّعيه جميع الخلال والفضائل التي تجعل من الرجل شخصاً متفوّقاً تفوقاً حقيقيّاً يرفعهُ الى مستوى أفضل انسان في الامة . ومثل هؤلاء الاشخاص لا يستطيعون ان يحكموا بألقابهم وأنسابهم ورقوقهم أمة بأسرها جديرة بانجاب طائفة من النوابغ كما هي الحال اليوم في الامم الراقية . اذذ فالاريسطوقراطية التاريخية لن يحقّ لها التمتع بالسلطة الوراثية في ادارة بلد ما لم تخلق نوابغ . على ان ثمّة اريسطوقراطية طبيعية لا تتعدّى كونها فردية اي اريسطوقراطية نبوغ موهوب ؛

كاريسطوقراطية سقراط وكانت وابن رشد في الفلسفة ، وغليليو وباستور واينشتين في العلوم ، وشكسبير وجوته وهيجو في الشعر ، وبيتهوفن وجونود وفردي في الموسيقى ، وهلمَّ جرًّا . ولقد جاء في القرآن الكريم (وفضَّلنا بعضهم على بعض)

﴿ الفن والشعر ﴾ يراد بالشعر الصحيح الذي يعبر ، بلغة سليمة مألوفة وانشاء موسيقي وجيه وأسلوب ذي عصمة في الصياغة ، عن بعض شواعر حارة تهزّ الروح البشرية هزًّا عميقاً . وهذه الشواعر — ينبوع الهاماتنا البديعية التي لا تنضب — لا تتأتى الاّ في اوقات العوارض النفسانية التي لا علاقة لها قط بأغراض الحياة الحيوانية المادية ويرجع ذلك الى ان هزة نفسانية شديدة تنير دخيلة الرجل على حين غرة فترحّب آفاقها المظلمة المتحيرة وتوقظ فيها جميع الخصائص الفعلية . وفي هذه الحالة من الاستنارة الداخلية يستطيع الرجل ان يرى ويميز بوضوح وجلاء عوامل العاصفة العاطفية التي تحرك روحه . عند هذا يتراءى العالم الخارجي نفسه لعينيه المنذهلتين في اجمل صورة من تآلفه ويكشف له في جميع تبدلاته المؤثرة العلاقات الحميمة التى تربطه بالوجود الكلّي ربطاً لا انحلال له . فالفني الحقيقي ، وهو خالق في الصيغ ، يتناول جميع مجازاته ورموزه وكناياته من تلك العلاقات الحميمة نفسها التي تجعله دائماً يتحد في حياته والطبيعة الجميلة

وهذا الاتحاد المكين يضيء في روح الشاعر الحقيقي كما تضيء اشعة الشمس اذ يشمل الوجود بأسره ، فهو مقرُّ التفاؤل الذي يحوّل الحياة الاكثر دعة الى سعادة كلية فالجمال الذي يوحي الحب ليس سوى التأثير الهادىء المنيء يعالجه ذلك التآلف الكلّي المعجب في روحنا المسحورة . والتعريف البياني للمزاج الفني انما هو بالتدقيق تلك الحاسة المتطرفة ولكن السليمة ، التي يتاح لها عند اقل داعٍ ان تحدث في النفس تأثيرات شديدة خصبة ، فالعمل الفني شعراً كان او موسيقى او نقشاً ما هو في التحليل الاخير سوى المادة التي تنجم عن مثل تلك الحاسات البديعية بشكل من التعبير يمتّ الى الموضوع بصلب شديد . اما البصيرة ، ويراد بها النظر الصائب المحكم للعوامل الداخلية . فهي اظهر حالات نفسية الفن. وهذا النظر الصائب يوفّر للشاعر عُدّة عمله كلها، كالشعور والفكرة والصور الاستعارية والرموز وأخيراً جميع هذه الاشياء التي تؤلف عملا فنيًّا والتي لا توجد كما هي في العالم الخارجي. فالفني النابغ لا يسأل العالم الخارجي الاّ الاشياء الجامدة ليستعملها وسائل للتعبير فقط

تلك هي — في خطوطها العريضة — نظرية الدكتور رضا توفيق في الفن ، وهي نظرية خطيرة تجعل من الصدق قاعدة الفن الاساسية وشرطه اللازم ، وتبرهن على ان طبيعة الفن انما هي الحياة وان الفن الحقيقي متّحد مع الحياة الكلية ، الينبوع الذي لا ينضب لاي إلهام بديعي ، وترينا اخيراً بجلاء ووضوح أن الفن انما هو غير الصناعة ، وانهُ ليس ثمة شعر قديم وحديث ، بل هناك شعرٌ حقيقي ومزيّف ، فالشعر الحقيقي لا يتصل بالزمان ولا بالمكان فهو خالد كالنفس ودائم كالحياة الشاملة

﴿ الفن والطبيعة ﴾ الطبيعة هي مجموعة الوجود بما فيهِ من الشرائع المعروفة او غير المعروفة

والحوادث المدركة او غير المدركة . وقد قيل ان الطبيعة هي أمهر الصنّاع . صحيح ، ولكنها تعالج صناعتها او فنّها على ما تشاء ، وجميع اعمالها حيّة . وقيل ان الطبيعة هي ينبوع الفن الذي لا ينضب . وهذا صحيح ، على ان الفنّ هو انسانيّ قبل كل شيءٍ ، فهو عمل النبوغ البشري ، ومن الهذيان أن يزعم البعض ان تمثال الزهرة ، أو تائية ابن الفارض ، او الحمراء في غرناطة ، أو صورة من صور رفائيل ، او نغمة من نغمات بيتهوفن هي طبيعية كالشجرة او كالزهرة

يزعم الطبيعيون أن الطبيعة هي أكمل مثال ينبغي للفني ان يقلّده ، ويزعم الخياليون انهُ ينبغي للمرء ان يتصوّر الاشياء تصوّراً أو أن يكتشف من وراء هذه الاشياء الفكرة الجوهرية المختبئة فيها ، ويسعى الرمزيون أن يهتدوا الى الصيغة الرمزية الاكثر بلاغة وتبياناً ليتاح لهم معها التعبير عما يرونهُ في الطبيعة ، إن بالريشة وإن بالقلم او بالقطعة الموسيقية . وهلمّ جرّا

كل هذا حسن ، على ان الشاعر رضا توفيق لا يرى في هذا كله سوى تعبير عن شواعر بديعية ليس لها أقل علاقة بالنفس او بالحياة الداخلية . وقد قال : « إني لأؤثر أن اعبّر بأبيات من الشعر وبانشاء سليم ليس عن طلوع الشمس او مغيبها مثلاً بل عن الشعور القويّ الذي يوحيه الي مشهد الشمس الجميل . فبهذا التعبير اكون قد أتيت على تبيان حالتي النفسية وليس على تبيان حالة الشفق والمناظر عند طلوع الشمس او مغيبها » إذن فالطبيعة النفسية هي التي تمثل دور الفني وليس الطبيعة الافقية التي ليست سوى عامل او سبب من اسباب التهييج

﴿ الفلسفة ﴾ يذهب الدكتور رضا توفيق هذا المذهب الشائع وهو ان الفلسفة علم يبحث في ايجاد نظريات حول المسائل التي تطرحها معميات الحياة على ذكائنا المذهول . وهي ايضاً فنّ يستعمل لبناءِ مذهب عقليٍ على نظريات مختلفة . اذن ليست الفلسفة علماً دقيقاً بل هي تاريخ الافتراضات البشرية حول اسرار الوجود . واذن فهي محاولة خاسرة او نوع من انواع التسلية العقلية

ولكن عند ما نشعر بحاجة ملحّة الى تقرير تصرفاتنا في الحياة بمبدإٍ عقلي تصبح الفلسفة وهي أخت المنطق وترتفع الى مستوى الجدّ

كان الاغريق يفصلون الفلسفة عن الدين ويذهبون الى انها علم معرفة السعادة ، على انهم لم يستطيعوا الاتفاق على طبيعة السعادة . ويقول الدكتور رضا توفيق ان السعادة انما هي عقيدة او حالة نفسية لا علاقة لها بالفلسفة ، وما عدا ذلك فهو يمتنق مذاهب كبار الفلاسفة وعلى الخصوص مذهبي اريسطو وزَرْدشْت ، النبي الفارسي القديم

تلك خلاصة الآراء التي استطعت ان اكشفها في الشاعر التركي المنفي خلال الاحاديث المتباينة التي نتداولها في كل سانحة . وهي في معظمها آراء وجيهة لها وزنها الادبي وقيمتها ، فضلاً عن انها تشير اشارة واضحة الى عقلية وروحانية ناضجتين لا نلمس مثلهما بين ادبائنا ومفكرينا الاّ نادراً

بيروت

فضل «الصفر» على المدنية

لقدري حافظ طوقان

﴿ مقدمة ﴾ قد يعجب القارىء من هذا العنوان .. وقد يتبادر الى ذهنه اسئلة كثيرة : ما علاقة « الصفر » بالمدنية ؟ وهل للصفر قيمة فيكون له أثر في تقدم المدنية ؟ أليس الصفر صفراً فيعني الفراغ والعدم اذن . . . . فكيف تسند اليهِ هذه القيمة الكبيرة وتخصص بضع صفحات من مجلة علمية لها مقامها العلمي كالمقتطف للكتابة عنهُ ؟ ولكن مهلاً . . . لنفكر قليلاً ، ولنرجع الى الكتب الرياضية وغيرها فقد يظهر لنا اشياء لم نكن نعرفها وقد نتبين للصفر مميزات وخصائص ما وقفنا عليها ، وما كان لنا ان نجرؤ فنضع هذا العنوان لولا اعتقادنا بصحة ما نقول ولولا ان التمحيص والتعمق افضيا بنا الى ذلك . وغرضنا ان نبين للقارىء الفوائد التي تجنيها البشرية من « الصفر » والتسهيلات التي قدَّمها للبحوث الرياضية وغير الرياضية والتي لولاها لما تقدَّمت العلوم الرياضية تقدمها الحاضر ولما استطاع علم الجبر ان يخطو خطواته الواسعة المعروفة وبالتالي لما تقدمت العلوم التي تعتمد على الرياضيات في كثير من مباحثها كالفيزياء والفلك والكيمياء .....

﴿ نبذة تاريخية ﴾ وقبل ذكر شيء عن « الصفر » وخصائصه وفوائده نرى ان نذكر اولاً نبذةً عن تاريخ الترقيم واستعمال اشارة الصفر . ان النظام الذي نتبعه الآن في الترقيم يبنى على اساس القيم الوضعية ، وبواسطتهِ يمكن ترقيم جميع الاعداد واجراء الاعمال الحسابية بسهولة كبيرة . ولقد بقيت الامم في القرون الخالية كالمصريين والبابليين واليونانيين وغيرهم محرومة من هذا النظام وكانوا يجدون صعوبة في اجراء الاعمال الحسابية حتى ان عمليتي الضرب والقسمة كانتا تقتضيان جهداً كبيراً ووقتاً طويلاً . ولو قدّر لاحد علماء اليونان من الرياضيين ان يُبعث فقد يعجب من كل شيء ولكن عجبهُ يكون على اشده اذ يرى ان اكثر سكان الاقطار في اوربا واميركا يتقنون عمليتي الضرب والقسمة ويجرونهما بسرعة ومن دون عناء

ولما نهض العرب نهضتهم العجيبة ودوّخوا اكثر اقطار المعمورة اتصلوا بالهند فاقتبسوا فيما اقتبسوهُ منها الارقام الهندية ، وقد قدروا النظام الترقيمي عندهم (عند الهنود) ففضلوه على حساب الجمّل الذي كانوا يستعملونهُ قبلاً . ومن الغريب ان في بلاد الهند اشكالاً متنوعة ومختلفة للارقام ،

ولكن العرب بعد ان اطلعوا على اكثر هذه الاشكال كوّنوا منها سلسلتين عرفت احداها باسم (الارقام الهندية) وعرفت الثانية باسم (الارقام الغبارية) . ففي بغداد والجانب الشرقي من العالم الاسلامي عمَّ استعمال الاولى اي الارقام الهندية وهي التي لا تزال شائعة ومستعملة في بلادنا . وشاع استعمال الثانية اي الارقام الغبارية في القسم الغربي — في الاندلس وافريقية والمغرب الاقصى — وهذه الارقام هي المستعملة الآن في اوربا وهي المعروفة باسم الارقام العربية (Arabic Numerals) ولم يتمكن الاوربيون من استعمال هذه الارقام في الاعمال الحسابية الاَّ بعد انقضاء قرون عديدة من اطلاعهم عليها اي انهُ لم يعم استعمالها في اوربا والعالم الاَّ بعد انتهاء القرن السادس عشر للميلاد

ولم يفطن احد قبل الهنود لاستعمال « الصفر » في المنازل الخالية من الارقام ، وقد اطلقوا عليهِ لفظة « سونيا » ومعناها « فراغ » . واستعملوا النقطة (.) كعلامة للصفر وقد اخذها العرب عنهم واستعملوها في معاملاتهم . ويقال ان الهنود لم يلبثوا ان عدلوا عن استعمال النقطة واخذوا يكتبون الصفر بصورة دائرة

﴿ فوائد الصفر ﴾ مما لا جدال فيهِ ان نظام الترقيم الذي نعرفه الآن والمنتشر بين اكثر امم الارض هو من المخترعات الاساسية القيمة ذات الفوائد الجلَّى التي توصل اليها العقل البشري . وهذه الطريقة لم تنحصر (كما لا يخفى في تسهيل) الترقيم وحده بل تعدَّتهُ الى تسهيل جميع اعمال الحساب . ولولا هذا النظام لما رأينا سهولة في الاعمال الحسابية ولاحتاج المرء الى استعمال طرق عويصة وملتوية لاجراء الضرب والقسمة . ومما لا شك فيهِ ايضاً انه لولا الصفر واستعماله في الترقيم لما فاقت الارقام العربية والهندية غيرها من الارقام ولما كان لها اية ميزة ، بل لما فضلتهما الامم المختلفة على الانظمة الاخرى المستعملة في الترقيم . والنظام المستعمل والشائع الآن يقضي بجعل قيمة الرقم تتغير بتغير منزلته اي انهم اوجدوا منازل للارقام تكسب الرقم الواحد قيماً مختلفة اذا نقل من منزلة الى اخرى ، فالرقم الذي على اليمين يدلّ على الآحاد والذي يليه على العشرات والذي يليه على المئات وهكذا . . . واذا اردنا ان نكتب العدد (ثلاثة واربعين) فاننا نضع الثلاثة في المنزلة الاولى اي منزلة الآحاد والاربعة في المنزلة الثانية اي منزلة العشرات وتكتب هكذا (٤٣) وهنا نجد ان الثلاثة دفعت الاربعة الى المنزلة الثانية الى اليسار واعطتها قيمة اربعين . ولكن اذا اردنا ان نكتب بالرقم العدد (اربعين) فمعنى ذلك انهُ علينا ان نجد رقماً يدفع الاربعة الى المنزلة الثانية الى اليسار وبذات الوقت لا يزيد في المجموع شيئاً ومن هنا استعمل الصفر ووضع علماء الهند علامة لهُ لتملأ المرتبة الخالية فجاءت مكملة لطريقة كتابة الأعداد بالارقام

وللصفر فوائد اخرى هي من عظم الشأن في مكان عظيم لا يقل خطرها عن التي ألمحنا اليها ، فلولاها لما استطعنا ان نحل كثيراً من المعادلات الرياضية من مختلف الدرجات بالسهولة التي نحلها بها الآن ، ويمكن القول بأن الرسم البياني لم يتقدم خطواته الواسعة الاَّ باستعمال الصفر ، والرسم

البياني من أهم بحوث الرياضيات وعليهِ ترتكز الهندسة التحليلية وحلول كثير من المعادلات الصعبة بل هو الركن الاساسي للموضوعات التي تحتاج الى استعمال علم الاحصاء . وهل تقدمت المثلثات تقدمها المعروف الاَّ بمعادلاتها ؟ وهل يستطيع الرياضي ان يتقدم خطوة في حلها الاَّ اذا استعمل اشارة « الصفر » ؟

قد يدهش القارىء اذا قلنا ان حساب التمام والتفاضل لا يستغني في بحوثه عن استعمال الصفر ، بل ان الصفر عامل مهم جدًّا في تسهيل حلّ كثير من مسائله العويصة الصعبة . وعلى كل يمكن القول بأن « الصفر » ضروري ولازم في البحوث الرياضية الحديثة والعالية اذ جعل كثيراً من الاوضاع والمعادلات قابلة للحل غير ملتوية المسالك يمكن الاخذ بها والاستفادة منها واستعمالها في فروع المعرفة من فلك وطبيعة وكيمياء وهندسة وما يتعلق بهذه من صناعة وفن

﴿ علاقة (الصفر) بالمدنية ﴾ ألا تشاركني أيها القارىء في الاعجاب بالارقام التي نستعملها ويستعملها الاوربيون وبالنظام الذي يستولى عليها ؟ أليس عجيباً ومثيراً للدهشة ان لا تجد اقل صعوبة في كتابة اي عدد شئت (مهما كان كبيراً) من ارقام لا يتجاوز عددها عدد الاصابع ؟ ألا ترى معي ان هذه الارقام العجيبة قد سهلت الاعمال الحسابية كثيراً ؟ ألا تعتقد انهُ لولاها لما تقدمت المعاملات التجارية تقدمها الحاضر ؟ ولولاها ايضاً لوجدنا صعوبة كبيرة جدًّا في اجراء أبسط الاعمال في الضرب والقسمة ؟

ارجح ان كل هـذا معروف لديك وتوافقني عليه ولكن قد يزيد عجبك اذا علمت ان اشارة «الصفر» هي التي اوجدت اكثر التسهيلات التي تراها في الترقيم وهي التي اعطت بعض الخصائص الممتازة للارقام . لقد ظهر لك من هذا المقال المقام العالي الذي يشغله (الصفر) في البحوث الرياضية وانهُ عاملٌ مهمٌ في ترقيتها وفي تسهيل الصعب منها . ولا نكون مبالغين اذا قلنا انهُ لولا الصفر لما تقدم العلماء تقدمهم الغريب في العلوم الرياضيه . وهنا قد يحلو للبعض ان يسأل ويقول : قد يكون للصفر هذا المقام في الرياضيات وقد يكون له هذا الاثر الكبير في ارتقائها ، ولكن ما علاقة ذلك بالمدنية؟ وهل المدنية تقوم على الرياضيات ؟

وجواباً عن هذا السؤال ليسمح لنا القارىء ان نعطي الجواب اولاً فنقول : نعم . ان المدنية في أساسها وجوهرها ترتكز على العلوم الرياضية . ونسأله الآن ان يتمهل وان لا يرمينا بالتسرع قبل قراءة بقية المقال فالامل وطيد بأنهُ سيجد فيهِ ما يحقق قولنا وقد يوافقنا عليه ويشاطرنا الرأي فيهِ ، ونرجو ان نخرج واياه من هذا الحوار متفقين راضيين بالنتائج التي توصلنا اليها

ان كل فرع من فروع المعرفة يتقدم ويتناول التغيير والتبديل وكلما اقترب هذا الفرع من الارقام زاد دقة في التعبير ونحا نحو الكمال ونحو الذروة من الحقيقة . قال كانت Kant « يكون العلم دقيقاً اذا استعمل العلوم الرياضية في بحوثه » ولم يستطع العلماء ان يستفيدوا من بحوث الضوء

ومن انكسار النور الاَّ بعد ان افرغوا قوانين الانكسار في قالب رياضي وبذلك استطاعوا ان يستعينوا بالمعادلات والارقام في العدسات التي تستعمل لاصلاح عيوب العين . ان علمي الفلك والفيزياء وصلا الى درجة كبيرة من الدقة والكمال ، وما ذلك الاَّ بفضل الارقام والمعادلات . جرّد هذين العلمين من رياضياتهما بل جرّد الكيمياء الحديثة من معادلاتها وقوانينها وحينئذٍ لا يبقى الاَّ تعريفات ومبادىء لا يمكنك ولا بحال من الاحوال ان تستفيد منها او ان تطبقها فيما يعود على البشرية بالنفع والخير . ولن يستطيع العالم مهما كان قوي العقل خصب الفكر ان يقف على اسرار الطبيعة والكون ولن يستطيع الغوص في بحارها ليقف على كنوزها وعجائبهما ، الاَّ اذا المَّ بالرياضيات وكانت عنده خبرة بها ؛ وان الكيمياء الحديثة لفي حاجة الى الرياضيات حاجتها الى التجربة والاختبار وناهيك بالكيمياء فهي الاساس الذي شيّد عليه صرح الصناعة في هذا القرن وازدهرت هذا الازدهار العجيب . ان هذا العصر لهو عصر الهندسة وعصر الآلة وكل هذه في حاجة الى الرياضيات ، ولا يمكن الاستفادة منها او تطبيقها على مقتضيات العمران الاَّ بذلك . قال البروفسور فوس Voss « ان مدنيتنا التي ترتكز على الاستفادة من الطبيعة والسيطرة على عناصرها مبنية على اسس العلوم الرياضية » . فالهندسة وأنواعها والملاحة والصناعة كل هذه تحتاج الى الرياضيات ولا يمكنها ان تستغني عنها ؛ بل ان اسس انشائها تقوم على الارقام والمعادلات . وما يقال عن هذه العلوم يمكن ان يقال عن علوم اخرى الى حدٍ ما : فان هذه كلما تقدمت وكلما استطاعت ان تدخل الارقام في بحوثها تقترب من الدقة والكمال . فالعلوم على اختلافها اذا اقتربت من الكمال فانها لا بدَّ محلقة في سماء العلوم الرياضية وفي جوّ من الارقام والمعادلات

من هنا تظهر لنا الفوائد التي تجنيها المدنية من العلوم الرياضية ومن استعمالها في العلوم والفنون الاخرى ، وقد ظهر ايضاً كيف ان الحضارة الصناعية مبنية على اسس من الارقام والمعادلات وقد سبق ان ابنّا مكانة الصفر في العلوم الرياضية وفضله في تسهيل المسائل والاعمال ، ومن هذه النقطة يتبين للباحث فضل الصفر على المدنية والصناعة

***

وقبل الختام اود ان اوجّه نظر القارىء الى اني أخشى ان يساء فهم هذا المقال فيظن ان الصفر هو الكل في الكل في العلوم الرياضية وبالتالي في المدنية ، ومع استبعادي لذلك ارغب في القول بأن الصفر (ولا شك) عامل مهم في البحوث الرياضية لا يستغنى عنه وهو لازم وضروري لها ولتسهيل المعاملات والاعمال الحسابية ، وينتج من ذلك الى انهُ عامل مهمٌّ في الصناعة والاعمال الانشائية التي تحتاج الى استعمال الارقام والمعادلات . فأعجب لصفر يشغل هذا المقام السامي وتجني منه الحضارة فوائد هي على اعظم جانب من خطر الشأن

معجزات الكهارب

مستنبطات جديدة في الدقائق الكهربائية

تبين مبلغ سيطرة القوة الكهربائية على المعيشة الانسانية

لعوض جندي

يستفاد من احدث الانباء التي وردت على الدوائر العلمية في اوربا وأمريكا ان روّاد العلم القائمين بالمباحث في احد ميادينه العجيبة قد استنبطوا حقائق جليلة مدهشة اذ تبينوا اسباب وقوف السيارات في طرقها، وتعطلها بلا علة ظاهرة . وعرفوا كنه استنبات البذور في تربتها، وادركوا طريقة تفقس البيض، وفهموا سرّ الراديو وغيره من الظواهر الطبيعية المحيطة بنا حتى اسباب ما يشعر به الانسان من سرّاء وضرّاء عند قيامه من نومه . فصاروا يعزون تلك الحوادث الى المقذوفات الكهربائية الخفية التي تسدّد الينا من ارجاء الكون . وقد اضافت حديثاً المختبرات العلمية في شتى البلدان، معارف جديدة الى الحقائق المعروفة الخاصة بالعمل السحري الذي تعمله القوة الكهربائية التي في الاجواء

ففي ايطاليا مثلاً، قام احد العلماء باطلاق امواج كهربائية في الجوّ فغيَّر بها نظام الوراثة في النباتات . ونبغ في هولندا عالم آخر يقتل البكتيريا بالامواج الكهربائية فاستطاع درء الفساد عن الاغذية البشرية . وتمكن عالم غيرهما في المانيا من الفوز بنتائج مدهشة بكهربة الهواء في حجر المستشفيات . واتيح في الولايات المتحدة لجراحيْن من نطاسيّيها كشف حقيقة علمية جديدة، وهي ان القذائف الكهربائية الدقيقة ضرورية لادمغة الناس وأبدانهم

ولعلَّهم يهتدون بمباحثهم في الارياح الكهربائية والعواصف المغناطيسية والدخان الشمسي والغبار الكهربائي، الى حل الغاز الطبيعة التي التبست عليهم من قديم الازمان . وغدا كثيرون من العلماء يعتقدون ان تفسير الالغاز الطبيعية التي بين ظهرانينا، والوقوف على اسرار الحياة والوراثة والموت، كلها كامنة في الدقائق المشحونة بالكهربائية . وانه ليس في ميادين المباحث العصرية ما يماثلها في اسرارها العجيبة وفيما ينتظر ان تأتينا به من الخيرات العميمة

سر وقوف السيارات وتعطل الطيارات

كان رتل من السيارات مؤلف من مائة سيارة ونيف سائراً منذ عهد قريب بين مدينتين في امريكا فهبَّت عليه ريح هوجاء اثارت الرمال فملأت الجو حول السيارات غباراً . فأخذت محركاتها

تقف بغتة بلا سبب جلي . فكنت ترى حينئذٍ السيارات كلها معطلة وجميع سائقيها منهمكين في ادارة مقوّماتها عبثاً ، وهم لا يدركون علة تعطل المحركات . وظلوا على تلك الحال حتى سكنت الريح فجملت المحركات تدور فاستأنفت السيارات سيرها ففطن السائقون الى ان قوة خفية كانت العاصفة مثارها ، عطلت اجهزة اشعال البنزين في محركات السيارات تعطيلاً وقتيًّا

فكان ذلك الحادث الغامض مدعاة لتذكر الباحثين ما اشيع في خلال الحرب العالمية بشأن شماعة مبهمة كانت تستعمل وقتئذٍ لوقف محركات الطيارات واسقاطها . فاعلن عالم نمسوي منذ بضعة اسابيع انهُ اخترع جهازاً من هذا الطراز تنطلق منهُ في الجو امواج كهربائية قصيرة جدًّا فتعطل اجهزة اشتعال البنزين في محركات الطيارات وهي طائرة

اذن يتسنى للباحث ان يفقه سرّ تعطل السيارات في ذلك الرتل الاميركي من استنباط جديد استنبطه العلماء في كثير من انحاء العالم . وهو ان عواصف الرمال تولد دائماً قوة كهربائية . وقد تكون تلك الدقائق الكهربائية (الايونات) إما موجبة واما سالبة . ويتوقف ذلك على نوع التركيب الكيماوي للرمل والغبار في الجهة التي يقع فيها الحادث . ففي جنوب افريقية حيث يكثر البلور الصخري ، تكون الدقائق الكهربائية دائماً موجبة . وفي انكلترا حيث يجزلُ حجر البلاط تتشبع الارياح الهوج التي تثور على الطرق المطروقة جدًّا بالسيارات، بمقذوفات من الكهربائية السلبية

وفي كليفورنيا عالم شاب هو (ريتشارد ڤولرات) اخترع جهازاً بديعاً لتوليد زوابع الرمال مطبقاً العلم على العمل ، فصار في وسعه اثارة رياح مشبعة بالغبار في انابيب من النحاس الاحمر تولد قوة كهربائية تدخر في كرة معدنية ضخمة قد تبلغ ٢٦٠٠٠٠ ڤولط كما ثبت في احدى التجارب

وفي فصل الربيع الماضي قامت دائرة المقاييس في وشنطون بتجارب تبينت بها مبلغ تأثير القوة الكهربائية الجوية في محركات السيارات اذ شحن الهواء الذي ادخل في منفذ جهاز (مزج الهواء بالبنزين) بعدة دقائق مكهربة مختلفة محشودة بعضها مع بعض ، فكانت قوة محرك السيارة تختلف باختلاف عدد تلك الدقائق المكهربة

﴿ الكلف الشمسية والراديو ﴾

ويرى الخبيرون ان السنة الحالية اصلح ما يكون لسماع الراديو منذ سنة ١٩٢٣ لاننا نستطيع سماع الاشارات من ابعد المسافات اشد وضوحاً وانتظاماً منها في السنين العشر الماضية . وسبب ذلك ان التقلبات الحاصلة في الكهربائية الجوية طفيفة لضؤولة الكلف الشمسية . والمعروف ان الكلف بمثابة براكين من الغاز الناري على وجه الشمس ، يزيد عددها او ينقص في ادوار زمنية منتظمة يبلغ كل منها احدى عشرة سنة . وهي الآن في احط دركاتها . اما في السنوات الخمس المقبلة فسيحتشد على وجه الشمس عدد من الكلف يزيد شيئاً فشيئاً حتى يبلغ غايته نحو سنة ١٩٣٩ ثم

يأخذ في التناقص حتى يختفي بتة سنة ١٩٤٥ وحينئذٍ ينتهي دور آخر من ادوار الكلف الشمسية

وفي السنين السبع الغابرة قام عالم فلكي ومهندس من المشهورين بمباحث توخيا بها التبحر في درس علاقة الكلف الشمسية بالراديو . وهما الدكتور هارلان . ت . ستتسون مدير مرصد پركنز والدكتور جرينليف پكرَد الذي يعد من اقطاب امريكا الذين اشتغلوا بنقل الحديث بالامواج الكهربائية . فكان الدكتور ستتسون يرصد ويصور الكلف الشمسية يوماً فيوماً ، بينما كان زميله يرقب التقلبات التي كانت تحدث في ذلك الحين في قوة امواج الراديو التي كانت تجيء من محطات الاذاعة القاصية

ولما تضاعف عدد الكلف الشمسية في سنوات ١٩٢٦ ، ١٩٢٧ ، ١٩٢٨ كانت اشارات الراديو تضعف شيئاً فشيئاً . ولكن من سنة ١٩٢٩ فصاعداً حينما نقص عدد الكلف الشمسية ، اشتدت اشارات الراديو . فعلل العلماء ذلك بأن الغلاف الضخم المؤلف من الدقائق المكهربة الذي يحفُّ بالارض (وهو المعروف بطبقة كينلي وهيفسيد — نسبة الى العالمين اللذين استنبطاهُ) يتأثر بالتقلبات التي تحدث في الشمس . لأن الشمس تقذف الارض بفيض من الدقائق الكهربائية كالذي ينبعث من انابيب الاشعة السلبية الضخمة . ومتى صدمت تلك الدقائق الغلاف الجوي ، مزقت دقائقه وجعلتها ذات كهربائية ايجابية او سلبية ، فيقوم (ذلك الغلاف المكوَّن من الدقائق المكهربة والذي يعلو عن سطح الارض نحو ٧٠ ميلاً) مقام مرآة ضخمة تعكس او تردُّ امواج الراديو المتجهة نحو الجو الى الارض ثانية . ومتى انعكست الامواج او ارتدت بفعل ذلك الغلاف المكون من الذرات الكهربائية ، استطاعت قطع المسافات البعيدة والدوران حول الارض . وتتوقف درجة تكهرب ذلك الغلاف على مبلغ قوة الشمس . فان كانت شديدة جدًّا ، اي حينما تكون ذات كلف كثيرة جدًّا ، انطلق منها اكبر عدد من الكهارب فيزداد تكهرب تلك الطبقة ودنوها من الارض فتردّ امواج الراديو بعنف اشد من ردّها الاول وتقصّر المسافة التي تقطعها. ومن جهة اخرى فان اي نقص في قوة الشمس يقلل من تكهرب الطبقة الهيفسيدية ويفككها ويرفعها فيكون ردُّها للامواج اضعف من ردّها السابق وتضطرها الى قطع مسافات ابعد على سطح الارض. وبهذه الوسيلة يكون تمدد وتقلص ذلك العاكس الممثل في الغلاف المحيط بالارض مسيطراً على المسافة التي تقطعها امواج الراديو

وقد قرر الدكتور ستتسون ان القمر (كالشمس) يؤثر تأثيراً محدوداً في تلقي الراديو ، فقد اتضح له بتحليل اشارات اذيعت بالراديو بين مدينتي شيكاغو وبوسطن ، ان قوتها زادت حينما غار القمر تحت الافق، ونقصت عند ارتفاعه الى السمت ، وهو يعتقد ان هذا ينشأ من اشعة الراديوم التي تشع من القمر فتميل الى دفع الغلاف السابق الذكر الى اسفل حينما يرتفع القمر ارتفاعاً عموديًّا فتقلل بذلك المسافة التي تستطيع امواج الراديو قطعها

﴿ مصادر القذائف الكهربائية ﴾

والواقع ان في كل جانب من جوانب الكون قذائف كهربائية دقيقة — بعضها سابح في الهواء وبعضها منبثق من الشمس مخترق اجسامنا ، والبعض كمين في المواد التي نتغذّى بها . ولكننا لم نعرف كثيراً بشأن تلك الدقائق الكهربائية الخفية الاّ منذ بضع سنين

والمعروف انها تكون اولاً ذرات ثمّ ينزع منها كهرب من كهاربها . ففي الايام المصحية يكون الهواء مشبعاً بالدقائق الكهربائية اكثر منها في الايام الغائمة . وكذلك في الايام الدفيئة اكثر منها في الباردة . وايضاً في الايام الصافية اكثر منها في الايام التي يكدر جوّها الدخان . ويختلف عدد الدقائق الكهربائية الجوية (الايونات) من ساعة الى اخرى بل من دقيقة الى دقيقة . ويحدث التغير طبقاً للجزر والمدّ في الحرب العوان الخفية الدائرة حولنا على الدوام . ونعني بها النزاع الحاصل بين القوات التي تخلق الدقائق الكهربائية والقوات التي تبيدها . فالقوى التي تولّد الايونات هي الاشعة الكونية التي تصل الينا من الفضاء الخارجي ، والاشعاع الصادر من الشمس ، وتأثير المواد المشعة مثل الراديوم فوق سطح الارض وتحت سطحها

ينبعث من الشمس مقادير جزيلة من الدقائق المتناهية في الصغر المشحونة بالقوة الكهربائية . وبعض العلماء يسمي تلك الكتلة المتحركة ، « الدخان الشمسي » . فاذا دنا منّا ذلك المجرى المؤلف من الدقائق المشحونة بالكهربائية أصبح تحت سيطرة المجال المغنطيسي الارضي ، وانشطر شطران يتجه كل منهما نحو قطب من قطبي المغناطيس . ومتى وصل الى الجو الخارجي للاقطار القطبية فكثيراً ما تصطدم الدقائق بجزيئات الهواء فتتمزّق فيتولد منها ظاهرة جميلة تعرف باسم نور الشفق . وتظل الدقائق المتمزقة معلقة في طبقات الهواء العليا فتقوم مقام نواة لتكوين السحب الرقيقة المرتفعة وتسمّى بالعربية الفصيحة القَزَعُ

ثم ان الشلالات مصانع تصنع فيها الايونات ، ومنها شلال نياجرا الذي تشبع مياهه بكهربائية ايجابية والهواء المحيط بهِ بكهربائية سلبية . حيث تتولد من رشاش الماء دقائق كهربائية ايضاً . والغريب في هذا الموضوع ان رشاش الماء الملح يشبع الهواءَ المحدق بهِ بدقائق ايجابية على حين ان المياه العذبة تشبعه بدقائق سلبية . وقطرات المطر الكبيرة تصير مشبعة بكهربائية ايجابية متى تفرطحت وتفرقت بمقاومة الهواء . وفي السحب الشاهقة جدًّا تتكوّن دقائق اخرى بتأثير كهربائية الضوء في ابر الثلج . ويزداد عدد الدقائق بقرب الارض من الرياح التي تهب على سطوح الفلزات ونحوها

وقد بحث حديثاً المستر س . د . فلورا العالم الميتيرولوجي الاميركي تلك الرياح المكهربة فأدرك انها تلحق بالحقول في الفصول الجافة ، اضراراً شديدة في القمح وغيره من الحبوب . وتنمُّ عليها آثارها التي تخلفها كمناطق دكْن مستطيلة في حقول الحبوب

ولكن اشد العوامل في توليد الدقائق هي المواد المشعة التي في الارض لان عليها يتوقف نحو نصف كهربة الهواء . وتلك المواد كثيرة في الارض . اما القوى التي تقاوم تولد الايونات او تتلفها فأولاها اتحاد الدقائق الايجابية بالسلبية فتصير ذرات او جزيئات . والثانية تعلق الدقائق بسطوح الفلزات او السوائل حيث تلتصق بها التصاق الذباب بالورق اللزج

ونتيجة هذه المعركة الكونية لها مقام خاص اكبر مما كنا نظن الى عهد قريب . فقد دلَّت احدث المباحث على ان للقوة الكهربائية الجوية علاقة وثيقة بأحوالنا الصحية وامزجتنا . ومثال ذلك اننا نستيقظ من النوم في بعض الايام جذلين ، بينما نصحو في غيرها مغمومين ، ويعلل الخبيرون في الكهربائية الجوية معظم ذلك التباين بالاختلاف في مقدار الدقائق المشبع بها الهواء

﴿ تأثير الدقائق الكهربائية في حالتي الصحة والمرض ﴾

وبينما نحن نكتب هذه السطور تجرب تجربة علمية في هذا الموضوع في دار مؤلفة من عشر قاعات في مدينة شنيكتادى قد يكون لها نتائج بعيدة المدى ، حيث يقوم مهندسو الشركة الكهربائية العامة باختبار جهاز يدل على احوال الهواء ، من طراز جديد يسيطر على الكهربائية الجوية والحرارة والرطوبة ، مؤلف من آلات خاصة اخترعها الدكتور لويس ٠ كلر الموظف في معمل المباحث التابع للشركة المشار اليها ، تحصي الدقائق الكهربائية التي في الهواء وتتحكم فيها وتسجل في الحين نفسه تسجيلاً مدققاً مبلغ تأثير الكهربائية في سكان ذلك المختبر العلمي

وينتظر ان تلقي تلك التجارب ضوءًا على اللغز الذي حيَّر مهندسي الاقاليم الشرقية في الولايات المتحدة الذين عنوا من زمن غير بعيد بمسألة تجديد الهواء في البيوت . وبيان ذلك ان مدرسة من مدارس تلك الجهات جهزت بجهاز متقن يقوم بغسل حجرها وتدفئتها ، وترطيب هوائها فترتب على استخدامه استهداف التلاميذ للنوازل ، اكثر من قبل !! والجواب عن تلك الاحجية كما يرى بعض الخبراء . اختلاف عدد الدقائق الكهربائية المشبع بها الهواء . وقد أثبت ذلك بتجارب قاطعة مدهشة العلامة ف . دسويه F. Dessauer الاستاذ بجامعة فرنكفورت بألمانيا اذ برهن على ان للاختلاف السابق تأثيراً بليغاً في ابدان الناس

وشوهدت حوادث عجيبة في جبال الألب بسويسرا وهي ان قنن بعض هاتيك الجبال الشامخة يتفشى فيها مرض جبلي يتولد منهُ حمى وصداع وغثيان تستمر بضعة أيام ، على حين ان قمماً اخرى معادلة لها في ارتفاعها ، يندر فيها ذلك المرض . ويعلل العلماء اختلاف تينك الحالتين بتغاير مقدار الكهربائية الجوية في ذينك المكانين

ولقد كانت تلك المباحث مشجعةً للاستاذ على مواصلة مباحثه في مبلغ تأثير الكهربائية الجوية في الاجسام البشرية فاخترع جهازاً لتوليد الدقائق الكهربائية يملأ بهِ أية غرفة او اسطوانة بهواء

مشبع بأي مقدار يبغيه من الدقائق الكهربائية . فاستنتج من هذه التجربة ان الدقائق الايجابية هي مثار التعب والدوار والصداع وطنين الآذان دائماً ، والغثيان احياناً . اما الدقائق السلبية فهي مصدر الانشراح

وطبق الاستاذ دسويه تلك النتائج على علاج امراض مختلفة فنجح نجاحاً باهراً . فقرر انها تنجع في مداواة الربو (ضيق التنفس) والروماتيزم وضغط الدم والتهاب شعب الرئة وامراض الشرايين . وتبين من فحص ٢٠٠ اصابة من اصابات ضغط الدم ان ٨٠ ./. من المرضى قد استفادوا كثيراً من استنشاق الهواء المشبع بالدقائق الكهربائية بعد انقضاء عدة اسابيع . وظهر من بحث سجلات المصابين بالروماتزم ان صحتهم تحسنت تحسناً محدوداً باستنشاق الهواء المكهرب ايضاً

وأسفرت المباحث عرضاً عن تعليل لما كان معروفاً عن ان وخز الروماتيزم دليل على دنوّ عاصفة ! كما تبين للعلماء انهُ قبل انهمار المطر المصحوب برعد يكون الهواء القريب من الارض غاصًّا بمقدار خارق للعادة من الكهربائية الايجابية . وجهاز دسويه آنف الذكر يقذف ٢٠ مليوناً من الدقائق الكهربائية في كل سنتيمتر مكعب من الهواء . وهذا يفوق كثيراً ما تحشده الطبيعة في أية بقعة من بقاع العالم . وقد رُكّب أحد اجهزة دسويه في مستشفى بنيويورك وجهاز آخر في جامعة وسكنصن فأسفر استعمالهما عن نتائج تعزّز الامل الذي عقد عليهما

وفي جامعة هارفرد يقوم الدكتور ت . پ باجلو المعلم في مدرسة الصحة العمومية بسلسلة مباحث في الموضوع عينه ، وقد دلته مباحثه القيمة في هذا الباب على ان الدقائق السلبية ترطب الجسم في فصل الصيف . ثم عثر على لغز علمي آخر لم يتوصل الى حله للآن . اذ تحقق ان الدقائق الكهربائية في الغرف الخالية تكاد تكون مثلها في الخلاء . بيد انهُ حين يدخل الناس غرفة خالية ، يقل عدد الدقائق الكهربائية فيها ويظل قليلاً حتى يخرجوا منها فيصعد الى حالته الاصلية . ولكن لا يمكن تعليل ذلك بالقول ان الدقائق الكهربائية تمتص بالتنفس لان مقدار الهواء الذي يدخل الرئتين طفيف بالنسبة لما تشتمل عليهِ الغرفة

وربَّ سائل يقول : أين تذهب الدقائق الكهربائية ؟؟ وما سبب اختفائها . وما سبب عودتها ؟؟ والجواب عن تلك الاسئلة : ان العلماء في الكهربائية ما زالوا يبحثون عن تلك الاسباب ومسبباتها التي استعجمت عليهم حتى اليوم

﴿ الدقائق الكهربائية ينبوع الحياة ﴾

وكلما تعمق العلماء في البحث أيقنوا بوجود علاقة وثيقة بين الحياة البشرية والطاقة الكهربائية . وهذا هو الموضوع الجليل الذي اجله الجرّاح الكليفلندي المشهور ، الدكتور جورج هـ . كريل فقال « القوة الكهربائية تجعل شعلة الحياة البشرية تتلظى في الخلية »

ثم زاد الدكتور تشارلز هـ . مايو (وهو من أشهر الجراحين في مدينة روتشستر باقليم منيوستا) على ذلك الرأي قوله « ان القذائف الكهربائية الدقيقة من الضروريات التي يستعين بها المخ على القيام بوظيفته » وأيَّد قوله الدكتور واشبرن الاستاذ بجامعة سيراكيوز اذ ذكر من زمن قريب في خطاب القاهُ في جماعة تقدم العلوم الامريكية ان المباحث الحديثة ارشدتهُ الى الاعتقاد بان التعلّم « انما هو تنسيق الدقائق الكهربائية التي في ألياف اعصاب المخ في نماذج مختلفة »

***

وجاءَ من روسيا نبأ عظيم يدل على استخدام الدقائق الكهربائية في صنع الاطعمة . فقد منحت حكومة السوفييت احد العلماء ٥٠٠٠ ريال وهو الدكتور تشيزفيتزكي Chizevitsky لاستنباطه طريقة استخدام الدقائق الكهربائية في تعجيل نمو الدواجن . إذ ثبت له ان الدقائق الكهربائية السلبية اذا اضيفت الى الهواء في اكنان الدجاج افلحت الدواجن فلاحاً عجيباً وزاد ثقلها سريعاً وتحسنت صحتها واشتد نشاطها — وقد جرَّب ذلك في ١٠٠٠ دجاجة ثم تدرَّج منها الى كهربة هواء زرائب المواشي حيث تبرعت له الحكومة بمعمل كيماوي خاص لاجراء مباحثهِ العلمية

واتضح من مباحث أخرى ان النباتات تتأثر تأثر الحيوانات بالهواء المكهرب . فقد تحقق العالم الايطالي الدكتور . م ميزادرولي الذي يقوم بتجاربه بالتيارات الكهربائية السريعة التموج في مدينة بولونيا ، ان بعض البصل الذي يُعرَّض لتلك الموجة ثلاثين دقيقة كل يوم ، ينضج قبل غيره الذي ينمو نموًّا طبيعيًّا بعشرة ايام . وان البذور التي تطلق عليها الامواج الكهربائية كثيراً ما تتغير مزاياها الوراثية عند استنباتها . وثبت له بتجارب كهربائية اخرى ان دود القز يمكن تنشيطهُ في عمله اذا وضع في مجرى امواج لاسلكية طول الموجة منها متران

ولما كان دأب العلماءِ تلمس طرقهم ، اذا قصدوا البحث في مجاهل تلك الامواج الكهربائية السريعة التموج فانهم كثيراً ما يكتسبون ، اتفاقاً ، معلومات طريفة لم تكن تخطر على بالهم . والدليل على ذلك ان الدكتور ويليس هويتني الاميركي حينما كان يمتحن بعض الامتحانات الحديثة رأى الفئران تفقد ، أذنابها ، والذباب النائم في فصل الشتاءِ ينتعش اذا وقع تحت تأثير الامواج القصيرة السحرية . فوضع فأراً في مجال كهربائي حاد تشتد قوته شيئاً فشيئاً فارتفعت درجة حرارة جسمه حتى تجمد ذنبهُ وسقط دون ظهور اي انزعاج على الفأر . واسفرت تجربة اخرى عن كون ذباب الفاكهة الذي كان محبوساً في انبوب زجاجي ، حينما تعرض لمقذوفات باردة في درجة الصفر ، اخذ ينام كأنهُ في سبات فصل الشتاء . وحدث في اثناء توجيه الهواء البارد عليهِ ان سلطت عليهِ ايضاً الامواج الكهربائية اللاسلكية القصيرة فانتعش لأن الامواج دفَّأته داخل جسمهِ رغم ما كان يحيط بهِ من البرد الشديد !!

وقام العالم روبرت بيب Robert Pape في مدينة سوست بهولندا بكهربة الاغذية، فوضع بيضة مكهربة مكسورة في طبق وتركها في الهواء الطلق شهراً كاملاً فلم تمدر ولم تنتن . وذلك انها وضعت في مجال مغناطيس كهربائي بكيفية خاصة فوقاها الفساد على ذلك المنوال . وفي كلية التربية بمدينة اونتاريو من اعمال كندا قام العلماء بمباحث اخرى مدهشة في البيض فجاءوا بمفرخ ذي اسلاك وصفّوا فيه البيض صفوفاً مختلفة بين الواح معدنية بعضها مكهرب كهربائية سلبية والبعض مكهرب كهربائية ايجابية ، فنقف البيف نقفاً عجيباً وكانت هناك طائفة من البيض لم تتعرض للتأثير الكهربائي فسبقت في التفريخ ، وبعد ست وثلاثين ساعة نقفت جماعة اخرى كانت مصفوفة صفوفاً ، في زوايا قائمة مع الالواح الكهربائية . ثم تلتها ، جماعة اخرى ففقست بعد خمسة ايام (وهي التي كانت مصفوفة صفوفاً موازية للالواح المعدنية المكهربة) فتساءل الباحثون عن سبب تأخر التفريخ تبعاً لاختلاف وضع صفوف البيض ازاء الالواح المكهربة فلم يستطع احدهم الاجابة . وهم يحاولون ذلك الآن

﴿علاقة المغناطيسية والكهربائية والبراكين والزلازل بعضها ببعض﴾

والمعروف ان خطوطاً من القوة المغناطيسية تخترق الارض دون ان يشعر بها احد غير الآلات الدقيقة ، منبعثة من القطب المغناطيسي الشمالي الى القطب المغناطيسي الجنوبي وتلك الخطوط ذات القوة ، مارة في الهواء والارض وتتقلب تقلبات مختلفة طبقاً لقواعد قلَّ من يفهمها . وكل ما يعرف بشأنها انهُ من عشرين سنة قامت باخرة اسمها كارنيجي لا تقل شيئاً على الاطلاق من الفولاذ ولو مسماراً ، فأخذت تجوب البحار لكي تجمع المعلومات الخاصة بهاتيك الخطوط المرتبطة بالكهربائية الجوية ارتباطاً وثيقاً واستمرت تلك الباخرة الفذة قائمة بمهمتها حتى دمرتها النيران التي شبت من انفجار مستودع بنزين في غرب جزيرة ساموى في سنة ١٩٢٩ فأيقن العلماء ان المغناطيسية والكهربائية والبراكين والزلازل ، مرتبطة بعضها ببعض ، بروابط مافتئت مستغلقة عليهم جميعاً فاذا انفجر بركان مثلاً رأيت ابر الملاحة والبوصل في اجهزتها تهتز اهتزازات مغناطيسية ، ولو كانت تبعد عن مجال الهزات الارضية التي يحدثها وعدا ذلك فانهُ متى أخذت الحمم في البرودة تمغنطت ايجابيًّا او سلبيًّا بحسب اتجاه مجال الارض المغناطيسي في ذلك الحين

***

ويرى الدكتور ا . ج . فلمنج الموظف بمعهد كارنيجي أن البحث في طبقات الحمم القديمة يمكن العلماء من الوقوف على حقائق جديدة في تاريخ مغناطيسية الارض . واحدث جهاز يدل على دنو وقوع الزلازل هو الذي يجرب الآن في جمهورية شيلي بامريكا الجنوبية حيث تكاد تحدث زلازل صغيرة كل اسبوع . ومداره على اضطراب مغناطيسية الارض فيتخذها دليلاً على قرب وقوع الزلازل وفي مرصد الاحوال الجوية بمدينة سلتو في ذلك الاقليم شوهد ان الزلازل العنيفة كانت تسبقها

دائماً عواصف مغناطيسية في ذلك الصقع . وقد وضعت في المرصد آلات حساسة تسجل دقيقة فدقيقة تقلبات المغناطيسية الارضية ثم يذاع ما تسجله الآلات من الانذارات الخاصة بالزلازل ، مشفوعاً بتقارير الاحوال الجوية اليومية

﴿ كيف يستفيد الزراع بالعواصف الكهربائية ﴾

في الجهة الشرقية من الولايات المتحدة ينتفع الاهالي بالقوة الكهربائية الجوية انتفاعاً غريباً جداً وهو ان مربي الفطر تحققوا كون العاصفة الكهربائية يعقبها دائماً تعجيل نمو الفطر . ويظن ان الاوزون في الهواء ، وهو الذي يتولد في الجو عقب تألق البرق ، مصدر ذلك التأثير — فغدوا حينما يريدون انضاج منتجاتهم ، قبل اوانها لكي يبيعوها لمستهلكيها ، يديرون الآلات التي تطلق كهربائية احتكاكية في الهواء فيولدون بها حالات شبيهة بالاحوال التي تعقب وميض البرق

***

ويرى العلامة الطبيعي الاسوجي تادبرج ان البرق قد ينزل من السماء الى الارض سالكاً طريقاً عبَّدتهُ له الاشعة الكونية . وبناء على هذا الرأي تكهرب الاشعة الكونية الهواء في طريقها غير المعتاد فتقوم تلك الدقائق الكهربائية التي يتشبع بها الهواء مقام معابر تعبر عليها الصاعقة . ويقول احد مهندسي الشركة الكهربائية العامة في امريكا وهو المتخصص في مباحث البرق ان الصواعق التي تنقضُّ من الجو تضيف كل سنة الى التربة ما يقدر بنحو ١٠٠ مليون طن من النيتروجين

***

ومتى اخترقت تلك الكمية طبقات الهواء هذه ، واربعة اخماسها نيتروجين ، واستقرت على الارض ادمجت في تربتها مقادير كبيرة من تلك المواد الكيماوية الحيوية لنمو النباتات . وطالما خالج العلماء الشك في حوادث البرق الذي ينقضُّ من السماء على شكل كرات ، حتى تمكن عالمان في نبراسكا منذ بضعة اسابيع من مشاهدة تلك الظاهرة الطبيعية العجيبة حيث صوراها بالفوتوغرافيا صوراً بديعة اذ شاهدا الكرات البرقية في اثناء عواصف حادة تكاد تكون أرياحاً هوجاً . وقد وصفها احدهما المستر جورج رافانج الموظف بالمرصد الجوي في اقليم لينكون بالولايات المتحدة ، فقال انها بمثابة مجرى ناري يسيل من جوانب سحابة ساخنة لدرجة الغليان مشبعة بالغبار كأنها مياه تسيل من مصفاة فتتفرَّق بعد نزولها كرات شاذة الاشكال . اذن القوة الكهربائية بأشكالها المختلفة سواء كانت مسوقة بالرياح او عاملة في الهواء حولنا ، ستتبوأ سريعاً مكاناً رفيعاً خليقاً بها في علم الطبيعة . ومع ما بلغه العلماء في الزمن الاخير من التقدم في المباحث النظرية الخاصة بها ما برحت عالماً لا حدَّ لهُ في اعماله وغوامضه

[عن مجلة العلم العام بتصرف يسير]

مرض الجماد وتلقيحه ونموه

جرت العادة من قديم الزمان ان تقسم الاجسام الارضية الى حيوان ونبات وجماد . ومميزات كل قسم من هذه الاقسام الثلاثة واضحة جداً الاّ عند الحدّ الذي يدنو فيهِ القسم الواحد من الآخر فان انواع الحيوان الدنيا تلتبس بأنواع النبات العليا وانواع النبات الدنيا تلتبس بأنواع الجماد العليا حتى لقد يتعذر عد بعض الموجودات من الحيوان او من النبات او من الجماد

وزد على ذلك ان بعض الانواع العليا من الحيوان تظهر فيها خواص النبات كما ترى في تشعُّب المرجان والاسفنج وكثير غيرهما من الحيوانات البحرية التي تماثل النبات في نموها وتشعبها وكما ترى في الاشكال التي تتشكل بها بعض انواع الفراش والديدان حتى تماثل الازهار والاوراق والاغصان وكما ترى في النبات الحسّاس والنبات المفترس اللذين يتمثلان بالحيوان . وقد يظن لاول وهلة ان الجماد لايماثل الحيوان والنبات في شيء ولكن هذا غير الواقع فان بعضهُ يتبلور باشكال تشبه اشكال النبات واغرب من ذلك ان بعضهُ يمرض او تظهر فيهِ ظواهر مثل ظواهر المرض في الحيوان وبعضهُ يتغير من حالٍ الى اخرى اذا تلقّح وبعضه ينمو نموًّا محسوساً . واليك بيان ذلك :

﴿ مرض الجماد ﴾ ذكر ارسطوطاليس ان القصدير الذي يؤتى بهِ من بلاد السلت اسهل ذوباناً من الرصاص العادي بدليل انهُ يذوب في الماء ويذوب ايضاً اذا اشتدّ البرد وجلدت الارض . وقد أبان الاستاذ كوهن حديثاً انهُ اشتدّ البرد مرة في مدينة من مدن المانيا الشمالية وكان في كنيستها ارغن أنابيبهُ من القصدير فتخرقت من نفسها وصار قصديرها قصماً حول الخروق تفركه بيدك فيتحول الى مسحوق ناعم . وقيل ان البرد اشتدّ مرة في بطرسبرج وكان في دار جمركها قطع كبيرة من القصدير فتفتتت من نفسها

واذا اشتدّ البرد على القصدير ظهرت على وجههِ كلف كالحبوب والثآليل ثم جعلت تنتشر حتى تغطي وجههُ كلهُ ولذلك سميت بمرض القصدير او بوباء القصدير . ويستحيل القصدير بعد ذلك الى مسحوق وهذا المسحوق قصدير صرف اي انهُ ليس مثل صداءِ الحديد وزنجار النحاس مركباً من المعدن وعنصر آخر بل هو قصدير صرف ويستحيل الواحد الى الآخر عند الدرجة ١٨ بميزان الحرارة وذلك ليس شرطاً لازماً لان القصدير المعدني قد يبرد الى هذه الدرجة او ما تحتها ولا يمرض ولا يسحق . ولكن اذا ظهر فيهِ المرض ولو في بقعة صغيرة جدًّا امتدَّ حالاً وشمله كلهُ فهو كالمرض الذي يصيب الحيوان والنبات

﴿ تلقيح الجماد ﴾ المعروف ان الماء اذا برد الى درجة الصفر بميزان سنتغراد او ٣٢ بميزان فارنهيت جمد واستحال جليداً . ولكن يحدث كثيراً ان الماء يبرد الى الدرجة الرابعة او الخامسة تحت الصفر ولا يجمد وقد يمكن تبريده الى الدرجة العاشرة او العشرين تحت الصفر ولا يجمد بل يبقى سائلاً وذلك اذا كان موضوعاً في اناء زجاجي نظيف وكان سطحهُ مغطى بقليل من الزيت حتى لا يصل اليهِ الغبار من الهواءِ . ولكن اذا طرحت فيهِ حينئذٍ قطعة صغيرة من الجليد جمد كلهُ حالاً كأن تلك القطعة لقحته كما يلقح اللقاح البيضة في الحيوان والثمرة في النبات . ويحدث مثل ذلك في كثير من الجمادات كالصفور والحامض الكربوليك والثيمول . فاذا برد الثيمول الى الدرجة التي يجمد فيها ولم يحرك اناؤه ولا وقع فيهِ غبار بقي سائلاً واذا طرح فيهِ حينئذٍ بلورة صغيرة من الثيمول الجامد جمد كلهُ حالاً وتبلور . وكذلك خلات محلول الصوديوم يبرَّد الى ما تحت الدرجة التي تتبلور ثم تطرح فيهِ بلورة صغيرة من خلات الصوديوم فيتبلور كلهُ حالاً . اي ان القطعة الصغيرة التي تطرح في السائل المبرد تفعل فعل اللقاح في الحيوان والنبات

واغرب من ذلك ان تلقيح بيضة الحيوان قد يتم بفعل كيماوي مثل هذا كما ثبت حديثاً في بيوض بعض الحيوانات البحرية . ثم ان خلات الصوديوم الذي برّد كثيراً ولم يتبلور حالاً اذا وضع في غرفة سحق فيها شيءٌ قليل من بلوراتهِ بهاون كأن الذرّات الدقيقة التي تطير في الغرفة من خلات الصوديوم حين سحقهِ تكفي لتلقيح السائل المبرد كما ان لقاح السمك الذي يكون منتشراً في ماءِ البحر يكفي احياناً لتلقيح بيضهِ . والاقاح الذي تحمله الرياح اللواقح يكفي احياناً كثيرة لتلقيح النخل والصنوبر

وكما ان القليل من لقاح الحيوان والنبات يكفي لتلقيح ما كان من نوعهِ كذلك القليل جداً من لقاح الجماد يكفي لتلقيح ما كان من نوعهِ . فاذا لمست بلورة من بلورات الثيمول بشعرة من شعر رأسك ثم لمست بتلك الشعرة سائلاً مبرداً من الثيمول كفت لتلقيحهِ وبلورته مهما كان ما علق بها قليلاً

﴿ نمو الجماد ﴾ اما النمو فشامل لكل الاجسام التي تتبلور . ولكل نوع من البلورات درجة خاصة من النمو وشكل خاص . اذب ملح الطعام في قليل من الماءِ حتى يشبع منهُ ثم صبَّ من الماءِ على لوح من الزجاج وانظر اليهِ بعدسة مكبرة فتراه يتبلور بلورات مربعة قائمة الزوايا مجوفة في وسطها كأنها مركبة من طبقات متراكزة وتراها تنمو وتكبر امام عينيك . وقد حسبوا ان بلورات الصفور تنمو بسرعة مائتي قدم في الدقيقة وبلورات الجليد عند الدرجة ٢ تحت الصفر تنمو بسرعة ثماني عقد في الدقيقة . والغالب ان يكون نمو البلورات في الطبيعة بطيئاً جداً مثل نمو الحيوان بل ابطأ منهُ

وقد يتغير شكل البلورات من وقت الى آخر . مثال ذلك : ان بلورات الكبريت المصهور اذا برد رويداً رويداً تكون في اول الامر ابرية لامعة ثم يزول لمعانها وتستحيل الى اشكال معينة مما يدل على ان الجماد يتغير احياناً كما يتغير النبات والحيوان

كتاب الشيطان

تأليف امين الريحاني

يعنى الكاتب الكبير امين الريحاني ، بوضع كتاب يضمنه على لسان « الشيطان » لباب ما خبره من شؤون الافراد والامم ، مفرغاً في قالب من النقد والتهكم يغري بالقراءة ويحمل على التفكير والتأمل . والريحاني رحل مستقل التفكير ، ينشد الاصلاح وقد وعى من اخبار الامم وعبر التاريخ وحكمة المتقدمين والمتأخرين وآيات الادب القديم والحديث ، ما يجعل كلامه جديراً بكل عناية واحترام ، تشهد بذلك كتبه السائرة في اللغتين العربية والانكليزية . و« المقتطف » يسره ان يقدم الى قرائه هذا الفصل وهو الاول من « كتاب الشيطان »

..

كانت المدينة ملتحفةً بلحاف كثيف من الليل . وكانت ال « بُصّات[1] » التي لا تنام تسير الهوينا في تلك الساعة ، كأنها تمشي في حلم ، وتهدر ثم تئن كأنها الشبح في رواية همْلِتْ

ورأيت من نافذتي نوراً ضئيلاً متحركاً في المتحف البريطاني الذي كنت اسكن في جواره . رأيته ينتقل من دار الى دار في ذلك المتحف ، ورأيته يخرج من احدى نوافذه ، ويطفو بين البيوت وفوقها ، وهو يترجرج ويزداد ضياءً

رجعت تلك الليلة متأخراً من وليمة في النادي ، وكنت لا ازال افكر ، وأنا انظر الى المصباح الكهربائي خارجاً ، في كلمة قالها احد الاعضاء في ما للشيطان من الاثر الفعّال في تعقيد مشاكل العالم الحاضرة ، وخصوصاً منها المشاكل الجنسية بين الرجل والمرأة

ولكن ذلك النور شغلني وقطع عليّ فكري . رأيته يدنو من البيت الذي اقيم بهِ . فركت عيني وأنا اظنني في خدعة من خدعات البصر ، فكذّب النور ظني ، وهو يدنو مني . ها كه امام النافذة . ها كه في الغرفة . ها كه على الكرسي — يتجسم ويخيف

لست ممن تتراءى لهم الاشباح ، ولست ممن يخدعون بالخيالات . وما كان ما رأيت شبحاً او خيالاً . رأيت امامي رجلاً في ثوب « لندنيّ » انيق ، يجلس في ذلك الكرسي جلسة الزائر الكريم ، ويحيي ، ويده على رأسه ، تحيةً طيبة

(١) وأحدها بص اي سيارة كبيرة للنقل auto-bus

حاولت ان اخفي ما عراني من اضطراب ، وحاولت ان اجاريه في تأدُّبه فقلت : « وهل يتفضل سيدي فيزيدني علماً بشخصه الكريم »

فقال وهو يبتسم ابتسامة مؤنسة مغرية : « قد التقينا صدفة بضع مرات . انا الشيطان خادمك المطيع المخلص »

— « عجيب . وما الذي تبتغيه الآن مني ؟ »

— « سمعتك تناديني وتدعوني اليك »

— « ما دعوتك دعوة رسمية . انما كنت افكر فيك . وكنا في النادي ، هذه الليلة ، نتحدث بشأنك »

— « جميل منكم ذلك . فقد حان للناس وخصوصاً منهم المفكرين ، ان ينظروا اليَّ والى اعمالي نظرة عقلية صادقة حرة »

فقلت بشيء من العطف : « اظن ان اشغالك وهمومك كثيرة في هذه الايام »

فقال وهو يمكّن جلسته : « الهموم لا تهم . اما الاشغال فهي كما قلت . اننا نجتاز في هذا الزمان دوراً سريعاً خطيراً في التطور البشري . وترى الانسان لذلك مضطرب البال ، حائراً جزعاً . تراه ، وقد فقد الفطنة والشجاعة ، يعود الى الخرافات ، الدينية منها والسياسية ، ويعتصم بها . بل تراه يخبط في الدُّجى وهو لا يدري بما دخل عليه من وهن وفساد . ان الله نفسه مضطرب البال من اجله . فهو يود ان يظل الانسان جريئاً نشيطاً مقداماً ، فيماشي سنن الكون وسنن الحياة ، ولا يتقهقر ، ولا يهلع ، ولا يتكل كل الاتكال على القوى الالهية . وها هنا فسحة العمل ، عملي انا . إن عليَّ واجب التشجيع ، والتذكير ، والتحريض . وعليَّ ان اشعل في صدر الانسان نور الطموح كلما انطفأ ذلك النور . عليَّ انا ان اكمّل عمل الله فازيّن للانسان سبيل النشوء الدائم ، والارتقاء المستمر . عليَّ ان انبهُهُ ، واستفزهُ ، واحرضهُ ، واستغويهُ . وماذا يهم اذا خسر في طاعته لي معمل صابون ، او معمل اسلحة ؟ ماذا يهم اذا ذهبت في سبيلي الثروات والاساطيل والدول ؟ وما سبيلي غير سبيل رقيه وسعادته . فيجب عليَّ ان اساعده ليفهم ذلك ، وان استحثّهُ على العمل ، على السير ، على التصعيد في السبيل الاعلى . هذا هو شغلي . وما هو ، وحياتك ، بالشغل الهيّن الليّن »

***

عندئذٍ اخرج من جيبه كيساً وغليوناً ، فعبأ الغليون واشعله ، ثم قدم الكيس اليَّ قائلاً : « أتريد ان تجرب هذا التبغ ؟ » فملأت غليوني منهُ ، شاكراً لطف زائري ، وسألتهُ ان يستأنف الحديث ، فقال وهو يدخن :

« ان خصمي عالمٌ من الجمود والخرافات . وعليَّ ان اتغلب عليهِ . عليَّ ان احرّك كل جامدٍ في نفس

الانسان ، وفي روح الامم ، وان امحق كل اسباب السخافة ، وكل عوامل الفساد ، في حياة الانسان ، وحياة الامم . واني في عملي لجادٌّ ، واني فيه لمنتصر . فقد انتصرت حتى الآن في بضعة اماكن من هذا العالم المتألب عليَّ : في الصين ، في روسيا ، في تركيا قد انتصرت انتصاراً باهراً . وكان لي بعض النصر في اميركا التي بدأت تدرك شيئاً من اغراضي . اما النصر الاكبر فسيكون ها هنا في هذه الجزائر البريطانية . اقول — ولا عار — الحقيقة كلها . فقد انهزمتُ في هذه الجزائر مراراً في الماضي وسأفوز لذلك فوزاً باهراً في المستقبل — المستقبل القريب

« قد يُظن ان قوتي هي دون قوى الشعب الانكليزي . وقد يصدق الظن ظاهراً . ولكني في الحقيقة مستحوذ على المصادر الاولى لقواه : ان عقله وروحه في يدي . وهو يعلم ذلك ولا يجهر بهِ . واعجب من هذا انهُ يحاربني ظاهراً ، ويستعين سرًّا بي في حروبهِ الاخرى ... ان في مؤسسات الانكليز العقبة الكؤود . فلا طبيعية هي ، ولا قانونية . هي على ما يظهر مما وراء الطبيعة ، ومما دون القانون . تكاد تكون « متافيزيكية » لا جسم لها ، ولا روح ، مثل الشركات المالية والاحتكارية . تقاليد ونظم واصطلاحات ، وافانين في الاصطلاحات والنظم والتقاليد . وكلها لا ترى ، ولا تدرك في غير نتائجها — مثل الكهرباء . ولكنها لا تقوى عليَّ . اقول ، لا تقوى عليَّ . فقد يكون ركنها ، او احد اركانها ، في هذا البرلمان برلمانهم ، الشبيهة اعماله واقواله باعمال الرُسُل واقوالهم . تذكرني مناقشات البرلمان الانكليزي برسائل بولس الرسول . عقلٌ دقيق ، على حبل رقيق ، فوق وهدة عميقة تلذُّ لي مراقبته . وعندما يقع — وسيقع عاجلاً او آجلاً — اكون انا هناك للتأسية والنجاة »

***

وكان قد انطفأ غليونه ، فاشعلهُ ثانياً ، ثم قال : « وماذا تفعل انت في لندن ؟ » فقلت : « اني طالب علم . انشد المعرفة والحقيقة . ولا اكتمك اني مفتون بالانكليز . هم قوم اتقياء قديسون . او ان وجوههم ، في الاقل ، هي كوجوه القديسين ، كما قال شاعرهم الاكبر . واني اراهم في كل حال يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر . بل اراهم ينصرون المظلومين من الشعوب ، ويدافعون عن المغبونات من الامم »

— « لا تزال مخيلتك شرقية »

— « ولكنني روَّضتها في روضتين : روضة العلم لدروين ، وروضة الشك لهكسلي »

— « جميل ، جميل . انما استأذنك بكلمة : ارى ان الشك فيك دون العلم قوةً وسيراً . شكُّك كديش[1] — لا تؤاخذني — وعلمك جواد أصيل . ما لنا وهذا . وما لنا ورأيك بالانكليز . انما اقول لك — مستأذناً مستغفراً — انك تضيّع في لندن شيئاً كثيراً من وقتك ومن عواطفك . اراك تمشي في شارع پيكادلّي ، والسبحة بيدك ، كانك في رواق من اروقة الازهر . اراك تهيم على

(١) الكديش من الخيل غير الجواد الاصيل يمتهن بالركوب والحمل (محيط المحيط)

وجهك في هيدبرك ، وانت تنشد استعارة جديدة ، او قافية شريدة ، كأنك في بستان من بساتين دمشق . اراك تقف مأخوذاً في قلب المدينة ، بين البورص والبنك والسراي ، وتدوّن في مذكراتك ما تراه من قوة الامبراطورية البريطانية وعظمتها واراك معجباً حتى بالمهرجانات السبيانية التي يقيمونها باسم محافظ المدينة ، او باسم من حاول يوماً ان ينسف البرلمان . بل اراك ترد موارد المؤتمرات السياسية والاقتصادية والسلمية وتتمشى في ظلال التعريفات الجمركية والاعتزالات القومية ، فتردد صدى السفسطات السائرة ، والاضاليل الشائعة ، وتود ان تحمل منها الى الشرق رحمة ربه . ولكني رحمةً بك ، انبهك ، واحذرك . فانك مثل كل القوميين المفكرين تفكر نصف تفكير . بل تقف في التفكير عند الجانب الذي يفيدك او يفيد قومك ويضر الآخرين . واراك مأخوذاً بما يسمونهُ النجاح المادي ، فتقيم له تمثالاً . وما النجاح برب يُعبَد »

— « انهُ ليدهشني هذا القول منك . انت الشيطان تحمل على النجاح المادي ، بل على المدنية نفسها ، هذه المدنية التي كنت اظن انها من صنع يدك »

— « انك في بعض ظنك مصيب . انا لست ضد النجاح المادي . ولست خصماً للرفاه الاجتماعي انما انا خصم اولئك الذين يجعلون من ثمار المدنية إرثاً عائليًّا او وطنيًّا . اني خصم الرفاه المحصور ، والبؤس المشاع . اني ارى بعينيَّ الاثنتين . والناس لا يرون بغير العين الواحدة . وانت في هذا — لا تؤاخذني — من الناس . قد فقدت يا صديقي ، عيناً من عينيك ، وانا الآن اجيئك بها . انا الشيطان اعيد اليك عينك الاخرى . فهل تقبلها مني وتتبعني . هيابنا . سأفتح لك ابواباً من الآبنوس المرصع بالذهب ، فتدخل بها الى عالم قصي شقيء يدمي القلوب ويذيبها . البؤر — البؤر — بؤر الحياة — بؤر الوجود ، هذا ما يهمني الآن ويشغل بالي وقواي . بُؤرٌ تُرى ، وبؤر لا ترى . بُؤر تُذكر وبؤر يُعمَد ذكرها عيباً . بؤر روائحها من المجارير ، وبُؤر أريجها من القوارير ، وبُؤر عنوانها اليود والسلمرسان . لا تخف . لسنا سائرين الى حي الاشقياء ، او الى حي الاغنياء ، او الى مستوصف المدينة العام . انما نحن سائرون الى عالم آخر ، محبوسة فيهِ ارواح من يقيمون في مقاذر هذه الحياة : ارواح المخدوعين ، والمنبوذين ، والمقهورين ، والمصابين بالامراض الظاهرة والخفية . سأريك ضحايا السيارات البشرية كلها . سأريك الضحايا لما في العالم من القيود السياسية والدينية والاجتماعية ، فقد مررتَ امس ببعض آثارها في المتحف البريطاني ، ولكنك ما رأيتَ غير ما كان امامك في صناديق الزجاج »

— « وهل كنت أنت في المتحف ؟ »

— « نعم . كنت هناك . اني اتردد على المتحف لاغراض شتى — لأنعش ذاكرتي ، لاستوحي آثار اعمالي ، ولأستريح في بعض الاحايين من عناءِ الاشغال . وقد رأيتك في دير وستمنستر ، نعم ، اني ازور ايضاً ذلك الدير وازور كذلك بعض الكنائس ، كنيسة مار بولس العظيمة مثلا ،

وكنيسة مار بطرس العظمى . انما غرضي من هذه الزيارات غير اغراض الناس . غرضي في اللاهوت القديم الذي ينبغي ان يمحق ، ان يستأصل تماماً . وقد باشرنا العمل ، وتقدمنا فيه ، أفما سمعت الواعظ العصري يعظ ويحدث ؟ ان في لندن اسقفاً محبوباً محترماً من المفكرين والمفكرات ، المحررين والمحررات . فهل تعلم من اين تجيئه الآراء الجديدة ؟ هو نفسه لا يعلم . هيَّا بنا »

ما ترددت في مصاحبته . ولكني ، وأنا ألبس معطفي ، رغبت في قليل من ذلك الذي ينشط القلوب وينعشها . ورأيت من الواجب عليَّ ان اكرم زائري كما اكرمني ، فقلت . « وهل لك قبل ان نخرج من البيت ، بكأس من الوسكي ؟ » فقال : « لا بأس بالوسكي » وبين نحن نشرب الكأس الثانية قلت : « وهلاَّ تفضلت بالجواب عن سؤالك الاخير ، أنا لا اعلم . والاسقف نفسه ، كما قلتَ ، لا يعلم . فمن أين يا ترى تجيئه الآراء الجديدة ؟ »

***

فابتسم ابتسامته اللطيفة وقال : « اني ازوره عند ما يكتب فاجلس الى جانبه . وازوره عند ما يخطب فأقف وراءه في المنبر . لا اقول انهُ يبي كل ما اوحي بهِ اليهِ ، ولا اقول انهُ ينطق بكل ما أهمسه في قلبه . ولكنهُ باذلٌ جهده ، وجاهرٌ طاقته . فلا يلام في ما يفوته ، ولا في ما يتقيه . ان قلبه لفي المكان السليم . وهو مثل قلبي يذوب شفقةً وحناناً لدى مشاهدته الشقاء البشري . انما لا يمعن ، ولا يجرؤ ان يمعن في البحث عن الاسباب الاولية لذلك الشقاء . . . . ولا يزال الواعظ العصري مقيداً ببعض التقاليد في ما يتعلق بي او بعيداً عن الحقيقة في ما يعتقده روح الزمان . فأما أنهُ ينكر وجودي بتاتاً ، واما انهُ يتمسك بظنه اني عدو الانسان ، بل عدو العالم . هو لا يدرك ان حقيقة النشوء والارتقاء تشمل كل حي يُرى ولا يُرى في ذا الوجود بل هي تشمل الكون ، وأنا وأنت و لواعظ والضفدع من الكون وفيهِ . الوعاظ ، وان ادركوا هذه الحقيقة فانهم لا يجرؤون اليوم ان يجهروا بها من منابر كنائسهم

« أطلت الحديث . ولكني أقول لك — واسألك وانا اشرب هذه الكأس على صحتك ان تذكر كلامي — اقول لك ان البؤس والاحزان والآلام تخف رويداً رويداً لو كان الناس اعلم بي ، وادرك لحقيقة حالي . بل اقول اكثر من هذا . ان البؤس والاحزان والآلام تزول لو اعترف الناس بوجودي الاعلى ، وكانت لهم الجرأة ان ينصروني ويطيعوني . ولو فعل السياسيون ذلك لأفلحت مؤتمراتهم كلها . ولكن هذه المؤتمرات — مؤتمرات نزع السلاح ، ومؤتمرات السلام ، ومؤتمرات التعاون الاممي كلها لا تفيد اذا كان اربابها لا يصغون اليَّ . فيكفرون بتقاليدهم القديمة وقوانينهم السقيمة ، بل ينبذونها كلها . هي لديهم مقدسة . وهي في نظري وعلمي رأس الشرور وسبب الحروب ، ومصدر الآلام والاحزان . انا الشيطان اقول هذا وأنا الشيطان عامل عملي .

تلك الشرائع والتقاليد ، وتلك الانانيات الدولية ، اني ساع الى هدمها ومحقها لاستئصالها ولو تبعني واطاعني الناس لكنت اسرع عملي ، ولكانت الشعوب تفرض السلم فرضاً على الدول والحكومات اقول لو تبعني الناس لساد السلم ولساد العدل في العالم . خذ البرهان . انت شرقي. وأنت عالم بالعراق. وقد رأيت هناك طائفة من الاقدمين الصالحين ، وهم في الوداعة وكرم الاخلاق والمسالمة المثل الاعلى . هم من اتباعي . هم يعبدونني ، اجل يعبدون الشيطان . ولكنهم متقهقرون في أحوالهم الاجتماعية لأنهم اخطأوا الفهم والتفسير لوحيي . فقد اغرق اليزيديون في التعبُّد ، لحال ذلك دون تصعيدهم في سلم الارتقاء . انا لا اطلب العبادة ،ولا استحب التمجيد . اني انفر من الاثنين . ولا ارى في الهياكل والمعابد غير القيود التي تؤخر نمو الروح البشرية . ان رقي الانسان وسعادته لفي علمه وحريته . وأنا لا اطلب منهُ غير ان يعلم الحقيقة الشاملة المزدوجة ، ويعمل بعمله . هذا ما اريده منهُ ، وهذا ما يريده الله . انا والله . العفو ، العفو . ألله وأنا . ولا تعجبنَّ لهذا القران . اظنك تعلم اني كنت مرة فيخدمته تعالى .هي قصة قديمة لا فائدة من تردادها . انما اقول ان تعاوننا في الزمان الاول قد يجدد في هذا الزمان . عفوك . قد اطلت الحديث »

***

كنا قد وصلنا الى المتحف البريطاني ، فدخلنا من مكان لا يفتح كما علمت لغير رفيقي وصحبه وبينما كنا نجتاز ردهة الاواني الخزفية في القسم الاغريقي ، ورواق الآثار الاشورية ، حدثني الرفيق الدليل في موضوع فني اجتماعي جليل ، فتطرق الى الرموز ومقامها في حياة الانسان ، فأشار الى الصفة البارزة في الاناء الذي يدعى أمفورا — جرَّة — وفي الصفة السائدة في الاسد الاشوري المجنح . ثم قال : « الجمال والقوة ، لا قيمة للحياة تذكر بدونهما »

وسرنا بعد ذلك الى ردهة القراءة ، تلك الردهة المستديرة ، تحت القبة الكبيرة . فأومأ الرفيق الى القبة ، فاذا هي تنشق ، فتنشق ، حتى بدت السماء من الفرجة فيها . فقال وهو يبتسم ابتسامة مؤنسة مطمئنة : « هات يدك ، ولا تخف » ، ما خفت . وما دهشت ، ويده تضم يدي ، مما كان حتى من جرأتي . انما خيل اليَّ في البدء اني في سفح جبل . وكان الرفيق نفسه ذلك الجبل . بل كنت امامه ، وقد تمطى فلامس رأسه القبة ، كالقزم امام مارد من الجن . وظللت كذلك وأنا تارة على ركبته ، وطوراً على صدره ، حتى بلغت الكتف منهُ ، وأطللت على الفضاء ـ على النجوم

فشجعني بقوله ثانياً : « لا تخف » وكانت القبة قد انسدت تحتنا ، فعراني ، اذ قبض ثانياً على يدي ، شيءٌ من الخوف . ثم احسست ان قلبي سقط في لحظة من بين جنبي ، وان جسمي قُذف كالقنبلة في الفضاء

تناظر اللغة الصينية والعربية

للاب أنستاس ماري الكرملي

١ – ﴿ تمهيد ﴾ يقول اللغويون: نظرت الكلمة الفلانية الى الكلمة الفلانية. اذا اشبهتها او قابلتها. وتناظرت الكلمات: نظرت بعضها بعضاً. ونحن نريد ان نبين في المقال الآتي، ان في اللغة الصينية الفاظاً تشبه الحروف العربية. ولعلَّ ذلك كان منذ عهد الناس بوضع الكلم، ولا سيما القليلة الاحرف. وفي ما يلي بيان هذه الحقيقة

٢ – ﴿ كتاب حديث في تناظر اللغة الصينية لغيرها من اللغات ﴾ في نحو اواخر السنة الماضية، ألَّف احد الادباء الفرنسيين، وهو المسيو ميشيل هونوراة كتاباً بقطع الربع. قليل الصفحات سماه: « ايضاح قرابة اللغة الصينية مع اللغات اليافثية والسامية والحامية » وبالفرنسية:[1]

وقد قال المؤلف في صدر مقدمتهِ ما معناه: « تتصل اللغة الصينية كل الاتصال بلغات شعوب الغرب. تلك هي الحقيقة المدهشة

« وكيف ان الناس لم يلاحظوا ذلك قبل هذا الحين؟ فهذا ما لا أصل الى فهمهِ ابداً. والواقع بيِّن وادعهُ ينطق بنفسهِ. وشواهده واضحة بنفسها بنوع كاف » ثم قال في نحو اواخر مقدمتهِ المذكورة

« وانا ابحث في هذه الكراسة — وقد اختصرتها لغاية في النفس — عن ١٠٠ر١ كلمة صينية. واما ما بقي من الالفاظ الصينية فستكون موضوع كتاب آخر يظهر بعد هذا »

ومن بعد ان أتمَّ مقدمتهُ بما لا حاجة لنا الى استيعابهِ هنا، شرع في بحثهِ، وقد صوَّر كل كلمة صينية، بحرف افرنجي كبير يمتاز عن بقية اوضاع سائر اللغى. ورافقاً كل كلمة برقم. والظاهر من انعام النظر في ما سرده من الكلم، ان الرجل لا يحسن العربية احساناً يمكنهُ من مقابلة ما في لساننا العدناني، بما وجده في سائر الالسنة، ولو عرفها لذكر لكل كلمة صينية كلمة عربية. بخلاف ما ورد في باقي اللغات فانهُ ذكر للكلمة الصينية ما وجد منها في سائر الالسنة، من غير ان يكون هذا السرد متتابعاً في جميع الالفاظ. اما في لساننا فيكاد يجد القارىء لكل كلمة صينية حرفاً عربيّاً وانا اعالج الآن هذا الامر مبتدئاً بأول كلمة الى العاشرة، وهي كل ما جاء في الصفحة الاولى، ولا اريد ان امضي فيها قدماً الى آخر ما ورد في المصنف المذكور، لكي لا يمتدَّ بي النفس الى ما يحرج الصدور، ويدفعها الى السأم والملال

---

(1) Michel Honorat Démonstration de la parenté de la langue chinoise avec les langue Yaphétiques, Sémitiques et Chamitiques.—Paris—Librairie Orientaliste Paul Guthner 193

٣ – ﴿ كلمات صينية يقابلها الفاظ عربية ﴾ قبل ان ابدأ بالمقابلة اقول: لا حاجة لنا ان نرى الكلمة الصينية كما هي في العربية، بل ما يقاربها بالصوت والمعنى . وقد يقع في الكلمة العربية « قلب » اي ان تكون احرف الكلمة الواحدة موجودة في الكلمة الثانية لكن بترتيب آخر غير الترتيب الاول . وابتدأ المؤلف بالكلمة الصينية

١ – Mi, Mie قال : هي قريبة من الفرنسية Miel التي معناها العسل ولو صورت الفرنسية بأحرف عربية لقلنا : « مِلء » بكسر الميم فاذا قلبت صارت « لِمْء » «بكسر اللام . واللِمْء : العسل . وذكر من الالفاظ المقاربة ما جاء في الالمانية بمعنى العسل ، فقال Medu, Mido, Miod, Met وهذه تقرب من لفظتنا : «الماذِيّ» وهو العسل الابيض . واقول : ان الذي اراه ان الماذي وما يقاربهُ في الجرمانية والصقلبية والجرية مأخوذ من ماذية اي بلاد الماذيين La Médie وعسل هذه الديار الى يومنا هذا هو عسل ابيض بديع اللون . وقد رأيتهُ واكلت منهُ مراراً والمسيو هونوراة صاحب كتاب « الايضاح » لم يذكر من العربيتين كلمة واحدة ولا ذكر لنا رأيهُ في اصل كلمة « الماذيّ » عند بعض ابناء الغرب

٢ – Yen أي آلة البصر والبصر نفسهُ . وذكر مقارباً لها في الفرنسية Eil) ولو كان يعرف العربية لذكرها حالاً قبل سائر الكلم اي « عَيْن » فهي اقرب الى الصينية من جميع الالفاظ التي سردها

٣ – Mien ومعناها الوجه والهيئة والصورة وذكر لها في الفرنسية Mine ولم يذكر لها العربية « مِيلَة » بكسر الميم . وهي الهيئة

٤ – Tien ومعناها السماء والضوء . وذكر قريباً منها الجرمانية Ti, Tio ولم يعرف العربية «ضوء»

٤ً مكررة – Tsien, Tsin, Tsing اي الاسمانجوني او الازرق السماويّ . والحرفان المزدوجان الصينيان TS كثيراً ما يقابلها بالعربية حرف واحد . إذ قد يكون سيناً مهملة او شيناً معجمة او صاداً . وذكر المؤلف من الالفاظ المقاربة للصينية Tinte الجرمانية وقال معناها : حبر بنفسجي أسود – قلنا : فاذا كان الامر كذلك فما اقرب كلمة « الشامة » العربية من الصينية ومعناها : اثر سواد او زرقة غامقة في البدن

٥ – Lang, Long, Loh بمعنى الذئب . واهمّ حرف في مادة الكلمة الصينية هي اللام . وتكاد نرى في جميع اللغات الفرنسية والبريطونية والغالية والجرمانية واليونانية . وذكر المؤلف من نظائر الصينية الفرنسية Allan وقال معناها الكلب . وقال : Lain هو الشيطان في العربية . وفكرت طويلاً لاعرف هذه الكلمة العدنانية وما عسى ان تكون ، فاهتديت إليها في الآخر وانها « اللعين » – ولم يذكر من لغتنا غير هذه الكلمة . وكان في امكانهِ ان يقول مثلاً : اللعوة واللعاة وهي الكلبة – واللعْوس (كجعفر) : الذئب واللأى بالتحريك الثور الوحشي . او البقرة الوحشية . ومؤنثها اللآة كفتاة وعندنا ايضاً اللَّخا وهي الشاة لا يعتدّ بها في المعاملة

على ان الكلمة الحقيقية في لساننا للدلالة على الذئب والمجانسة لما في الالسنة غير السامية هي

اللعوس التي ذكرناها — واما «اللعين» التي ذكرها المؤلف بمعنى الشيطان فهي من المجاز لا من الوضع الحقيقي . ومع ذلك تراه ذكرها في معنى الذئب لانهُ يفترس النفوس ـ في نظره ـ لا لأنهُ ملعون ، فانظر الى هـذا التحكم في الاشتقاق وتقريب الالفاظ بعضها من بعض والتلاعب بها

٦ — Hen, Han هو البغضة وذكر المؤلف من متقابلاتها في سائر اللغات الفرنسية والانكليزية والبريطونية والعبرية ، ولم يذكر العربية وهي «العين» العَيْب والاصابة في العَيْن

٧ ـ Siw اي خاط وطرّز والابرة (اذا نقل الفعل نفسهُ وبصورتهِ الى الاسمية) وذكر لها المؤلف متناظرات في الهندية الفصحى والجرمانية واللاتينية اليونانية والاثوانية والصقلبية ولم يذكر لها مقابلاً في لغة من اللغات السامية ، مع انك تجد في العربية قولهم : جأى الثوب جأواً : خاطه وأصلحه . والفعل واويّ ويائي معاً

٨ — Ye : الليل وامسِ الدابر . وذكر لها الكاتب من النظائر في اللغات الكارلية والجرية والفنّوية والماناويّة والارلندية والفرنسية قال: ومنها في الفرنسية Jé, Jeais وقال : معدن غير لماع او Jé, Geai طائر اسود الى آخر ما قال . — قلنا : وفي لغتنا الهِيْر (بكسر الهاء ، والهِيْتَر بتاءٍ مثناة بعد الهاء في مكان المثناة التحتية) من الليل : النصف الاول منهُ ـ والهِنَاء : القطران . والهِنْء : الطائفة من الليل ، الى غير ما هناك من الالفاظ

٩ — Je وهي الشمس والنهار . وذكر لها اشباهاً ونظائر في اللغات الماناوية والروسية والبلغارية والفرنسية والكُرْنية . ولم يذكر كلمة واحدة من لغة سامية . فلا نعرف كيف يحاول ان يجد حروفاً سامية ليصحّح او يوجّه عنوان كتابهِ — وفي اللغة العدنانية : الجَوى ، ويراد بهِ الهوى الباطن ، والحزن ، والحُرْقة . والجُوَّة والجُؤْوَة : غبرة في حُمْرة . والجوْوَة :أرض غليظة في سواد

١٠ — Pang : الضخم الغليظ السمين . وذكر لها مقابلات في البريطونية والفرنسية واللاتينية ولم يذكر لها مشابهاً من اللغات السامية شيئاً . وفي لغتنا الفَخْم والضخْم ومعناها معروف . وعندنا ايضاً فعل « فقَم » . يقال : فقَم الاناء : امتلأ . وفقم مال فلان : نفد . وقيل : كثر ، ضد . وفقم الامر : فَقَماً (بالتحريك) ، وفَقْماً ، وفقوماً (كجلوس) لم يجرِ على استواءٍ و « عظم » . وأكل الرجل حتى فقِم (بكسر العين) اي حتى بَشِم . وفقُم (بضم العين) الامر : اي عظُم . فكل هذا مضارع لما ورد في الاصل الصيني وفي اصول بعض اللغات الغربية . ومع ذلك لا تجد ادنى أثر لما ذكرناه لك في كتاب المسيو هونوراة فلا جرم ان الرجل غير متضلّع من لغتنا ولا من اي لغة سامية . فالعنوان الذي اتخذه لكتابه اعظم من فحواه . ولعله اذا وقف على ما بيّناهُ هنا من الامثال يحدو به الى التحقيق اكثر مما فعل الى الآن . هذا ما اردنا اثباته هنا ، اظهاراً لعلوّ كعب لغتنا وانها تطلعنا على خفايا اللغات على اختلاف انواعها وعلى اختلاف الاقوام الذين ينطقون بها وهذا كاف لان نحافظ على كنوزنا اللغوية ونفاخر بها سائر الالسنة وعلمهُ فوق كل ذي علم

القضاء في السودان

لخليل الخوري
القاضي بمحاكم السودان سابقاً

القضاء الجنائي

منذ اواخر القرن الثامن عشر سادت في اوربا فكرة جمع الشرائع وتأليفها بشكل قوانين فوضع في اول الامر القانون المدني في فرنسا في سنة ١٧٩٣ قبل ظهور نابليون ولكن هذا القانون لم ينظم وينشر وينفذ حتى سنة ١٨٠٤ وفي ذلك الحين كانت تلك الحركة شاملة القارة كلها ففي انكلترا كان الفقيه العظيم جرمي بنتام يسعى الى تأليف الشرع الانكليزي وجمعه بشكل قوانين ولم تختلف في الحقيقة نظرياته عن نظريات الفقهاء الفرنسيين الاَّ انهُ كان مسوقاً ومسيراً بأصل المنفعة الذي جعله ركن الشرائع وركن جميع الاشياء . والفقهاء الفرنسيون جعلوا القانون الطبيعي الخيالي اصل الشرائع — اما بنتام فكان هدفهُ الاسمى اصلاح الشرائع وتسهيل فهمها على الناس ورأى في توحيدها وجمعها بشكل قوانين وسيلة لبلوغ ذلك الهدف — وعلى سبيل الذكر اقول ان بنتام هو صاحب كتاب اصول الشرائع المشهور الذي ترجم الى اللغة العربية المرحوم فتحي باشا زغلول — ثم حذا حذو بنتام الفقيه الانكليزي الكبير اوستن على ان الانكليز كانوا ولا يزالون يعافون جمع اصول الشرع المدني بشكل قانون لانهم يرون دون ذلك عقبات لا يستطاع تذليلها ويعتقدون ان في جمعه على تلك الصورة مساوي تربي على المنافع . على انهم لم يروا مناصاً من جمع اصول الشرائع الاخرى وقد اصبحت الآن جميع اصول الشرائع عندهم ما عدا الشريعة المدنية وعند غيرهم على اختلاف انواعها مجموعة بقوانين — واذا صحَّ ان يبقى الشرع المدني مبعثراً مشتتاً في كتب الفقهاء وفي احكام المحاكم وفي العادات والسوابق فلا يصح ذلك في الشرع الجنائي لان باب الاجتهاد والقياس والتأويل في الاول مفتوح على مصراعيه حتى في البلدان التي وضعت فيها القوانين ولكن في الثاني لا بدَّ من حصر الجرائم والعقوبات

وقد وضع في السودان على أثر الفتح الثاني في سنة ١٨٩٩ قانون للعقوبات وآخر لتحقيق الجنايات وبني القضاء الجنائي السوداني على القضاء الهندي وهذا بني على القضاء الانكليزي ثم عدل قانون العقوبات وقانون تحقيق الجنايات في السودان في سنة ١٩٢٥

والذي اتوخاه في هذا المقال ايراد بعض الاصول المتعلقة بالقضاء الجنائي في السودان مما يسترعي النظر ويختلف عن مثيله في مصر وفي غيرها من الاقطار التي انسلخت عن السلطنة العثمانية والتي اكثر قضائها الجنائي مبني على القضاء الجنائي الفرنسي ومستقى من مصادره

***

﴿ تقسيم الجرائم ﴾ — قسمت الجرائم في القوانين المبنية على القانون الفرنسي الى جنايات وجنح ومخالفات والاساس الذي بني عليه هذا التقسيم هو جسامة الجريمة واختلاف العقوبة بسبب ذلك — وفي الواقع ليس هذا التقسيم علميًّا او منطقيًّا لانهُ لا ينص على فرق جوهري بين قسم وقسم . ومع ان هذا التقسيم يخلو من المنطق فانه ضروري في فرنسا وغيرها لان نظام القضاء الجنائي برمته عندهم مبني على ذلك التقسيم فقد اخطأ في الاصل واضعو القانون الجنائي وقانون تحقيق الجنايات الفرنسيون وغيره اخطاءً شتى لانهم استعجلوا وضع جميع القوانين في بضع سنوات على اثر ظهور نابليون وقيدوا البلاد بنصوص ثابتة ليس من السهل تعديلها ثم نظمت المحاكم والدوائر والهيئات بناءً على تلك القوانين . اما في انكلترا فانهم لم يستعجلوا بل تريثوا كثيراً فلم يضعوا قانوناً الاَّ بعد ان اختمرت الحاجة اليه ومن هذا ترى التعقيد والارتباك في النظم التي اخذت عن فرنسا لما يحول فيها دون الاصلاح والتعديل من العقبات — وهذا شأن كل عمل يباشر بسرعة وبدون تروٍّ تكون عواقبه غير محمودة

لم يكترث المشترع السوداني لهذا التقسيم بل عمد رأساً الى مهمته فقرر جميع الافعال التي يعدها جرائم فسردها واحدة فواحدة وقرر لكل جريمة عقوبتها الخاصة وهو اسهل جدًّا واكثر انطباقاً على المنطق والعقل من التقسيم المربك وكم من مرة وقع الاختلاف في مصر وغيرها على اختصاص الحاكم بسبب وصف الجريمة هل هي جنحة او جناية وكم من مرة حار قضاة الاحالة في اعمالهم — وشيء من هذا يستحيل ان يقع في السودان . وقد كان الخيال الدافع الاعظم لفقهاء الثورة الفرنسية فربطوا الاجيال التي بعدهم بسلاسل من الاوضاع والنظريات التي تحاشاها المتشرع الانكليزي بما فطر عليهِ من بعد النظر والتجرد عن الخيال والتصرف بحسب الحالة الطارئة

***

﴿ بيان مدلول الالفاظ والعبارات ﴾ — امتاز قانون العقوبات السوداني بتعريف بعض الالفاظ والعبارات وبيان ما تدل عليهِ غير معناها الاصلي وهذا التعريف ضروري لازالة ما قد يقع من الالتباس في معاني الالفاظ الواردة في القانون . واليك بعض الامثلة على ذلك ففي المادة ٣٧ ورد تعريف لكلمتي « حسن النية » كما يلي : « لا يقال بان الشيء عمل او اعتقد بهِ بحسن النية متى عمل او اعتقد بهِ بدون العناية والانتباه اللازمين »

وفي المادة ٣٨ عرّف كلمات التهييج الفجائي الشديد كما يلي : — التهييج الفجائي الشديد الذي

يترتب عليهِ تغيير ماهية الجريمة او تخفيف العقوبة التي يمكن الحكم بها بمقتضى اية مادة من هذا القانون لا يشمل الحالات الآتية : —

(١) التهييج الذي ينتحله المجرم او الذي ينتج من تهييجهِ العمد لتبرير ارتكاب الجريمة او

(٢) التهييج الناشيء عن عمل اطاعة للقانون او الذي يسببهُ موظف في اثناء مباشرتهِ اعماله قانوناً او

(٣) التهييج الناشيء عن عمل شيء في اثناء استعمال حق الدفاع الشخصي قانوناً

ثم عرف كلمة الرضاء كما يلي بالمادة ٣٩ :

لا يعتبر الرضاء رضاء بمقتضى اية مادة من هذا القانون اذا صدر من شخص خشية من وقوع ضرر او عن خطأ في الواقع وكان يعلم الذي اجرى العمل او كان لديهِ سبب للاعتقاد بان ذلك الرضاء صدر بسبب الخوف او الخطأ او اذا كان الرضاء صادراً من شخص لا يقدر بسبب اختلال عقله او سكره على فهم ماهية الشيء الذي رضي بهِ ونتيجتهِ او اذا صدر الرضاء من شخص يقل عمرهُ عن اثنتي عشرة سنة

وهنالك تعريفات اخرى لالفاظ شتى لا يعرف الحكمة من ايرادها وتقريرها ولا يقدرها الاَّ من اشتغل بالقضاء

***

﴿ الافعال التي يظهر لاول وهلة انها جرائم ولكن القانون لا يعدُّها جرائم ﴾ — هذه سنة اخذ بها المتشرع السوداني ولم يأخذ بها غيره فقد نصَّ في اوائل قانون العقوبات على افعال خاصة اخرجها من عداد الجرائم وبذلك سهَّل على المحاكم وعلى المحققين معالجة تلك الافعال وهي افعال تبدو لاول وهلة انها من الجرائم المقررة في القانون ولكن المتشرع بسبب الظروف التي لابستها رأى اخراجها من سلسلة الجرائم وعلى سبيل التمثيل اذكر بعض تلك الحوادث

المادة ٤٤ — لا يعتبر الفعل جريمة اذا فعله شخص يجبره القانون على فعله او يبرره في فعله او فَعَلَهُ وهو يعتقد بحسن نية بسبب جهل الوقائع لاجهل القانون انهُ مجبور قانوناً على فعله او يبرره القانون في فعله

المادة ٤٥ — لا يكون الفعل جريمة متى وقع من شخص وهو يباشر القضاء كمحكمة او كعضو محكمة بالسلطة المخولة لهُ او التي يعتقد بحسن نية انها مخولة له قانوناً

وقد ادخل المتشرع في هذه المواد افعال الانسان في اثناء دفاعه عن شخصه او عن غيره او عن ماله او مال غيره او عن شرفهِ او شرف غيره وافعال الطفل الذي عمره دون السبع سنين وافعال الطفل البالغ من العمر سبع سنين ودون الاثنتي عشرة سنة اذا لم يبلغ من الرشد تمييزاً كافياً لادراك ماهية الفعل او نتيجتهِ وافعال المجنون جنوناً دائماً او مؤقتاً او مختل العقل وافعال السكران الذي نجم سكره عن اعطائه اية مادة رغم ارادتهِ او بدون علمه والافعال التي الجيء الى ارتكابها الفاعل

بالتهديد والافعال التي تنطوي على اضرار طفيفة والافعال التي تحدث ضرراً ولكنها اجريت لمنع ضرر آخر اريد الحاقه بالاشخاص او الاموال وغير ذلك : —

﴿ العقوبات المقررة ﴾ من العقوبات المقررة في القانون السوداني عقوبتا الجلد بالسوط ذي الفروع التسعة والجلد بالمقرعة — والعقوبة الاولى يحكم بها القاضي من الدرجة الاولى او الثانية على المجرم الذكر البالغ والعقوبة الثانية يحكم بها القاضي من الدرجة الاولى او الثانية على المجرم الذي عمره دون ست عشرة سنة

وهاتان العقوبتان لا يوقعهما القاضي في جميع الجرائم بل في جرائم معينة وليس هو مجبوراً على الحكم بهما بل هو مطلق الرأي اذا شاء حكم بالجلد وان شاء حكم بعقوبات اخرى مقررة للجرم لان الجلد ليس من العقوبات الاساسية المفروضة للجرائم وانما اعطي القاضي الحق في الحكم بهِ في بعض الاحوال بدلاً من الحكم بالعقوبات الاخرى — وقد ظهر بالاختبار ان الجلد عقوبة فعَّالة ذات اثر عاجل في الاقتصاص والردع وقد يعترض عليه البعض انهُ اثر من آثار الشدة التي كانت تسود القضاء في الماضي ولكن منفعة الجلد في بعض الأحوال وبالنسبة لبعض الأشخاص لا يمكن انكارها —

***

﴿ التحريض على ارتكاب الجرائم والشروع في ارتكاب الجرائم ﴾ — يمتاز القانون السوداني في هذين البابين بأنهُ — بالنسبة الى التحريض — يعاقب المحرض على ارتكاب الجريمة ولو لم ترتكب الجريمة ويعاقب المحرض على التحريض كما اذا اغرى عمرو بكراً ليغري كاملاً على قتل زيد قتلاً عمداً فأغرى بناءً على ذلك بكر كاملاً على قتل زيد قتلاً عمداً فارتكب كامل تلك الجريمة بناءً على اغراء بكر فيعاقب بكر من اجل جريمته بعقوبة القتل العمد وبما ان عمراً اغرى بكراً على ارتكاب الجريمة يعاقب بنفس العقوبة . ومن حرَّض على ارتكاب جريمة عقوبتها الاعدام او الحبس المؤبد يعاقب بالحبس مدة يجوز ان تمتد الى سبع سنين وبالغرامة ايضاً اذا لم ترتكب الجريمة بناءً على ذلك التحريض — ومن حرَّض على جريمة عقوبتها الحبس يعاقب بالحبس مدة يجوز ان تمتد الى ربع اقصى المدة المقررة لتلك الجريمة او بالغرامة المقررة لها او بالعقوبتين معاً ان لم ترتكب الجريمة يعاقب المحرّض كالفاعل اذا ارتكبت الجريمة

اما الشروع في ارتكاب الجرائم فان القانون السوداني لم يذكر في صدده سوى مادة واحدة نراها وافية بالمرام وهي على غاية البساطة والسهولة وهي المادة ٩٣ — كل من شرع في ارتكاب جريمة عقوبتها الحبس او شرع في تسبيب ارتكابها وارتكب في ذلك الشروع اي فعل في سبيل ارتكاب تلك الجريمة يعاقب بالحبس مدة يجوز ان تمتد الى نصف اقصى المدة المقررة لتلك الجريمة او الغرامة المقررة لها او بالعقوبتين معاً ان لم يوجد نص صريح في هذا القانون او في اي قانون آخر

معمول بهِ على عقوبة لذلك الشروع — ولا صعوبة في تطبيق هذه المادة في الشروع بالجرائم التي يعاقب فاعلها بالاعدام لان القانون السوداني في جميع امثال الجرائم ينص على عقوبة الاعدام او بالحبس المؤبد والغرامة والحبس المؤبد معناه عشرون سنة فقط . فالشارع في ارتكابها يعاقب الحبس لغاية عشر سنين ولو قارنا مادة الشروع هذه بمواد الشروع في القانون المصري او قانون الجزاء العثماني لتبين لنا الفرق الكبير بين التشريعين فان الاول سهل واضح والثاني معقد مرتبك

***

﴿ الاسباب المخففة والاسباب المشددة والعود ﴾ — اذا راجعنا المواد الواردة في القانون المصري في هذا الصدد رأينا مشقة جسيمة في تفهمها وفي مراميهــا وفي تطبيقها وتعقيداً كبيراً في نصوصها كأنها الغاز في الغاز وقد خلا القانون السوداني كل الخلو من مثل هذه النصوص . والسبب الظاهر الذي حدا بالشارع السوداني الى تحاشي مثل هذه النصوص ليس فقط لغرض الخلوّ من التعقيد ورغبته في الوضوح والبساطة بل لانهُ يرى فيها تكبيلاً للقاضي . ومثل هذه النصوص غير ضرورية في القضاء السوداني لان الشارع لم يفرض حدّاً أدنى لعقوبة الحبس ولا لعقوبة الغرامة فالقاضي مخير في المدة والمبلغ وفي جميع المواد يفرض الشارع الحد الاقصى لمدة الحبس التي لا يصح للقاضي تجاوزها وهو في ما خلا الجرائم التي يعاقب فاعلها بالاعدام او الحبس المؤبد حرٌّ في تعيين مدة الحبس . خذ مثلاً مسألة العذر في من قتل زوجته حال تلبسها بالزنا الوارد لها مادة خاصة في القانون المصري وهي التي تقضي بالحكم على الزوج في هذه الحالة بالحبس بدلاً من الاشغال الشاقة الخ — وقد حاول بعضهم في مصر توسيع نطاق هذه المادة حتى تشمل قاتل المحارم على العموم ولكنهم لم ينجحوا في هذا —

ولا حاجة في القضاء السوداني الى مثل هذه النصوص لان القتل في السودان نوعان القتل العمد والقتل الجنائي الذي لا يبلغ القتل العمد . وفي القانون السوداني مواد وافية للتمييز بين النوعين فالاول عقوبته الاعدام او الحبس المؤبد والغرامة والثاني عقوبته الحبس المؤبد او الحبس مدة اقل من المؤبد او الغرامة او العقوبتان فجريمة الزوج الذي يقتل زوجتهُ في حالة الزنا تدخل تحت النوع الثاني وللقاضي أن يحكم على الزوج بالغرامة فقط اذا رآها وافية وليس ملزماً بالحكم بالحبس واذا حكم بالحبس فهو غير مقيد بمدة وله ان يحكم بيوم واحد فقط — وله ذلك ليس فقط في مسألة الزوج بل في كل مسألة لا يبلغ فيها القتل درجة العمد فقتل المحارم في الحالة المذكورة يدخل في هذا وكل قتل حصل اثر التهييج الفجائي الشديد يدخل في هذا وكل هذا بمثابة الظروف المخففة أو الاعذار او دواعي الشفقة او مهما شئت فسمه — فالقاضي السوداني لديه مجال واسع جدّاً لاستعمال مثل هذه الاسباب — وكذا قيل عن العود وهو الذي معناهُ في غير السودان عود المجرم الى الاجرام فيشددون عليهِ العقوبة بمقتضى سلسلة من المواد معقدة اما في السودان فلا حاجة الى هذا ما دام

المجال للقاضي كما ذكر واسع النطاق فاذا أحضر امامهُ مجرم قديم عريق في الاجرام عالجهُ بما لديه من لسلطة التي خوله القانون مباشرتها بحسب الظروف في كل مسألة. فالقاضي السوداني يصعد بالعقوبة من الحبس يوماً واحداً أو الغرامة ببضعة قروش إلى الحبس عشرين سنة أو الغرامة مائتي جنيه وهو حرٌّ بين الحدين

***

﴿ جرائم الموظفين او الجرائم التي تتعلق بالموظفين ﴾ — في هذا الباب نصوص قاسية شديدة وقد توخى الشارع السوداني الشدة فيها لضمان نزاهة الموظفين في أعمالهم وانصافهم في معاملة الناس فالرشوة مثلاً تشمل غير معناها المفهوم المألوف كل ما يعطى او يوعد باعطائه نقداً او غير نقد وتشمل ما يعطى على سبيل المكافأة من اجل عمل اجراه الموظف ولا تسري الرشوة على الموظفين فقط بل على من كان يتوقع ان يصبح موظفاً وقبل الرشوة . ومما ادمج في سلسلة الجرائم احالة الموظف اشخاصاً للمحاكمة او للحبس مع علمه بأنهُ يفعل ذلك مخالفة للقانون — واهمال الموظف القبض على الشخص . وترك الموظف عمداً القيام بواجبه حيث يسبب ذلك الترك خطراً وترك الموظف عمله بدون حق لعرقلة الاعمال العامة واشتغال الموظف بالتجارة وشراء الموظف مالاً او مزايدته فيه على خلاف القانون — والاختفاء للهرب من تبلُّغ ورقة حضور او اعلان

وقد خصص الشارع السوداني باباً في قانون العقوبات للقسوة على الحيوانات فعدَّ ضرب الحيوان بقسوة او تعذيبه او الاساءة اليه بطرق اخرى والافراط المقرون بالطيش في ركوب الحيوان او في سوقه او تحميله واستخدام الحيوان العاجز عن العمل بسبب عمره او مرضه او جراحه او اعتلاله واهمال الحيوان جرائم مقررة —

وعقد فصلاً خاصًّا لجرائم الاذى وهي تشمل جميع الافعال التي تؤذي الانسان لما دون القتل وهو مفصَّل وافٍ واضح لا مثيل له في غير السودان ومن الفصول الجلية الواضحة ما تعلق بالاعاقة والاعتقال بدون حق وبالقوة الجنائية والتهجم وبالخطف وبالتشغيل الجبري — وبالاغتصاب والجرائم المخالفة للطبيعة وهتك العرض — والاخلال الجنائي بعقود الخدمة والجرائم المتعلقة بالزواج والزنا بالمحارم والجريمة الاخيرة إي الزنا بالمحارم جريمة جديدة قررت في القانون الجديد الذي صدر في سنة ١٩٢٥ على أثر ظهور جماعة في السودان دعت الى اباحة التزوج بالمحارم فوضعت المادة ٤٣٥ خصيصاً لمنع مثل ذلك المبدإ الفاسد من الانتشار فعدَّت الزنا بالمحارم جريمة عقوبتها الحبس غاية سبع سنين وبالغرامة ايضاً والمحارم من جهة الرجل هنَّ ابنته وحفيدته وامه وأية أنثى خرى من اصوله او فروعه الاناث واخته وابنة أخيه وابنة اخته وعمته وخالته . ومن جهة لمرأة ابنها وحفيدها وأبوها وأي واحد من اصولها او فروعها الذكور وأخوها وابن اخيها وابن ختها وعمها وخالها — فيعاقب الرجل الزاني والمرأة الزانية كلاهما . وهذه الجريمة لا مثيل لها في غير السودان

« لها تتمة »

أقمرٌ عاشرٌ للمشتري

في انباءِ الدوائر الفلكية ان الدكتور جفرز Jeffers احد علماء مرصد لِك كشف عن جسم على مقربة من المشتري قد يثبت انهُ قمرٌ عاشرٌ لاكبر السيارات . ذلك ان الدكتور جفرز كان يصوّر قمر المشتري الثامن فشاهد في صورهِ جرماً يتحرك حركةً يومية تشبه حركة القمر الثامن . وهو صغير خافي النور من القدر التاسع عشر لا يرى الاَّ باكبر النظارات الفلكية . وقد اذيع هذا النبأ من مرصد هارفرد الى مراصد العالم لكي يتعاون الفلكيون على تحقيقهِ ، ومعرفة هل هذا الجرم قمرٌ عاشرٌ للمشتري او نجيمةٌ

فاذا صحَّ ان هذا الجرم قمرٌ عاشرٌ للمشتري ،كان هو والقمران الثامن والتاسع ، من اعجب الاجرام في النظام الشمسي . ذلك ان الاقمار السبعة الاولى التي تدور حول المشتري تدور من الغرب الى الشرق في جهة دوران السيار نفسهِ حول الشمس وجهة دوران القمر حول الارض واما الاقمار الباقية اي الثامن والتاسع والعاشر ، فتدور من الشرق الى الغرب في جهة مضادّة لجهة دوران الاقمار الاخرى وجهة دوران السيار حول الشمس وهو « نكوص» في عرف الفلكيين

والمشهور ان غليليو هو اول من كشف عن اقمار المشتري الاربعة الاولى ، يوم وجَّه نظارتهُ الى المشتري في يناير سنة ١٦١٠ . ولكن يقال ان فلكيًّا المانيًّا يدعي سيمون ماريوس شاهدها في السنة السابقة وانما لم يدرك ما هي هذه الاجرام ، حتى أذاع غليليو ما كشف

وظلّت اقمار المشتري المعروفة اربعة ، حتى كشف الاستاذ ادورد بارنرد في مرصد لِك الاميركي القمر الخامس سنة ١٨٩٢ وتلاهُ علماء هذا المرصد نفسهِ فكشف الدكتور پرين القمر السادس والسابع سنتي ١٩٠٤ و١٩٠٥ . اما القمر الثامن فكشفهُ الدكتور ميلوت احد علماءِ المرصد الملكي بمدينة غرينتش سنة ١٩٠٨ ثم كشف العالم نيكلصن من علماءِ مرصد لِك كذلك، القمر التاسع سنة ١٩١٤ . وهذا هو العاشر على ما يُظن

ومن غريب ما يعرف عن هذه الاقمار التفاوت في اقطارها . فالاقمار الاربعة الاولى يكاد كلٌّ منها يكون من حجم قمر الارض . على ان ثانيها (قطرهُ ٢٠٠٠ ميل) اصغر قليلاً من الثلاثة الباقية (قطر اكبرها ٣٥٠٠ ميل) ولولا قربها للسيار لاستطعنا رؤيتها بالعين المجرَّدة . ولكن ضياءَ السيار يغمرها ويطغى على ضيائها . اما القمر الخامس فقد لا يزيد قطرهُ مائة ميل ويدور حول السيار في ١٢ ساعة وهو اسرع الاقمار دوراناً حول المشتري على ما نعلم . واما الاقمار الباقية فتتباين اقطارها

١٥ ميلاً وهو قطر القمر التاسع

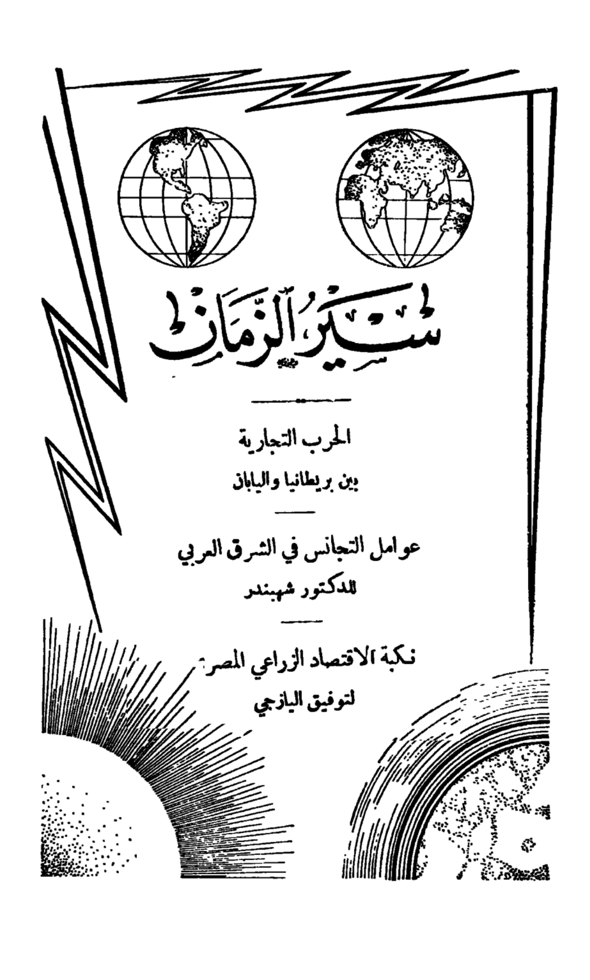

سير الزمان
الحرب التجارية
بين بريطانيا واليابان
عوامل التجانس في الشرق العربي
للدكتور شهبندر
نكبة الاقتصاد الزراعي المصر
لتوفيق اليازجي

الحرب التجارية بين

بريطانيا واليابان

تقلّص تجارة بريطانيا وبواعثها

تكهّن غلادستن في اواخر القرن التاسع عشر بمستقبل بريطانيا التجاري فقال : « اميركا وحدها ، تستطيع اذا آن الاوان ، ان تنتزع منا سيادتنا التجارية ، والراجح انها تفعل » . كانت اليابان في ذلك العهد بقعة لا شأن لها على الخريطة الجغرافية . دع عنك خريطة العالم الاقتصادية . وكانت بلادها ما تزال في عرف المثقفين بلادَ الشمس الطالعة والربيع الزاهي والفنون اللطيفة والبنات الرواقص . فما كان سياسيٌّ بريطانيٌّ يستطيع حينئذٍ ان يتصوّرها ، وقد أصبحت بعد نصف قرن من الزمان ، الامة التي تلي الامة الاميركية في شدة منافستها لسيادة بريطانيا التجارية . ونحن اذا قابلنا بين اميركا واليابان ، وجدنا الأولى تفوق الثانية في مصادر الثروة الطبيعية واسباب القوة المالية . بل ان اليابان ازاء اميركا من هذه الناحية كالقزم امام الجبّار . على ان ذلك لا يمنع ان تكون اليابان مصدر قلق لبريطانيا من حيث منافستها لها في بعض ميادين الصناعة

واذا نحن نظرنا الى الموضوع نظرة عامة ، وجدنا ان اميركا قد تفوّقت على بريطانيا في صناعات الحديد وما اليها وهي ما يعرف «بالصناعات الثقيلة» Heavy Industries . ففي هذا الميدان لا تخشى بريطانيا من اليابان شرًّا . على ان ما تخشاه بريطانيا من اليابان ، انما هو منافستها لها في بعض الصناعات الخفيفة كصناعة نسيج القطن والصوف ، وهي من الصناعات الاساسية التي بنيت عليها عظمة بريطانيا التجارية ،وكانت حتى عهد قريب لا ينافسها في ميدانها منافس

***

كانت مصانع القطن البريطانية قبل الحرب الكبرى تحتوي على ٥٥ مليون مغزل . اي ثلث مغازل القطن في العالم . وفي سنة ١٩١٣ صدّرت انكلترا ٦٫٧٨٠٫٠٠٠٫٠٠٠ ياردة مربعة من المنسوجات القطنية وكانت مسيطرة على تجارة الاقطان في الاسواق العالمية . وكان عدد المغازل في مصانعها في سنة ١٩٣٢ خمسين مليوناً ، اي ان العدد الاول نقص خمسة ملايين مغزل، وهو ليس نقصاً كبيراً . ولكن الصادر من المنسوجات القطنية الانكليزية في سنة ١٩٣٢ بلغ ٢٫٢٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ ياردة مربعة اي ان مقدار الصادر في سنة ١٩٣٢ نقص ٤٫٥٨٠٫٠٠٠٫٠٠٠ ياردة مربعة عنهُ سنة ١٩١٣ وهو نقص كبير

وهذا يبيّن لك ان المغازل الباقية في مصانع الاقطان الانكليزية كانت عاطلة خلال جانب كبير من سنة ١٩٣٢ لقلة الطلب على منتجاتها

وماذا تمَّ لليابان في خلال هذه الفترة ؟ زاد عدد مصانعها القطنية من ٠٠٠ر٣٠٠ر٢ مغزل قبيل الحرب ، الى ٠٠٠ر٠٠٠ر٨ مغزل في سنة ١٩٣٢ ومع ان عدد مغازلها في سنة ١٩٣٢ كان لا يبلغ الاَّ ١٦ في المائة من عدد مغازل بريطانيا ، الاَّ ان هذه المغازل انتجت في سنة ١٩٣٢ من المنسوجات القطنية ٠٠٠ر٠٠٠ر٠٣٠ر٢ يردة مربعة ، وهو لا ينقص عما صدَّرتهُ بريطانيا في تلك السنة الاَّ ١٧٠ مليون يردة مربعة . وفي الشهور الستة الاولى من سنة ١٩٣٣ بلغ ما صدَّرتهُ اليابان من المنسوجات القطنية ٠٠٠ر٠٠٠ر٠٣٥ر١ يردة مربعة حالة ان ما صدَّرتهُ بريطانيا بلغ ٠٠٠ر٠٠٠ر٠٨٣ر١ فكان الفرق بين بريطانيا واليابان ٤٨ مليون يردة مربعة فقط

ويمكن ان يقال بوجهٍ عام ان تجارة الصادر العالمية في المنسوجات القطنية تبلغ في السنة نحو ٠٠٠ر٠٠٠ر٥٠٠ر٥ يردة مربعة ، تصدر منها بريطانيا واليابان ٠٠٠ر٠٠٠ر٢٣٠ر٤ ذراع مربعة في حصتين متساويتين او تكادان . اما الباقي وقدره ٠٠٠ر٠٠٠ر٣٠٠ر١ يردة مربعة فتصدره الولايات المتحدة الاميركية وغيرها من البلدان الصناعية

هنا مجال للتأمل . ثمانية ملايين مغزل في اليابان تنتج من المنسوجات القطنية قدر ما تنتجهُ خمسون مليون مغزل في بريطانيا . هل سبب ذلك ان معظم المغازل في بريطانيا عاطلة عن العمل ؟ او لانَّ صناعة المنسوجات القطنية في اليابان ، يشملها نظام أدق وأتم من نظام الصناعة البريطانية ؟

***

ان بلاد الهند هي اوسع الميادين التي تنافس فيها التجارةُ اليابانية والتجارةَ البريطانية . فبعد الحرب الكبرى اخذت التجارة اليابانية تغزو الاسواق الهندية التي كادت تكون من قبلُ احتكاراً لمصانع لانكشير وتجار منشستر . ففي سنة ١٩٢٩ استوردت الهند البريطانية ٦٦ في المائة من وارداتها القطنية من بريطانيا و٣٠ في المائة من اليابان . وفي سنة ١٩٣٠ نقصت حصة بريطانيا الى ٥٩ في المائة وزادت حصة اليابان الى ٣٥ في المائة . وفي سنة ١٩٣١ نقصت حصة بريطانيا الى ٥٠ في المائة وزادت حصة اليابان الى ٤٥ في المائة . وفي سنة ١٩٣٣ نقصت حصة بريطانيا الى ٤٨ في المائة وزادت حصة اليابان الى ٥٠ في المائة ، اي ان ما استوردتهُ الهند في سنة ١٩٣٣ من بريطانيا بلغ ٦٠٠ مليون يردة مربعة من المنسوجات القطنية واما ما استوردتهُ من اليابان فبلغ ٦٤٥ مليوناً

فكان تفوُّق اليابان على بريطانيا في سوق الهند ، باعثاً على القلق العظيم ، وحمل حكومة الهند في اغسطس سنة ١٩٣٢ على رفع الضريبة الجمركية على البضائع غير البريطانية (اي على البضائع اليابانية) من ٣١ في المائة الى ٥٠ في المائة ، حالة ان الضريبة الجمركية على الواردات القطنية البريطانية ظلَّت ٢٥ في المائة

ومع فداحة هذه الزيادة رأت حكومة الهند ان تعلن حكومة اليابان عن طريق لندن، في ١٠ ابريل سنة ١٩٣٣ عن عزمها على انهاء المعاهدة اليابانية الهندية التجارية بعد انقضاء ستة أشهر، وفي هذه المعاهدة بندٌ يمنح اليابان حق معاملتها في الهند على قدم المساواة بالامم الاخرى. وكذلك مهّدت الطريق لزيادة الضريبة الجمركية على الواردات القطنية اليابانية الى الهند

وكان ميعاد انتهاء هذه المعاهدة في ١٠ اكتوبر سنة ١٩٣٣

ولكن قبل انتهائها اصدرت حكومة الهند قانوناً يخوّل نائب الملك رفع الضرائب الجمركية على الواردات الاجنبية، عند الاقتضاء، حماية للصناعة الوطنية وفي ٦ يونيو ١٩٣٣ زيدت الضريبة الجمركية على الواردات اليابانية القطنية الى الهند حتى اصبحت ٧٥ في المائة تقابلها ضريبة جمركية على الواردات القطنية من منشستر قدرها ٢٥ في المائة

ولم تكتفِ بريطانيا باستنهاض الهند بل حركت اصبعها في بلدان مختلفة لمكافحة البضائع اليابانية ففرضت مصر في ١٤ مايو ١٩٣٣ على الواردات ضريبة اضافية قدرها ٣٥ في المائة. وفي ١٥ مايو اعلنت حكومة لندن انتهاء المعاهدة التجارية بين اليابان وغرب افريقية البريطانية بعد سنة من ذلك الاعلان. وفي ١٦ يونيو رفعت مستعمرة المضائق Straits Settlements الضريبة الجمركية على الواردات اليابانية. وفي ٢٦ يونيو اقتفت مقاطعة شرق افريقية البريطانية اثرها. وفي ٢٩ يونيو أقرت استراليا قانوناً لمقاومة غمر الاسواق Anti dumping على ان يبدأ تنفيذه في ٥ دسمبر سنة ١٩٣٣

***

ومع ذلك فمقام بريطانيا في اكبر هذه الاسواق، اي السوق الهندية والسوق الاسترالية ـ ليس من المنعة بحيث يتصوّر المتصوّرون

خذ مثلاً على ذلك السوق الهندية:

في السنوات العشر التي انقضت بين سنة ١٩٢١ وسنة ١٩٣١ ابتاعت اليابان من الهند ما متوسطهُ ١٦٠٠ مليون بالة قطن كلّ سنة ثمنها ٢٤٠ مليون ين. فاذا ردّت اليابان على محاولات بريطانيا بمقاطعة القطن الهندي، بار القطن الهندي وخرب زرّاعه. فينجم عن ذلك ان مقدرة الهند على شراء بضائع لنكشير تضعف. وكذلك تخسر بريطانيا بحيلولتها بين اليابان والسوق الهندية. ولا حلّ لذلك الاّ ان تقبل منشستر على القطن الهندي فتحلُّ محلّ اليابان في ابتياعهِ. ولكن لنكشير لن تبتاع القطن الهندي في الغالب. ذلك ان لنكشير كانت تستورد مقادير كبيرة من قطن الهند في القرن الماضي فشجع ذلك الزرّاع الهنود على توسيع نطاق زراعتهِ. فلما اقبلت الولايات الجنوبية في الولايات المتحدة الاميركية على زراعة القطن تحوّلت لنكشير من استعمال قطن الهند الى استعمال القطن الاميركي. ولولا أن تنجد المصانع اليابانية الزرّاع الهنود بشراءِ قطنهم لحلّ الخراب بهؤلاء. وقد تعنى بريطانيا

الآن بالعودة الى استعمال القطن الهندي رغبةً في استعادة مقامها في السوق الهندية . ولكن ذلك غير مرجح . لان عمال المصانع الانكليزية وقد تعودوا غزل القطن الاميركي ونسجهُ —وهو ادق الياقاً من القطن الهندي— يرفضون استعمال القطن الهندي مدعين انهُ غير صحي . ثم ان مصانع لنكشير مجهزة بالآلات اللازمة للنسج الدقيق ولا تصلح لاستعمال القطن الهندي الا اذا طرأ عليها تغيير كبير

فالحيلولة بين البضائع اليابانية والسوق الهندية ، يصدق عليهِ مثل الرجل الذي قتل اوزة تبيض بيضةً من ذهب . ففي العشرين السنة الاخيرة ابتاعت اليابان من الهند خامات يفوق ثمنها ثمن ما ابتاعتهُ الهند من اليابان بنحو ٢٦٠٠ مليون ين . وفي الفترة نفسها باعت انكلترا للهند بضائع تزيد قيمتها على قيمة ما اشترتهُ انكلترا من الهند بنحو ٢٣٠٠ مليون ين . اي ان اليابان كانت تفرغ في الهند في كل سنة من سنوات تلك الفترة ما متوسطه ١٣٠ مليون ين ، حالة ان بريطانيا كانت تأخذ من الهند في كل سنة من سنوات هذه الفترة ، ما قيمته ١٦٠ مليون ين . واذاً نستطيع ان نقول ان الهند بوجه عام ، تسدد لانكلترا بما تأخذه من اليابان . اي ان ميزان التجارة بين الهند واليابان في الفترة المذكورة كانت في جانب الهند ، وأما ميزانها بين الهند وبريطانيا فكان في جانب بريطانيا . فاذا توقفت اليابان عن ابتياع خامات الهند ، نقصت تجارة بريطانيا في السوق الهندية ، لنقص قوة الشراء في الشعب الهندي

ولا ريب في ان هذه الحقيقة حملت حكومتي الهند ولندن على الاتفاق مع اليابان في ٨ يناير سنة ١٩٣٤ ، بعد مفاوضات دامت اربعة اشهر على ما يأتي : يسمح لليابان بتصدير ٤٠٠ مليون يردة مربعة الى الهند كل سنة ـ وهذا الرقم ينقص عما صدرته اليابان الى الهند في سنة ١٩٣٢ بنحو ١٠٠ مليون ذراع مربعة ـ على ان تشتري اليابان من الهند ما لا يقل عن ١٥٠٠ مليون بالة قطن ـ وهو اقل مما اشترته سنة ١٩٣٢ بمائة الف بالة ـ وقدتمَّ الاتفاق كذلك على ان تفرض حكومة الهند ضريبة جمركية على واردات اليابان قدرها ٥٠ في المائة وتبقى الضريبة الجمركية على الواردات الانكليزية الى الهند ٢٥ في المائة . ومدة هذا الاتفاق ثلاث سنوات

والراجح انهُ لو لم يتم الاتفاق لقاطع اليابانيون القطن الهندي ، وفقاً لقرار اتخذته جماعة غزالي القطن اليابانيين في ١٣ يونيو سنة ١٩٣٣ والانكليز يعتقدون ان اليابانيين لا يستغنون عن القطن الهندي ، الا ان اليابانيين يرون غير ذلك . وفي رأيهم ان القطن الاميركي يحل محل القطن الهندي ، على ان يخلط بقطن قصير الشعرة يستصدر من ايران والصين وتركيا وغينيا الجديدة . والطرق التي يستعملونها لخلط الاقطان سرٌّ من اسرار الصناعة اليابانية وقد برع فيهِ اليابانيون براعة عظيمة . والعقبة الوحيدة في سبيل ذلك غلاء سعر القطن الاميركي بالمقابلة مع سعر القطن الهندي

هذا عن الهند . أما استراليا فوقفها شبيه بموقف الهند من هذه الناحية

ان تربية الغنم في استراليا كزراعة القطن في الهند . واليابان تستورد من الصوف الاسترالي كل سنة مقداراً تزيد قيمته بنحو ١٠٠ مليون ين على ما تصدره اليابان الى استراليا ففي سنة ١٩٣٢ بلغ ما ابتاعته اليابان من خامات استراليا ١٣٤مليون ين

وبلغ ما باعته من بضائعها في السوق الاسترالية ٣٦ مليون ين . والصوف كما لا يخفى هو مادة التصدير المقدَّمة في استراليا . ومع ذلك اضطرت استراليا ، ان ترفع الضريبة الجمركية على الورادات اليابانية اليها ، وفقاً لاتفاق اوتوى الامبراطوري . فهي كذلك تقتل بعملها هذا الاوزة التي تبيض بيضاً من ذهب . اذ ما يكون مصير صناعة تربية الغنم في استراليا ، اذا اعرضت اليابان عن الصوف الاسترالي وأقبلت على الصوف الارجنتيني ؟ وأصحاب المصانع اليابانية واثقون كل الثقة من انهم يستطيعون ان يفعلوا ذلك ،وان ما يقوم في وجوههم من الصعاب يستطيعون التغلب عليه

ولعلَّ خشية استراليا من مقاطعة اليابان لصوفها ، حملها على تعيين ممثل دبلوماسي في طوكيو مثل ممثل كندا في وشنطن . وفي الانباء الاخيرة ان استراليا قد زادت ما تستورده من اليابان . وفي اوائل هذه السنة ذهب وزير خارجية استراليا الى اليابان لمفاوضة حكومته في الشؤون التجارية

***

هذا هو التحدي الذي يوجهه الشرق الى الغرب . ففي بريطانيا نظام صناعي قديم . حالة ان نظام اليابان لا يرتدُّ الى اكثر من خمسين سنة على الاكثر . فالمصنع الكبير الاول الذي بني في اليابان لصناعة نسج القطن بني سنة ١٨٦٢ وكان فيه خمسة آلاف مغزل . وفي سنة ١٨٦٨ كان في اليابان ٣٠٠ مصنع أما في سنة ١٩٣٠ فقد كان فيها ستون الف (٦٠٠٠٠) مصنع

والفرق الكبير بين النظامين ان مستوى المعيشة في بريطانيا أعلى منه في اليابان . فنفقات الصناعة أعلى . خذ مثلاً العمال البريطانيين الذين يشتغلون في مصانع الجوارب . فالرجل منهم يأخذ اجراً قدره اربعة جنيهات في الاسبوع . والسيدة تأخذ أجراً قدره يختلف من جنيهين الى جنيهين و ٢٥ قرشاً . يقابل ذلك في اليابان ان الرجل يتناول أجراً قدره ١٢ شلناً في الاسبوع والسيدة ستة شلنات . ولكن من الخطإ ان نحسب ان العامل الياباني ، يرهق في العمل لقاء اجر قليل . فالعامل الياباني يكتفي بالاجر الذي يتناوله ويعيش به عيشه ترضيه . فمسألة الاجور مسأله نسبية

واذاً لا يكفي ان نعمد في تفسير تفوق اليابان على بريطانيا ، الى القول بأنها تغرق الاسواق وتقلد الماركات المسجلة . قد يكون شيء من هذا قد وقع في بعض النواحي ، ولكنهُ لا يفسر الاكتساح الذي اكتسحت به تجارتها تجارة بريطانيا في الاسواق العالمية

ونحن اذا تغلغلنا الى صميم الموضوع ، في تقصينا ، وجدنا ان الاسباب التي منحت اليابان هذا التفوق تقسم الى قسمين . اسباب وقتية، واسباب دائمة

فمن الاسباب الوقتية الازمة العالمية ، وتأثيرها في هذه الناحية عجيب . ذلك أن الازمة العالمية قد نقصت مقدرة الناس الشرائية ، فأصبح اكثر الطلب في انحاء العالم على البضائع الرخيصة . ولما كان معظم ما تخرجهُ المصانع اليابانية من هذا الصنف كثر الطلب عليهِ واتسع نطاق تجارتها به ، ويظن احد كتاب السبكتاتور ، ان مقدرةالناس الشرائية في بعض البلدان قد تقلصت ،حتى ليتعذر على الناس فيها ان يشتروا البضائع البريطانية الغالية ، ولو انسحبت اليابان من ميدان المنافسة.يضاف الى ذلك أن هبوط سعر « الين » قد مكن اليابانيين من ترخيص بضائعهم وخصوصاً في البدء ، لما كانت مخازنهم لا تزال مكظوظة بمواد خام ابتيعت بالذهب

***

اما الاسباب الدائمة ، ففي مقدمتها ان اليابانيين ، عنوا من بدء سنة ١٩٢٩ باتباع خطة Rationalisation في صناعتهم ، أي اعادة تنظيمها ، بصرف النظر عن التقاليد ، وفقاً لاحكام العقل، حتى تقل نفقات الانتاج الى أدنى حد مستطاع . وهناك عامل آخر . فالمشهور ان اليابان كانجلترا تحتاج الى ان تبتاع كل غذائها من الخارج . وهذا على ما يظهر خطأ واذاً فسقوط سعر الين ، من حيث مقدرته على ابتياع الاغذية اللازمة لها من الخارج لا يهمها على الاطلاق . وعليهِ ، تستطيع ان تستعمل كل الاموال التي تبيع بها صادراتها في الخارج، لشراء المواد الخام لمصانعها . أما في انكلترا فاكبر جانب من ثمن بضائعها الصادرة يستعمل لابتياع الطعام . وما دامت الاطعمة التي تنتجها بلاد اليابان نفسها ، تماشية لزيادة السكان فيها ، فمقامها الاقتصادي ،كصانعة ومصدرة ، يظل قويًّا كل القوة

صحيح انهُ من المتعذر الآن ، التنبؤ بما تكون عليهِ نقود الامم بعد سنة او بعد خمس سنوات. وهل تبقى لليابان هذه الميزة التي يمنحها اياها هبوط « الين » ولكن الامر الذي لا ريب فيهِ انهُ اذا استقرَّت العالم ، ظلَّ في نظام الصناعة اليابانية ، عناصر تجعل لليابان ميزة على بريطانيا ، وعلى الدول الصناعية في الغرب بوجه الاجمال

يضاف الى ذلك عامل نفسي له شأن كبير . فالعامل البريطاني ، لا يحسب الصناعة همه الاول والتاجر البريطاني كذلك . بل ينصرفان الى مطالب الحياة الاخرى ، في الرياضة او الفن أو العلم او المطالعة او غيرها . ولكن العامل الياباني ، يحسب الصناعة او التجارة همه الاول ، لان لا حياة لامتهِ من دونهما فينصرف اليهِ بعزم يفل الحديد . وقد يفضل الغرب الشرق من هذه الناحية لان للحياة مطالب أعلى من مطالب النجاح المادي ، ولكن هذه الصفة على كل حال ، مهما يحسن الظن بها ، لا تساعد الغربي في ميدان المنافسة الدولية ؟

القضايا الاجتماعية الكبرى

في العالم العربي

للدكتور عبد الرحمن شهبندر

عوامل التجانس

الذي تبنى عليهِ وحدة الأمم

لقد جعلنا التجانس المحور الذي تدور عليهِ الوحدة السياسية في الامم ، فلا امة حيث لا يرتبط الافراد برابطة التشابه والتماثل ، ولا نعرف سياسيًّا عبّر عن هذا التجانس بقاعدة قريبة من قواعد العلوم الحسية الرياضية مثل بسمارك داهية الالمان فقد جعل القاعدة التي تقوم عليها الامبراطورية الجرمانية ما يأتي وهي : « طاقة النموذج البروسي على اهتضام العناصر الجرمانية الاخرى وتمثيلها » لما بينهُ وبينها من اسباب التشابه والاتصال

وتبوّب هذه العوامل على الطريقة الآتية :

(اولاً) احتلال بقعة جغرافية منضمة ، لان شأن القطر الواحد في سبك سكانه امةً هو مثل شأن البيت في سبك اهله اسرةً . فنزول قوم بارض يستنشقون هواءها ويشربون ماءها ويتدفأون بشمسها ويتمتعون بمناظرها ويتعاونون على استخراج خيراتها يقرب شقة الخلاف فيما بينهم ويساعدهم على التجانس في الافكار والاوضاع ؛ ذلك ان اتصال الجمعية البشرية بمحيطها الطبيعي واعتمادها عليهِ هو اتصال مباشر ، وقدماً عرف الناس ان المرء ابن الارض التي ينبت فيها ، واهتمام الامة بان تكون الارض التي تعيش عليها منضمة معروفة الحدود غير متداخلة في غيرها يفسر لنا احتجاج الالمان الصميم على ما احدثتهُ معاهدة (فرساي) من اقامة (المجاز البولوني) بين بروسيا الشرقية وبروسيا الغربية . ومثل هذا الباعث يحمل الارلنديين على مقاومة كل جهود لاقرار دولة (ألستر) في شمال جزيرتهم مع كل ما قيل من تلك الفروق الواهية بين اهل الشمال والجنوب ، ونحن اعرف الناس بمن لا يرضى ان يتحد البروتستانت والكاثوليك هنالك ، بل ان يبقى الخلاف بينهم على سلطة البابوية الروحية الى الابد ، لاننا خبرنا في سورية من لا يرضى ان يتحد السني والشيعي فضلاً عن المسلم والنصراني . وما تلك الدويلات الخرافية التي احدثتها يد الاستعمار في الوطن الغالي الا محاولة لتمزيق شمله بتمزيق وحدة ارضه ، بل ان انشاء الوطن القومي الصهيوني في فلسطين يبغي في جملة ما يبغيهِ من الغايات السياسية اقامة حاجز اجنبي بين اجزاء البلدان العربية لاضعاف صلتها الجغرافية

وكما لا تعيش اسرة من غير بيت تنضم تحت سقفه كذلك لا تعيش امة من غير وطن تأتلف فوق

ارضه . وان قواعد الحقوق الدولية الحاضرة كما قال (لورنس) تتخللها فكرة السيادة الارضية الى درجة ان كل هيأة سياسية لم تستقر على بقعة من سطح الارض تمتلكها وتتصرف فيها تصرفاً مشتركاً لا تستطيع الانتفاع بالقانون الدولي[1] وقد كان اغتصاب الاراضي من اصحابها في ازمنة التاريخ باعثاً من أقوى البواعث على الحرب والانتقام ، ونرى أثر ذلك في البوادي التي لا يظن انها ملك احد عادة اذ يقع العراك فيها لاجل الآبار والمراعي ،وكلما استقرَّت الامم واستبحر عمرانها ارتبط تاريخها بالارض التي نبتت فيها بحيث تصير سواقيها وانهارها وجبالها واغوارها حتى كثبان رمالها رمزاً لكل عزيز ومقدس ومبجل

(ثانياً) العامل الثاني (القرابة) او (وحدة النسب) :

ان علائق النسب بين الام وابنائها وهي اقدم قرابة عرقية كانت الاساس الذي قامت عليهِ الرابطة الاجتماعية منذ انبثاق فجر البشر ، ولا تزال العامل الاكبر في تعيين الاخوة في الجماعات الابتدائية . وتنقسم قبائل البدو في ايامنا الى بطون وافخاذ جرياً على هذه القرابة الطبيعية الحيوية بيد ان البحوث المقابلة في الحيوان لا تمنح هذا الاتصال في الاصلاب والابدان غير شأن مؤقت ، فالاشبال مثلاً تتعامل فيما بينها تعامل الاخوة ما دامت تعيش في عرين واحد وترضع من طبيٍ واحد ، ولكن متى اضطرتها مصالحها الفردية الى البحث عن طعامها وما تتطلبهُ اجسامها من المطالب الحيوية بطريقتها الخاصة انقطعت عن الاسرة وغادرت المكان الذي ولدت فيهِ ولم تعد تعرف امها ولا اخوتها بالامس بل اذا صادفت احداً منها عرضاً في الطريق عاملتهُ معاملة العدو المزاحم . ولو بقي هذا المخلوق الذي ندعوه بشراً خلواً من الميزات التي جعلتهُ انساناً — من اللغة والعقيدة والعاطفة والفكرة وسائر الملكات الاجتماعية التي اكتسبها في حجر ابويه وبين اخوته — ما اختلفت هذه القرابة فيهِ عن الحيوان اختلافاً بيِّناً ، ولكن الذي اكسبها هذا الشأن في الاقوام على اختلافها — حتى في الاقوام الراقية المعاصرة — كما هو الحال في المانيا النازية اليوم وما صنعتهُ من تمييز الجنس الآري للخلاص من اليهود الساميين — هو ان مهد القرابة في حجر الآباء والامهات هو مهد الاتحاد السياسي والاقتصادي والاجتماعي أيضاً ، ففي هذا المهد يتلقن الانسان اللغة ويمارس شؤون الحياة العملية وتتربى فيهِ الملكات الاجتماعية مما يحمله على الظن ان هذه التحف المعنوية الثمينة التي زانت نفسه هي العرض ، وان القرابة الرحمية هي الجوهر ، مع ان الحال على عكس ذلك الى مدى بعيد ، ولا يعني هذا الكلام اننا ننكر بتاتاً شأن الوراثة السلالية القومية ولاسيما في السلالات المتباينة في الوانها بل نريد ان نقول ان البيض — خصوصاً الآريين منهم — افرطوا في تقويم هذه القرابة بالثمن الغالي كما افرط الانسان في تقويم الماس والياقوت والفيروز وسائر الاحجار الكريمة وان كانت هذه «الجوهرات» عند التحليل نهائي وفي الميزان العقلي المجرد لا تعدو ان تكون احجاراً فقط

---

(1) The Principles of International Law p. 58.

على ان الثمن الذي يضعهُ المجتمع للاشياء والاعيان اصطلاحاً هو ثمن شئنا ام أبينا ، ومعرفتنا ان الماس من الوجهة الكيموية مثلاً فحم لا تمكننا من شرائهِ بالارطال بل لا يزال يباع بالقراريط وانصافها وارباعها على رغم الصيغة التي تدوّن بها مادته في كتب الكيمياء

لا غرو ان الاقوام الناشئة تبحث عند سعيها لتأليف وحدتها عن عنصر القرابة ايضاً ، وهذا ما يشاهد في شعوب العالم العربي اليوم، فما نسمعهُ من الضجة حول اصل السوريين والمصريين وسائر سكان افريقيا الشمالية هو ظاهرة من ظواهر هذا السعي الموفق ، فهذه المجموعة لا تكتفي بما بينها من عناصر الاتحاد الاجتماعي الوثيق من لغة وعقيدة وعادة وتاريخ ومصلحة بل تبحث عن تلك الرابطة البيولوجية ايضاً — رابطة الاعراق — فتجدها في الموجات السامية التي طغت من الجزيرة العربية على الانحاءِ في القرون الخالية وربما كان آخرها الفتح الاسلامي ، وهي ترى كيف انتقلت هذه الدماء الى الاقطار القريبة والبعيدة في آسيا وأفريقيا ، وهذا مما يساعد على تقوية الائتلاف الحاضر وتأييد الرابطة المنشودة وان لم يكن جوهريًّا كما يدل تأليف الولايات المتحدة من عناصر متباينة

وغير نكير ان العرب الاقحاح حاولوا بعد الاسلام الاحتفاظ بأنسابهم ولكن دخولهم الامصار واختلاطهم باخوانهم في الدين من العرب والعجم وتزاوجهم كل ذلك ادَّى بهم الى اطراح اكثر هذه الأنساب ـ الاَّ ما بقي منها متعلقاً ببعض البيوت المقدسة وأشباهها كالبيت الهاشمي والبكري والعمري والعلوي الخ ـ ذلك ان الدين الاسلامي لا يفرق بين اتباعه الاَّ بالتقوى ، لاجرم اننا نجد القبائل العربية التي دوّخت فارس والروم اندمجت في البلدن التي فتحتها ، فما كان متيسراً لها من حفظ انسابها وهي نازلة بالبقاع المنقطعة في الجزيرة تعاني شظف العيش وتعجز عن تحمل فرد واحد آخر تزيد اعالته على ما عندها من الموارد الضيقة المحدودة ، اصبح متعذراً بعد نزولها الامصار وامتزاجها بمن اعتنق دينها وقبل ثقافتها . وفي عقيدتي ان كل محاولة لاتخاذ اية قرابة اقليمية خاصة في العالم العربي لتقف دون الروابط الوثيقة التي ذكرناها هي محاولة عقيمة محكوم عليها بالاخفاق في عصر الامم الكبيرة الذي نعيش فيه ولا تستند الى شيء من العلم ، وقد يكون الباعث عليها احقاداً خلفتها القرون الوسطى او اغراضاً استعمارية لايطمئن بالها ما لم تر سكان الشرق العربي ممزقين الى فينيقيين وأشوريين وفرعونيين وبربر وعرب علاوة على تمزيقهم الى ملل ونحل لا يتسع لذكرها هذا المقام . وان تعجب لشيء فعجب ان تستعين قوى التاريخ الاجتماعية بالثقافة العربية منذ اربعة عشر قرناً لتجعل منا وحدة صحيحة فيأبى الممزقون من مستعمرين او متعصبين الاَّ ان يستعينوا بقوى البسطة الاوربية السياسية في القرن العشرين ليبلبلونا

لقد اتفق المستثمرون على آلة الهجوم فما بالنا ونحن الذين تنزف دماؤنا نختلف على آلة الدفاع؟

ومما هو حري بالتدوين اننا احصينا الزعماء النافذين في بعض البلدان التي قام من ابنائها نفر يصيح

عالياً بهذه الدعوة الاقليمية « الجاهلية » فوجدنا معظمهم من العرب الاقحاح الذين لا يختلف في نسبهم مؤرخان ولا ينتطح في عروبتهم عنزان ـ ناهيك بتلك العرى الوثيقة التي لم تغادر كبيراً او صغيراً الاَّ ضمته الى هذه الوحدة المقدسة

ثالثاً : ﴿ وحدة اللغة ﴾ نعتقد ان اللغة عامل من اقوى العوامل للتشابه بين الناس ، فقد دلت التتبعات الدقيقة في التدرج الاجتماعي على ان الثقافة العامة هي الاساس المتين الذي يشترك الافراد ـ كلٌّ بحسب قابليته ـ في بناء صرح الامة عليه ، ففي حجر القرابة الرحمية يتوارث الخلف عن السلف ثقافة معنعنة واحدة ، وفي رابطة الدين تنتقل العقائد من الواحد الى الآخر وينتقل معها الكثير من مقوّمات الثقافة ، ولكن في الاشتراك اللغوي المبني على التفاهم المباشر توحد هذه الثقافة ويكون الشبه القائم عليها شبهاً روحيًّا وفكريًّا واجتماعيًّا في آن واحد ، ولم يعد المجتمع اسرة ولا فخذاً او بطناً او قبيلة بل اصبح يضم العناصر على انواعها تحت لواءٍ واحد من الثقافة هي ثقافة اللغة في الدرجة الاولى . وقد وجد اهل البحث في الولايات المتحدة حيث يكثر المهاجرون ان اهل اللغة الواحدة هم اقرب الى التفاهم والتضامن على اختلاف الدين والمذهب من اهل العقيدة الدينية الواحدة المختلفين في لغتهم الاَّ اذا كان المهاجرون لا يزالون في ثقافتهم على طريقة القرون الوسطى . ومن المسائل التي اتعبت الحكومة الاميركية ما اشار اليه « الموجز في علم الاجتماع » بقوله « والصعوبة في اقرار النظام الاجتماعي بين الجماعات المختلفة ذات اللغات المتنوعة والافكار المتنافرة والمشاعر المتباينة هي صعوبة كبيرة جدًّا حتى انها لتلاحظ اليوم في المدن الاميركية الكبرى وما فيها من اهلين غير متجانسين .... واللغة هي وليدة السعي للافصاح عما يخالج النفس من الافكار ، ومن ينقب عن منشأ المجتمع البشري يجد في فعل اللغة وفي ردّ فعلها سبباً من الاسباب الداعية الى تكوين هذا المجتمع ونتيجة من النتائج الناجمة عنه »

ونحن باللغة نصور حالات النفس ، ونرسل على سلكها ادق مشاعرنا الى اعماق قلوب غيرنا وبها نقنع الخصم ونهذب الطبع ونستفز الحمية وننشر العلم ونهدي الضال وننير الطريق ، واللغة رحى اجتماعية تطحن العناصر وتمزج بعضها ببعض ولولاها ما كان اتساق ولا انسجم رأي عام ، فهي هي اساس التشابه الاجتماعي الذي تبنى عليه الوحدة الوطنية وهي هي اداة التنظيم العقلي الذي يكسب الامة ارادة عامة ، وقد احسن ارسطو كل الاحسان بتعريفه الانسان انه حيوان ناطق . قال الاستاذ بايندر «وطاقة الناس على التكلم بلغة واحدة تعني اشتراكهم في اعمال أخرى على نمطٍ متشابه وطريقة واحدة ، وتنتقل الملاحظات من الواحد الى الآخر بسبيل الكلام فكان متحتماً ان يعمل التلميذ مثل استاذه على اساس المحاكاة والارشاد . وهكذا يكون اتجاه عقلي متماثل يتجلى في الاعمال المتماثلة في كل دائرة من دوائر الحياة ، فتكون عروة الاتصال في الواقع عروة تطبيع لا عروة طبع ، ولكن هذه الحقيقة لبثت مجهولة زمناً مديداً . فاهتمَّ الناس خطأ بالانساب وصلة الارحام

بدلاً من ان يوجهوا عنايتهم شطر العنصر التهذيبي المتجلي في العلائق القائمة بين الناس على الادراك.
لا تزيد قيمة الانساب والاصلاب في الانسان عن قيمتها في الحيوان، ولكن الباسها حلة من القدر
القيمة جعلها رابطة من الروابط الاجتماعية [١]

رابعاً : ﴿ الوحدة الدينية ﴾ الاخوة الدينية جزء من الثقافة العامة ولها أثر فعال في جمع عناصر المتباينة ، وكان ذلك خصوصاً قبلما ظهرت الوطنية الحديثة بشكلها الزمني الشامل ، ولما كان لدين في القرون الوسطى الفارق الاعظم بين الناس ، وكان المجتمع قائماً من الاساس على انواع معبودات التي يسجدون لها بحيث ينظر الى دين المرء أكثر مما ينظر الى لغته وعاداته وجنسه الاقليم الذي ولد فيه ، فكانت الحروب الخارجية تعان بين الجماعات لاسباب دينية كما هي الحال في لحروب التي أثارتها النصرانية لتحطيم الوثنية والثورة العالمية التي قام بها الاسلام للتوحيد والتنزيه ن الشرك ، والحروب الصليبية التي شنتها اوربا على بلاد الاسلام بحجة انقاذ القبر المقدس ، وهي فتئت تشنها حتى في القرن العشرين كما يستدل من قول اللورد اللنبي عن فتح فلسطين انه آخر حرب صليبية ـ لما كان ذلك كلهُ قائماً على اعتبارات يتعلق معظمها بالايمان وبالعبادة وبالموقف الخاص لذي يقفه المؤمن تجاه معبوده فلا غرو ان يقسم الخلق اجمالاً الى قسمين اثنين لا ثالث لهما قسم المؤمنين وقسم الكفار وان نعتبر ملة الكفر واحدة مهما اختلفت العقائد التي تدين بها ، وان يعامل « المؤمنون » معاملة فيها كل انواع التفضيل ، في حين يحرم الكفار من كثير من الحقوق حتى ما كان منها في بعض الاحيان جوهريًّا ، ويبدو الأثر الذي تحدثه هذه النظرية الى عصر متأخر في الكتب التي وضعها بعض المشترعين الاوربيين المتأخرين عن « حقوق الدول » وفيها حصروا التمتع بمزايا هذه الحقوق ومنافعها في العالم النصراني ـ دون العالم الاسلامي مثلاً ـ يعني ان الذي يقول « باسم الاب والابن وروح القدس » يحق له ان يجلس في قاعة الامم واما الذي يقول « باسم الله الرحمن الرحيم » فيبقى خارجاً !

وفي العلوم الاجتماعية الحديثة ان الدين هو احد الروابط التي تربط الناس بعضها ببعض من غير زيادة ولا نقصان ـ فالرأيان المتطرفان وهما رأي من يقول ان الدين لا شأن له اليوم في جمع الناس من جهة ، ورأي من يقول ان الدين هو العامل الوحيد في تأليف الجماعات من جهة اخرى ، كلاهما بعيد عن محجة الصواب ولا يؤيده العلم ، وحسبنا في تأييد ما للرابطة الدينية من قوة في دهاء الناس ان نبين هنا كيف تستغلها السياسية التوسعية لمصلحتها وتستعين بها على الجماعات كما تفعل فرنسا في سورية فاننا نراها هنـاك احرص على المذهب النصيري والدرزي من النصيريين والدروز أنفسهم . وليس في الاحداث السياسية بعد الحرب العظمى حدث بني على الرابطة الدينية ـ في الظاهر ـ مثل الوطن القومي الصهيوني في فلسطين ، فمثل هـذه التجربة الجريئة في بلاد لا يدين

(1) Major Social Problems, p. 207

أهلها باليهودية لا تليق بدولة تعيش في القرن العشرين ، ولو قامت مثل هذه الدعوة في بلاد شرقية متعددة الاديان لرمانا اهل اوربا بكل مذمة ولادعوا بأننا لا نزال على وضعة القرون المظلمة ، وليس في جميع الشرق اليوم دين حرماني ينصب الحواجز حوله عالياً كالصهيونية لأنها اضافت الى الوطنية المتطرفة تعصباً دينيًّا متطرفاً

وهل يوجد في جميع العالم سخيف واحد في طاقتهِ ان يدعي ان مجرد هيام فرنسا بالدرزية وانكلترا باليهودية أدّى الى تأليف دولة الدروز في سورية والوطن القومي الصهيوني في فلسطين ؟

وكنا نحسب ان إرلندة في نهضتها الحديثة افهمت الانكليز خطر العبث بالاديان واتخاذها وسيلة للاغراض السياسية المادية ، فزرع البغضاء على هـذا النمط لا ينبت غير القلاقل في الاحوال العادية ، واما عند سنوح الفرص — في الحروب العامة واشتغال كل فريق بما يضمن له اسباب الحياة — فالخطر يتجاوز حدود الشرائع وقواعد الايمان

***

ونحن وان لم يخامرنا شك في قوة الدين الروحية وانها على جانب عظيم من الخطورة الاَّ ان نهضة الشعوب الحديثة في القرن الماضي وفي هذا القرن — نهضة الترك انفسهم وهم من صميم الشرق — حملتنا على لفت انظار القرّاء الى قول الاستاذ (بايندر) وما فيه من الحق الصريح حين وصفها بأنها «تفقد سلطانها حتى بين الشعوب الاكثر جهلاً في آسيا ، لانه لما اريد جمع المسلمين تحت لواء الجهاد المقدس لمقاتلة النصارى لم يطع اتباع النبي تلك الدعوة بل ان الكثيرين منهم قاتلوا خليفتهم على اساس وطنية استفاقت من غفلتها حديثاً . فالعرب مثل المسلمين الهنود اشتبكوا في حرب يقاتلون الترك باعتبارهم طورانيين . وفي يومنا هـذا تفوق الوطنية بعداها البعيد وشأنها الخطير سائر روابط الاتصال بين الجماعات » (١)

(خامساً) خضوع مشترك حِقبةً من الزمن لحكومة نظامية ثابتة !

مهما قيل في الامبراطوريات العظيمة التي تتألف من عناصر متنافرة فان خضوع هذه العناصر لحكومة واحدة مدة من الزمن مديدة يقرّب شقة الخلاف الطبيعي فيما بينها من بعض الوجوه ويجعلها في كثير من امورها على نسق واحد . وقد كانت الامبراطورية النمسوية مثلاً على ذلك في الغرب الى ان مزقتها الحرب العالمية ، وكذلك كان حال الامبراطورية العثمانية ، فان حكومة الترك العثمانيين بعد استقرارها اجيالاً في الاستانة استطاعت ان تخلق من الترك والعرب والكرد والارمن واليونان والالبان على اختلاف الملل والنحل شيئاً من التشابه والاتساق على الرغم من دواعي التنافر

(1) Major Social Problems, p. 209

وبواعث الاحتكاك . فاذا كان هذا سلطان الادارة المستدعة في سبك العناصر المتنافرة فليت شعري ماذا يكون سلطانها في العناصر المتجانسة في طبعها وطبيعتها وثقافتها ؟ ولا مراء ان ذاك الوضع الديني السياسي الذي خلفته القرون الوسطى وهو وضع البابوية في النصرانية والخلافة في الاسلام كان له الاثر الفعّال في سبك (المؤمنين) وطبعهم على غرار واحد . وغير نكير ان البابا كان في بعض الاحيان في وكر كما كان الخليفة في قفص ولكن الوضع الذي مثلاه كان ممتدًّا الى اقاصي المعمور ، ولئن تجلى هذا الامر الروحي السياسي بأتم مظاهره في القرون الوسطى فذلك لان العقيدة الدينية تناولت حياة البشر في تلك الاجيال من جميع الوجوه فقد عاش الناس يومئذٍ في الدين واكلوا في الدين وشربوا في الدين وماتوا في الدين وعملوا سائر اعمالهم في الدين كما يتضح من التلاوات والاوراد والشعائر التي كان يقوم بها الفرد منذ ما يصبح في فراشه الى ان يعود اليه في الهزيع الاول من الليل. ويعجز القلم عن تبيان الخدمات الجلّى التي أدتها العقيدة الدينية لتنظيم اكثرية عظمى من الناطقين بالعربية تنظيماً روحيًّا عقليًّا اجتماعيًّا واعدادهم للتفاهم ، لان الشرط الاول في تأسيس الدولة الثابتة هو احداث نواة من التجانس صالحة للارتكاز والتجمع ، ولولا هذه النواة المؤلفة من الاكثرية لادّى التنافر والتشاكس بين العناصر المتكافئة الى الفوضى والتفتت . ومن بعد ما تألفت هذه النواة صار في الميسور الانتقال الى الطور الاجتماعي التالي وهو طور الوحدة السياسية، ففي هذا الطور تتسع اسباب التشابه بحيث تصير الثقافة العامة ــ بصرف النظر عن العقيدة الدينية والمذهبية ــ اساس اجتماع الكلمة ، فيكون للوضع الديني السياسي المزدوج في القرون الوسطى والحالة هذه القدح المعلّى في اعداد الشعب على اختلاف ملله ونحله للانتظام الحديث والمضي في طريقة سياسية تضمن للجميع اخوة ومساواة من غير تفريق ، لان وحدة من غير اكثرية أساسية سابقة يقوم عليها البناء السياسي وتلتفّ حولها الاقليات مع احتفاظها بخصائصها هي وحدة الاحلام ، ويعمل القبط اليوم وهم من صميم النصارى مع اخوانهم المسلمين لرفعة شأن مصر اعمالاً تسجل بمداد الفخر وهي درس بليغ يجب ان يتلى على مسمع من شغلتهم السفاسف القروسطية والتعصبات البالية عن انقاذ بلادهم من مراشف المستنزفين وبراثن المستعمرين

(سادساً) : اشتراك في المصلحة الاقتصادية وتماثل في المهن والحرف وما ينتظر لها من ثمرات

(سابعاً) : «اشتراك في تقاليد عامة وفي ذكريات من آلام مرّت وانتصارات تمت وهي تبدو في الاغاني والاساطير والاسماء الغالية لشخصيات عظيمة تتجلى فيها ميزات الامة ومثلها العليا وكذلك في اسماء الامكنة المقدسة حيث الذكرى الوطنية العامة مدفونة في كعبة يحج اليها القوم» وقد قال الاستاذ (رمزي ميور) عن هذا العامل انهُ اقوى العوامل التي تسبك الافراد امة وانهُ لا يمكن الاستغناء عنهُ ، مما يدلّ على انهُ يرى الوطنية كما يراها سائر الكتّاب المحققين شعوراً داخليًّا وفيضاً معنويًّا وهذا ما سنزيده ايضاحاً في المقال الآتي

نكبة الاقتصاد الزراعي المصري

ازمة وسائل النقل

لتوفيق اليازجي

اجمع الاقتصاديون في العالم كلهِ على ان الازمة التي تعانيها جميع الامم هي ازمة شبع لا ازمة جوع وقد جمعت من المتناقضات ما تشمئز منهُ النفس البشرية . فالقمح يتلف في استراليا وكندا واميركا الشمالية. ومع ذلك يقدر عدد العاطلين والاسر المرتبطة بهم بنحو خمس الجنس البشري على الأقل وجميع هؤلاء العاطلين في حاجة الى القوت الضروري . وتهلك اميركا وبلاد السكندناف الخنازير وغيرها من حيوانات اللحوم لكي تصون سعر اللحم في السوق مع ان عشرات الملايين من الفقراء والعاطلين لا يجدون الخبز فضلاً عن اللحم . وتبادر جميع البلاد الزراعية الى تحديد الانتاج من القمح والسكر والقطن ولو تركت الاراضي بوراً مع ان ابناء الانسانية الفقراء الذين يعدون بمئات الملايين يحتاجون الى الطعام والملابس ولكنهم لا يجدون سبيلاً الى الحصول عليها

على ان هذه الخدمة العظمى التي تؤديها الدول المنظمة القوية لارباب رؤوس الاموال لا يمكن ان تدوم طويلاً لان ناموس الاقتصاد الطبيعي لا بدَّ ان يفعل فعله فيتطور الزمن وتتبدل الاحوال والآراء ويسير الاصلاح سيره شيئاً فشيئاً . ونحن نشهد هذا السير الآن وان كان بطيئاً . فالامم التي تنتبه لهُ وتبادر الى تكييف حياتها الاقتصاديه. تكييفاً منطبقاً عليهِ تستطيع ان تنجو بنفسها من حكم الطبيعة القاسي وتجاري الامم الاخرى في مضمارها الجديد

***

وفي طليعة الحقائق التي ينبئنا بها سير العالم الاقتصادي الحالي هبوط اثمان الحاصلات الزراعية ونزول اثمان المصنوعات في اثرها . فقد ارتقى العلم في هذا العصر ارتقاء شمل الانتاج الزراعي من جميع نواحيه كما شمل كل شيء آخر ؛ فأصبحت آلة صغيرة لا يزيد ثمنها على بضع مئات من الجنيهات قادرة على انتاج محصول لم يكن ينتجه من قبل سوى مئات من الايدي العاملة . وتقدمت وسائل النقل وتنوعت فهبطت الاجور وترتب على ذلك كثرة الانتاج وترتب على كثرة الانتاج هبوط الاسعار فضعفت قوة الشراء في البلدان الزراعية . ولما كانت هذه البلدان تستهلك الجانب الاعظم من مصنوعات المعامل فان هذه المصنوعات لم تجد اسواقاً لاستهلاكها لان ثمنها اعلى من القدرة العامة

على الشراء ولم يكن في وسع المعامل تخفيض الاجور تخفيضاً يذكر لان العمال منظمون ومستعدون للاضراب عند تخفيض اجورهم . ومن هنا نشأت الازمة الصناعية واستفحلت البطالة واستطاع بلد كاليابان رخصت فيه أجرة العامل ان ينتهز هذه الفرصة ويغمر اسواق العالم بمصنوعاته . ويضيف الى رخص اجرة العامل اتقان التنظيم الصناعي وتخفيض سعر العملة

فاليابان في مقدمة الدول التي استطاعت تكييف الانتاج وفاقاً لحاجة الزمن ولذلك لا نرى فيها من الازمة ما نراه في غيرها . فالازمة تعظم او تضعف بقدر ما تنتبه الامة الى تكييف احوالها ومراعاة التطور الاقتصادي الجديد في العالم

***

اما مصر فقد تكون في مؤخرة الامم المنتجة التي تنتبة الى هذه الحقائق اذ ما زالت تكاليف الانتاج فيها كما كانت قبل الازمة . ولو لم تخفف الحكومة وطأة هذه التكاليف بتخفيض ضريبة القطن وبمنح الاعانات لتصدير القمح والفول والارز وبتسهيل التسليف الزراعي وبتخفيف بعض الضرائب لاصيب هذا القطر بكارثة كبرى

ولكن جميع هذه التدابير ليست علاجاً بل مسكناً وقتياً من ألم الازمة . اذ ما زالت تكاليف الانتاج موازية لثمن المحصول . فالقطن لا يباع الآن بربح يذكر . والقمح لا يمكن ان يبلغ سعره الحالي لولا الرسوم الجمركية الفادحة المفروضة على القمح الاجنبي . فالربح منهُ ليس ربحاً اقتصادياً بل عبارة عن مبلغ تأخذه الحكومة قسراً من جيوب جميع السكان في مصر وتمنحهُ لزراع القمح الذين لا يستطيعون ان ينتجوه ويبيعوه بالسعر الذي يباع بهِ قمح البلدان الاخرى . ولولا اعانات التصدير الكبيرة التي انفقت على الفول والارز لما كان من الممكن اصدار شيء منهما ولهبط سعرهما الى اقلّ من تكاليف انتاجه الحالية كما رأيناه ذلك فعلاً في وقت من الاوقات

فالخطة الوحيدة التي يجب اتباعها لجعل الاقتصاد الزراعي المصري عملاً منتجاً رابحاً بذاته هي تخفيض تكاليف الانتاج وزيادة غلة الفدان . واود ان اقصر كلامي في هذا المقال على الشق الاول لانهُ في نظري من المهام التي يسهل الاضطلاع بها في الحال بدون حاجة الى عناء كبير او نفقات كثيرة

***

وفي مقدمة تكاليف الانتاج اجرة اليد العاملة واثمان البذور والسماد والضرائب واجور النقل. اما الاولى والثانية فلا سبيل الى تخفيضهما تخفيضاً يذكر لانهما بالغتان ادنى الحدود . واما الضرائب فقد خفض جانب منها واستعاض الزراع عن جانب آخر باعانات التصدير وببعض المنح السنوية . على

انها مازالت اعظم من الحد الذي تتحمله حالة الانتاج الزراعي الحاضرة فلا بد للحكومة عاجلاً او آجلاً من ان تفكر في تخفيضها الى المستوى الذي تقتضيه سلامة الاقتصاد الاهلي . وأما اجور النقل فهي التي تستحق العناية العظمى الآن ويتوقف عليها جانب كبير من التيسير الذي يسمح للاقتصاد الزراعي بأن يكون رابحاً

واعظم وسائط النقل في مصر هي السكك الحديدية فلو رجعنا الى تعريفاتها المختلفة وجدنا انها اغلى السكك الحديدية اجوراً في العالم مع انها لا تدفع ضريبة ايراد ولا رسوماً محلية ولا شيئاً مما يحد من ارباحها . ويتقاضى موظفوها على اختلاف درجاتهم مرتبات تزيد اضعافاً على امثالها في السكك الحديدية الاخرى في العالم . على ان اجور النقل عدلت فيها قليلاً في العهد الاخير ولكنه لم يكن التعديل الكافي الذي تقتضيه مصلحة الانتاج الزراعي . ويكفي ان نعلم الآن ان اجرة نقل قنطار من البصل من الوجه القبلي الى الاسكندرية تزيد كثيراً على ثمنه . وأجرة نقل شحنة كاملة من البطيخ من مكان يبعد ثلاث ساعات عن القاهرة الى اسواق هذه المدينة تزيد على ثمن الشحنة زيادة كبيرة فكأن الزارع يزرع وينتج ويعمل طول السنة لكي يدفع ضعف ثمن محصولهِ اجرة نقل

***

ومن الغريب ان لدينا في مصر وسائل نقل رخيصة جدًّا ولكننا نهمل امرها ونحاربها بكل قوانا . فالنيل يتخلل بفروعه وترعه انحاء القطر جميعها . وفي الامكان تعزيز الملاحة النهرية تعزيزاً يسمح بنقل المحاصيل المصرية بين المدن المختلفة وبين الحقول والموانئ بأجور تقل عن ربع الاجور الحالية بالسكك الحديدية ومع ذلك تضع الحكومة جميع العقبات الممكنة في سبيل النقل النهري ورائدها في ذلك منعه من منافسة السكك الحديدية مع ان الخطة المثلى هي ان تعمل على انزال تكاليف النقل بالسكك الحديدية الى مستوى اجور النقل المائي او ما يقرب من مستواها لا على رفع هذه الى مستوى تلك

وما يلاقيه النقل المائي من العراقيل تلاقيه السيارات . فالقطر المصري محروم من الطرق المعبدة التي لم تعد اقل المستعمرات شأناً في العالم خالية منها . ومن العار ان يوجد في بلد ناهض كمصر طريق سيئ بين مدينتين كبيرتين كطريق القاهرة والسويس . ومتى خرج المرء من المدن الكبيرة فانه لا يكاد يجد طريقاً عصرية للسيارات . ولا نظن ان قلة المال هي التي تدفع الحكومة الى اهمال الطرق . ولا نجد تعليلاً لهذا الاهمال سوى الحرص على ان لا تنافس السيارات السكك الحديدية

ومن جملة التدابير التي اتخذتها الحكومة لحماية السكك الحديدية من المنافسة زيادة الرسوم الجمركية على السيارات اضعافاً ورفع الرسم الجمركي المفروض على البنزين من نحو ١٤٠ قرشاً في سنة

١٩٣٠ الى ١٢ جنيهاً في سنة ١٩٣٢ . وما زال هذا الرسم كما هو حتى الآن . وأصدرت الحكومة اخيراً ضريبة السيارات . فكان نصيب السيارات الخاصة بالنقل منها فاحشاً جداً اذ قد حصرت استعمال سيارة النقل الكبيرة في مديرية او محافظة واحدة وكلما امتدت الى مديرية او محافظة اخرى زاد عليها الرسم . ثم ان الرسم جعل وفاقاً للوزن فهو ١٥ مليماً عن كل كيلو من الوزن الاجمالي لسيارة النقل على ان لا يقل مجموع الرسم عن ١٥ جنيهاً ولا تستعمل السيارة الاَّ في مديرية او محافظة واحدة . فاذا استعملت في مديريتين زاد الرسم الى ٢٠ مليماً على الكيلو الواحد . والحد الادنى الى ١٥ جنيهاً . واذا استعملت في جميع انحاء القطر زاد الرسم الى ٢٥ مليماً على الكيلو الواحد . وقد احتفظت الحكومة لنفسها في قانون هذه الضريبة بالحق في زيادتها حتى ٣٥ في المائة ومعنى ذلك انها اذا لم تجد الضريبة كافية لمنع السيارات من منافسة السكك الحديدية فانها تظل تزيد الضريبة الى ان تقضي على المنافسة

***

قد يقال ان الحكومات الاوربية تجري على مثل هذه الخطة لمنع السيارات من منافسة السكك الحديدية في النقل ولكن الفرق بين ما نفعله نحن وما يفعلونه هم هو انهم يتوخون الانصاف في الفرص وفي المعاملة لا حماية احد الفريقين على حساب الآخر . فالسكك الحديدية في انكلترا مثلاً تدفع ضريبة ايراد فاحشة وتدفع رسوماً محلية عديدة فلا تستطيع وهي تتحمل هذه الاعباء ان تقوى على المنافسة ولذلك تضع الحكومة من الاعباء على السيارات ما يقيم ميزان العدالة بين الفريقين فتتساوى الفرص وتكون الغلبة لمن يقيم الدليل على انهُ اقدر من الآخر على خدمة الجمهور . اما في مصر فالسكك الحديدية تتمتع بجميع المزايا ولا تدفع للحكومة شيئاً سوى فائدة قدرها ٤ في المائة عن رأس المال ومع ذلك لم تزد ارباحها في السنة الماضية على ٢ في المائة بعد دفع فائدة رأس المال . فلو انها كانت تدفع ضريبة ايراد لاصيبت بخسائر فاحشة . ثم لو انها كانت تجدد خطوطها وأدواتها المحركة والمتحركة لقلنا انها تنفق جانباً من دخلها على تحسين حالتها . ولكن السكك الحديدية المصرية كما يؤخذ من التقارير الرسمية اسوأ حالاً من جميع السكك الحديدية في العالم . فالمدير العام يقول في مذكرة كتبها في يناير الماضي ان جميع الخطوط تحتاج الى تقوية وان كثيراً من المحطات ليس فيها ارصفة للبضاعة وليست مربوطة بعضها ببعض باشارات . وكثير من ارصفة التخزين قصيرة لا تستوعب العدد اللازم من عربات البضاعة ويتطاير الغبار على الركاب على جميع الخطوط . ويخشى من الحالة التي وصلت اليها القاطرات والمركبات على سلامة الجمهور

فالسكك الحديدية المصرية في حاجة الى اصلاح جوهري يقلب نظامها الاساسي رأساً على عقب وينزل اجور النقل الى المستوى الذي يتفق مع مصلحة الانتاج وقدرة الجمهور على الشراء وهذه

هي الوسيلة الوحيدة التي تسمح للاقتصاد الزراعي الى حد كبير بان يكون رابحاً وتكفل منع منافسة السيارات للسكك الحديدية

***

وقد لا نجد مناصاً من التفكير في توحيد وسائط النقل في القطر المصري فيكون مشتركاً بين السفن النهرية والسيارات والسكك الحديدية لكي يمكن تخفيض الاجور الى اقل حد يتفق مع مصلحة الانتاج . وقد وجدت وسائط النقل في العالم لخدمة الانتاج ولاسيما متى كانت ملكاً للحكومة ونحن نثق بان المدير العام للسكك الحديدية المصرية يعرف هـذه الحقائق حق المعرفة فان لم نره يعمل بها الاّ ضمن حدود ليست بذات شأن كبير فقد تكون يده مغلولة عن العمل

***

بقي الشطر الآخر من وسائط النقل وهو النقل البحري اي ايصال المحصولات المصرية الى اسواق الاستهلاك الخارجية . وهو لا يقل ارهاقاً للمحاصيل عن النقل بالسكك الحديدية . ومن اهم المحصولات المصرية التي تنقل الى الخارج القطن والبصل والبيض والارز . وجميع السفن التي تنقلها اجنبية . والاجور فاحشة في جميع الحالات تزيد على ضعف اجور نقل البضائع التي ترد الى مصر من الخارج في السفن ذاتها . ويحدث عند ابتداء كل موسم ان يتآمر ارباب السفن على المحصول المصري ويحددوا سعراً فاحشاً لنقله فلا يجد التجار مناصاً عن دفع هذه الاجرة . ومن المقرر انهم يضيفونها الى التكاليف ويحسبون حساب السعر في سوق الاستهلاك ويحددون الثمن الذي يشترون بهِ المحصول على هذا الاساس فلا يبقى للزارع المصري من ثمن محصول ما يكفي لتسديد نفقات انتاجه . ولولا اعانة التصدير لاصيب بخسارة محققة . وترهق القطن طائفة كبيرة من التكاليف والنفقات الاضافية بعد خروجه من الحقل . وقد حسب صاحب السعادة احمد عبد الوهاب باشا وكيل وزارة المالية هذه التكاليف في مذكرتهِ عن السياسة القطنية وتتبعها واحدة فواحدة فوجد ان القنطار الواحد من القطن يصيبهُ ١١٠ قروش ابتداء من خروجهِ من الحقل حتى يصل الى ليفربول ، فهل يربح الزارع نصف هذا المبلغ من قنطار من القطن ؟

***

والحل الوحيد لمشكلة النقل البحري هو ان يكون لمصر اسطول تجاري ينقل محاصيله الى الخارج باجور معقولة . وقد بدأنا نرى نواة هذا الاسطول تتكوَّن . فعسى ان تحقق آمال مصر وتؤدي للاقتصاد الزراعي المصري الخدمة التي يحتاج اليها الآن كل الاحتياج للمحافظة على سلامته ولجعله قادراً على المنافسة في اسواق العالم

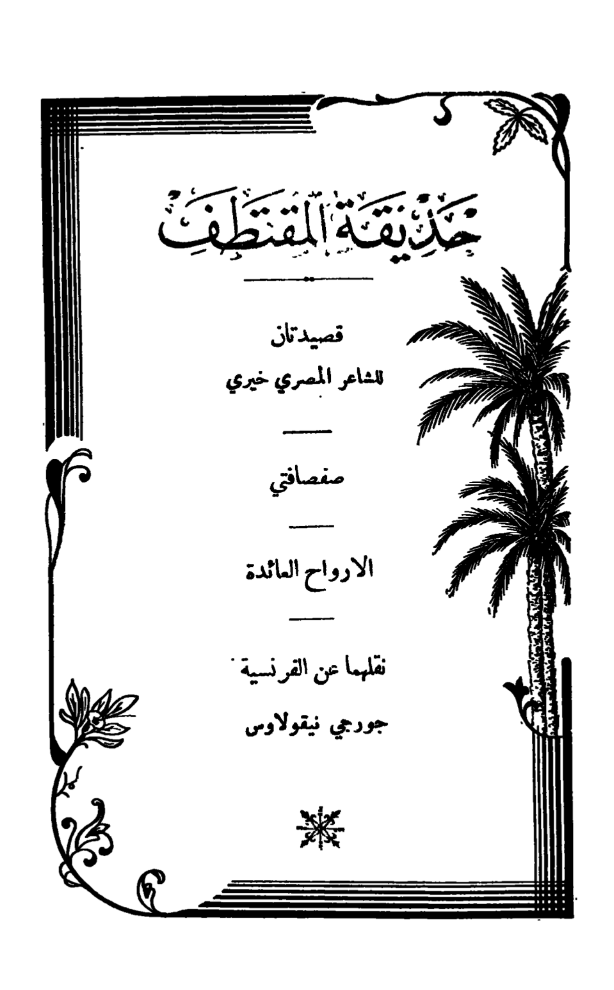

حديقة المقتطف

قصيدتان

للشاعر المصري خيري

صفصافتي

الارواح العائدة

نقلهما عن الفرنسية

جورجي نيقولاوس

قصيدتان

للشاعر المصري خيري : نقلها عن الفرنسية : جورجي نيقولاوس

صفصافتي

أيتها الصفصافة ! ياصفصافة دموعنا ، ذات الاوراق العيية التعبة ، انك لتنحنين دون رجعة ، على ثرى الاموات ، وتهدلين فوق باقات الزهور الداكنة المبعثرة ، ذات الاكمام الثلجية ، التي هي ازهار آلامنا وأحزاننا

بينما أشجار الغابات ، التي يعطرها الندى ، واقفة كالمردة ، وقد انتصبت اغصانها فأشبهت قننها سهام القباب الذاهبة صُعُداً ، في الفضاء الوردي ، وهي تكاد تمسّ السماء

ورياح العواصف الهوجاء ، وهي الجبارة التي لا يسلس لها قياد ، تنثر أوراق هذه الاشجار ، عابثة بها ، فتتحمل الاشجار آلامها بصبر وجلد ، وهي تضطرب تحت وابل الامطار ، وقد ادركتها حشرجة الموت ، لكن ذلك لا يحني هامتها ، ولا يثني من عزتها

ومع ذلك تجد هذه الاشجار القائمة العابسة ، ضحية الصقيع القارض ، في اكثر الاحيان ، الغبطةَ والبهجةَ ، اذا ما انطلق ، في رابعة النهار ، وتحت ظلالها الوارفة تغريد الطيور الصدّاحة البهج ، المختلف الالحان ، الذي يشبه نشيد جوقة ، ذا تراديد طويلة المدى ، شجية التواقيع

. . او اذا ما جذبتْ اليها من بعيد ، زمرة من العشاق الجذلين ، فتظلل تحت اغصانها الحب ومباهجه العديدة ، ولذة كلماته العذبة المسكرة ، المملوءة سحراً وشجواً فتمتزج أحاديث الهوى وتباريح الغرام ، بحفيف اوراق هاتيك الاشجار الحريرية ، فتتكوّن من ذلك الحانٌ وأغانٍ ، تملأ القلوب لذة وحبوراً

اما انتِ ، ايتها الصفصافة الساكنة ، الكئيبة ، المنعزلة ، البعيدة عن مباهج الحياة ، المنزوية في ركن الوحدة ، فلا يطرق أذنيك ، سوى تنهدات وأنات اولئك الاحياء الباقين ، وزفراتهم المؤلمة ، المتساقطة من اعماق نفوسهم المتفجرة

وهذا النشيد المميت ، الذي سيُودي بكِ ، يحني بحزنٍ اغصانكِ المنتحبة الباكية ، وكأنها بهذا التدلي الابدي ، تتقبّل الآلام المنبعثة من قلوب الاحياء المنفطرة

يا صفصافة دموعنا ، يا صديقة متوسدي الثرى ، قد يكون انحناؤكِ على اجداث الموتى ، فوق زهور الراحلين ، ذات الاكمام الثلجية ، حناناً منكِ ورأفةً ، فتميلين لتسكبي على تلك الارض الغامرة ، شآبيب السلوى ، وتفيضي عليها حنانكِ ورحمتكِ

أجل ! في جوف الليل الهادئ ، تمسّنا ارواح موتانا ، فتتدفق في قلوبنا الوسيعة ، المُعدّة لاحتوائها ، كأنها ازاهير الليل ، المتفتحة الاوراق والاكمام ، التي يكتمل رواؤها ، عند ما تقع عليها اعين المحبين

قد تكون هذه الارواح ، ارواح ابناءٍ تدفعها المحبة البنوية ، او ارواح امهات تحملها عاطفة الامومة ، فتتنسّم نزعات قلوبنا النسيّة ، حيث تحترق اميالنا ، وتذوب نزواتنا ، فتجدد في افئدتنا الايمان ، الذي يشرّف احلامنا ، ذات المنازع العدائية

وانتِ ايتها الشقيقة الساهرة ، الحارسة ، المنبئة بما يُخبّىء لنا المقدور ، وانتِ أيتها الحبيبة الوفيّة ، ذات النزعات الحبّية الخالصة ، وانتِ ايتها الاشباح ، اراكِ تحسدين ذخائركِ الحيّة : اي نحن الباقين ، نحن الاصدقاء البعيدين ، المحتلين لمقامكِ الارضي الذي رحلت عنهُ

عندما يتملّكنا الكلال عقب الاوقات الصخّابة ، نشعر في قرارة نفوسنا ، بانجذاب الى الوحدة والانفراد ، لننعم بالهدوء والسكينة ، في تلك الجنان الجميلة الحافلة بالاشباح المؤلمة ، السارية في تلك المفازة الغريبة ، ذات المناظر الخفية الجذّابة

وأنتِ يا ارواح الموتى ، الأمينة الحبيبة الينا ، تحركين بنفسكِ ، ذكرياتنا الماضية ، في احلامنا الهادئة ، فتمدين الينا يدكِ الخفية ، وتقودينا بتؤدة ، نحو اشجار السرو ، التي هي أشجار التنهدات والزفرات

ايتها الاشباح الحزنة ، يا اخوات الوحدة القاتلة ، انك تسحريننا بهذا التسكين الشعري ، المؤلف من سيّال لا نهاية له ، يسكرنا ويُضرم عواطفنا ، ليتسنى لكِ دون عائق ، ان تُغدقي على افئدتنا ، حنوكِ الكلي ، ورقتك السماوية

ايتها الرُوح الحائر ، يا روح الام المتبختر عطفاً ، السعيد بهذا العطف ، ليسهر بواسطة بكائهِ ، على ابنهِ العزيز ، ويحوطه بالحب الأموي المتناهي ، الذي لا ينضب معينُه ، انك الروح المحب ، الذي يعذبهُ ابداً ، ذلك العطف الذي تتساقط اوراقه ، في قلب نقي ، لا يعتريه ندم ، ولا وخز ضمير

اجل ! ان الارواح تمسّنا في جوف الليل الهادىء ، ولكن في نهارنا الذي يملأه النسيان الجنوني الكثير الصخب ، تتطاير في اكثر الاحيان ، اعز ذكرى لها ، تطاير الرماد تذروه الرياح ، فتعفو آثارها ، متغلغلة في طيات القدر المحتوم

صاح ! عند ما تنفجّر في قلوبنا هذه الاصوات العزيزة علينا ، لنكرم بمسرة وارتياح عودتها العطوف ، ولنقدّم بهذه المحبة العميقة ، التي تحنو على آلامنا واوجاعنا ، الزنابق الطاهرة ، لأسمى واشرف حب ، تضطرم بهِ حشىً ، ويختلج بهِ فؤاد

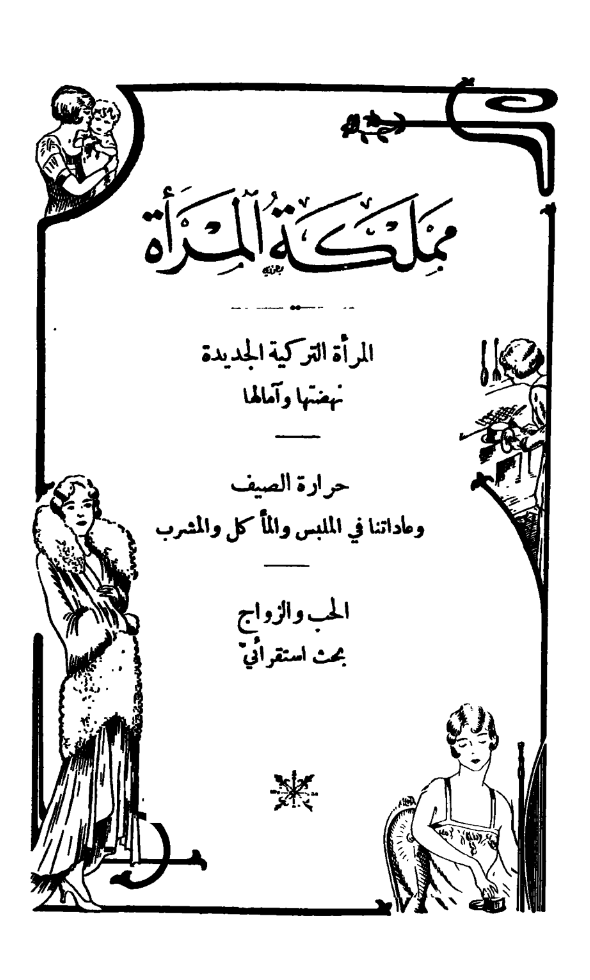

مملكة المرأة

المرأة التركية الجديدة

نهضتها وآمالها

حرارة الصيف

وعاداتنا في الملبس والمأكل والمشرب

الحب والزواج

بحث استقرائي

*

المرأة التركية الجديدة

نهضتها وآمالها

شهدت تركيا في العقد الاخير ، انقلاباً ايّ انقلاب في مقام المرأة التركية ومكانتها الاجتماعية فالسيدات اللواتي كنّ منعزلات في الحريم ، ولا يخرجن الى الشوارع الاّ وعلى وجوههنّ احجبة كثيفة ، وملاءات تغطيهنّ من قمة الرأس الى اخمص القدم ، تراهنّ الآن في شوارع استانبول وازمير وانقره ، مرتديات احدث الازياء ، او على شواطىء جزائر الامراء وترابيا لابسات آخر ما يعهد من ملابس الاستحمام . ثم ان المرأة التركية قد شقّت طريقها في حياة تركيا العامة ، تراها تشترك في الانتخاب وتدرّس في المدارس وتنتخَب في مجالس البلديات وتجلس الى جانب القضاة في المحاكم وتشترك مع ارباب الاقلام والاعمال في انشاء الصحف على انواعها وادارة المصارف

***

صباحت فتاة في التاسعة عشرة من العمر تخرجت من الليسيه هذا الصيف ، وينتظر ان تنتظم في الجامعة في اوائل الخريف المقبل . نشأت في بلدة بالاناضول سكانها خمسون الفاً . فكانت اولى فتيات تلك البلدة في تلقي العلوم بمدرسة من درجة « ليسيه » . ولكي تدرك مقام هذا العمل من جانبها يجب ان تعلم ان الفتيات المسلمات في بلدتها ، كان يحظر عليهنّ الانتظام في مدرسة اجنبية فيها فكادت تلك المدرسة ان تكون وقفاً على الفتيات الارمنيات . ولكن صباحت ، كانت ترغب في العلم رغبة ملحة وكان ابوها ارمل وهي وحيدتهُ . فعطف على رغبتها ولكنهُ تردّد ، ذلك ان اعمامها واخوالها وعماتها وخالاتها وسائر اقاربها اعترضوا اشد اعتراض على هذه الفكرة النكراء . وظلت هي تقاوم مقاومتهم ثلاث سنوات متوالية ، وصبرها لا ينفد ، وعزيمتها لا تُفلُّ . واخيراً سلّم لها ابوها بما تريد وسمح لها بان تنتظم في سلك مدرسة اميركية للبنات في مدينة مجاورة . فلما اقفلت المدرسة الاميركية انتظمت صباحت في مدرسة « ليسيه » تركية في مدينة بعيدة عن مسقط رأسها

وكانت صباحت فتاة ذكية ، مجتهدة ، فتعلمت لغتها قراءة وكتابة — بنوعين من الحروف — العربية واللاتينية — وتمكنت من اللغة الانكليزية ، وهي كما تدرين يا سيدتي تختلف عن اللغة التركية اصولاً وقواعد . وبني خُلُقها على قواعد من الاعتماد على النفس ، وقوة التمحيص والنقد ، وحسن تدبير الامور ، ونظرة فلسفية الى الحياة ، اعتها فيها انواع المقاومة التي لقيتها وتغلبت عليها . وهي فتاة نحيفة القوام ، فاحمة الشعر مجمومتهُ ، بيضاء البشرة ناعمتها ، سمراء العينين دعجاواهما ، يسترعي منظرها الانظار . وقد رحب افق نظرها الى الحياة فلا تحصر عنايتها في اتقان الدروس التي تتعلمها ، بل تحب المطالعة المسلية المثقفة ، والرياضة والموسيقى وما اليها من الفنون

ولو انّ صباحت وُلدت قبل بضع سنوات ، لكان تعذّر عليها تحقيق امنيتها هذه . ذلك ان القانون

التركي ،كان يحظر على البنات التركيات ، قبل سنة ١٩٠٨ ان ينتظمنَ في سلك المدارس الاجنبية . والمدرسة التركية الوحيدة في استانبول ، حينئذٍ ،كانت دار المعلمات وهي قريبة من رتبة مدرسة ليسيه، وكانت دروسها الرئيسية محصورة في الفقه الاسلامي واللغتين العربية والفارسية او تكاد ، وكانت بعض الاسر السرية تستقدم الشيوخ لتدريس بناتها في منازلهنَّ

وتذكر صباحت ان امها قالت لها مرّة « يجب الاَّ تقلّمي اظافرك في الليل . ان ذلك خطيئة » فقالت الفتاة ولماذا

فقالت الام : اننا نساء . فنحن لا نسأل . انما نطيع » . تلك كانت النفسية النسائية السائدة في العهد السابق لمولد صباحت

ولو ان مولدها تأخر بضع سنوات ، لكانت رأت سبيلها سهلاً . فعشرون فتاة من فتيات بلدتها يذهبن الى مدرسة الليسيه الآن ،والراجح ان مدرسة ثانوية للبنات سوف تنشأ قريباً في تلك البلدة ايضاً

بل ان حماسة الامة التركية لتعليم البنات بلغ مبلغاً عظيماً ، حتى ترى المدارس مزدحمة بهنَّ ، فتجلس ثلاث فتيات على مقعد اعدّ لفتاتين فقط . وابلغ مثلٍ على ذلك عدد الطالبات التركيات في المدارس الثانوية وازدياده.ففي سنة ١٩١٣ كان عددهنَّ ٦٧ فتاةً وفي ١٩٢٣ كان عددهنَّ ٧٧٣ فتاة وفي سنة ١٩٣٢ —١٩٣٣ كان عددهنَّ يربي على ثمانية آلاف . اما جامعة استانبول فتنتظم فيها الشابات على قدم المساواة مع الشبان .والتعليم المشترك سائد في المدارس الاولية والمتوسطة ،ولكنهُ يكاد يكون غير مألوف في مدارس الليسيه . والمشرفون على شؤون التعليم في تركيا ، يعتقدون ان شيوعهُ في مدارس الليسيه ينطوي على خطر

وتلبس الفتاة التركية في المدرسة ثوباً رمادياً او ازرق غامقاً او اسود. وهي تقف باحترام عند دخول المعلمة او عند ما تقترب منها في حديقة المدرسة . تتكلم عندما تخاطَب . وتقوم بما يطلب اليها ان تقوم بهِ . وانما يلاحظ فرق بين الفتيات صغيرات السنّ والفتيات المتقدمات في السن . فصغيرات السن قد أُصبحن اقلّ كلفة في سلوكهنَّ . وقد قيل لاحد الكواتب الاميركيات ان فتاة منهنَّ اعطيت مجموعة من قصائد انكليزية كتبت في عهد الملكة اليصابات وطلب اليها ان تختار منها قصيدة تفضلها على الباقي، فاختارت قصيدة مطلعها ما معناهُ « من المتعذر على حداثة السن ان تساكن تقدم السن» .وترجمت القصيدة ووزعتها على صويحباتها في المدرسة فأعجبنَ بها كلَّ الاعجاب . وقد تحدثت المعلمات التركيات في احدى المدارس مع هذه الكاتبة في حكمة اطلاع الفتيات على قصص الغرام من قبيل ما كتبهُ شكسبير وجان اوستن . وهنَّ يرين ان مطالعة الفتيات لقصص تحتوي على كثير من حوادث الغرام والزواج يضرّ بهنَّ . ثم سألت الكاتبة من لقيتهُ من الفتيات فرأت انهن مطلعات اطلاعاً واسعاً على قصص الغرام . وعدّدت لها الفتاة صباحت ما قرأتهُ من هذه الروايات ولكنها اضافت ان مطالعة القصص لا تهمها بوجهٍ خاص

كانت الفتاة في العهد القديم تلبس الملاءة في السنة الثانية عشر من عمرها . وكانت قبل ان تلبسها ، حرّة في الذهاب الى المدرسة واللعب مع الاحداث من جيرتها ، فاذا لبستها حُظِر عليها كل ذلك واصبح هم والديها البحث لها عن زوج

ولكن الملاءة اصبحت في تركيا الآن من مخلّفات الماضي . فاذا اردت ان تعرف مقام نزع الملاءة في حياة المرأة التركية اقرأ الحادثة التالية : — كانت طائفة من المرشدات التركيات يسرنَ في شارع من شوارع استانبول ، وكانت امرأة متقدمة في السن لابسة الملاءة القديمة تراقبهنّ وهي تذرف الدموع فقالت « اني لا افهم . انني لا افهم . لم اتصوّر انني اعيش حتى ارى هؤلاءِ الفتيات وهنّ في سنّ الزواج ، وقد طرحنَ الملاءة وخرجنَ عاريات الاعناق والاذرع . ألا يخجلنَ » !

وكانت هذه السيدة تعتقد ان هذا الاثم لا يمكن ان يستمرَّ من دون عقاب رادع من السماءِ !

ان رجال الغرب ونساءهُ الذين تعودوا ان ينظروا الى تقدم المرأة من ناحية الحقوق السياسية وخوضها ميدان الاعمال لا يدركون الشأن الكبير الذي تعلقهُ المرأة التركية بالملابس كمظهر من مظاهر حريتها الجديدة . وتقول الكاتبة لوكي باركر انها عرضت على بعض صديقاتها التركيات صور في مجلة اميركية لامرأة لابسة ملاءةً وتطلُّ على البوسفور وقد كتب تحتها « سيدة في تركيا الجديدة » فغضبنَ غضباً شديداً

ثم قالت : نعم لقد منحت المرأة التركية امتيازات سياسية حتى أصبحنَ اسوة بالرجال ، ولكن هذه الامتيازات في نظر المرأة التركية المتوسطة اقل شأناً من الحقوق التي فتحت امامها ميادين السينما والمسرح والالعاب الرياضية والكتب والملابس الغربية وما الى ذلك . وليست الملابس اقل هذه شأناً . فقد رأيت طائفة من خريجات الجامعة التركية يقضينَ ساعة حافلة بالسرور امام صورة ثوب جديد من الاثواب الباريسية . والانسان مغرًى بأنهُ يقلب شفتهُ استخفافاً عند ما يرى هذه العناية بالملابس فيقول « أهذا هو مقياس عقولهنَّ » ؟ ولكن يجب ان نذكر انهُ انقضت قرون والمرأة التركية محرومة من حق اظهار شخصيتها بملابسها خارج دارها . فلهذه العناية بالملابس من جانبهن مغزًى اجتماعيٌّ وتاريخيٌّ كبير

***

وتروي هذه الكاتبة انها سافرت من انقره الى استانبول في القطار الذي يسير بين المدينتين فشاركتها سيدة تركية تدعى جولتن هانم مخدعَ النوم بالسكة الحديدية . وكانت جولتن هانم ربعة تميل الى السمنة وفي الاربعين من السن . ولكنها تامة الانوثة

جلست هنيهة في مقعدها وهي تنظر بسرور الى ما حولها ، المقاعد الوثيرة والمصابيح الكهربائية والحقائب ورفيقتها الاميركية ، وبعد ما رتبت أمتعتها التفتت اليها بعد ما حاولت مخاطبتها بالتركية وسألتها هل تتكلم الفرنسية ، فأجابت انها تتكلمها متعثرةً

فسرّها ذلك وقالت : ان ابنتي قالت لي بأني لن استطيع التحدُّث معك ولكننا نتحدث الآن وهذا يبعث في نفسي غبطة عظيمة

مضت في حديثها كالجدول السلسال ساعة فاخرى فاخرى . قالت ان من بواعث غبطتها ان يتاح لها السفر وحدها . ففي العهد القديم كان احد افراد اسرتها من الرجال يصحبها دائماً ليعتني بها — اما والدها او شقيقها او زوجها . وكان يتعذر عليها ان تحدّث احداً مع انها تحبُّ ان تتحدث مع الناس . وسردت لي انباءَ ثلاث اجيال من اسرتها ووصفت الملابس التي لبستها السيدات في الحفلة الراقصة الكبرى التي اقيمت تلك السنة في انقره

واذ هي ماضية في حديثها قامت الى حقيبة صغيرة وفتحتها واُخرجت منها طعامها ، وطلبت اليّ ان اشاركها فيهِ . وقبل ان استطيع الجواب كانت قد وضعت امامي صحفة عليها قطعاً من دجاجة مقلوّة . ولاحظتها وهي تأكل فاذا آدابها في تناول الطعام ومضغه لا يُعلى عليها . وبعد ما انتهينا من الاكل اخرجت منشفة مبلولة وأعطتني اياها لامسح بها اصابعي . وانني لاعجز عن تعداد وجوه عنايتها . بل لاعجز عن ذكر امرأة غربية تفوقها في ادبها

وكانت جولتن هانم قد ذهبت الى انقره في زيارة لشقيقة لها اصغر منها سنًّا . قالت وهي تحرّق الارّم ان شقيقتها هذه تجيد الانكليزية . اما هي فنسيت القليل الذي تعلمته في المدرسة لانها تزوجت وهي في السادسة عشرة رجلاً طيباً ولكنه كان متقدماً في السن ، وانها في الواقع لم تتعلم الاّ الخياطة والعناية بالاطفال

فقلت ان تدبير امور البيت والعناية بالاطفال من اهم ما تجيده المرأة

فقالت لا شك في انهما من اهم ما تتعلمه المرأة . ولكن التثقيف الحقيقي والمقدرة على مخاطبة الاغراب ... وقالت ان لها ابنة شقيق التقت في حفلة راقصة بشاب انكليزي فاستطاعت ان تخاطبه بلغتهِ ! وقد تزوجتهُ الآن رغم مقاومة اهلها وهم عائشان الآن في ازمير معيشة كلها رغد وهناءة

وكذلك انقضت الساعات بين انقره واستانبول . كانت جولتن هانم من اشد مؤيدات النظام الجديد حماسة ، مع انها لم تمارس حقوقها السياسية الجديدة . ولم تكن تنوي ان تنتظم في سلك صناعة من الصناعات او حرفة من الحرف . ولا كان يهمها ان تتولى هي تدبير ملكها الخاص

وهذا لا يعني ان جميع نساء تركيا تهمهنّ هـذه الناحية السخيفة — في نظر البعض — من نواحي حريتهنّ الجديدة . فثمة طائفة صغيرة من النساء اللواتي بلغنَ مقاماً عالياً في حياة تركيا العامة . فثمة طبيبات ومحاميات وقاضيات ومؤلفات وكاتبات في المحال التجارية وصحافيات ومعلمات يزداد عددهنَّ سنةً فسنةً . والنساء التركيات يشغلنَ مناصب ذات شأن في مجالس المدن البلدية وفي مصالح الحكومة . وقد بعث ببعضهنَّ مندوبات عن الحكومة الى مؤتمر البلقان

ثم ان اقتحام ميادين الحياة العامة ليس مقتصراً على نساء المدن . فقد انتخبت سيدة حديثاً

لمنصب محضر وهو يقابل منصب « عمدة » في مصر ، في قرية على مقربة من ازمير . ومن مهام هذا المنصب تدوين المواليد والوفيات وتوقيع كل الاوراق الرسمية الخاصة بالملك والبيع والارث وما اشبه . وكثيراً ما يحتكم الى المحضر في النزاعات المحلية . وعن طريقه تبعث الحكومة بأوامرها الى الاهلين . واذن فانتخاب امرأة لتشغل هذا المنصب حدث ذو خطر خاص

وقد سهّلت الاحوال طريق المرأة لبلوغ مناصب كبيرة في ميدان الاعمال . فقد مُنِيَتْ تركيا بفقد نصف رجالها في حرب البلقان والحرب الكبرى وحرب الاستقلال التي تلتها . فاقتضى الواجب من النساء التركيات ان يتقدمنَ لسد الثغرة التي احدثتها الحروب في صفوف الرجال . فتقدمنَ غير هيابات وقمنَ بكل نوع من العمل من حرث الارض الى ادارة البنوك — خذ مثلاً سيدة في بيرا باستانبول تدعى خديجة هانم . فهي مديرة فرع بنك الاعمال في بيرا وهي اول امرأة تركية حازت حق التوقيع باسم البنك . غير ان خديجة هانم ليست مديرة بنك فقط بل هي والدة ستة اولاد كذلك ، وتعاون زوجها في ادارة مزرعة ، وهي تقول ان عملها الحقيقي التعليم ، وهو في نظرها ، اوسع نطاقاً من الاشتغال بأعمال البنوك . ولكنها تحسب عمل البنوك ميداناً يوافق موافقة خاصة مزاج السيدات لانهنّ اقدر من الرجال على التدبير . وأكثر منهم لطفاً في معاملة الموظفين والمتصلين بالبنك بصلة العمل

وثمة سيدة تدعى سعاد هانم كتبت كتاباً عرضت فيه لقضية المرأة في تركيا الجديدة ، من ناحيتي تأييدها ونقدها . وهي من اوليات الفتيات التركيات اللواتي انتظمنَ في كلية البنات الاميركية باستانبول بعد دستور سنة ١٩٠٨ . ثم وسعت نطاق تعليمها بالدراسة في المانيا . وقد ندبتها الحكومة التركية غير مرة لتمثلها في مؤتمر البلقان ، وأرسلت الى اميركا لحضور اجتماع عقدته « عصبة النساء الدولية للسلام والحرية »

وقد طالبت المتطرفات من زعيمات الحركة النسوية في تركية في الشتاء الماضي بحق المرأة التركية في الانتظام في صفوف ضباط الجيش . ومنصب ضابط الجيش ذو مكانة كبيرة في تركيا ولكن الشبان يقولون انهم ما زالوا قادرين على الدفاع عن الوطن ، فمنح النساء حق بلوغ مراتب الضباط من غير ان يعملنَ اولاً عمل الجنود ، غير معقول والراجح ان هذه المطالبة لن تسفر الآن ، عن قرار عملي ما

والراجح ان ميادين العمل النسائي في تركيا ، اذا استثنينا دائرة البيت ، سوف تنحصر في التعليم والطب والصحافة والتجارة والعمل الاجتماعي وشغل بعض المناصب الحكومية

كانت المرأة في السلطنة العثمانية اشبه شيء بالاسيرة في البيت يمنعها الحجاب وسوء التعليم او عدمه من الاشتراك في حياة الامة وتأدية نصيبها في ترقيتها . اما الجمهورية التركية فتقول ان الواجب يقضي على المرأة بالاشتراك في تكوين حياتها المثلى . فهي معلمة وطبيبة ومحامية وقاضية وصحافية ولا يمنعها كل ذلك من ان تكون زوجة فاضلة وأمّاً رؤوماً

حرارة الصيف

وعاداتنا الصحية في الملبس والمأكل والمشرب

اذا اشتدَّت حرارة الجوّ كما اشتدت في اواسط يونيو الماضي عمد الناس الى كثير من الامور التي لا تخفف وطأة الحرّ وقد تضرُّ بهم اضراراً بالغة

وأول مايجب ان يشار به في هذا المقام وجوب الانصراف عن التفكير باشتداد الحرّ او الاهتمام بهِ لان ذلك من افعل الوسائل لتخفيف وطأته. وقد روى الدكتور سدلر الاميركي في هذا الصدد انه كان ماشياً في شوارع شيكاغو في يوم اشتدَّ حرهُ حتى بلغت درجة الحرارة نحو ٣٧ بميزان سنتغراد وهي حرارة عالية جدًّا اذا قيست بحرارة الجوّ العادية في شيكاغو فرأى فتاتين تبدو عليهما دلائل الحبور والنشاط فلما اقتربتا من صيدلية امامهما دخلت احداهما الصيدلية في شأن لها ولبثت الاخرى تنتظرها خارجاً فوقع نظرها اتفاقاً على ميزان الحرارة فرأت ان درجتها بلغت ٣٧ بميزان سنتغراد فهرولت الى الداخل تنادي صديقتها قائلة « لاشأن لنا نجول في الشوارع الآن وقد بلغت الحرارة هذه الدرجة من الارتفاع اننا في خطر من الاصابة بالرعن » (ضربة الشمس فهلما بنا الى البيت) ان شعور هذه الفتاة باشتداد الحرارة لم يكن طبيعيًّا لانها قبل رؤية ميزان الحرارة كانت تسير في الشوارع كأن حرارة الجو عادية او تكاد. ومن هذا القبيل حوادث كثيرة تجري في القطر المصري

فحرّ الصيف لا مندوحة عنهُ وفي قدرة كل انسان ان يحتملهُ اذا لم يصرف كلّ همهِ الى قياس الفرق بين حرارة يومهِ وحرارة امسهِ والتكهن بما تكون عليهِ حرارة غده وفيما يلي ارشادات صحية لا بدَّ من الجري عليها في الصيف لتخفيف وطأة حرهِ

﴿ الطعام والشراب ﴾ — معظم الطعام الذي نأكلهُ ونهضمهُ يتحد بالاكسجين الذي يصل الى الدم عن طريق الرئتين ويتحوَّل الى حرارة . فاذا اكلنا اطعمة من شأنها توليد مقدار كبير من الحرارة في اتحادها بالاكسجين كالزبدة والسكر والنشاء زدنا مقدار الحرارة التي تتولد في الجسم وزاد بذلك شعورنا بحرارة الجوّ ولو لم تكن شديدة . فيجدر بنا ان نكثر من تناول هذه الاطعمة في الشتاء حين تكون حرارة الجوّ اقل كثيراً من حرارة الجسم فنحتفظ بحرارتنا الطبيعية ولكن حرارة الجو في الصيف تقرب من حرارة الجسم فيجب أن نقلل من هذه الاطعمة ونكثر من تناول الاطعمة التي لا تولد مقداراً كبيراً من الحرارة كالفاكهة والخضراوات على انواعها وعلينا ان نكثر من شرب

على ان كثيراً من الناس يكثرون من وضع السكر في اشربتهم الباردة وهذا وهمٌ صحيّ يجب الاقلاع عنهُ لان السكّر كما ذكرنا يولّد مقداراً كبيراً من الحرارة حين اتحادهِ بالاكسجين . ومن هذا القبيل اشير بالاكثار من شرب الماء البارد لان الاشربة الاخرى وخصوصاً ما كان من نوع « الدندرمة » يبرّد من يتناولهُ حين تناولهِ ولكن لا يلبث ان يتحوَّل الى حرارة في جسمهِ فيعكس فعلهُ الاول

جاءَ اليّ احد المرضى الذين اعالجهم يتبرّم بتأثير الحرّ في جسمهِ مع انهُ يشرب نحو ٢٠ كأساً من الاشربة الباردة في النهار . ولدى الفحص وجدت ان هذه الكؤوس العشرين التي يشربها كل يوم تحتوي على مقدار من السكر يكفي وحدهُ لتوليد ما يحتاج اليهِ الجسم من الحرارة في يوم كامل ومع ذلك فقد كان يتناول طعامهُ ثلاث مرات في اليوم ومعظم ما يتناولهُ كان يتحول الى حرارة ايضاً

يتصوَّر بعض الناس خطأً ان الاكثار من اكل الخضراوات والفاكهة الغضَّة يضرّ بالمعدة والصواب ان الخطر الذي قد يصيب المعدة من تناول الخضراوات والفاكهة انما ينجم عن تناولها غير نظيفة اذ قد تكون مكروبات الدوسنطاريا او التيفوئيد عالقة بها وعليهِ فيجب غسلها قبل تناولها

فالمآكل التي يحسن اكلها في الصيف هي : الفاكهة . التفاح . الكرز . العنب . البرتقال . الخوخ . الكمثرى . الاناناس . الكبوش . البطيخ . عصير الفاكهة على اختلافها الخ

الخضراوات — الطماطم . الخرشوف (ارضي شوكي) . الهليون . الفاصوليا الخضراء . الاسبانخ . الكرنب . الكرّاث . الخيار . الباذنجان . الخس . الكوسى الخ

مآكل اخرى — البيض باعتدال . اللبن . السلَطة على انواعها

والمآكل التي يجب اجتنابها او الاقلال منها هي : الحبوب والخبز وكل المواد النشائية . انواع الكعك . المكروني . الرز والاوتميل . الزيتون وزيتهُ . الجوز واللوز وما اليهما . البلح . التين . الموز . البطاطس . اللحوم على انواعها . الفاصوليا المجففة والحمص . الزبدة وكل الادهان . العسل . الدبس . الحلويات . السكر

ولا بدَّ من الانتباه الى المآكل التي قد يتطرق اليها شيء من الفساد لشدة الحرّ وخصوصاً المآكل التي يدخل اللبن في تركيبها او يكون فيها مادة بروتينية كاللحم والجبن . قد تتقيأ او تمرض حين تأكل قطعة من فاكهة تطرق اليها الفساد ولكن مرضك لا يكون مميتاً واما اذا تناولت طعاماً فاسداً وكان من قبيل اللحم او اللبن اي من الاطعمة التي فيها مواد بروتينية فان تناولهُ قد يكون مميتاً

***

﴿ الاستحمام ﴾ — يمكن تخفيف وطأة الحرّ في الليالي بمسح الجسم باسفنجة رطبة وعدم تنشيفهِ فيتبخر الماء وفي اثناء تبخره يتناول من الجسم جانباً من الحرارة اللازمة لتبخيرهِ

كذلك يستحسن ان يعلق في غرفة النوم مثلا ملاءَة رطبة فتبرد جوّ الغرفة وتخفف وطأة الحرّ . على ان الملآت يجب ان تكون تقطر ماءً . واذا طال التعرّض للشمس وخيف من الاصابة بضربتها (الرعن) فيحسن لف الجسم بملاءَة مبلولة ماءً

ولا شك ان الحمام البارد كبير الفائدة في انعاش الجسم حين اشتداد الحرّ على ان الجسم يفرز افرازاتهِ الجلدية في الصيف كما يفرزها في الشتاء ويبقى من هذا الافراز طبقة اقذار يلزم لازالتها حمام فاتر بالصابون او حمام سخن فيجب ان لا يكتفى بالحمام البارد يوماً بعد يوم

والاستحمام في البرك العامة وعلى شواطىء البحر مفيد اذا كان معتدلاً . على ان كثيرين من ضعاف البنية يتعرضون لاضرار صحية خطيرة اذ يطيلون مدة اقامتهم في الماءِ وغيرهم يتعرض لمثل هذه الاضرار بكثرة تعرضهم لنور الشمس بعد استحمامهم في ماءِ البحر او ماء بركة عامة . وليس من الحكمة في شيءٍ ان يستحمَّ احد بعد تناول طعام ثقيل

***

﴿ الرياضة ﴾ — يتوهم البعض ان البقاء على شاطىء البحر والتعرّض لنور الشمس حتى تدبغ البشرة بلون النحاس مفيد كل الافادة . وعندي ان المكوث على الشاطىء كذلك من غير رياضة او تمرين لا يفيد الجسم كثيراً . ولا بدَّ ان ينتبه كل الذين يصطافون على شواطىء البحر الى ان الخروج عن حدّ الاعتدال في التعرض لنور الشمس قد يكون ضارًّا اذ للاشعة التي فوق البنفسجي اذا طال التعرض لها فعلاً قويًّا يتلف خلايا الجسم

ولا يخفى ان التعرض لنور الشمس يقوي الجسم على مقاومة امراض الانيميا والكساح وغيرها ولكن يجب تغطية العينين والرأس والسلسلة الفقارية حين التعرّض لها . ويجب التدرج في تعريض الجسم للشمس فيبدأ بتعريضهِ ثلاث دقائق او اربع دقائق مرتين او ثلاث مرات في اليوم ثم يزاد الى عشر دقائق

ويجب ان تذكر ربّات البيوت ان الواح الزجاج التي تصنع منها نوافذنا تحجب الاشعة التي فوق البنفسجي فلا تدخل الغرف . فاذا ارادت أمٌّ ان تضع طفلها في نور الشمس في غرفة من الغرف فلا بدَّ من فتح النوافذ لانهُ اذا اقفلتها حجبت الاشعة التي تفيد الطفل

أما الاصابة « بضربة الحرّ » فلها في الغالب سببٌ غير شدة الحرّ ومن أسبابها

١ — ادمان المشروبات الروحية والمخدرات

٢ — التعب

٣ — اقفال الغرف وعدم تهويتها

٤ — ازدياد الرطوبة في الهواء

٥ — لبس ملابس ضيقة تضغط على الاعضاء

٦ — الاكثار من اكل اللحوم والاكل فوق الشبع بوجهٍ عام
٧ — الشيخوخة او حداثة السن فالشيوخ والاطفال اكثر الناس تعرضاً لها
٨ — الهمّ والغمّ
٩ — الاكثار من تناول الاشربة المثلوجة

ان الرياضة المعتدلة حين اشتداد الحرّ مفيدة لانها تعدُّ الجسم لافراز العرق وافراز العرق ينعشهُ لدى تبخره . على اني بوجه عام اشير بعدم الرياضة العنيفة في الشمس حين اشتداد الحرّ

***

﴿ الملابس ﴾ — يجب ان لا نلبس في الصيف ما يمنع الجسم من اشعاع الحرارة التي تتولد فيهِ باتحاد الطعام باكسجين الدم . ولكن يجب ان نلبس ما يكفينا لحفظهِ من التعرّض لاشعة الشمس من غير قيد او رابط

فعندي ان لبس البرانيط في الصيف لازم اذ قد ثبت لي ان كثيراً من اصابات الصداع التي عالجتها سببها التجوال في الشمس من غير برنيطة تغطي الرأس . فحين يشتدُّ الحرّ يجب ان يحفظ الرأس بارداً بقدر الامكان ويجب ايضاً حفظ العينين من وهج النور . واعتقد ان تعريض الرأس لنور الشمس يساعد سقوط الشعر اكثر مما يساعد نموهُ

وأهم ما يجب ان ننظر فيهِ حين اعداد ملابس الصيف هو شراء أقمشة كثيرة الثقوب حتى يسهل اشعاع الحرارة التي تتولد في الجسم . وتفضل الالوان البيضاء او القريبة من البياض لانها لا تمتصُّ الحرارة. كذلك يجب اجتناب كل القمصان والياقات التي غمست بالنشا وكويت فأصبحت كالدرع

ولا شك ان ملابس السيدات في هـذا العصر توافقهنَّ كل الموافقة في فصل الصيف لدى اشتداد الحرارة . وفي ذلك قد تغلبنَ على الرجال فقد كان الرجال منذ سنوات ينظرون شزراً الى السيدات ولقد لبسنَ المشدّات وغيرها مما يعيق النمو والحركة فما قول أسيادي الرجال الآن وقد طرحت السيدات كل ما يعيق نموهنّ واقبلنَ على ما يطلق الحرية للجسم ولا نزال نحن مقيدين بقيود الياقة المكوية والقميص المكوي الخ

اما برانيط الرجال التي يجب لبسها في الصيف فيجب ان تكون من نوع البرانيط المصنوعة من قش بناما لانها خفيفة الوزن لا تضغط على الرأس فيبقى مهويًّا وتردّ عنهُ الشمس لانها بيضاء ولها دائر غير ضيق . اما برانيط القش الجامد فلا ارى لبسها مفيداً لانها تضغط على الرأس وتعيق دورة الدم في جلده وبذلك تمهد السبيل للصلع

وما يقال عن ملابس النساء عامة يقال عن احذيتهنَّ التي من نوع الصندال وقد اخذنَ يلبسنها في أثناء النهار ، فهي مرنة لا تتعب الرجل وكثيرة الثقوب يتخللها الهواء فتبقى الرجل مهوية . وليست كذلك أحذية الرجال

الحب والزواج

بحث استقرائي

في مدينة نيويورك مكتب يعرف بمكتب الصحة الاجتماعية ، وجّه طائفة من الاسئلة تتعلق الحب والزواج الى مائة رجل متزوج والى مائة امرأة متزوجة . والغرض من هذه الاسئلة جمع اكبر قدر من الحقائق عن الزواج والحياة الجنسية بالاستقراء . وكان جميع الرجال والنساء الذين وجّهت اليهم هذه الاسئلة من درجة خريجي الجامعات او ما دونها قليلاً ، وكانت اعمالهم متباينة فنهم المهندس والطبيب والمحامي والتاجر . وكان متوسط الدخل السنوي لنصف الرجال اقل من الف جنيه في السنة . وكانت اعمار النساء تختلف من ٢٣ سنة الى ٥٩ سنة وانما سوادهنّ كان بين الثلاثين والاربعين . وقد تبين ان هؤلاء الرجال والنساء حدثت لهم في خلال حياتهم ١٣٥٨ حادثة حبّ قبل الزواج وفي خلاله . والمقال التالي تلخيص لبعض الحقائق العامة التي خلص اليها الباحثون من النظر في هذه الحوادث والاجابة عن المسائل المتعلقة بها

وفيما يلي مثال من الاسئلة التي وجّهت الى النساء

اذكري الشبان الذين أحببتِهم قبل الزواج او بعده وأجيبي عن المسائل الآتية الخاصة بهم :

١ — ماكان عمرك عند بدء كل حبٍّ جديدٍ

٢ — أكان اكبر منك سنًّا او اصغر سنًّا

٣ — ماكان لون عينيه وشعره وبشرتهِ

٤ — أكان طويل القامة او قصيرها او ربعةً

٥ — أكان سميناً او دقيق القوام او متوسطاً

٦ — أكان يشبه والدك او احد اشقائك في خلقه ومزاجه ؟

٧ — أكان يشبه والدك او احد اشقائك في مظهره الخارجي ؟

٨ — اي حدٍّ بلغت مكاشفة الحب بينكما

٩ — كيف انتهى حبكما ؟ واسئلة أخرى من هذا القبيل

وغنيٌّ عن البيان ان الاجابة عن هذه المسائل كانت تتخذ احياناً شكلاً من الحديث فكانت السيدة مثلاً تبسط ما تريد بسطه — بعد تدوين اجابتها — ومندوب المكتب يصغي ويدوّن الحقائق المهمة من دون ان يقول كلمة توجه تيار الحديث في وجهة خاصة . وكان معظم الرجال الذين سئلوا متزوجين نساء غير النساء اللواتي سئلن . وكان معظم النساء اللواتي سئلنَ متزوجات غير الرجال الذين سئلوا . وقد تبين من دراسة هذه الاجابات وتبويبها ان ثلاث نساء من مائة امرأة، لم يحببنَ في حياتهنَّ رجلاً قط وانهنَّ غير قادرات على حب من هذا القبيل . أما الباقيات —

وعددهن ٩٧ — فقد حدثت لهن ٦٧٧ حادثة حب بمتوسط ٧ حوادث للمرأة الواحدة . اما الرجال المائة فحدثت لهم ٦٨١ حادثة حب . فمتوسطهم اقل قليلاً من متوسط النساء في هذه الناحية

* * *

كان الحب قبل الزواج توطئة للزواج في حياة هؤلاء الرجال والنساء اذا استثنينا رجلاً واحداً والنساء الثلاث اللواتي قلن انهن لم يحببن رجلاً في حياتهن وامرأتين أخريين . ومن غريب ما تبينه الباحثون ان معظم الرجال والنساء الذين سئلوا عن النساء او الرجال الذين احبوهم في حياتهم لم يذكروا ازواجهم الا بعد تذكيرهم . فكانت تقول المرأة مثلاً « آه نسيت ان اذكر زوجي »

في اجوبة هؤلاء الناس تبين الباحثون نواحي من مآسي الزواج . فهنا رجل متزوج يلتقي بسيدة متزوجة فيرى كلٌّ منهما في الآخر عطفاً وتقديراً لا يراها الرجل في زوجته ولا السيدة في زوجها . فيحسان عندئذٍ بأن الزواج كان نوعاً من الوحدة الالمية ، خفّف وقعها ولادة الاولاد والانصراف الى العناية بشؤونهم . وفي اكثر هذه الحوادث كان الحائل دون تبادل الحب احساس المرأة بالواجب عليها نحو اولادها ، واحساس الرجل بالشفقة على زوجته

هذه المآسي تملأ حياة نحو نصف النساء اللواتي سئلنَ وثلث الرجال الذين سئلوا . ويؤخذ من هذا الاحصاء ان واحدة وأربعين امرأة من مائة كنَّ يحببنَ رجالاً غير ازواجهنَّ وتسعة وعشرين رجلاً من مائة كانوا يحبّون نساءً غير زوجاتهنّ . ولكن هذه الحالة النفسية في هؤلاء النساء والرجال لم تكن من القوة في الغالب بحيث تحمل على الطلاق والزواج من الشخص المحبوب . وكان لكلٍّ من هؤلاء النساء والرجال في الغالب عناية خاصة بمطلب من مطالب الحياة يهوّن عليهم ألم الوحدة الذي يحسّون بهِ

ولا يخفى ان من الآراء الحديثة ان الطلاق او الانفصال او انشاء صلات حبية خارج نطاق الزواج يجب ان يعقب هذا الاحساس بفقد الحب بين رجل وزوجتهِ ، او بين امرأة وزوجها . وان الطلاق او الانفصال او اتخاذ خليلة دليل على اثبات حرية الانسان وتعزيز لاستقلالهِ . فهل دلّت احصاءات هؤلاء الباحثين على ان الذين يفعلون ذلك يفوزون بنصيب اكبر من الرضا ؟

يؤخذ من تبويب الاجابات ، ان ٥١ في المائة من الرجال و ٤٥ في المائة من النساء كانوا راضين عن حالتهم الزوجية . اما الرجال والنساء الذين كانوا غير راضين عن حالتهم الزوجية ففريقان . فريق حافظ على عهود الزوجية . وفريق لم يحافظ عليها

فمن الرجال ٢٨ رجلاً اقرّوا بعدم محافظتهم على عهود الزواج ولكن ثمانية فقط منهم — او ٢٩ في المائة — اعترفوا بأنهم ما يزالون راضين بحالهم الزوجية . ومنهم ٧٢ رجلاً انكروا خيانتهم لعهود الزواج ومنهم ٤٣ رجلاً منهم — اي ٦٠ في المائة — اقرّوا برضاهم بحالتهم الزوجية

ومن النساء ٢٤ امرأة اقررنَ بخيانتهنَّ لعهود الزواج — واربع منهنَّ فقط اي ١٧ في المائة — راضيات عن حالتهنّ الزوجية

ومنهنَّ ٧٦ امرأة حافظنَ على عهود الزواج . وقد اقرَّت ٤١ امرأة منهنَّ — اي ٥٤ في المائة — انهنَّ راضيات عن حالتهنَّ الزوجية

فهذا الاحصاء يتجهُ الى اثبات ان انشاء علاقات الحبّ خارج نطاق الزوجية ، لا يزيد الرضا بالحالة الزوجية بل على الضدّ من ذلك يزيد التبرُّم بها

***

اذا انتقلنا من هـذه الناحية الى ناحية صلة العمر بحوادث الحبّ ظهر لنا ما يمكن تلخيصهُ في الجدول التالي

العمر	عدد حوادث الحب للرجل — متوسط	عدد حوادث الحب للمرأة — متوسط
٦ — ١٢	٠٫٦٣	٠٫٥٧
١٢ — ١٥	١٫٥٠	١٫٤٤
١٦ — ٢٠	١٫٥٦	٢٫٣٢
٢١ — ٢٥	١٫٦٨	١٫٣٣
٢٦ — ٢٩	١٫٠٣	٠٫٧٦
٣٠ — ٣٤	٠٫٧٩	٠٫٥٦
٣٥ — ٣٩	٠٫٣٤	٠٫٣٥
٤٠ ومافوقها	٠٫٤٣	٠٫٦٤

فالرجل بحسب هذا الجدول يسبق المرأة في العهد الاول ، أو هي في الواقع تتخلَّف عنهُ . ولكن النساء اسرع نموًّا من الرجال شعوراً و جسداً ولذلك يبلغنَ اقصى مدى في حوادثهما الحبية في ما بين السادسة عشرة والعشرين (المتوسط لهنَّ حينئذٍ ٢٫٣٢) واما الرجال فلا يبلغون اقصى مداهم الاَّ بين الحادية والعشرين والخامسة والعشرين ومع ذلك فمتوسطهم في هذه الفترة (١٫٦٨) هو دون متوسط النساء في الفترة السابقة . وبعد ذلك ينحدر متوسط الجنسين ولكن انحدار متوسط الرجال ابطأ من انحدار متوسط النساءِ كما كان ارتفاع متوسطهم ابطأ من ارتفاع متوسطهنَّ

وعند ما يبلغ الفريقان سنَّ الاربعين تستيقظ فيهم صبوة جديدة بحسب هذه الاحصاءات فيزيد متوسط حوادث الحبّ في حياة الرجال من ٠٫٣٤ الى ٠٫٤٣ ولكن الزيادة في حياة النساء اكبر جدًّا لان المتوسط ينتقل من ٠٫٣٥ (وهو مثل متوسط الرجال في تلك الفترة) الى ٠٫٦٤ اي زيادة نحو ٣٠ في المائة في الفترة نفسها. ولعلّنا نجد تعليلاً لذلك في ان المرأة اذا بلغت هذه السن ، تكون قد انتهت في الغالب من العناية الدائمة بشؤون اطفالها ، فتتسع حياتها حينئذٍ لبواعث الحبّ والخيال

ما العلاقة بين سن المحب وسن المحبوب ؟

الاعتقاد الشائع يقضي بأن يكون الزوج اكبر قليلاً من الزوجة . ولهذا سبب فسيولوجي

وآخر نفسي . فالمرأة تسبق الرجل نموًّا ، جسماً وانفعالاً . فيجب عليها ان تتزوج من هو اكبر منها حتى تتزوج كفؤاً . والرأي السائد يقول ان الفتيات في الغالب يهمنَ برجال تخطوا الشباب الى الكهولة . والشبان يهيمون بنساء اكتملت فيهنَّ صفات الانوثة . وان الكهول يلتفتون الى الصبايا . والكهلات الى الشبان . وهذا كلّه تؤيده الاحصاءات التالية :

	رجال احبوا نساء اكبر منهم سناً	نساء احببن رجالا اكبر منهن سناً	رجال احبوا نساء اصغر منهم سناً	نساء احببن رجالا اصغر منهن سناً
١٠—١٩	١٧ ٪	٣٥ ٪	٠ر٤ ٪	٠ ٪
٢٠—٢٩	١١ ٪	٤١ ٪	١٣ ٪	١
٣٠—٣٩	٦ ٪	٣٧ ٪	٥٦ ٪	١٩ ٪
٤٠ وما فوقها	١ ٪	١٩ ٪	٨٠ ٪	٣٨ ٪

فالقارىء يتبين من هذا الجدول ان الفتيان والفتيات يحبون رجالاً ونساء اكبر منهم في ما بين السنة العاشرة والسنة التاسعة عشرة وان هذه الصفة في الفتيات ابرز وأعم منها في الفتيان . ولكن قلما تجد في هذه السن احداثاً يحبون من كان اصغر منهم من الجنس المقابل . فالاحصاء يبين انهُ لم توجد فتاة واحدة احبت فتى اصغر منها سنًّا . وان نسبة الفتيان الذين احبوا فتيات اصغر منهم سنًّا ٤ في المائة فقط . أما في السطر الاخير من هذا الجدول فترى الآية وقد عكست . فلست تجد الاَّ ١ في المائة من الرجال فوق الاربعين أحبُّوا امرأة أكبر منهم سنًّا . ونسبة النساء في هذه الناحية (١٩) ولكنها أقل في هذه السن منها في الادوار السابقة . ولكن ثمانين في المائة من الرجال — في سن الاربعين أو فوقه — يميلون الى من كان أصغر منهم سنًّا من النساء ، وكذلك النساء في هذا الدور من الحياة يملنَ الى من كان اصغر منهنَّ سنًّا من الرجال

وقد بيّنت في الاحصاءات ان الرجال او النساء الذين حدثت لهم خمس حوادث حبّ او دون ذلك اكثر سعادة في الزواج من الرجال او النساء الذين أربت حوادث حبّهم على ذلك. ومن غرائب ما جاء ان احد الرجال حدثت لهُ ٢٧ حادثة حبّ ولكن « وقع » على حدّ التعبير العربي السائر ، فكان شقيًّا في زواجهِ .واليك البيان :

﴿ من الرجال ﴾ — ٦٦ رجلاً وقعت لكلّ منهم خمس حوادث حب او اقل — ٥٩ في المائة منهم سعيد في زواجهِ . و ٥٤ رجلاً وقعت لكلّ منهم اكثر من خمس حوادث حب— ٢٤ في المائة منهم سعيد في زواجه

﴿ من النساء ﴾— ٣٩ امرأة وقعت لكل منهن خمس حوادث حب او اقلّ — ٥٩ في المائة منهن سعيدات في زواجهنَّ و٥٨ امرأة وقت لكلّ منهنَّ خمس حوادث حب—٢٨ في المائة سعيدة في زواجهن

وفي الحالين نسبة السعداء من الفريق الاول في الجنسين اعلى من نسبتهم في الفريق الثاني

مكتبة المقتطف

مقالبر الكتب

١ — ديوان عبد المطلب

قامت بطبعه ونشره مطبعة الاعتماد سنة ١٩٣٤

وقف على طبعه الاستاذ محمد الهراوي وشرحه وصححه الاستاذان (ابراهيم الابياري) و (عبد الحفيظ شلبي)

كان عبد المطلب رحمه الله — على كثرة ما يعاوده من الامراض — فتيًّا تسمع لحديثه رنّات مجلجلات كأنما يتكلم وحده في بيداء تتداعى اصداؤها ، وكانت الكلمات العربية الخالصة تتحدّر من لسانهِ ومن بين شفتيهِ وعليها ميسم العرب الخُلَّص الاّ في قليل من الحروف ، وذلك القليل هو حرف (الضاد) فاني كنت اسمعهُ ينطقه على لهجتنا (اعني اهل مصر) كأنهُ دال مفخمة [1] ، وكان الرجل في احساسه بوداد اصدقائه كأنما خلقت اعصابه كلها من المادة التي يُخلَق منها القلب الرقيق الوفيُّ ، ولذلك كان اهون الناس عداوةً على الرغم مما ترى من شدتهِ وجفائهِ في الخصومة ، ولذلك ايضاً كان أحسن الناس تقديراً لمعاصريه من الادباء لا يداخله في ذلك حسدٌ . هذا الاحساس الرقيق وحده كان هو موضع الشعر في عبد المطلب ، فاذا صعب على اصحابنا من الادباء ان يعدّوا شعر عبد المطلب كله من عالي الشعر في هذا العصر ، فليس منهم من يستطيع ان ينسى ان رجلاً من الرجال اسمهُ عبد المطلب رحمة الله عليه كان كما خلق انسانيةً من الشعر لا انساناً من الشعراءِ

وأنا حين اقرأ شعر عبد المطلب لا اشك ساعةً في أمرين. اما احدهما : فكون هذا الشعر ليس من النمط العالي الذي تقوم بهِ البلاغة العربية في هذا العصر وان كان هو من حيث العربية وعلومها من جيد الكلام وجزلهِ ورصينهِ ومحكمهِ . فان اتساع الفكرة في هذا الزمن ثم بساطتها ثم خفاء موضع الفلسفة العالية فيها ، ثم تغلغل النظرة الفلسفية الى أعماق الحقيقة الحية في الكون هو رأس ما يمتاز بهِ كبار الافذاذ والبلغاءِ في عصرنا هذا . وهو النوع الذي لم تعرفهُ العربية الاّ في القليل من شعرائها ، وفي القليل من شعر هؤلاء الشعراء . وليس في العربية من هذا النوع الاّ معجزتان:

---

(١) اما المنطق العربي الصحيح (للضاد) فهو قريب الشبه بالظاء مع اختلاف المخارج فان مخرج الضاد من اول حافة وما يليه من الاضراس من الجانب الايسر وهذا الحرف يستطيل في النطق به حتى يتصل بمخرج اللام وهو الحرف الوحيد الذي يسمى (المستطيل) لما فيه من القوة بالجهر والاطباق والاستعلاء

احداها القرآن ، والاخرى ما صحَّ من حديث الرسول صلى الله عليهِ وسلم ففيهما وحدها تبلغ الفكرة في نفسها ، ثم بتعبيرها والفاظها، ثمَّ بشمول معانيها لجميع الحقائق الواشجة بها ، ثم بسريانه من الفاظها وكلماتها مسرى الرَّوح العطر في جوّ السَحَر ، ثم فوق ذلك كله البساطة واللين والتقارب والتعاطف بين هذه المعاني كلها — نقول يبلغ هذا كلهُ مبلغاً يكون منه ما هو كنسيم الجنة في طيبه ونعمته ، ويكون منه ما هو كحزّ المواسي في علائق القلوب ، ويكون منهُ ما هو كالنار تستعر وتتلذع ، ويكون منهُ ما ينتظم البنيان الانساني البليغ المتفهم فيهزهُ هزّ الزلزلة أعصاب الأرض وبهذا كان القرآن معجزاً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وبمثله كان حديث الرسول صلى الله عليهِ وسلم هو ذروة البلاغة البشرية التي تتقطع دونها أعناق الرجال . . . . .

***

اما الامر الآخر الذي لا اشك فيه حين اقرأ شعر عبد المطلب . فهو هذه الحياة التي تترقرق في شعره وان كان هذا الشعر نفسهُ على النمط الذي يسمونه (التقليدي) ، فهو يصف الابل ويتغزل لافتتاح القصيدة ثم يتخلص من غزلهِ الى المدح او اي كان من اغراض الشعر الى غير ذلك من الملامح التي يحفظها هذا الشعر الحديث لشعر آبائنا رحمهم الله في عصورهم الماضية . فالعجب ان يكون عبد المطلب وهو الرجل العربي الذي احتفظ بعربيته في القرن العشرين يحاكي شعر اجدادنا واجداده ولا يخرج الشعر من فكره فاتراً ميتاً بل يخرج وهو يتحرك وينبض وكأنهُ شعر عصره الذي كان يمكن ان يقال فيه هذا هو العجب . وهو عندي الدليل الوحيد على ما كان في نفس عبد المطلب رحمة الله عليه من اسباب الشعر ومادته الحية

فكانت مقدرة هذا الرجل الشاعر في نقله صورة من القرون الماضية وحياتها الى القرن العشرين ... نقل هذه الصورة ولم يدعها كما أتته بل ارسل فيها من شاعريته ، ما احياها ونفخ فيها الرُّوح حتى لا يشك المرء في انها لا تزال حية بين يديه مع اختلاف الازمان عليها وتطاول العصور بها . ومن هنا كان يسمي نفسه بالشاعر البدويّ لانهُ هو الذي استطاع في شعره ان يعطينا صورة حيـة من انسانية قد مضت ونفذ بها الاجل في ثوب من العربية الفصيحة التي لا عجمة فيها ولا فساد

***

هذا هو الشاعر البدوي كما بدا لنا قبل ان نقرأ ديوانهُ مجموعاً وبعد ان قرأنا ديوانهُ مطبوعاً فمن شاء ان يختار لدراسة الشعر القديم استاذاً يهديه فليرجع الى ديوان عبد المطلب فسَيَسْهُل عليهِ بعد ذلك ان يحسّ بجمال الشعر البدويّ حين يقرؤه لامرىء القيس وغيره من شعراء الجاهلية ومن جاء على آثارهم . وليعذرنا القارىء اذا بدا له انّا لم نختر لعبد المطّلب ما نثبته في هذه الكلمة ، فان باب الكتب في هذا الشهر لا يحتمل اكثر مما كتبنا ، وليرجع الى الديوان نفسه وليقس على ما قلناهُ فسيجد ذلك صواباً — ان شاء الله

٢ — مرشد المتعلم

تأليف السر (جون ادمز) استاذ التربية بجامعة لندن سابقاً — وترجمة الاستاذ (محمد احمد الغمراوي) خريج المعلمين العليا وجامعة لندن والمدرس بكلية الطب — من مطبوعات لجنة التأليف والترجمة والنشر بدار الكتب المصرية سنة ١٩٣٤

الاستاذ الغمراويُّ كما عرفتهُ من سنين رجل موفق فيما يتعمده من الامور ، مرتَّبُ الحديث كأنما يحدثك عن كتاب ، واسع الفكرة بسيطها حتى ليخيل اليك احياناً انهُ يتكلَّمُ بكلام يتداولهُ الناس لا عمل للفكر الدقيق فيهِ ، ولكنك اذا راجعت نفسك فيما تسمع رأيت التوفيق معاناً بالترتيب ، مقدَّراً بالفكرة ، محفوفاً بالبساطة والحرية والجمال . واذا اردت ان تتبيَّن ما وصفنا لك فاقرأ كتاباً يؤلفهُ رجلٌ يدرّس الكيمياء ويريق عليها من شبابه ، في باب يتباعدُ ما بينهُ وبين الكيمياء وهو الادب . اقرأ كتابهُ الذي ألّفهُ في ردّ الرأي الذي اذاعهُ الدكتور طه حسين عن الشعر الجاهلي فسترى كيف (يحلل) هذا الكيميائي كتاب الدكتور طه ويصنف لك في (تحليله) انواع الجرائم الفكرية التي وقعت فيهِ ، ويقيدها لك بسلاسل من العلم ، ويضع لك الدواءَ الذي يذهب بها ويميتها ونحن لا نقول هذه الكلمة لنتصر برجل على رجل ، بل نقولها لأن الحقيقة تفرض علينا أن نقول ذلك وان ندعو — ما تعرَّضت الفرصة — الى قراءَة هذا الكتاب الذي لا غنى لاحد من الادباء عنهُ لانهُ هو الكتاب الذي ادخل في الادب دقة التحليل الكيميائي ومزج بين الفكرة العلمية المتلبّثة المتَثَبّتة ، وبين الفكرة الادبية الخيالية الجامحة واخرج منهما (مزيجاً) شافياً لما انتشر عندنا من الامراض الادبية الكثيرة

قلنا ان الغمراوي رجلٌ موفّق فما رأينا من توفيقه اختياره كتاب (مرشد المتعلم) للترجمة . فان المتعلمين في مصر وغيرها من بلاد العربية بل الذين يعدُّون انفسهم من شيوخ المثقفين وكبار النابغين !! هم احوجُ الناس في الارشاد الى مثل هذا الكتاب . ولعلّ كثيراً من الذين يسمعون قولنا هذا او يقرأونه يكبر عليهم ان يكون ذلك كذلك . ولكن هذه هي الحقيقة لا تحجبها عنا الاَّ كبرياء النفس المتعالية . لقد كان القدماء من آبائنا رضوان الله عليهم يتخذون من شيوخهم امثلة يسترشدون بها ، وكانوا اقدر منا على ذلك لشدة تعلق الطالب منهم بشيخه من العلماء فهو يتشبه به ما استطاع ، ويسأله عن اشياء من صغائر العلم وأدب طلبه ، يستحي احد طلبتنا الآن ان يسأل عنها اباه او اخاه او استاذه . ثم ان العلماء من المتقدمين كانوا يعمدون الى طريقة بارعة في التدريس وهي التي يسمونها (التوقيف) ومعناها ان يدلَّ الشيخ ولده او مريدهُ من الطلبة على اصول الشيء الذي يتلقاه عنه ويبسطها له ويدربه عليها ، ثم يتركه يقيس عليها ثم يصحح له قياسه ان اخطأ . ولا يذهبنَّ بأحد ان هذا يشبه ما يسمونه الآن (بالتطبيق) فان الفرق بينهما بيّن وليس هنا موضع تفصيل ذلك

فهذا التوفيق الذي كان يقال في الايام الماضية ولا يقيد بالكتاب قد جاء في كتاب السر جون ادمز طرف بارع منه حاوٍ لاكثر ما يحتاج اليه المتعلم صغيراً وكبيراً او كما يقولون (من المهد الى اللحد) ، فهذا هو الباب الاول من التوفيق في ترجمة هذا الكتاب

ثم يلي ذلك الباب الثاني من التوفيق وهو في طريقة الترجمة ، فان المترجم حين تعرض لها لم ينسَ ما ينساه جمهرة المترجمين في هذا العصر ، وهو مقدار التخالف بين الامة التي الف لها ثم فيها الكتاب . وبين الامة التي يترجم لها وفي بلادها هذا الكتاب بعينه . وهذا امر حتم على كل من يتصدّر للترجمة، فربّ مضرة استجلبها المترجم على قارىء كتابه بنسيان مقدار هذا التخالف بين الامتين . ولكن الغمراوي امسك المفتاح بيده وأداره في الكتاب كله فتسنت له وللقراء من بعده مغاليق الرأي ، وكانت الفائدة اجل وأعظم وأوفى . وسيرى قارىء الكتاب حين يتمشى في صفحاته المثمرة كيف وفق الغمراوي كل التوفيق حين ترجم هذا الكتاب

اما التوفيق الثالث فهو اسلوب المترجم في كتابه وهذا امر يفرغ من الاقتناع بهِ كل من يقابل صفحات من الاصل الانكليزي بأخواتها من الترجمة

أما خير ما وفق اليهِ المترجم فهو الفصل الاخير وهو الملحق بالفصل السابع من اصل المؤلف وفيه ذكر كتب المراجع في العربية . وذلك ان الفصل السابع عند مؤلف الكتاب كان في كتب المراجع الانجليزية فاستدرك الغمراوي ما يفوت غيره واستوفى باباً هو اول ما رأيته مما كتب عن المراجع التي يحتاج اليها طالب العلم العربي . لم يترك مؤلف هذا الفصل باباً من ابواب العلم العربي المتداول بين الناس الاّ ذكر لك فيه طرفاً من الكتب الاولى التي لا يستغني عنها متعلم او متخصص في علم بعينه

ونحن لو ذهبنا نستقصي توفيق هذا الرجل في ترجمة كتابه اولاً ثم في الفصل الملحق ، وذكرنا من الحوادث والاخبار التي تذكرناها حين قرأنا في فصولهِ ، مما يدل على حاجة كبار المثقفين منا الى الاسترشاد به لادخلنا الضيم على صفحات نقد الكتب من هذه المجلة . فقصارى ما نعمل هنا ان نحمل شكر الامة العربية الى هذا المترجم البارع ثم نسأل الله ان يزيده فيما هو بسبيله توفيقاً وهدًى ، وان يهدي قراءنا وادباءنا الى الاستفادة من (كتاب مرشد المتعلم) فان فيه — ان شاء الله — ري النفس ، وهدى العقل ، واطمئنان القلب الى طريقة محكمة في التحصيل والتفكير

٣ — مواقف حاسمة في تاريخ الاسلام

تأليف الاستاذ محمد عبد الله عنان . طبعة ثانية بدار الكتب المصرية سنة ١٣٥٢ ، سنة ١٩٣٤

ظهر هذا الكتاب من عدة سنوات فلقي من الانتشار وأُلقي عليهِ من المحبة ما لا تبلغه كثير من الكتب العربية التي تطبع في بلادنا . وسبب ذلك على الارجح ما لهذا الغرض بعينه من الشوق في قلوب الناس من أهل الشرق . فطغيان الحياة الاوربية التي تنقل الينا على ظهور البواخر كل يوم

وعلى ظهور الآدميين وعقولهم وشهواتهم بما فيها من الفساد والضعف والانحلال ، وبما فيها من العلم والقوة والنبوغ ايضاً ، . هو من أهم ما يحفز اكثر المثقفين المفكرين الى درس المواقف التي كانت سبب التحاجز بين أمم الغرب والامة العربية المسلمة ، تلك المواقف التي جعلت للتاريخ الاسلامي صورة ينساها ابناء الاسلام ، ويحقق النظر فيها علماء الامم المسيحية ليأخذوا منها العبرة الباقية على مدى العصور واضحة جلية مفصحة مبينة

المواقف الحاسمة التي وقفت من سيل المسلمين بدينهم ومرّنت الامم المسيحية على خُلُق المسلمين وآدابهم وعاداتهم وشيء من دينهم ، كانت ولا تزال مادة للتاريخ الحي الذي يجب على كل شرقي ان يوجد العناية بهِ في نفسه ان كان لا يجدها ، وذلك لما فيها من مفاخر السلف العاملين ، وفي هذه المفاخر اصول للقدوة والاتباع فيها إنقاذ الحياة الشرقية من الفوضى والجهل ، واستخلاصها من براثن الاستعمار الذي لا يدع للقوي قوة يفزع اليها ، ولا للضعيف عدة يستنصر بها

ولعلّ أول من اعتنى من كتّاب العصر الحديث بهذا هو الاستاذ محمد عبدالله عنان فقد كتب كتابه هذا باذلاً اقصى الجهد في تحقيق ماهو بسبيله من التاريخ على قدر مايكون في طاقته مخلصاً في ذلك كل الاخلاص . ولهذا الاخلاص يغتفر له من يقرأ كتابه بعض الزلات . ولهذا نفسه كان هو اول من رجع على فصول كتابه بالتعقيب فنقّح منها وزاد فيها ما صحّ له من العلم . وهذا وحده فخر عظيم للاستاذ يجعله دائماً في طليعة من يريد العلم للعلم . لا للشهرة والاسم

ولا نزيد قراءنا تعريفاً بالكتاب وكاتبه ، فالكتاب قد اخذ قسطاً وافراً من الشهرة في الامم الشرقية والعربية ، والكاتب له في قلوب الشرقيين مكانة ومودة . ويبقى علينا ان ننبه الى شيء جديد وهو ان هذا الكتاب يكاد يختلف اختلافاً كبيراً عن الطبعة الاولى منه ، لما فيه من الفصول التي اضيفت له ، وما دخله من التغيير والتنقيح حتى اصبح كتاباً مستقلاً يضارع الطبعة الاولى منه . فلا غنى لمن يملك الطبعة الاولى عن اقتناء الطبعة الثانية ، ونرجو ان يوفق الاستاذ في طبعته الثالثة الى اضافة فصول جديدة وادخال تنقيح جديد في ابواب كتابه فما من كلمة يكتبها أحدنا اليوم والاّ ويصبح وقد بدا له فيها . وهذا هو السر في تجدد العلم . وهو سرّ العقول النابغة التي لا تفتر ولا تمل

محمود محمد شاكر

وراء الغمام

اشعار الدكتور ابراهيم ناجي — صفحاته ٢٠٢ قطع صغير — طبع بمطبعة التعاون

اختلف النقاد في الحكم على شعر الدكتور ناجي . فهبط بهِ جلّهم الى الحضيض ورفعهُ بعضهم الى السماك . والنقد فنٌّ او هو ضرب من الفن . والفن نظرة الى الحياة ومعانيها والكون واسراره من خلال المزاج الخاص . لذلك كان كلُّ نقدٍ حكماً خاصًّا لا يمكن ان يسري سريان الحكم العلمي .

الى مشهد واحد ، فيراه احدهما على وجه يختلف عن الوجه الذي يراه عليه الآخر . او قد ينظر ناقدان الى صورة واحدة لرجل معين ، فيهملها الواحد لانها تعلي من شأن صفة في الرجل لا يهمهُ شأنها ويكبرها الآخر لان تلك الصفة نفسها في نظره من اسمى مناقب الرجال . وليس في مستطاعك ان تقول ان هذا اخطأ او ان ذاك اصاب ، وجلّ ما تستطيعهُ ان النظرتين اختلفتا

ولا يمكنك ان تعلّل الاختلاف في حكم النقّاد على شعر ناجي الاَّ اذا ادركت هذه الحقيقة الاساسية في فلسفة النقد

فأنت مثلاً رجلٌ ظلمتك الحياة فبدّدت حقائقُها القاسية احلامك بعد ما اسبغت عليها من الوانها كلَّ زاهٍ وطروب ، فيعجبك قول هذا الشاعر

اشتري الاحلام في سوق المنى وابيع العمر في سوق الهموم

ويتغلغل في نفسك وتراه يعبر في بيته اصدق تعبير عن الحياة : فاذا كنت من الذين اصابوا النجاح على الطريقة الاميركية ، احتقرت الاحلام والمنى والهموم ، وقلت ما هذا الهذيان

او قد تكون رجلاً تعوَّد الشعور بالتبعة ، ادبية كانت او غير ادبية ، فيتعذر عليك ان تطلق نفسك في مجلس شعارهُ المرح والمزاح . فتحس بانقباض لذلك في بعض الاحيان ، لانك اذا استطعت ان تمرح وتمزح خففت عما يساورك واحسست انك وصحبك كالراح والماء ، تتجاوب نفوسكم ، وفي هذا التجاوب اعلى معاني الصحبة والصداقة . فاذا كان هذا التجاوب متعذراً عليك اعليت من شأن شاعرنا حيث يقول

لِمَ لا تذوق كؤوسهم شفتي ؟ ان الحجا سمي وتدميري
في ذمة الشيطان فلسفتي ورزانتي ووقار تفكيري

فاذا كنت ممن يغشون المجالس ويستسلمون الى المزاح ، والتنادر السخيف ، قلت ما هذا الرجل المتعالي لانهُ وعى بعض حقائق ونظريات ، تفوقه فيها كتب قليلة

او قد تكون من الذين تشوقهم معاني الحب ، وذكرياته في عهد الصبا فتطرب اذ تقرأ له :

هل رأى الحب سكارى قبلنا كم بنينا من خيال حولنا
ومشينا في طريق مقمرٍ تثب الفرحة فيهِ قبلنا
وتطلعنا الى انجمهِ فتهاوين وأصبحنا لنا
وضحكنا ضحك طفلين معاً وعدونا فسبقنا ظلنا

او اذا كنت ممن يتأمل في حقائق الحياة ، فنقل على طبعك منها الرياء والزور والصغار ، وطلبت العزلة لعل فيها برء النفس عن طريق الاتصال بحقيقة الوجود الكبرى رأيت في قصيدة «الليالي» قوله

مكاني الهادىء البعيدْ كن لي مجيراً من الانام
قد أمَّك الهارب الطريد فآوهِ أنت والظلام

قد صار حبّ الحياة منا يقنع بالجيفة السباع
وعلّم السمح ان يضنَّا وثبّت الجبن في الطباع

ملأتُ في هاته العوالم مهزلة الموت والحياه
وصورة القيد في المعاصم ووصمة الذل في الجباه

فالشاعر الذي يستطيع ان يعرب عن هذه الحالات النفسية ، وغيرها ، هذا الاعراب الناصع ، جدير منا بالاكبار

والواقع ان رجلاً كناجي ، واسع الاطلاع على الادب الاوربي بوجهٍ عام والادب الانكليزي بوجهٍ خاص ، مجرّب لانهُ خبر الحياة كطبيب ممارس ، مرهف الاحساس دقيق الشعور ، لا يمكن ان يكون كلُّ ما يقولهُ من سقط المتاع . فالعقل لا يقبل مثل هذا الحكم الحاسم . ونحن لا ننصب انفسنا للدفاع عنهُ ، وانما للدفاع عن سجية الانصاف في تقدير الادب والادباء

قد يسفُّ الشاعر احياناً ، واي شاعر سلم من ذلك . وقد يكون طبيباً وعالماً واديباً واسع الاطلاع ولا يكون شاعراً . ولكن من عرف ناجي عرف ان تركيبهُ العصبي تركيب شاعر . اسمعتهُ يتغنىَّ ببيت من الشعر لهُ او لغيره ؟ ارأيت ألقة عينيه وهو يصغي الى الشعر الجيد ؟ اشهدتهُ ينفعل لمشهدٍ يُرى او لحكاية تُروى او لذكرى تستعاد ؟ اتبيّنت في شعرهِ رجع الحوادث في نفسهِ ؟ قد تكون اداتهُ اللغوية غير كاملة لتأدية اغراضهِ . او قد يختار هو عمداً بعض التعبيرات التي تجري على السنة العامة لحكمة خاصة . ومثل هذه التعبيرات لم تنتقص من قيمة روبرت برنز كشاعر كبير . وقد تكون موضوعاتهُ محدودة محصورة في ناحية واحدة او بضع نواحٍ من الحياة ، ولكن اذا كان الحصر لا يمنع الترداد ، ويقي من التقليد ، فانعم بهِ ، فالعبرة في الشعر بصدق الشعور وصدق البيان ، وناجي اصاب من هذين قسطاً وافراً

مجلة العرفان

اصدرت زميلتنا مجلة العرفان بصيدا العدد الخامس والسادس لسنة ١٣٥٢ في جزء واحد وكله عن العراق . وهو رحلة الى العراق قد طالت زمناً حتى استطاع الاستاذ احمد عارف الزين صاحب المجلة ان يستوفي الدقائق التي تخفى على الكثيرين واثبتها في هذا العدد وقد زاد هذا العدد خطراً على خطره ما اثبته الرحّالة من تاريخ البلدان التي مرَّ بها او مكث فيها ، وتنبّه الى دقائق في تاريخ هذه البلاد وفق فيها كل التوفيق ولم يخل مع ذلك من كثير من النظرات في الحالة الاجتماعية فوصفها أدق وصف ، وزاد على ذلك ما فيهِ من ذكر وجهاء البلاد التي مرَّ بها وعلمائها وشعرائها وساستها الى غيرهم من طبقات الناس فهذا العدد هو احفل من اي كتاب آخر فيما يتعلق ببلاد العراق المذكورة فيهِ . ومجلتنا تهنيء مجلة العرفان بما وفقت اليهِ وتعتذر عن تأخير الكتابة عن عددها هذا لما كان

شخصيات شرقية

مهاتما غاندي — غاندي والحركة الهندية — مصطفى كمال — ابن سعود — عصمت باشا

— ١ —

مهاتما غاندي ترجمته على لسانه . نقله اسماعيل مظهر . طبع بمطبعة عيسى الحلبي بمصر عدد صفحاته ٢٨٦ (ترجمة)

وضع المؤرخون والمؤلفون في شتى اللغات فوق الاربعة آلاف مؤلف عن نابليون وما زال المؤلفون والمؤرخون يجدون مجال القول فسيحاً في نابغة الحروب وعبقريها . ففي كل حقبة من الزمن يطلع علينا نابليون جديد على قلم كاتب جديد . ولا بدع فكل سيرة من هذه السيَر تاريخ عصر بأسره . وشخصية العبقري بأعمالها العظيمة فسحة من الدهر ممدودة الرواق على الغد موصولة العلائق بالامس هدمت الماضي وبنت للمستقبل مما ليس في وسع كاتب واحد ان يحصر اشعة لمعانها ويحصي أنجم اشراقها ويطوق نواحيها الكثيرة . اذاً ما على الاستاذين الكبيرين اسماعيل مظهر وسلامه موسى ان يعتذرا للقارئين على اصدارهما كتابين اثنين في زمن واحد عن رجل واحد بل لهما ان يغتبطا فكلٌّ من كتابيهما مكمل للآخر ولكل منهما شخصية ممتازة

ان بعض الرجال العظام يدوّن مذكراتِهِ بيده ومنهم من يستكتب سواه ومنهم من لا يكتب ولا يستكتب فيسلم شخصيته بعد موته لاقلام المشرحين يتصرفون بها كما يوحي اليهم تفهمهم وعلمهم وتجردهم ووجدانهم . والكتاب الذي عنوانه : « مهاتما غاندي » مكتوب بقلم غاندي ومنشور بعناية المستر اندروز ومترجم بيراعة اسماعيل مظهر فهو يحتوي على ثلاثة رموز للاخلاص فغاندي أنصف نفسه واندروز صديق غاندي أنصف الصداقة واسماعيل مظهر أنصف امانة النقل والترجمة

يستهويك في هذا الكتاب اسلوبه المغري فأنت تطالع سيرة غاندي بشكل روائي لا ملل فيه ولا سأم . وتعبيرهُ جميل لا كلفة فيه ولا تثاقل . ويستهويك فيه موضوعه ألا وهو غاندي ، وانشاؤه ألا وهو لاسماعيل مظهر

ان الهند مكمن الاسرار وغاندي سر المكمن ومن الصعب دراسة شخصيته ومنشأه ومنحاه ونفسيته وتطورها وهو بعيد عن عين الدارس واذنه لذلك نعلق بكتاب اسماعيل مظهر شأناً خاصًّا لانهُ مكتوب بقلم صاحب السيرة نفسه افرغ فيهِ غاندي كل ما يعلم عن نفسه وما يشعر بهِ فقد تكلم عما حدث لهُ وعما كاد ان يحدث لهُ وعما يجب ان يكون فظهرت في مذكراته الحوادث الواقعية والعوامل الداخلية والخفايا السياسية . ولولا حديث غاندي عن نفسه لما عرفنا انهُ يكره النصرانية (صفحة ٣٨) ولما سمعنا بالفتاة المستخدمة في مكتبه التي كانت تستشيره في أمر زواجها فينصحها ويعنى بأمرها عناية الاب بالابن وهي ناحية جديدة جديرة بالدرس لعلاقتها بشعور زعيم مفروض فيه

الحنان على ابناء وطنه . نعم ان غاندي كان يكره النصرانية في حداثته ولكنهُ — كما يقول — يدين بدين : « قابل الاساءة بالاحسان » وهو مبدأ مسيحي . وغاندي يكره سياسة الاسلام في الهند ولم يقل انهُ يكره المسلمين كما انهُ لا يكره من النصرانية سوى بعض اساليبها ومظاهرها والحقيقة ان غاندي وان راض نفسه على ان يكون متسامحاً نحو الاديان الاخرى اي غير النصرانية فان ذلك لم يكن معناه انهُ يعتقد في وجود الله (صفحة ٣٩)

يحدّثك غاندي عن مولده ومسكنه وأيام المدرسة والحداثة وعن باكورة شبابه ورحلته الى لندن والعودة الى الهند ويعرض عليك اخبار حرب البوير وثورة الزولو ويقص اخبار السجن وحياته فيه ثم ينتهي بك الى لذة الانتصار ولكنهُ لا يفصّل تشعُّب المفاوضات ولا يدخل في صميم المشكلة السياسة القائمة بين انكلترا والهند ولا يصف لك حلولها وعلاجها لان الكتاب ينتهي عند مرحلة معيّنة في حياته خُتِمت قبل ان تصبح مشكلة الهند من المشكلات الكبرى التي تعانيها الامبراطورية البريطانية والهند بعدما وضعت الحرب اوزارها

وفي الكتاب مقدمة بليغة من قلم المترجم جمعت في سطورها القليلة ابلغ ما كُتب عن غاندي فاسمع : « امبراطورية لا تغيب الشمس عن املاكها فكُرة الارض تحمل من الوانها الجغرافية زناراً يحوطها مع خطوط الطول وخطوط العرض ولسلطانها يخضع الابيض والاسمر والاصفر والنحاسي والاسود من سلالات البشر وفي داخل املاكها تدين اقوام بصور من الاديان والوان من العقائد لا يحصرها العد هذه الامبراطورية يقيمها ويقعدها هيكل بشري من الدم واللحم والعظام لا يزيد وزنهُ على وزن كرة مدفع من اصغر مدافع بريطانيا العظمى . واما هذا الهيكل البشري الضئيل فغاندي العظيم »

— ٢ —

غاندي والحركة الهندية . تأليف سلامه موسى مطبوع بمطبعة المجلة الجديدة بمصر وعدد صفحاته ١٠٤

يقول المؤلف في المقدمة : « هذا الكتاب ثلاثة اجزاء . يعالج الجزء الاول منه الاحوال العامة في الهند مع اشارات تاريخية موجزة . اما الثاني فيعالج سياسة غاندي وفلسفته . وفي الجزء الثالث نقلنا بعض مقالات كتبها غاندي ونشرت في المجلات الهندية »

لا اعلم اذا كان الاستاذ سلامه موسى يحسن الهندية ولكني اعرف انهُ احسن الكتابة عن غاندي وعن الهند فكتابه عن امبراطور الهند غير المتوج دراسة ثمينة ملمة بنواحي الموضوع من غير تطويل ممل ولا اقتضاب سقيم . وقد كتبه بشغف وحماسة واندفاع ولكن من دون هوى وتعصب وبقصد به الى غاية . فبتمجيده بطل الهند يرمي الى غرض ليست مصر بغريبة عنه

وقد لا نشاطر الاستاذ سلامه موسى رأيه في تشبيه الحركة الهندية بالحركة المصرية فهو ذاته يعترف بأن احوال البلادين مختلفة وليس على مصر ان تأخذ بالحركة الهندية الاّ استئناساً وعلى مقدار حاجتها الى المثل العليا والى الامثلة . لان مبادىء السياسة في مصر غيرها في الهند . فالهند

للانجليز غاية ومصر للانجليز طريق الهند . ولكن قد تتشابه اسباب الكفاح ووسائله في المكانين مع بعض اختلاف . ثم انهُ لا يجب ان ننسى ان ما بلغته مصر من المقام الدولي هو فوق ما للهند منه فالجهود التي تبذلها مصر في هذه الناحية يجب بطبيعة الحال ان تكون دون الجهود التي تبذلها الهند . وعلى كل فان مصر دانت بمبادىء زغلول وآرائهِ في جهادها السياسي ونضالها للاستقلال فمن اصالة الرأي ان تعمد دائماً الى تعاليم زغلول وخططه لتجد فيها وسائل الكفاح وطرق النضال لا الى تعاليم سواه من زعماء البلدان الاجنبية وان كان لا يضير مصر ان تستلهم مواقف الآخرين الذين صهرهم الظلم فأخرجت ادمغتهم عصيراً قاتلاً في بعض المرات لمكروب الاستعمار

قال المؤلف ان غاندي قام بدعوة الى الاستقلال النفسي فالاعتماد على القوة الروحية وما يتبعها من تقشف ونسك . وقام ايضاً بدعوة الى الاستقلال الاقتصادي باتخاذ المغزل وايثار القماش الهندي على جميع الاقمشة الواردة الى الهند . وقد فطن الاستاذ سلامه موسى الى ان مصر ابعد الناس عن التسك فالتسك هو النظر السلبي للحياة ومزاج مصر هو المزاج الايجابي . على ان مصر تستطيع ان تأخذ عن غاندي الاستقلال الاقتصادي مع بعض تعديل في الاسلوب كأن تجعل النول بدل المغزل رمزاً للكفاح الاقتصادي

ومما لا شك فيه ان الكفاح الاقتصادي في مصر غير معدوم فالصناعة الوطنية تجتاز شوطاً بعيداً وليس من حاجة الى تنشيطها عن طريق النعرة القومية الوطنية . بل هي تنشط ذاتها بعوامل من جنسها اي اقتصادية فالمنافسة والمزاحمة خير كفاح اقتصادي

وفي كتاب الاستاذ سلامه موسى بحث جغرافي واحصائي وسياسي عن الهند مما لا غنى عنه لكل من يعنى بشؤون هذه البلاد العريضة الطويلة فقد تكلم المؤلف عن الاستعمار البريطاني والسكان والاديان وعن الثقافة الانجليزية في الهند والفقر والنجاسة والمرأة الهندية — وغاندي اعتمد كثيراً على المرأة في جهاده — وأخيراً عرض المؤلف الى شرح الدستور الجديد

ويتلاقى كتاب سلامه موسى بكتاب اسماعيل مظهر في الموضوع وفي الجزء الثالث من الكتاب الاول وهو الجزء الذي يحتوي ترجمة المقالات التي كتبها غاندي بقلمه وفي هذه المقالات تطالع آراء زعيم الهند في الانجليز وفي نساء الهند والتعليم وفي مذهب السيف والخوف من الموت الخ فغاندي في هذا الجزء يخاطبك مباشرة كما خاطبك في كتاب اسماعيل مظهر

ولا نغالي اذا قلنا ان كتاب غاندي والحركة الهندية أعم كتاب في موضوعه باللغة العربية ولم يكتفِ المؤلف بمعالجة موضوع الهند فقط بل قابل بينها وبين مصر مقابلة سهلها له انضواء الهند ومصر تحت لواء الامبراطورية الانجليزية انضواءً ارغامياً ولكنه انضواء على كلّ حال

ولا خفاء ان هذا المؤلَّف — بالفتح — نتيجة دروس وبحوث وتنقيب ومراجعة ومطالعة واستقصاء بل هو نتيجة متاعب يعرفها المنصرفون الى التأليف والوضع

— ٣ —

مصطفى كمال او المثل الاعلى . تأليف الكاتب الالماني داجوبرت فون ميكوش
وتعريب الاستاذ كامل صموئيل مسيحه مطبوع بمطبعة الوفاء ببيروت وعدد صفحاته ٣٦٠

تطالع في هذا الكتاب سيرة مصطفى كمال من عهد المدرسة الى عهد الحكم ويتخلل ذلك صفحة من تاريخ تركيا الحديث وهو تاريخ مشحون بالانقلابات والدسائس والمفاجآت ولا نرانا بحاجة الى ذكر موضوعه بالتفصيل فقد عرف الناس كيف قضى مصطفى كمال على عرش الخلافة وهزم آخر سلاطين بني عثمان وكيف تسنم ذروة الحكم ونهض بامته ونفض عنها وشاح التقاليد القديمة وقد وصف كل هذا الكاتب الالماني باسهاب واحسن المترجم نقله الى العربية . يقول المترجم عن المؤلف :

« اعتمد المؤلف الالماني على وثائق عديدة انكليزية وفرنسية وايطالية وتركية وترجم مذكرات الغازي ذاتها وراجع معلومات جمعها له اصدقاؤه الاتراك فجاء كتابهُ تحفة تاريخية نادرة ومثلاً اعلى للكتابة بامانة واخلاص عن سير الرجال العظماء »

فبعد هذا لا نجد تقريظاً آخر للمؤلف . ان عظمة مصطفى كمال وعبقريته وفضله على تركيا فوق كل شبهة . وقرّاء هذه المجلة يذكرون مقالات محرّرها على أثر زيارته لتركيا في الصيف الماضي

— ٤ —

ابن سعود . تأليف الرحالة الانكليزي الشهير كنث وليمز وتعريب الاستاذ كامل صموئيل مسيحه

وهذا ايضاً كتاب عن امير العرب ورجل الساعة في الجزيرة يضعهُ انكليزي ويترجمهُ عربي وانت ترى ان الكتب الموضوعة عن الشخصيات الشرقية في المدة الاخيرة كثيرة جدًّا وترى ايضاً ان معظم هذه الكتب العربية والتركية الموضوعة مكتوبة باقلام غربية فمن الخير المحمود ان نطالع كتاباً عن سعد زغلول بقلم مصري يتناول فيهِ ناحية جديدة من حياة رئيس الوفد فمما لا شك فيهِ ان زغلول لم يدرس دراسة تفصيلية ولا يزال جانب عظيم من حياتهِ الخاصة السياسية مطويًّا

— ٥ —

عصمت باشا . خطبه واقواله السياسية والاجتماعية نشرتها جريدة الحادثة باللغة التركية
نقلها الاستاذ عبد العزيز امين الخانجي . والكتاب مطبوع في مطبعة السعادة بمصر وهو يقع في ٣١٥ صفحة

ولا شك ان نشر هذه الوثائق وجمعها للمشتغلين بالقضايا السياسية الداخلية والعالمية ذو شأن كبير فان عصمت باشا لعب دوراً كبيراً في سياسة بلادهِ من حيث الاصلاح الداخلي وفي سياستها الخارجية بصفتهِ ممثلاً لتركيا في المؤتمرات السياسية

وقد جمع عصمت باشا الى المرونة في السياسة العبقرية في الحرب وفنونها وشهد له الالمان بنبوغهِ العسكري ومنحوه الاوسمة العالية وقد انضم الى الحركة الوطنية وعمل بجانب مصطفى كمال ووجد

هذا فيهِ خير معوان واكبر عضد . وجدير بالسياسيين المصريين اقتناء هذه المجموعة لعلاقة موضوعاتها ببلادهم علاقة غير مباشرة اذ ان عصمت باشا عرض اكثر من مرة الى الروابط التي تربط بلاده بالبلدان الاجنبية وعلى الاخص بتلك التي كانت ذات علاقة وثيقة بالسلطنة العثمانية . والذي يزيد في شأن الكتاب انهُ صادر عن رجل مسؤول لا يرسل القول على عواهنهِ ولا يعقل ان يشحن خطبه واقواله بغير الحقائق . فكل ما في الكتاب اقوال فاه بها عصمت باشا في جلسات البرلمان والمفروض فيها الحقيقة والصدق

توفيق وهبه

تحضير الميزانية المصرية

تأليف الدكتور محمد توفيق يونس — رسالة قدمت الى كلية الحقوق المصرية — حازت رتبة « جيد جداً » — صفحاتها ١٩٩ — طبعت بمطبعة الرغائب

عالج المؤلف هذا الموضوع الجديد في اثني عشر باباً المّ في اول كل منها بالنظرية العامة التي تتصل بهِ ، وبمختلف الطرق التي تتبعها الدول ، توضيحاً للحال السائدة في مصر ، وتحديداً لأنظمتها من بين هذه الطرق. ثم اتبع هذه الالمامة في كل باب بكلمة تاريخية وصف فيها الحال التي كانت سائدة بعصر في الماضي ومختلف ضروب الاصلاح التي أُخذ بها ، حتى اذا وصل الى النظام الحالي حدّده وحللهُ مبدياً ما يقترحه من وسائل العلاج .وقد صدّر الكتاب بتمهيد تاريخي عام تناول فيهِ المراحل الرئيسية التي قطعتها الميزانية المصرية وسلسلة الادوار المختلفة التي مرت عليها في طريقها الى السهولة والوضوح ومطابقة الواقع ، تاركاً التفاصيل للكلمة التاريخية الواردة في كل باب

ولقد خصَّ المؤلف البابين الاول والثاني ببحث عدة مسائل اولية عامة ، فتكلم في الباب الاول عن المدة التي توضع لها الميزانية ، ثم تناول التاريخ المحدد لابتداء هذه المدة اي السنة المالية باحثاً في التعديلات المختلفة التي ادخلت على هذا التاريخ شارحاً شرحاً مستفيضاً الاسباب التي ادّت الى كل منها والاجراءات التي اتخذت لتحقيقها . وتكلم في الباب الثاني عن موضوع يتصل بالسنة المالية اتصالاً وثيقاً وهو طريقة وضع الحساب النهائي لها

وبعد ان انتهى المؤلف من بحث هذه المسائل الاولية ، تناول التحضير الفعلي للميزانية في الابواب التالية ، فتكلم اولاً عن محضري الميزانية ، وهو موضوع وقف عليهِ ثلاثة ابواب : وهي الثالث والرابع والخامس ، فتناول في الباب الثالث نصيب السلطة التنفيذية من تحضير الميزانية مفصّلاً دور الوزراء في تحضير تقديراتهم ، فالدور الهام الذي يقوم بهِ وزير المالية في اعداد الميزانية ، دون ان يغفل عمل السكرتيرين العاليين الذين يعتبرون اداة اتصال بين وزير المالية وبين زملائه الوزراء الآخرين . ولقد بيّن المؤلف كيف ان وزارة المالية في مصر لا تملك قانوناً ان تعدل اقتراحات الوزارات الاخرى دون موافقتها ، وكيف انها في الواقع تعدل فعلاً في هذه

الاقتراحات على الرغم من ذلك ويوضع مشروع الميزانية على اساس هذه التعديلات التي تَراها وزارة المالية « او بالتدقيق لجنتها المالية » بعد ان يقرها مجلس الوزراء

اما الباب الرابع فقد خصصهُ للكلام عن المال الاحتياطي لما لهُ من المقام الخاص وعلاقته بعمل وزير المالية في تحضير الميزانية وموازنتها . ثم تكلم في الباب الخامس عن نصيب السلطة التشريعية هذا التحضير باحثاً في التغييرات التي ادخلها دستور سنة ١٩٣٠ في هذا الصدد. بعد ان انتهى من الكلام عن محضري تقديرات الميزانية ، تناول كيفية وضع هذه التقديرات فتكلم في الباب السادس عن الطريقة المتبعة في مصر في تقدير الايرادات ، وفي الباب السابع عن الطريقة المتبعة في تقدير المصروفات

وفي البابين التاسع والعاشر والحادي عشر تناول المؤلف بعض المميزات التي تنفرد بها الميزانية المصرية مثل الايرادات المخصصة للدين العمومي والميزانيات الخاصة والملحقة مثل ميزانية الاوقاف وميزانية الازهر وميزانيات الجامعة المصرية ودار الكتب المصرية والسكك الحديدية والتلغرافات والتلفونات والحسابات الخاصة بالسلف التي قدمتها الحكومة في العهد الاخير الى الملاك والزراع والصناع . وقد حلل في الباب الثاني عشر والاخير مجلد الميزانية في شكله الحالي نظراً لاحتواء هذا المجلد على النتيجة النهائية لجميع هذه الخطوات التي تمر بها الميزانية . وقد ختم هذا الباب باقتراحات جمة تتعلق بمجلد الميزانية حتى يمكن لمن يرجع اليه ان يلم بمركز الدولة المالي دون صعوبة

وعلى الجملة فقد بحث المؤلف بحثاً وافياً دقيقاً المراحل المختلفة التي تجتازها الميزانية المصرية والمبادىء والقواعد التي تخضع لها ، والاساليب التي تنفذ بها هذه المبادىء والقواعد ، مبيناً ما لكل منها من مزايا ومساوىء ، معقباً عليها بمقترحاته

حرب نيقوبوليس الصليبية [(١)]

تأليف الدكتور عزيز سوريال عطية — بالانكليزية نشره بيت متوين بلندن — الثمن عشر شلنات ونصف

اهدى الينا الدكتور عزيز سوريال عطية نسخة من كتابهِ التاريخي النفيس الذي وقع احسن وقع في دوائر انكلترا التاريخية لما اشتمل عليه من العلم الواسع والتدقيق في حقبة من تاريخ اتصال الشرق بالغرب ، لم تنل من المؤرخين ما هي حديرة بهِ من العناية . وقد اطلعنا في جريدة التيمس في ملحقها الادبي على مقال في هذا الكتاب فرأينا ان ننقلهُ الى القرّاء ، فنصيب بهِ عصفورين بحجر واحد . ذلك ان المقال المذكور وصف دقيق للكتاب ودليل على مكانتهِ في آن واحد

قالت التيمس :

ان الاعتقاد السائد بان الحملة الصليبية الاولى كانت وجهتها الى فلسطين جعل الكثيرين يظنون انهُ بخروج الصليبيين من تلك البلاد وطرد سلطان المماليك لهم انتهت تلك الحروب الصليبية . هذا

(1) The Crusade of Nieopolis by Dr. Aziz Suryal Atiya Published by Nethuen and Co. Ltd London 10/6

بينما يعتبر الآخرون موقعة ليبانتو من ذيول تلك الحروب ويرى غيرهم في موقعة نوارين والحصارات الفرنسية في الجزائر ومراكش وفي تحرير الجنرال اللنبي لفلسطين دلائل على الروح الصليبية

ولكن قليلين من امثال الدكتور عزيز سوريال عطيه قد اتجهوا وجهة اخرى في اعتبار الحملة التي ارسلت الى نيقوبوليس سنة ١٣٩٦ آخر الحملات الصليبية التي حدثت خلال القرون الثلاثة التي سبقت ايام بطرس الناسك

وقد اتبعت الحملة الى نيقوبوليس نفس الطريق التي سلكتهُ الحملات السابقة ممن كانت اسعد حظًّا من هذه ، وكان النظام في حملة نيقوبوليس نظيره في الحملات السابقة اذ كان معدوماً انعداماً تامًّا وطغت الحزازات والمنازعات على الصليبيين هذه المرة كما طغت عليهم وحطمتهم في المرات السابقة

وقد دلت التجارب الحالية على ان التحالف لا يؤدي دائماً الى الكفاءة والقوة الحربية حتى ولو توفر النظام وتيسرت الادارة الحازمة في كل من المتحالفين على حدة ... ويوضح لنا الدكتور عطيه كيف كانت حالة الصليبيين يرثى لها فبعض الجماعات الصليبية ثائر وبعضها خائر العزم يسعى الى هجر الحرب بينما كان البعض خرافيًّا ممن تعلق بالخرافات وحتى القواد انفسهم كانوا متنازعين متخاصمين علوا الحسد قلوبهم ، لا يعملون الاً لمجد انفسهم الفردي جاهلين ما يؤدي اليهِ التعاون من النتائج

***

اما في نيقوبوليس فلم يكن اي اثر للنظام اعني تكوين الفرق بشكل نظامي ، ويصف الدكتور عطيه بدقة كبيرة ما كان عليهِ كل من الجيشين المسيحي والتركي وكيف كان الاتراك يعتمدون كل الاعتماد على السرعة وخفة حركة جيادهم بعكس الصليبيين ، وعلاوة على ذلك ان الاتراك كانوا يحاربون تحت قيادة حربية مطلقة استبدادية فكانت اوامر القائد مطاعة اطاعة عمياء بينما الصليبيون لم يكونوا ليطيعوا شخصاً معيَّناً بالذات وكان جلُّ هم الفرنسيين مثلاً احراز اكاليل الظفر لانفسهم حتى انهم لم يمهدوا الطريق لشخص مثل سجسمند في اتخاذ الاحتياطات اللازمة لمحاربة الاتراك كانتخاب الجنود ممن تعودوا اساليب الاتراك في الحرب

وكانت نتيجة هذا النظام الفاسد والسياسة الخاطئة انهُ بالرغم من الشجاعة النادرة والتفوق المدهش الذي اظهره الصليبيون في القتال وجهاً لوجه فان القائد الفرنسي قتل وولي عهد دوق برجندي اسر بينما افلت ملك المجر بغاية الصعوبة هارباً خلال بلاد الدانوب الى البحر الاسود حيث آوته احدى السفن وحملتهُ سالماً الى مملكتهِ ، وكم كان سرور الاشراف حين عاد اليهم ملكهم مهزوماً حتى لا تزيد سطوته فيهم !

وقد كان من الممكن للاتراك ان يتقدموا في الفتح بعد هذا النصر ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث ويمكن تعليل ذلك بمرض السلطان او برغبتهِ في عدم التوغل في الفتح بعيداً عن قاعدة ملكه ويعتقد الدكتور عطية انهُ لم يكن هناك ما يمنع السلطان من غزو المجر

وقد كانت النتائج الحربية لانتصار السلطان جلية في زيادة نفوذه في البلقان حيث فضل الارثوذكس السلطان التركي وآثروه على بابا روما لان اللاتين اشتهروا بعدم تساهلهم في الأمور والاختلافات الدينية

وقد خصص الدكتور عطية جانباً كبيراً من عنايتهِ لدراسة الامور الماليةفي تلك الحرب الصليبية اذ انهُ كان لا بدَّ من دفع مبالغ كبيرة للسلطان التركي فدية عن الاسرى من الصليبيين ، وانهُ لمن المتبع حقًّا ذكر طريقة دفع هذه المبالغ والمفاوضة في شأنها

ان قصة حرب نيقوبوليس الصليبية ليست طويلة ولكن الدكتور عزيز سوريال عطيه قد دعمها بالبيانات الاضافية حتى ان القارىء ليشعر انهُ قد المَّ بوصف دقيق للحالة السياسية والمالية في اواخر عهد الفروسية في اوربا وبين الملحقات الاضافية للكتاب ما هو خاص بتواريخ موقعة نيقوبوليس المتضاربة ويستدل المؤلف بالبرهان الكافي على انها حدثت في ٢٥ سبتمبر سنة ١٣٩٦

***

ويعتقد المؤلف ان بايزيد كان اول من لقب بالسلطان العثماني اذ تسمى وتلقب بهذا اللقب بعد انتصاره على الصليبيين في نيقوبوليس كما لقب السلطان محمد بالفاتح بعد سقوط القسطنطينية في يده

صحيفة دار العلوم

لدار العلوم فضل كبير على الناطقين بالعربية في هـذا القطر فهم — كانوا ولا يزالون — مادة العربية التي تقوّم الالسنة في مدارس مصر . ولا ينكر احد فضل هذه المدرسة في تقويم الاخلاق والآداب في مدارسنا . ولقد عمدت دار العلوم في سنة ١٩٠٦ ان تضم الى ما تقوم بهِ من الاعمال عملاً يكون اكثر فائدة واوسع مدًى في تثقيف الناس فأخرجوا صحيفة باسمهم « تنشر بحوثهم بين جميع طبقات الامة ، ثم عصفت — لسوء الحظ — بأبناء دار العلوم عواصف هوجاء اجتاحت فيما اجتاحت ناديهم وصحيفتهم . فلما كانت النهضة القومية سنة ١٩١٩ اخرجوا باتحادهم مع زملائهم من خريجي (المعلمين العليا) صحيفة اخرى بقيت عدة سنوات ، فكانت من خير ما اخرج للامة في بابها . ثم قضى عليها ماقضى على كثير من مظاهر النهضة المصرية»

ثم اجتمعت « جماعة دار العلوم » في ١٤ دسمبر سنة ١٩٣٣ وقررت اصدار هذه الصحيفة فأصدروا العدد الاول منها في اول ربيع الاول سنة ١٣٥٣ حافلاً بالكلمات الجيدة لكبار اساتذة دار العلوم في اللغة والادب والتربية والفلسفة . ونرجو ان تسير المجلة على خطتها مالئة فراغاً كنا في حاجة الى من يقوم بهِ ونسأل الله ان يوفق الى خير ما يكون من خدمة العربية في انحاء

التحكم في الجنس بالتيار الكهربائي

استنباط مدهش يمكن مربي المواشي من نتج ذكورها وأناثها بحسب مرامهم

جاء في انباء الدوائر العلمية الروسية، أن الاستاذ نيقولا . ك . كولتزوف Nicholas K. Koltzoff العلامة الروسي المشهور في علم الحياة قد نجح في توليد الحيوان، إمّا ذكوراً، وإما أناثاً، وفق رغبته. ومنها السنانير والبقر والثيران والنعاج والكباش. وذلك في التجارب التي جربها في مختبره العلمي

فأسفرت التجارب التي جرّبتْ في أرانب المختبر عن كون ٩٠ ./. من الخرانق يتسنىّ التحكم في شقها بالطريقة الكهربائية التي يستخدمها الاستاذ كولتزوف . ويجرّب الآن هذا الاستنباط تجارب متقنة في ضياع حكومة روسيا، فاذا نجحت تجربتهُ في الغنم والخنازير والمواشي والخيول، كنجاحها في الارانب، قيّض لارباب الضياع التي فيها مصانع للزبدة والجبنة، توليد البقر الحلوب، دون الثيران، واستطاع أرباب المزارع التي تربّى فيها المواشي والدواب، انتاج عجول البقر، دون اناثها وامكنهم تقليل الخسائر التي يكابدونها من تصرفات الطبيعة العرضية في نتج الذكور والاناث اعتباطاً

وقوام عمل الاستاذ كولتزوف على الخلايا التي تتألف منها جميع اجسام الحيوان اذ من المعروف الآن انها تتأثر بالقوة الكهربائية

ولما كانت كريات الدم في جسم القرش (كلب البحر) تنجذب نحو القطب السلبي للبطارية، على حين ان كريات دماء جُلّ الحيوان، تنجذب نحو القطب الايجابي—

فلمَ لا تتأثر بالكهربائية كذلك خليـة منيِّ الذكر التي تلقح خلية بيضة الانثى، فتسيطر على الشق ؟؟ هذا ما خالج العلاّمة كولتزوف من سنة ونيف، فجعل يجرب تجاربهُ الابتدائية حتى يتبيّن الحقيقة

والمعروف الآن عند علماء البيولوجيا على بكرة أبيهم، ان خلية البيضة وخلية المنيّ كلتيهما تحتوي على دقائق، مستقيمة الشكل، متناهية في الصغر، تسمى كروموسومات . وهذه تكوّن نوى الخلايا وتنقل الصفات الوراثية . والبيضة أي خلية البيضة، للانثى البشرية صغيرة جداً بحيث اذا وضعت بعضها بجانب بعض فان ٥٠٠٠٠ بيضة منها تكاد تبلغ مساحة طابع بريد، وتشتمل البيضة الواحدة على ٢٤ كروموسومة . اما خلية المني اي خلية الذكر وهي التي تلقح بيضة الانثى

مع كون هذه اكبر منها — غير ان خلية الذكر ذات ذنب مثل السوط تجعله بمثابة رقاص تدفع به نفسها دفعاً حثيثاً اسوة بفرخ الضفدع — فتشمل اما ٢٤ كروموسوماً او ٢٣ كروموسوماً

وزعم الاستاذ كولتزوف ان فريقاً من خلايا الكروموسومات ينجذب نحو القطب السلبي. وفريقاً آخر ينجذب نحو القطب الايجابي. وانه اذا ثبت هذا الرأي، صار ذا فائدة خطيرة لا نظير لها في تاريخ البيولوجيا. وأثبت ذلك بالتجربة، فجاء بأنبوب زجاجي معقوف هكذا (∩) ذي صمامين فاصلين كلٌّ منهما، قريب من قاعدة كل من المستقيمين، وركّب صماماً آخر للصرف في منتصف الجزء الافقي من الانبوب. ثم ثبّت في كل من المستقيمين أسلاكاً ذات توصيلات من المسامير اللولبية أوصلها ببطارية تخزين، وذلك بعد ان ملأ الانبوب المعقوف السابق وصفه، ملأً جزئيًّا بمحلول يشتمل على خلايا ذكور الارانب. واخذ الاستاذ كولتزوف وأعوانه يتأملون في ذلك السائل العديم اللون الذي كان في الانبوب، فاذا به يتحرك حركة وئيدة تولدت من ملايين من السبرماتوزوى — الجراثيم المنوية — (التي لا يمكن رؤيتها بالعيون المجردة) وهذه جماعات تسبح مثل فراخ الضفادع. وبعضها يتجه نحو احد قطبي البطارية اتجاهاً سريعاً جدًّا، والآخر يتجه نحو القطب الثاني من البطارية. وكان السائل في اثناء ذلك يرتفع رويداً رويداً رغم جاذبية ثقله في ضلعي الانبوب المعقوف العموديين، الايمن والايسر

وما انقضت ساعتان حتى اختفى السائل من القسم الافقي وتعلق، كأنهُ مسحور، في الانبوبين الرأسيين وكاد ينقسم قسمة متساوية بينهما. فأغلق الاستاذ كولتزوف الصمامين مانعاً السائل من الهبوط الى قعر الانبوب، ثم قطع التيار الكهربائي. وعند ذلك أخذ الاستاذ كولتزوف يناجي نفسه قائلاً « هل قسم التيار الكهربائي الخلايا الخفية اقساماً مختلفة، بعضها يولد ذكوراً والآخر يولد أناثاً ؟؟ »

وكان الاستاذ كولتزوف يفترض ذلك. ومع ذلك فانه حينما تفرّس في المادة التي كانت في الانبوبين، بوساطة مجهر قوي جدًّا رأى الخلايا المكبرة جميعها من مثال واحد. وانما بتلقيح اناث الارانب تلقيحاً صناعيًّا بالحيوان المنوي من الانبوبين السابقي الذكر، وبتدوين الملاحظات تدويناً محكماً، قُيّض للاستاذ كولتزوف اثبات نظريتهِ. فما انقضت ستة اسابيع حتى بدأ مولد السلالات، فنتجت اولاً سلالة مكونة من ست خرانق كلها أناث لان أمها كانت ملقحة من الانبوب المحتوي على القطب الايجابي. وجاءت السلالة الثانية مؤلفة من خمس خرانق كلها ذكور الاّ واحداً لان أمها كانت ملقحة من الانبوب المحتوي على القطب السلبي، ثم ظهرت السلالة الثالثة وكانت مولدة بوساطة مزج الخلايا المأخوذة من الانبوبين، فاذا هي مؤلفة من اربع خرانق، وهي ذكران وأنثيان، فدلّ ذلك على ان القطب السلبيّ كان يجذب خلايا الذكور والقطب الايجابي يجذب خلايا الاناث. بيد ان الاستاذ كولتزوف، وهو مدير معهد المباحث البيولوجية

(١) الخرنق ولد الارنب والجمع خرانق

في مدينة موسكو من خمس عشرة سنة ، لم يقتنع بتلك النتيجة ، فاتفق مع العلماء في مختبر آخر لكي يلقحوا طائفة من اناث الارانب بمادة يقوم هو بتحضيرها . ثم قسم الارانب قسمين ، فاقح القسم الاول بخلايا الذكور ولقح القسم الثاني بخلايا الاناث . وتوفر العمال على مراقبة المُنتَج من غير ان يعرفوا انواع الخلايا فأيدت الارقام ذلك الرأي العلمي . وقد دلَّ المجهر على سبب عدم توليد ١٠٠ في المائة ذكوراً او اناثاً ، إذ ظهر ان الحيوان المنوي قد يكون ذا اذناب ملتوية ، وربما يتفق عند الاضطراب المصاحب لعملية الانفصال التي تقع في الانبوب المعقوف ان تشتبك تلك الخلايا باضدادها فتجذب نحو القطب الكهربائي غير المقصود

واثبتت مباحث اخرى ان وسائل كولتزوف يمكن التوسل بها الى توليد الاجناس المبتغاة من الحيوانات الكبيرة اذ اتيح تبعيض خلايا التلقيح للثيران وخيول الطلوقة بسهولة اسوة بالارانب . وللحكومة الروسية ضياع يربّى فيها ما ينوف على مليونين من الحيوانات حيث تلقح تلقيحاً صناعيًّا وتجرب فيها التجارب الجديدة المشار اليها لتكييف جنس النتاج بحسب المرام

والمعروف ان في اسلوب التناسل الطبيعي خسائر دائمة من تفوق انتاج الذكور على الاناث فاذا اتيحت السيطرة على شق الحيوان قبل ولادته ، تيسر جعل الاناث من المواليد ٩٠ ٪ او اكثر ، وأمكن زيادة عدد المواشي سريعاً . أما مسألة التحكم في اجناس سلالات الدواجن بالطريقة السابقة الذكر ، فما برحت على بساط البحث . غير انهُ قد تبين اخيراً (على عكس القاعدة المعروفة للحيوانات اللبونة) ان خلية البيضة ، لا خلية المني تتسلط على الشق في الدواجن . وتجرب التجارب في مختبر موسكو للتحقق من تأثير الوسائط الكهربائية التي ثبت نجاحها في الخلايا التذكيرية للحيوانات اللبونة في الدواجن ايضاً . ومن اربع سنوات قام كولتزوف ورفيق له باستنباط الجراڤيدان gravidan وهي خلاصة من مفرزات النُتُج[1] ، أفادت في علاج أمراض عديدة ولاسيما الجنون المسمى « السرسام » وثبت ايضاً نجعها في تجديد الشباب . وقد استعملها لتلك الغاية بعض علماء اميركا وألمانيا . وكان استنباط طريقة الاستاذ كولتزوف في روسيا مفضياً الى تأسيس معهد لعلاج الامراض البولية . ويلخص تاريخ الاستاذ كولتزوف انهُ ولد سنةُ ١٨٧٢ ثم تعلم في جامعة موسكو وقضى سنوات باحثاً في المختبرات العلمية في المانيا وفرنسا وايطاليا . فكان نجاحه في وقاية السلالات النقية من ديدان القز بواسطة التلقيح الذاتي للبيضة باستعمال اليود ، سبباً في ذيوع صيته ، فاستعملت طريقته استعمالاً تجاريًّا منذ عهد قريب . وقد ألَّف كتباً في التناسل فأصبح يعد من أقطاب البيولوجيا في اوربا لانهُ استطاع حل اللغز الذي طال عليه الدهر وهو التحكم في اجناس الحيوان فاهتم به العلماء في الخافقين اهتماماً عظيماً

[عن مجلة العلم العام] عوض جندي

(١) انتجت الفرس والناقة حان نتاجها وقيل استبان حملها فهي نتوج

الجزء الاول من المجلد الخامس والثمانين

صفحة

الجزء الاول من المجلد الخامس والثمانين

المقتطف
مجلة علمية صناعية زراعية

لمنشئيها

الدكتور يعقوب صروف و الدكتور فارس نمر

قيمة الاشتراك — في القطر المصري جنيه مصري واحد وفي سورية وفلسطين والعراق ١٢٠ غرشاً مصرياً وفي الولايات المتحدة ٦ دولارات اميركية وفي سائر الجهات ٢٦ شلناً

اشتراك الطلبة والمدرسين — قيمة الاشتراك للاساتذة والطلبة الذين يرفقون طلبهم بقيمة الاشتراك وبشهادة من رئيس المدرسة تكون ٨٠ غرشاً مصرياً في مصر و ٩٠ غرشاً مصرياً في الخارج

الاعداد الضائعة — الادارة لا تعد بتعويض المشتركين ما يضيع من اعدادهم في الطريق ولكن تجتهد ان تفعل ذلك

المقالات — لا تقبل المقالات للنشر في المقتطف الا اذا كانت لهُ خاصة ولا يعد قلم التحرير بارجاع المقالات التي لا تنشر فنرجو من حضرات الكتّاب ان يحتفظوا بنسخة من المقالات التي يرسلونها

العنوان — ادارة المقتطف بالقاهرة — مصر

AL-MUKTATAF

An Arabic Monthly Review of Current Science and Literature.

Published in Cairo Egypt

Founded 1876 by Drs. Y. Sarruf & F. Nimr

EDITED BY F. SARRUF

SUBSCRIPTION PRICE : Egypt & the Sudan 1 L.E. or 5 Dollars
Foreign 120 P.T. or 6 Dollars

مدام كوري

ولدت سنة ١٨٦٧ — توفيت في ٤ يوليو سنة ١٩٣٤

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الثاني من المجلد الخامس والثمانين

١ اكتوبر سنة ١٩٣٤ ٢٢ جمادى الثانية سنة ١٣٥٣

مدام كوري

في خريف سنة ١٩٢٠ ذهب الى ولاية كولورادو الاميركية جيش من العمال وقصدوا الى منطقة ماحلة في جنوبها لينقبوا فيها عن تبرٍ معين . كانوا قد بحثوا في مختلف الولايات الاميركية عن هذا التبر النفيس ولم يظفروا بهِ لذلك اضطر زعيمهم الى الاكتفاء بنوع من الرمل يكثر في صحارى كولورادو القاحلة يدعى كارنوتيت . فأخذ رجاله — وكانوا اكثر من ثلاثمائة — يشتغلون ليل نهار في جمع اطنان منهُ ثم نقلوها في صحارٍ لا تخترقها طرقٌ ما ، مسافة ١٨ ميلاً الى اقرب مكان فيهِ ماء حيث عنوا بتشييد معمل خاص لغسل هـذا الرمل وتنقيته . هنا عولجت خمسمائة طن منهُ معالجة كيمائية حتى بقي منها مائة طن فقط . وما بقي سحن حتى صار مسحوقاً دقيقاً ثم وضع في اكياس نقلت بسكة الحديد الى بلدة تدعى بلايسرفِل . ثم شحنت الاكياس في مركبات شحن خاصة مسافة ٢٥٠٠ ميل الى بلدة تدعى كانونزبرغ بولاية بنسلفانيا في الشمال الشرقي المتوسط من الولايات المتحدة الاميركية

وفي كانونزبرغ عُهد الى مائتي رجل في تحويل هذه الاطنان من المسحوق الناعم الى بضع مئات من الارطال فقط مستعملين مقادير كبيرة من الماء في غسل المسحوق ثم معالجتهِ بمواد كيمائية واحماض [illegible]خراج كنز ثمين منهُ . لم يضيع الرجال ذرة واحـدة منهُ على رغم تعدد عمليات الغلي والتصفية والبلـورة . وانقضت اشهر فاذا ما بقي من ٥٠٠ طن من رمل كولورادو مقدار يسير جداً ارسل الى معامل البحث في شركة بتسبرغ الكيمائية بحراسة حرس خاص . هنا في المعامل الكيمائية [illegible] المعلمات الاخيرة [illegible] استخراج بضع [illegible]ات من ملح معين . فلما تم استخراجها كانت سنأ

كاملة قد انقضت على جمع الرمل من صحارى كولورادو وانفق عشرون الف جنيه فكانت تلك البلورات اثمن مادة معروفة على سطح الارض — مائة الف ضعف اثمن من الذهب . ثم وضعت هذه في أنابيب صغيرة من الرصاص والانابيب حفظت في صندوق فولاذي كثيف الجدران مبطن بألواح كثيفة من الرصاص . ثم وضع الصندوق الفولاذي في صندوق آخر من خشب المغنة المصقول وهذا حفظ في خزنة متينة انتظاراً لقدوم زائر كريم من فرنسا

وفي ٢٠ مايو سنة ١٩٢١ وقف رئيس الولايات المتحدة الاميركية في ردهة الاستقبال في البيت الابيض يحفّ به سفير فرنسا ووزير بولونيا المفوض واعضاء وزارته ورجال القضاء واكبر المشتغلين بالعلم ، ووقفت امامهُ سيدة نحيفة البنية وديعة المنظر مرتدية ثوباً اسود ثم خاطبها الرئيس فقال : «كان من حظك انك قمت بخدمة خالدة للانسانية . ولقد عهد اليَّ ان اقدم لك هذا القدر الضئيل من الراديوم . فنحن مدينون لك بمعرفتنا لهُ وملكنا اياه . لذلك نرفعهُ اليك واثقين انهُ وهو في حيازتك لا بدَّ ان يكون وسيلة لتوسيع نطاق العلم وتخفيف آلام الناس»

تلك السيدة كانت مدام كوري

﴿ نشأتها ﴾ وُلدت ماري كوري في بولونيا في ٧ نوفمبر سنة ١٨٦٧ وفقدت أمها وهي لا تزال في طفولتها . وكان والدها الاستاذ سكلودفسكا مدرساً للرياضيات والطبيعة في مدرسة فرسوفيا العالية . وكان يقضي مساء كل سبت امام مصباحه يقرأ آيات الادب البولوني نثراً وشعراً . فكانت ابنته ماري تحفظ فقرات طويلة منها وتعيدها امامهُ عن ظهر قلب ورآها العالم الروسي مندليف في حداثتها تخلط المواد الكيمائية في مختبر كيمائي لابن عمتها في فرسوفيا فتنبأ لها بمستقبل علمي مجيد

كانت بولونيا في تلك الايام مقاطعة من روسيا وحكومة روسيا تفرض اعباء ثقيلة على الشعب البولوني المحكوم . فاستعمال اللغة البولونية كان محظوراً في الصحف والكنائس والمدارس . والبوليس السري الروسي كان ألحق بالناس من ظلهم لا تخفى عليه خافية مما يفعلون . فلما كانت ماري في حداثتها اجتمع بعض تلاميذ والدها وألفوا جمعية سرية غرضها قلب الحكومة وطرد المعتدين على وطنهم وكانوا يجتمعون كل ليلة ليدرسوا اللغة البولونية وليدرّسوها لجماعات من الطلاب فانتظمت ماري في احداها وتمادت فكتبت في احد الايام نشرة ثورية شديدة اللهجة

ولكن البوليس الروسي نمت اليه اخبار الشبان الثائرين فقبض على بعضهم. ونجت ماري من الشرك ولكنها اضطرت ان تغادر فرسوفيا لكي لا تشهد على اخوانها عند المحاكمة. فجاءت باريس في شتاء سنة ١٨٩١ وهي لا تزال في الرابعة والعشرين من عمرها . هنا استأجرت غرفة صغيرة في مكان حقير . فكان البرد يقرسها في الشتاء والحر يكاد يخنقها في الصيف . وكانت معيشتها شديدة البؤس [illegible]نها كانت مضطرة ان تحمل الماء والفحم الى غرفتها الكائنة على سطح المنزل فوق الدور الرابع . كانت فقيرة لا تجرؤ ان تنفق اكثر من نصف فرنك في يومها . وكثيراً ما كان طعامها خبزاً ومسلة

لا يزيد على كسرة من الخبز وقطعة من الشوكولاته . ولـكن هذه المصاعب لم تقعدها عن تحقيق رغباتها لانها جاءت باريس لتدرس في السوربون . ولكي تتمكن من تسديد اجور التعليم اضطرت ان تغسل الزجاجات في معمل البحث في كلية العلوم وتعنى بنظافة الموقد

في سنة ١٨٩٤ التقت بپيير كوري في دار احدى صديقاتها . وكان هو يشتغل حينئذ في معمل شوتزنبرجر مؤسس مدرسة البلدية للطبيعة والكيمياء بباريس ومديرها . وكان قد تخرَّج من السوربون وانشأ يبحث مع اخيه جاك في موضوع « المكثفات الـكهربائية » . فلما تعرف اليها اخذا يتحدثان في ما يهمهما من موضوعات العلم . ثم انتقلا الى بعض الموضوعات الاجتماعية والادبية. فكان ذلك مبعث سرور خاص للفتاة البولونية الشريدة لانها وجدت على قولها : «اتفاقاً غريباً بين آرائه وآرائي رغم اختلاف وطنينا» . اما بيير فدهش لما رآه في هذه الفتاة من توقد الذهن وسعة العلم ولما اعرب لها عن دهشته ردت عليه «ترى يا استاذ من اين اتيت بآرائك الغريبة في حدود عقل المرأة»

كان بيير قد كتب لما كان في الثانية والعشرين : « النابغات بين النساء نادرات . اما المرأة المتوسطة الذكاء فلا ريب في انها عائق كبير لعالم جادٍّ في عمله » . كتب ذلك في الثانية والعشرين. وها هو ذا في الخامسة والثلاثين ، واتصاله بالحياة قد غيَّر آراءه . ولما تحولت معرفته بماري الى صداقة متينة انقلبت آراؤه في النساء رأساً على عقب . وكانت هي قد فتنت بما عرفته في العالم كوري من صفات الشاعر والحالم علاوة على علمهِ الغزير . فلم تلبث حتى استأذنت الاستاذ شوتزنبرجر فأذن لها في ان تصبح مساعدة للمسيو كوري في معمله

﴿ الزواج العلمي ﴾ تزوجا في يوليو سنة ١٨٩٥ ولم تـكن مسألة فرش البيت مسألة خطيرة في نظر كائنين لا تهمهما التقاليد المرعية . فاستأجرا ثلاث غرف تشرف على حديقة وابتاعا قليلاً من الاثاث لقضاء الحاجات الضرورية . وفي ذلك الاثناء عين بيير كوري استاذاً للطبيعيات في مدرسة البلدية المذكورة وكان مرتبه ستة آلاف فرنك في السنة فتمكنت زوجه من مواصلة دروسها . ولـكن دخلهما لم يسمح لهما بشيء من الـكماليات الاَّ دراجتين ابتاعاها لقضاء رحلاتهما الاسبوعية الى الريف

وفي اواخر سنة ١٨٩٥ — اي بعيد زواج بيير وماري — كشف الاستاذ وليم كونراد رنتجن الالماني عن الاشعة السينية. ولم تـكد تصل انباء هذه الاشعة الغريبة التي تخترق الاجسام الصلدة وتبين عظام الجسم ، الى دوائر العالم العلمي حتى حدثت حادثة غريبة اتفاقاً في غرفة مظلمة بمعمل الاستاذ هنري بكرل بباريس . لم تـكن من الحوادث التي تعنى بها الصحف وتنشرها بأحرف عريضة في صفحاتها الاولى كحوادث القتل وفضائح الغرام ، مع ان أثرها كان أثراً عالميًّا عظيماً لان سلسلة من الحوادث العلمية الخطيرة جاءت في اثرها وتوِّجت اخيراً بانتصار مدام كوري الباهر في كشف عنصر الراديوم فكانت حدًّا فاصلاً في تاريخ العلم ، انتهى عندهُ عصر وبدأ عصر جديد

فقد كان معروفاً ان المواد الفصفورية بعد تعرضها لنور الشمس تتألق في الظلام . وكان بكرل

المعلمات العليا في بلدة سيفر على مقربة من باريس . فكانت تعلم وتدرس وتبحث في معملها وتعني ابنتها . ولكي تنال منصباً عالياً في ميدان التعليم كان لا بدَّ لها من ان تنال لقب «دكتورة في العلوم» فأعدت رسالتها وقدمتها باسطة فيها جميع مباحثها في موضوع الاشعاع فدهش العلماء الكبار الذي عينوا لفحص هذه الرسالة لما وجدوا فيها من الحقائق الجديدة والمباحث الطريفة ، ولما وقفت امامهم للاجابة عن اسئلتهم كانوا بمثابة اطفال امام معلمهم لا يدرون اي أسئلة يوجهون اليها. وقرروا ان هذه الرسالة اعظم بحث علمي قدم لنيل « دكتوراه العلم » في تاريخ جامعة باريس

وذاعت الانباء ! انباء عنصر جديد تكشف عنهُ سيدة . املاحهُ تتألق وتضيء في الظلام كمصابيح كهربائية صغيرة . وتنطلق منهُ مقادير دقيقة من الحرارة انطلاقاً دائماً . ان حرارة طن من هذا العنصر كافية لاغلاء الف طن من الماء مدة سنة كاملة . ثم ان هذا العنصر اقوى سم معروف يفعل عن بعد فاذا وضع انبوب يحتوي ذرة منهُ بحجم رأس الدبوس على ظهر فأرة أصيبت بالشلل في ثلاث ساعات . واذا وضع قرب الجلد قرّحهُ . بل ان اصابع الاستاذ كوري نفسه كادت تشلُّ من لمسهِ . وذاع ان بكرل قال يوماً لمدام كوري « أحب الراديوم ولكني محنق عليهِ » ذلك أنهُ اصيب بحرق مؤلم في صدره بعد حملهِ انبوباً فيهِ ذرة من ملح الراديوم في جيب صدرتهِ . بهذا العنصر كانت المكروبات تقتَل والنوامي السرطانية السطحية تشفَى وحجارة الماس تلوَّن والهواء المحيط بهِ يكهرب حتى يصبح موصلاً جيداً للكهربائية .

﴿ نصر وفجيعة ﴾ وبين ليلة وضحاها ذاع اسم الاستاذ كوري وقرينتهُ . فأخذ السيّاح يتوافدون الى دارها ومصورو الصحف ومخبروها يغزون حياتهما الخاصة بالاسئلة والصور والرسائل والبرقيات وجعلت الدعوات تنهال عليهما . فدعاها لورد كلفن ليأتيا الى لندن ليتسلما مدالية دايفي من الجمعية الملكية فكانت هذه المدالية اول اوسمة الشرف الكثيرة التي رفضها الاستاذ كوري . ويقال انهُ لما عرض عليه وسام اللجيون دونور رفضهُ قائلاً اني افضل ان اوهب معملاً على ان امنح اوسمة. وفي سنة ١٩٠٣ وهبت لهما جائزة نوبل الطبيعية بالاشتراك مع الاستاذ بكرل فأنفقا المال في توفية الدين الذي استداناه للشروع في عملهما وللانفاق على مواصلة البحث . وقد كان بامكانهما ان يستغلا مكتشفاتهما استغلالاً تجاريًّا ولكن الثروة لم تكن الغرض الذي يتطلعان اليهِ . فبحثهما كان بحثاً علميًّا للعلم وحده وغرضهما انما كان خدمة الانسانية . وكل ذرة كانا يستخرجانها من املاح الراديوم كانا يقدمانها للمستشفيات ودور البحث بلا مقابل

فطفح كأس مدام كوري عندئذ غبطة وهناءة . ها هو ذا زوجها يفقد قليل من كآبته واحوالها المعاشية اسهل من قبل وها طفلة ثانية تولد لهما فينعمان بمحبتها وتربيتها

ولكن مخبراً نقر على باب مدام كوري في مساء ١٩ ابريل سنة ١٩٠٦ واخبرها ان الأستاذ كوري كان قبل بضع دقائق يتكلم مع الاستاذ پران فلما غادر كلية العلوم محاولاً ان يجتاز احد

الشوارع صدمتهُ عربة فوقع في عرض الشارع فمرّت عجلات عربة نقل ثقيلة كانت قادمة من الجهة الاخرى على رأسهِ فمات في الحال

أصغت ماري الى القصة ولم تذرف دمعاً ولم تولول ولم ترفع يديها الى السماء . بل جعلت تردد كأنها في حلم « بيير مات بيير مات ».وكادت الصدمة التي اصابتها بموتهِ تقوى عليها . فانها ظلت مدة لا تستطيع ان تجمع قواها لمواصلة عملها . ولكن بعد انقضاءِ بضعة اسابيع قويت على حزنها وعادت الى معملها اكثر صمتاً وهدوءًا من قبل

وحينئذٍ تصرفت فرنسا ذلك التصرف النبيل الذي اشتهرت بهِ في الملمّات.ذلك انها دعت ماري كوري لتشغل كرسي استاذ الطبيعيات في السوربون الذي خلا بموت زوجها.وكانت هذه الدعوة مغايرة لجميع التقاليد . لم يعلم ان امرأة قبلها تقلّدت منصب استاذ في السوربون فلما تمّ تعيينها واُعلن كان باعثاً على كثير القال والقيل وجعل بعض الاساتذة يهمسون في آذان اصفيائهم مستنكرين خطأً كهذا . واخذ بعضهم يشيع بأن الفضل في نجاحها في كشف عنصري البولونيوم والراديوم عائد الى اشتغالها تحت مراقبة زوجها . قالوا : « انتظروا بضع سنوات لتعرفوا حقيقتها فتجدوا انها قد مرّت على منبر العلم مرور شبح لا يترك اثراً »

﴿ ماري تقوم بالعمل ﴾ ثم شاع انها ستلقي محاضرتها الاُولى في السوربون . فهرع الى باريس رجال ونساءٌ يشغلون اكبر المناصب العلمية والتعليمية في البلاد — اعضاء الاكاديميات وأساتيذ كلية العلوم وكبار رجال السياسة ونبيلات السيدات . رئيس جمهورية فرنسا كان هناك يصحبهُ الملك كارلوس ملك البرتغال وزوجهُ الملكة اميليا . ولما قرعت الساعة الثالثة دخلت من باب جانبي سيدة نحيلة مرتدية ثوباً اسود . . . . واذا الردهة تدوي بالتصفيق . وكأن ذلك أزعجها فرفعت يداً نحيفة مرتجفة تطلب السكون . فخمدت العاصفة حتى لكدت تسمع رنة إبرة تقع على الارض

وبدأت محاضرتها بصوت خافت واضح . ففتن سامعوها بقولها . لم تُشرْ بكلمة واحدة الى فجيعتها بل هي استأنفت موضوع البحث في عنصر البولونيوم حيث تركه زوجها . فلما ختمت كلامها دوت الردهة ثانية بعاصفة من التصفيق . ولكن بعض المشككين ظلوا يشككون بمقدرة امرأة على ملء منصب استاذ بالسوربون ! سمعت هي بذلك ولكنها ظلت صامتة كأبي الهول

على انّ عنصر الراديوم لم يكن قد استفرد بعد . ولم تحضّر منهُ الاّ املاحهُ . فأكبّت مدام كوري على تحقيق هذا الغرض الصعب لندرة الاملاح التي يمكن تجربة التجارب بها . فجربت طرقاً مختلفة لفصل العنصر من املاحه، على غير جدوى. وكأن ماري لم تكن تعيش حينئذٍ الاّ في معملها. فلم تخرج الى المسرح ولا الى الاوپرا . ورفضت ان تلبي الدعوات الاجتماعية التي وجهت اليها . وأخيراً سنة ١٩١٠ امرّت تياراً كهربائيًّا في كلوريد الراديوم المصهور فلاحظت تغييراً يحدث عند القطب السالب (المهبط) حيث رأت ملغماً يتكوّن . فجمعت هذا الملغم وأحمته في انبوب من السلكا مع

تروجين تحت ضغط مخفف . فبخر الزئبق الذي في الملغم تاركاً وراءه كريات بيضاً لامعة لم تلبث حتى اكمدّت في الهواء . تلك كانت كريات الراديوم النقي

فكان عملها هذا في استفراد الراديوم النقي وتعيين وزنهِ الذري تاجاً لجميع مباحثها السابقة . هذا بحث علمي دقيق قامت بهِ المرأة — ماري كوري — بعد وفاة زوجها . ايرتاب المرتابون بعد هذا ؟ فلتخرس الالسنة الطويلة ! ومنحت مدام كوري جائزة نوبل للكيمياء اعترافاً بعملها هذا فكانت العالم الوحيد الذي فاز بشرف جائزتين من جوائز نوبل

وأقنعها بعضهم بتقديم اسمها للعضوية في اكاديمية العلوم . ولكن مانع الجنس حال دون انضمامها الى هذه الجماعة الممتازة من ابناء العلم . لم يعرف من قبل ان امرأة انتخبت عضواً في اكاديمية العلوم فماذا التنكب عن هذه الطريق ؟ انت ترى مظاهر الحماسة والانفعال في الجدال المحتدم بادية على اكثر العلماء رزانة ووقاراً ! واخذت الاصوات في ٢٣ يناير ١٩١١ فاخفقت مدام كوري بصوتين. حتى وفاتها لم تكفِّر الاكاديمية عن تعصبها هذا !

ولما نشبت الحرب وأصبحت جيوش الالمان على أبواب باريس ، عمدت مدام كوري الى الانبوب الذي يحتوي على ما عندها من الراديوم واسرعت بهِ الى بوردو خشية ان يقع في أيديهم . فلما وضعتهُ في بوردو في حرز حريز ، عادت الى باريس لايقلقها فيها خطر الغزاة على أبوابها ولا طياراتهم في فضائها. اكبّت على جمع ما تستطيع جمعهُ من آلات المعالجة بالراديوم والاشعة ، واستنفرت بنات باريس ليتمرنَّ على استعمال هذه الآلات في معالجة الجرحى ، فلبّت نداءها مائة وخمسون فتاة ، كانت بينهن ابنتها ايرين Irene وهي في السابعة عشرة من عمرها ، فأقامت شهرين تخطب فيهنَّ وتعلمهنَّ استعمال هذه الآلات ، ثم تعلمت هي قيادة السيارة وجعلت تنقل هذه الآلات الى مستشفيات الجيش وتقيمها فيها . وتقدمت ابنتها الى صفوف النار بل الى منطقة ايبرس حيث كان غاز الكلورين السام يفتك بالجنود فتكاً . فلما ارتدَّ الجيش الالماني ، عادت مدام كوري مطمئنةً الى بوردو واخرجت أنبوبها الثمين من مخبئهِ الامين وعادت بهِ الى باريس . وما كادت تنتهي السنة الاولى من الحرب الكبرى حتى كان قد تمَّ في باريس انشاء معهد الراديوم وجعلت مدام كوري مديرة لهُ ، وانصرفت بعدها الى البحث والعلاج . ولكنها كانت تحب الحرية وتمقت الحرب فقالت لما عقد الصلح : « غمرني الصلح بموجة من الغبطة نتيجة للنصر الذي احرزناه بعد بذل عظيم . وقد عشت لارى بلادي ينتصف لها من قرن حافل بالجور والتفرقة » . ولما سئلت في سنة ١٩٢٠ عما تتمنى قالت فوراً : « غرام من الراديوم اتصرف فيهِ كما اشاء » . ذلك ان هذه المرأة التي منحت العلم والانسانية عنصر الراديوم بكشفها عنه كانت لا تملك شيئاً منهُ ، مع ان مائة وخمسين غراماً منهُ كانت موزعة في مختلف المستشفيات ومعامل البحث . فكان قولها هذا باعثاً على سخاء الاميركيات في تقديم الغرام الذي ذكرناه في مطلع المقال

تمخضت الفأرة

فولدت جبلاً

بقلم ميخائيل نعيمه

في سنة ١٦٢٦ لميلاد القائل « مجاناً أخذتم، مجاناً أعطوا » جلس الفلس على عرشه ونادى أعوانه ثم خطب فيهم هكذا :

« منذ سلمني الناس مقاليدهم وانا أدأب النهار والليل في سبيل اسعادهم . واجترح العجيبة بعد العجيبة لانقذهم من بؤسهم وشقائهم

« سمعتهم يشكون تبلبل ألسنتهم . فابتدعت لهم لساناً واحداً . وذلك اللسان أنا . أنا هو الحرف والمقطع والكلمة . وحيثما اجتمع اثنان باسمي تفاهما في الحال وان يكن الواحد لا يفقه حرفاً من لغة الآخر . تلك هي العجيبة الاولى

« ورأيتهم تتناتشهم ارباب كثيرة . فخلقت لهم ربًّا واحداً . وذلك الرب أنا . أنا هو الوزن والميزان والدين والديَّان ، وأنا يعبدني الناس بكل قلوبهم وكل افكارهم وكل نياتهم . اما اربابهم الآخرون فيعبدونهم بشفاههم لا غير . تلك هي

« ووجدتهم يسلكون الى السعادة شتى المسالك . ويطرقون شتى الابواب . فهديتهم الى مسلك واحد هو أنا . والى باب واحد هو أنا . أنا هو الطريق والحجَّة . أنا هو المدخل والمخرج . تلك هي العجيبة الثالثة

« وساكنتُ الناس وآكلتهم وشاربتهم فوجدت سلطانهم لا يساكن راعي اغنامهم . وابن اميرتهم لا يؤاكل ابن جاريتهم . وقسهم لا يشارب زانيتهم . وسمعتهم يتبرمون بذلك ويطلبون المساواة . فوضعت على اعناقهم نيراً واحداً ، وذلك النير أنا . أنا هو النير والمحراث والحارث . تحت نيري يمشي السلطان بجانب الراعي . وابن الاميرة بجانب ابن الجارية . والقس بجانب الزانية . تلك هي العجيبة الرابعة

« ودخلت قلوب الناس فألفيتها مرصوفة بالشهوات ولا رصف الحَبِّ في الرمانة . والفيت الناس قد قسموا شهواتهم الى صالحة وطالحة . فأطلقوا الحرية للاولى واقاموا على الثانية الحراس

هذا المقال فصل من كتاب « جبران خليل جبران — حياته موته ، ادبه ، فنه » الذي وضعه ميخائيل نعيمه وينتظر صدوره قريباً

والحجّاب وظلت قلوبهم تصرخ اليَّ باسم الحرية . اذ ذاك جعلت لكل شهوة ثمناً . وجعلت ثمن الشهوة الطالحة أضعاف ثمن الصالحة . فاختلط حابل الناس بنابلهم . وهكذا حرّرت قلوبهم من قلوبهم . وتلك هي العجيبة الخامسة

« ومشيت في الأرض فوجدت ان الناس قد تقاسموها بالفتر والقيراط . واقاموا لقسمتهم حدوداً . واقاموا السيف حارساً لحدودهم . فلا يتعدى جارٌ حدود جاره . ولا تعبر جنود مملكة تخوم مملكة اخرى الاَّ بقصد الغزو . فأقمت للناس عبّارة تصل الحدود بالحدود وتهزأ بالسيوف والجنود . وتلك العبّارة أنا . أنا هو العابر والعبّارة . أمرُّ حيث السيف لايجسر ان يلمع . واعبر حيث الجيوش ترتد من وجه المدفع . تلك هي العجيبة السادسة

« اما العجيبة العجيبة فهي اني قد مزجت الناس في بوتقة واحدة . فجعلتهم جنساً واحداً وكانوا اجناساً . وامة واحدة وكانوا أمماً . بل قد جعلتهم لحماً واحداً وعظماً واحداً ودماً واحداً . لاني جعلت طعامهم واحداً وشرابهم واحداً وكذاك كساءهم ومأواهم

« انا هو الطعام والشراب والكساء والمأوى . ومثلما يشرب الناس قطرة من الماء جاهلين انهم بشربها يشربون كل اصناف التراب والمعادن والنبات والحيوان والاقذار التي مرّت بها . كذلك يقبضون الفلس ويبتاعون بهِ طعاماً وشراباً وكساءً ومأوى وهم لا يعلمون ماذا يأكلون ويشربون ويلبسون والى أين يأوون . اليكم هذا المثل :

« في الليلة البارحة باعت امرأة اشواق قلبها التائه واهتزازات دمها المحموم بكمية من الفلوس . والمرأة تلك تدعى في قاموس الناس بغيًّا ، وفي شرعهم آفة ، وفي ناموس شرفهم قاذورة يتجنبها الشرفاء والاتقياء . وفي هـذا الصباح انطلقت المرأة الى الكنيسة فابتاعت ببعض فلوسها بخوراً للكنيسة وقدَّمت البعض تزكية الى الكاهن . اما البخور فأحرقه الكاهن تسبيحاً لربه . واما التزكية فابتاع بها لحم ضأن واكل منهُ واطعم عياله . او تحسبون ان ذلك الكاهن ، عند ما احرق البخور لربه ، احرق نزيز جرح في قلب شجرة عطرة ؟ الحق اقول لكم انهُ لم يحرق لربه سوى نزيز جرح في قلب بغيّ . أم تظنون انهُ اكل وعياله لحم ضأن ؟ الحق اقول لكم انهُ لم يأكل وعياله سوى لحم بغيّ ولم يشرب سوى دم بغيّ . واي الامرين اصعب : ان يؤاكل الكاهن البغيّ ويشاربها ام ان يأكلها ويشربها فيصبح الاثنان لحماً واحداً ودماً واحداً ؟

« اليكم مثلاً آخر : امس دخل لص على ارملة عجوز كان قد سمع انها تحمل في عنقها كيساً من الفلوس . فارداها بطعنة مدية وانتشل الكيس من عنقها مغموساً بدمها . وراح ليلته فقامر بالمال وخسره . والذي ربحه منه ابتاع بهِ ثوباً من عند تاجر . والتاجر دفعه ضريبة للخزينة . والخزينة دفعته راتباً للقاضي . والقاضي حكم على اللص بالشنق . أو تحسبون القاضي اكثر براءة من اللص ؟ الحق اقول لكم انه لص مثله . اللص اراق دماً بريئاً . اما القاضي فشربه

« اجل . لقد مزجت الناس في بوتقة واحدة فجعلتهم انساناً واحداً من حيث لايدرون . وقد اجترحت في سبيل إسعادهم سبع عجائب كبار ما عدا الصغار . وهم ، مع ذلك ، ما يزالون بؤساء اشقياء واصواتهم ما تزال تصرخ اليَّ — اعطنا السعادة اعطنا السعادة ! فها انا عازم ان آتيهم بعجيبة جديدة

« لقد بنيت لهم في سالف الاحقاب مدناً كثيرة . اما الآن فبخاطري ان ابني لهم مدينة تفوق كل ما بنيت . وسأعطي هذه المدينة آذاناً تسمع بها كل لغات الناس . وعيوناً تبصر بها كل اشكالهم واجناسهم . وسأجعل احشاءها اوسع من احشاء الجو . تسوق لها اليابسة خير خيراتها فلا تشبع . وتحمل اليها البحار انفس انفاسها فلا ترتوي . وسيكون فيها لكل شهوة مأوى . ولكل فكر مجال . ولكل خيال مسرح . فيمشي فيها اله الناس وشيطانهم جنباً الى جنب . وتنبت اغراس فردوسهم في مجاري جحيمهم . ويجاور المعبد الخمارةَ وبيت الدعارة . ويتعانق المتحف والمقصف . وتتكىء المدرسة والسجن على بساط واحد

وسأحقن سكان هذه المدينة بمصل جديد . هو مصل الحركة الدائمة . فيَصِلون النهار بالليل ولا يهدأون . وهكذا يكون لهم في كل ساعة مايتلهون به عن التفكير في بواعث الحزن والالم وسيكونون لي أطوع من بناني وألصق بي من ظلي . يكفرون بارباهم اما بي فلا يكفرون . ويهربون من ارواحهم اما مني فلا يهربون . بل اليَّ في كل امر يفزعون . اذا حمَّلتهم من نفسي فوق طاقتهم لا يقولون : خفف من احمالنا . بل يقولون : زدنا من احمالك وسيضيق بهم سطح الارض فيتخذون في جوفها انفاقاً . ويشيدون في الجو حصوناً عالية وابراجاً شامخة . وسأجعل اذنابهم طعاماً لرؤوسهم . ورؤوسهم طعاماً لاذنابهم . فيأكل بعضهم بعضاً من حيث لا يعلمون

« ها انا قد بحت لكم بما في خاطري . وعليكم ان تخلقوه . وقد اخترت للمدينة العتيدة جزيرة في العالم الجديد واقعة بين مصب نهرين . واسمها مانهاتان . وهي اليوم ملك عشيرة من العشائر الحمر . فبادروا اليها في الحال وباشروا بالعمل وليقسم كل منكم يمين الطاعة قبل ان يبرح هذا المكان . وانا معكم حتى نهاية الازمان »

ما ختم الفلس خطابه حتى قام من بين الحضور كائن مجنَّح في عنقه غلٌّ من الذهب . وعلى عينيه برقع من الذهب . ومشى بكبرياء نحو العرش . ومشى خلفه ابناؤه العشرون — توأمين فتوأمين — وفي عنق كل منهم غلٌّ من ذهب . وعلى عينيه برقع من ذهب . واذ مثلوا امام العرش خرّوا ساجدين ، وعفّروا جباههم قائلين :

« نقسم بوجه الفلس وقفاه اننا سنطيعه في كل ما يأمره وينهاه »

فقال الجالس على العرش :

« ايها الخيال ! لقد احسنتَ النطق والنية . ليكن في مدينتي العتيدة لكل فنّ من فنونك اثر »

ثم تقدّم شيخ جللته هيبته اجيال كثيرة . ويداه في اصفاد من الفضة . وعلى عينيه قناع من الفضة . وتقدم وراءه اولاده الخمسون توأمين فتوأمين وبدا كل منهم في اصفاد من الفضة وعلى عينيه قناع من فضة ففعلوا وقالوا ما فعله الخيال واولاده . فقال الجالس على العرش :

« ايها الفكر ! لقد احسنت النطق والنية . ليكن في مدينتي العتيدة لكل فتح من فتوحك خبر »

ثم نهض كهل على عينيه نظارتان كبيرتان ورجلاه مكبلتان بسلسلة من نحاس . وحبا نحو العرش على عكازتين . وحبا وراءَهُ على عكازاتهم اولاده الثمانية والتسعون — توأمين فتوأمين . وعلى عيني كل منهم نظارتان كبيرتان . ورجلاهُ مكبلتان بسلسلة من نحاس . ففعلوا وقالوا ما فعله من سبقهم . فقال الجالس على العرش :

« ايها العقل ! لقد احسنت النطق والنية . ليكن على كل باب من ابواب مدينتي العتيدة نظارتان كالتي على عينيك وعيون اولادك »

واخيراً تقدمت كتلة من اللحم قد نشبت فيها مسلاَّت كثيرة فبانت كأنها القنفذ . وقالت ما قاله الذين سبقوها . فاجابها الجالس على العرش

« ايها القلب ! لقد احسنت النطق والنية . قرَّ عيناً وانعم بالاً . ففي مدينتي العتيدة ستجد منفذاً لكل مسلَّة من مسلاَّتك »

وعندها التفت الفلس الى الوزير الجالس عن يمينه واسمه « الطمع » والوزير الجالس عن يساره واسمهُ « المكر » وقال لهما :

« اليوم يومكما . انطلقا الى العالم الجديد حيث القبيلة الحمراء التي تملك الجزيرة المدعوة مانهاتان وابتاعاها منها بابخس ما يمكنكما »

وكاد الفلس يحل مجلسهُ عند ما انتصبت فجأة امامه فتاة عريانة تقلّب في يديها كرة كبيرة من النور الصافي المتبلور . ففرك الفلس عينيه وقد ادهشتهُ الفتاة وبهره جمال الكرة في يديها . وقال متلعثماً من شدة دهشته

« من اين جئتِ ايتها الفتاة ؟ »

« كنت هنا من قبل ان تكونوا »

« هذا مستحيل . ومن تكونين ؟ »

« انا الحياة »

« وهذا مستحيل والحياة في قبضتي . وماذا تبغين ؟ »

« سمعتكم تطلبون السعادة فجئت اهديكم اليها »

« وهذا ابعد من المستحيل . فليس يَعرف بيتَ السعادة والسبيلَ اليه الاّ انا . انا هو السبيل والهادي . انا هو المدخل والمخرج . وما تلك التي في يدك ؟ »

« السعـادة »

« وهذا مستحيل المستحيل فالسعادة في مدينتي العتيدة التي شرعت اليوم في بنائها . ام انتِ تمزحين ؟ »

« بل انا في جدّ »

« ان في جدّك مزحاً يستفز ضحكي . لـكن الكرة التي تقلبينهـا في يديك جميـلة فهل تبيعينها ؟ »

« السعادة لا تباع ولا تشرى »

« هذا ضربٌ من الجنون . اذ ليس في مملكتي ماليس يباع ويشرى . واذا سلّمنا بجنونك وقلنا ان السعادة لا تباعِ ولا تشرى . فكيف لمن يطلبها ان يحصل عليها ؟ »

« مَن قَبِلَني كما انا نال الجوهرة التي في يدي . مجاناً آخذ ومجاناً اعطي »

« يالك من داهية . افلا تفضلت اذن وعلمتنا كيف نقبلك لننال السعادة من يدك ؟ »

« انزل عن عرشك وانزع نيرك عن اعناق الناس ودعهم يعطون مجاناً ماياخذونه مجاناً »

« يالك من عاهرة وقحة . لا تخجلين حتى من ان تقفي امامي ولا كساء عليك غير جلدك . استروا عورة هذه العاهرة. واسكبوا في فمها رصاصاً . وشدوا رجليها بالحديد . واطرحوها في الدركة السابعة من دركات الجحيم . وآتوني بالجوهرة من يديها الاثيمتين »

فبادر الحراس الى الفتاة وانتزعوا الجوهرة من يدها وقدموها الى الجالس على العرش . وما كادوا يسترون الفتاة برداء من ارديتهم حتى التفت الفلس الى الجوهرة في يده واذا بها حجر اسود. والى الفتاة فاذا بها حية رقطاء . فصاح مقهقهاً

« انها لمشعوذة كبيرة . اسحقوا رأسها ثم دعونا منها . وانصرفوا كل الى عمله . واياكم ان تؤجلوا الى الغد ما يمكنكم فعله اليوم . انطلقوا بسلام »

وكان كما امر الفلس . فابتاع اعوانهُ جزيرة مانهاتان بثمن يوازي الاربعة والعشرين دولاراً . وراحوا يبنون نيويورك مدينتهم العتيدة . وما يزالون حتى الساعة يحفرون ويؤسسون . ويهدمون ويشيدون . وبين انقاض ما يهدمون وجدران ما يشيدون ملايين من الناس يأتون ويروحون وهم عن السعادة يفتشون

***

في خريف سنة ١٩١٢ لميلاد القائل « ملكوت الله في قلوبكم » ازجَّ بين تلك الملايين جبران خليل جبران

الزراعة والحضارة

كيف نشأت زراعة الذرة وأين

وسائل البحث الزراعي التاريخي

﴿ طرائق التحقيق والبحث ﴾ لتاريخ الذرة ، ونشوء زراعتها ، شأن خطير في نظر المؤرخ الفيلسوف لا يقل عن شأنهما في نظر علماء الزراعة والنبات ، وذلك لان الذرة من الحبوب الزراعية التي مكنت الانسان من التحضر . وطريق العالِم في تحقيق أصل النبات هي ان يجمع ما يستطيع جمعهُ من الحقائق المعروفة . فيوفق بينها ثم يبني حكمه عليها . واذا اعوزته الادلة الصريحة فكثيراً ما يلجأ الى ما يلجأ اليه القضاة احياناً فينظر في القرائن . واذا كثرت القرائن التي تدل على صحة الحكم زاد ثبوته ، اذ يبعد ان تتفق قرائن كثيرة في دلالتها على صحة شيء ما لم يكن ذلك الشيء صحيحاً او قريباً كل القرب من الصحة . واذا بدا له — اي للعالم — من القرائن ما لا يلتئم مع غيره وجَّه عنايته اليه وتعمق في البحث فيه حتى يتبين سبب هذا الاختلاف ، وغالباً ما يكون حل السرّ ، مرتبطاً بمعرفة اسباب التناقض بين الحقائق المعروفة

واذا اراد نباتي ان يعرف الموطن الاصلي لجنس من النبات التفت اولاً الى النوع البرّي منه وبحث عن الاماكن التي ينمو فيها ، وقلما تخطىء طريقته هذه ، ولكن من اجناس النبات ما لا ينمو بريًّا ، فيُسَدُّ هذا الباب في وجهه ، فيعمد عندئذٍ الى طريقة اخرى وهي ان يراقب النبات في نموه ونشوء اعضائه ، ويقابل بينه وبين غيره ، لعله يعثر على جنس يقرب منه ولو كان حبل القرابة طويلاً . او قد يطرق في بحثهِ ، طريقة المقابلة بين بقاياه المتحجرة والنظر فيما يطلق عليه من الاسماء في اللغات المختلفة لان من ينقل نباتاً من بلاد الى اخرى لم يعرَف فيها من قبل ، ينقل اسمه كذلك ، ولا يعتدُّ بهذا الامر ولا يبنى عليه حكم الاَّ اذا امكن تأييده بقرائن اخرى

هذه هي السبل التي سوف نشير اليها في البحث عن أصل الذرة

﴿ اختلاف الاسماء ﴾ يرجح ان الذرة لا تنمو برية ولو وجد منها نوع بري لما خفي عن عيون الباحثين ، لاسيما وانها من اجناس النبات المشهورة . وهذا مما جعل تعيين موطنها الاصلي صعباً . وقد ذهب كثيرون الى انها نقلت من اميركا الى سائر البلدان وخالفهم آخرون فقالوا انها كانت تزرع في العالم القديم قبل الكشف عن العالم الجديد ، مستندين في ذلك الى بعض الادلة التاريخية . واسم الذرة الشائع في الولايات المتحدة الاميركية مايز Maize وهو مأخوذ عن اصل هندي ، الاَّ انهُ

لم يشع الاً بعد سنة ١٥٧٠ وتعرف الذرة في اوربا بأسماء تشعر بأن اصلها من البلدان الشرقية . فالانكليز يسمونها القمح الهندي Indian Corn والفرنسيون يسمونها القمح التركي blé de Turquie وتعرف في مصر بالذرة الشامية . لكن الذرة ليست قمحاً ولا هي هندية او تركية او شامية، والنسبة الى البلدان لا تكون صحيحة دائماً . فالديك الذي يسمى في مصر بالديك الرومي يسمى في لبنان الديك الحبشي وفي انكلترا بالتركي وفي فرنسا بالهنـدي . وقد قال احد العلماء — واسمه ده كنتول — ان الذرة كانت تعرف بالقمح الروماني في مقاطعتي اللورين والفوج وبالقمح الصقلي في مقاطعة تسكانا بايطاليا وبالقمح الهندي في صقلية وبالقمح الاسباني في مقاطعة البيرنيه والترك ينسبونها الى مصر

﴿ هل الاصل شرقي ﴾ ولم يرد للذرة اسم في السنسكريتية ولا في العبرانية ولم يعثر لها على أثر في النقوش والكتابات المصرية ، على ما يعلم . وقد وجد أحـدهم سنبلة منها في طيبة ولكن لاشك في انها وصلت الى تلك المقبرة في الازمنة المتأخرة إذ لا يعقل ان يكون المصريون استعملو الذرة وعرفوها ثم اغفلوها في نقوشهم . ومن الثابت انها لم تعرف في اوربا قديماً ، ولكن البعض كان يظن انه أتي بها من الشرق في القرون الوسطى ومن القائلين بذلك عالم يدعى بونافوس وهو من اكبر من كتب في هذا الموضوع في اوائل القرن التاسع عشر ثم تابعه نفر كبير وكانوا قد اعتمدو على وثيقة تؤيد رأيهم ولكن ظهر بعدئذٍ أن الوثيقة ملفقة في العصور الحديثة. فلم يبق للقائلين بالاصل الشرقي ، من دليل يعتمدون عليه ، إلاَّ صورة في مخطوط صيني خط ما بين سنتي ١٥٧٨ و ١٥٩٧ وتمثل تلك الصورة نباتاً يقرب من الذرة وقد كتب في أسفلها اسم الذرة في الصينية لكن البرتغاليين أتوا الصين سنة ١٥١٦ أي قبل كتابة هذا الكتاب بنحو نصف قرن ولا يبعد أن يكونوا هم الذين أوصلوا الذرة اليها، ومما يؤيد ذلك انه لم يرد لها ذكر في كتابات الصينيين الذين لم يغفلوا ذكر شيء فيها

﴿ أصلها اميركي ﴾ فسكوت الشرقيين عن ذكر الذرة في كتاباتهم القديمة ، دليل واضح على انها من اصل غير شرقي وقد انتشرت زراعتها بعد اكتشاف أميركا بسرعة غريبة ولو كانت في الشرق قبل أن يؤتى بها من اميركا لوجب ان يعرف نفعها ويعتنى بزراعتها قبل ذلك التاريخ بزمن طويل

وليس من ينكر ان الذرة كانت تزرع في اميركا زرعاً واسع النطاق عندما كشف الاوربيون تلك البلاد وكانت اهم المحاصيل التي يعتمد عليها هنود اميركا ولها اسماء في كل لغاتهم ويستدل على قدمها وشأنها العظيم عندهم من ادخالها في اكثر شعائرهم الدينية . وقد وجد شيء كثير منها في قبور الهنود الاميركيين ، وفي هيا كل المعبودات في المكسيك ، كما وجدت الحنطة (القمح) والشعير في القبور المصرية القديمة . ويجب ان لا يفهم مما تقدم ان الاميركيين بدأوا بزراعتها لما بدأ المصريون بزراعة الحنطة والشعير ، فان عصر التمدن في المكسيك وبيرو متأخر عن عصر التمدن المصري القديم. الاَّ ان انتشار زراعتها في نواحٍ كثيرة من اميركا وكثرة انواعها المستعملة في الزراعة تبعث على الظن انها عرفت منذ زمن طويل ، وقد عثر داروين على متحجرات منها ممتزجة بالصدف على شاطىء من

شواطىء بيرو باميركا الجنوبية وقد ارتفع ذلك الشاطىء الآن ٨٥ قدماً عن شط البحر

﴿ اين موطنها في اميركا ﴾ يظهر مما تقدم ان موطن الذرة الاصلي هو اميركا. ولكن ي اقسام اميركا هو ذلك الموطن ؟

يعرف من طبائع هذا النبات انهُ يجود في البلدان الحارة فيجب ان نبحث عنهُ في حالتهِ البرية في سهول الاقسام الحارة ونلتمسهُ في السهول لان النبات الذي لا يعمر الاَّ سنة واحدة لا ينمو في الحراج والغابات. وقد كفانا علماء النبات عناء البحث الكثير إذ قد مضى عليهم اكثر من ٣٠٠ سنة رادوا فيها السهول جميعاً ولم يدعوا نباتاً الاَّ وصفوه وشرحوا طبائعهُ ولم يعثروا على نبات بري من الذرة الاَّ انهم عثروا على نبات يقرب منها في المكسيك وغواتيمالا (اميركا المتوسطة) وهو النبات المعروف باسم (تيوزنت teosinte) فترجح ان سهول المكسيك وغواتيمالا هي موطن الذرة الاول

والذرة انواع كثيرة تعد بالمئات والبعض منها يختلف عن البعض الآخر ، اكثر مما يختلف االتيوزنت عن انواعها القريبة منهُ ، وعلماء النبات يجعلون التيوزنت من جنس نباتي مستقل عن جنس الذرة ، ولكن ذلك لا يمنع ان يكون الجنسان نبتا من اصل واحد ، لا يختلف عنهما او عن كل منهما، الاَّ اختلافاً يسيراً . واكثر انواع الذرة تكون الحبوب فيه عارية من الغلاف والاستغناء عن الغلاف درجة من درجات ارتقائها ، فاذا لقحت الانواع الخالية من الغلاف من بعض انواع الحبوب ذوات الغلاف أتى النسل مغلَّف الحبوب ، قريباً من التيوزنت ، لا يفرق عنه إلاَّ في وجوه قليلة . ويمكن تلقيح الذرة بالتيوزنت، والتيوزنت بالذرة فيأتي النسل قويًّا منتجاً ، وهو من الدلائل على صلة النسب بين الجنسين . وثمة وجوه شبه اخرى بين الذرة والتيوزنت لا مكان للتبسط فيها هنا وكلها تثبت وتؤيد صلة القرابة بين الذرة والتيوزنت

﴿ صورة التطور العامة ﴾ فاذا جمعت كل هذه الحقائق وغيرها وضمت بعضها الى بعض ، امكننا الرجوع بتصورنا ، نطوي الوف السنين ، الى الزمن الذي كانت فيه الذرة تنمو في سهول المكسيك وغواتيمالا وغيرها من بلدان اميركا الوسطى. وكانت سوقها اذ ذاك طويلة يزيد ارتفاعها على ارتفاع اكثر انواع الفصيلة النجيلية ، وتحمل حبوباً صغيرة في رؤوس اغصانها

ثم تكيفت ، ازهارها بمرور العصور ، فأصبح بعضها يحمل البيوض ، وبعضها يحمل اللقاح ثم ظهر نوع قصرت اغصانه كثيراً ونمت اوراقه وتكيفت حتى احاطت بالحبوب ، ووقتها من الطيور وبعض الحيوانات . فراق منظر هذا النبات بعض هنود اميركا ، وثبت لهم نفعه فاعتنوا بهِ، ومن ذلك الوقت بدأت زراعة الذرة واخذت انواعها تتكاثر حتى اصبحت تعد بالمئات . ولا شك ان الاميركيين الاصليين اظهروا من العقل والفطنة ، في انتخاب انواع الذرة ، اكثر مما اظهروا في ادتهم بها مع الاوربيين الذين نزلوا بلادهم اولاً ، اذ كانوا يبيعونها اكداساً مقابل ما لا قيمة له ن الخرز والودع وقطع الزجاج

بين الحيوان والنبات

للامير مصطفى الشهابي

لي صديق عكف على الحيوانات فتوغل في مدارسة خَلْقها وطبائعها ومنافعها ومضارها حتى اذا هضم منها ما لا يستهان به من المعلومات صار صديقاً لها يكثر من ذكرها ويشيد بفوائدها في كل المجالس . وكان يعلم انني اميل الى النباتات وانني لا اعدل بها شيئاً من الاحياء السائرة فكان يتعمد ذمها امامي ليستفزني الى مناظرته . لكنني كنت اتجنب منازلتهُ واتحاشى مقارعته ، حتى كان يوم من الايام واذا بي اراه في المخبر وقد دخل عليَّ داهراً لا مستأذناً فوجدني حانياً على بعض الازهار اتفحص عن مواقع أجزائها واتقصاها . وحانت منهُ التفاتة الى احدى زوايا المخبر فرأى على الارض جماجم بعض الخيل والانعام وعظامها وقد علاها الغبار لفرط اهمالها ، فما كان منهُ الا ان انفجر بحديث طويل يدل على ما يكنّهُ صدره من الحفيظة والموجدة قال :

ان امرك مع دوحة النباتات عجب . اراك تُعنى بأشجارها وتشغف بأزهارها وتستلذ اثمارها وتستخفك خيارها لكنك تتنامى شرارها . هلاَّ ذكرت ان جميع الجراثيم القتالة التي يسمونها مكروبات تنتسب الى رتبة الأشنة الزرقاء فهي اذن من النبات لا من الحيوان ، وان معظم امراض الزرع والشجر مصدرها فطور دقاق مجهرية تستولي على مزروعاتك ومغروساتك فتفسدها وتبيدها وهذه الفطور هي ايضاً من النبات لا من الحيوان. وربما كان عملها هذا اي فتكها بابناء جلدتها اشد واضر من فتك الحيوان بالحيوان . ثم انظر الى الاعشاب السامة ما اضرها كالشوكران واليبروح والعنصل والظيّان والزؤان وغيرها ، واضر منها تلك المخدرات المذهلات الذاهبات بحسك والطائحات بلبك كالافيون والحشيش والكوكائين والنكوتين ، دع التي لا يدخل منها ذرة في جوفك حتى تبعث بك حثيثاً الى حيث استقر اجدادك في العالم الثاني كسم الاستركنين واضرابه من المواد النباتية المخيفة واذا لانت ملامس بعض النباتات اليس لبعضها شوك طالما آذى الناس في عيونهم وايديهم وارجلهم ؛ واذا فتكت بعض الحيوانات ببعض افنسى بعض الطفيليات من النباتات التي لا تعيش الا من طلّ مضيفها اي نسغه كالكَشُوث والذؤنون والدبق واشباهها ؟

وبعد ان بلع الصديق ريقه قال :

لا سبيل الى الموازنة بين فوائد الحيوان وفوائد النبات . وهاك الحمار مثلاً : يتهمه الناس بالغباوة مع انه خير للمرء من بعض ابناء جنسه المتشحين بالذكاء . اتدري اننا نركبه ونحمله اثقالنا

من ايام حقبة الحجر المصقول في فجر الانسانية الى يومنا هذا وهو على جورنا صابر يقنع بالقليل من الطعام ويقوم بواجبه خير قيام لقاء قليل العلف الذي يُعلفه . وهذه الصافنات الجياد من الخيل العراب شدّ ما يبدو على محياها من سيماء النبل وجلال العتق . وما احقر السيارة امام عربة يقودها زوج من الجياد عليهما الاعنة المذهبة وهما يختالان كعروسين او يشتدّان عدواً رافعي الرأس شائلي الذنب ضاربي الارض بقوائم كمقامع من حديد . والعز على متون الخيل . وما ظفر الظافرون في الفتوحات الاّ بالجياد السريعة في جريها المروّضة على الكرّ والفرّ في عجاج الحروب ورهج الملاحم

وما عيشة الناس في الفلوات بغير الابل . ولولاها لزالت البداوة وفقد الانتفاع بالصحاري والمغاور . لحمها لذيذ ووبرها ناعم ولبنها حلو ملين للمعدة مطهر للمعى وجلدها صالح لصنع النعال والقُرَب العظام وظهورها تحمل الاحمال الثقال ، وهي آية الصحراء التي لا تعد مناقبها ولا تذكر مثالبها . ومن ذا الذي لا يعجب بالعنز التي يقتات بلبنها الفقير المعدم دون ان يطمع من مال الغني بفلس ، وبالنعجة التي نجزُّ صوفها ونشرب حليبها ونأكل لحمها طعاماً شهيًّا . وبالبقر الذي نحرث بهِ الارض ونأكل منهُ اللحم ونصنع من لبنه الزبدة والجبن

وأراك تملأ الدنيا صياحاً من اضرار الحشرات . لكنك لا تذكر بخيرٍ دودة القز عند ما تمتع طرفك بأثواب الحرير التي ترفل بها فواتن النساء وانت تردد بيت ابي الطيب المتنبي

بأبي الشموس الجانحات غواربا اللابسات من الحرير جلاببا

او بيت المنخل اليشكري

الكاعب الحسناء ترفل في الدمقس وفي الحرير

ولقد سهيت عن فوائد النحل وشهده وحشرة القرمز واصباغها والحشرات الناقلات اللّقاح الى مياسم الازهار

ولماذا لا نتحدث عن الفراش وتزاويقها والطير وتغاريدها وصيد البر والبحر وما في اقتناصه من لذة . وهل عاش اجدادك الاقدمون الاّ من الصيد قبل ان يمدوا الى النباتات يداً

ولما رأيت صاحبنا قد استرسل في حديثهِ ورأيتهُ مندفعاً فيهِ اندفاع الودق الهطال او السيل الجرّار وربما انقضت الساعات دون ان يقف أسكتّه صائحاً : على رسلك يا أخي . هوّن عليك الامر قليلاً ودع مجالاً لغيرك يتكلم . لقد آمنت ببعض ما ذكرته وكفرت ببعض . فالمكروبات هي من النباتات كما قلت . لكن دقائق الدود وغلاظها كلها من الحيوان وفتكها بأعضاء الانسان كبير . والذي يسمعك تتكلم عن الحشرات وعن منافع بعضها يظن انك قد محيت بذلك اضرارها العظيمة وفظائعها الجسيمة حتى كدت تنسينا ارجل الجراد وغاراتها ودودة القطن وويلاتها وحشرات المنّ وآفاتها وذبابة الفواكه وضرباتها وقتَع الاشجار وفتكاتها وعثّة الالبسة ولحساتها وسوسة الخشب ونخراتها . وكأني بك اذا ما تركتك وشأنك ستشهيني منظر القملة وتحبب اليّ رائحة البقة وتذهلني

عن لسعة البعوضة وتنسيني إلحاح الذباب على الناس وتجعلني أسر لسروره وأقول مع عنترة العبسي « هزجاً يحك ذراعه بذراعه » الى آخر البيت المشهور . ولعلك لا يؤثر فيك لدغ الثعابين ولسع أم اربع واربعين . وستقول عما قريب ان الزنابير والعقارب لا حمات لها وان جميع هذه المخلوقات المخيفة هي آية الله في ارضه رونقاً وبهاء وبهجة واشراقاً . . . .

ومن العجيب انك تذكر بعض النباتات الطفيلية وعددها حقير لا يؤبه له وتنسى ان معظم الحيوانات لا تعيش الاَّ من لحم الحيوان . فكبار السمك تلتهم صغارها ، والجوارح من الطير تفتك ببغاثها ، وسباع الحيوان يفترس بعضها بعضاً ، والدنيئة منها تسطو على خشاش الارض ، ومن الحشرات ما هو مسلط على حشرات اخرى وهكذا تتقاتل الحيوانات وتتفانى وهي في ذلك كالانسان بحروبه الهمجية واعماله البربرية . اما النباتات فمنها الحنطة والارز والذرة وسائر الحبوب التي نقتات بها منذ آلاف من السنين . ومنها البقول التي لا يضاهيها شيء بخفتها في المعدة . ومنها الفواكه اللذيذة والتوابل والافاويه وما يستخرج منه السكر والنشاء وما تعصر منهُ الزيوت المختلفة . وماذا يعدل العنب وابنة العنب التي قال فيها الشاعر الكافر « هات التي هي يوم الحشر اوزار » . ولولاها أ كان يكون ابو نواس وخمرياته . وما هو قوت أهم الحيوانات الدواجن التي تباهي بها . أليس هو الكلأ وسائر ما تنبته الطبيعة في المروج الطبيعية او يستنبته الفلاح في المروج الصنعية . ثم انظر الى الحراج واخشابها وتخيل فوائدها التي لا حدَّ لها في معظم الصناعات البشرية حتى قال احدهم انه لم يهتد الى صناعة من الصناعات الاَّ وهي في حاجة الى الخشب . ومن المعلوم ان الاخشاب تستعمل في صناعة الورق وعود الثقاب والفحم وفي بناء البيوت وفي تدفئة الغرف وفي رصف الشوارع وفي صنع الأعمدة والعوارض والعربات واقلام الرصاص والعصي وقبضات المظلات والخزانات والمنصات والكراسي والسلال الخ . ويستعمل لحاء بعض الشجر لاستخراج الدباغ منها كما يستخرج الفلين من احد انواع البلوط

وأي شيء اجمل في العين من زهرة ندية يروقك منظرها او ريحانة عطرة تنعشك رائحتها . واي بيت من البيوت الكبيرة او الحقيرة يخلو من حديقة للزهر او من حوض او من زهرة في أصيص . ولا شك انك عليم بضروب العطور وبالمياه العطرة . ولا تجهل ان ادقها في الأنف واغلاها ثمناً تلك التي تقطر من بعض الازهار والرياحين كالورد والبنفسج والياسمين والليلك والعنبر وخيري البر والبعيثران وزهر الفصيلة البرتقالية وغيرها كثير ، دع ما يأتينا من البلاد الحارة كالبخور والجاوى واللبنى وامثالها من المنعشات

واذا انتقلنا الى النباتات الطبية ألسنا نرى فيها المسكّنات والمعرّقات والمسهّلات والقابضات والمشهّيات والهضومات والمنبّهات والمقيّئات وطاردات الدود من البطن . واذا ما اعترتك الحمى فجعلت جسمك يرتعد واسنانك تصطك فهل من دواء سوى خشب الكينا وما يهيأ منهُ . وقد

أسرفت يا صاح بذكر مثالب المكروبات الضارة ونسيت ان هنالك الخمائر التي لا غنى عنها في صنع الخبز والجبن والخمر وامثالها . ونسيت ايضاً ان من المكروبات ما يستعمل مصلاً يحقن به الاصحاء اتقاء للامراض . وذكرت حشرة القرمز ولم تذكر نباتات الصباغ كالفوة والنيلة والحناء والعصفر . واطنبت بالصوف والوبر ولم تطنب بالقطن والكتان وهو لباس سواد الشعوب . وهذه سيارتك واقفة امام داري فهل من سبيل الى سيرها الاَّ بالمطاط في دواليبها والاَّ بالبنزين يدفعها وهو من النفط والنفط من بقايا اشجار جيولوجية قديمة

وعبثاً حاول صاحبي ان يسكتني فلم اسكت حتى قرع الباب علينا زائر . واذا به صديقنا العلامة الدكتور امين باشا المعلوف صاحب معجم الحيوان فاحتكمنا اليهِ لان علمه بالنبات كعلمه بالحيوان . فلم يشأ ان يحكم بيننا بل قال لا لزوم الى المفاضلة . فللنبات منافع ومضار وللحيوان منافع ومضار والامر جلي لا يحتاج الى مهذار . . . .

زهر يتفتح ليلا

يذهب بعضهم الى ان ما في الطبيعة من جمال الازهار وشذا عطرها، انما أبدعتهُ الطبيعة لتكفي حسَّ الجمال في الانسان . وهو قول شعريٌّ اكثر منهُ علمي ، لان بدائع الالوان وروائع العطور في أزهار النبات واوراقهِ ، متصلة صلة وثيقة بنشوئهِ وتطوّرهِ وتلقيحهِ واخلاف النسل فيهِ . فاذا أصرَّ اصحابنا على رأيهم الشعري فلنذكر لهم نباتاً من فصيلة الصبير ، لا يتفتح زهرهُ ولا يعبق نشرهُ الاَّ في الليل . فزهر هذا الضرب من الصبير ، يبدأ في التفتح عند المساءِ ، ولا يأتي عليهِ الصباح الاَّ وقد انطبقت اكامه ، وتهدّلت تيجانها ، لا حيوية فيها ولا عطر ولا جمال . ولكنها تكون في خلال ذلك قد حققت الغرض الذي انشأتها الحياة لتحقيقهِ . ذلك ان بعض اصناف الفراش يكون قد زارها في الليل ، منجذباً بعطرها ، فينتقل من زهرة الى اخرى ، فيكون في خلال تنقله وسيلة الطبيعة لاحداث التلقيح . ويعرف هذا النبات باسم Cereus اي الليّن ، لان لهُ سوقاً طويلة دقيقة سهلة الالتواءِ يمتد فيها من أعلى الى اسفل اضلاع مقعّرة ، فيها على فترات متساوية شوك قاسٍ . وهذا النبات اما معترش يتسلق الأشجار او يمتدُّ على سطح الارض . اما قطر الزهرة من أزهاره فقده وقد يبلغ اربع عشرة بوصة . ولكنك اذا رأيت البرعم في النهار لم تستطع ان تتصوَّر ، ما ينطوي عليهِ من الجمال عند تفتحهِ في الليل . فلون اوراق الكأس بني قاتم من الخارج ولكنهُ اصفر زاهٍ من الداخل . وكأن الطبيعة اختارت هذا اللون الاصفر، لكي تزيد البهاءَ في بياض التاج . ويصحب هذا البهاءَ المذريَّ ، عطر لطيف يفوح ليلاً فيجذب الفراش الى الازهار من مكان بعيد . والنبات متوطن في جزائر الهند الغربية ، ويرى في مستنبتات الازهار في انكلترا

احمد زكي باشا

في ذمة الله أبي وشيخي

بقلم بشر فارس

— العالم —

قدمت من باريس الى مصر — في فصل الصيف سنة ١٩٣٠ — أَطلب طائفة من المستندات إتماماً لرسالتي « العرض عند عرب الجاهلية » . فسرعان ما كتبت الى احمد زكي استضيء بمشكاته . ولمـا مثلت بين يديهِ قرأت عليهِ خطة رسالتي فناقشني في بعض نواحيها . والغريب انهُ ناظرني في مسائل فلسفية محضة لا ترجع الى العرب في شيء

خرجت من عند احمد زكي منشرح الصدر ، ذلك اني ادركت اني ظفرت بأستاذ ثقة . ومما زاد في انشراح صدري ان الرجل — رحمـه الله — مال إليَّ وأنس بي وحملني على ان أسير في عملي اذ جعلني اطمئن اليهِ بل أثق بنفسي

منذ ذلك اليوم حتى عودتي الى باريس — أي زهاء شهر — ظللت اختلف الى احمد زكي اقرأ في داره كتباً مطبوعة ومنسوخات كان يجلبها اليَّ من خزانته او من دار الكتب المصرية . وكان يعلمني كيف اطالع هـذه المنسوخات واتصفح تلك الكتب . ثم اني لما قفلت الى مصر في السنة الماضية ما فتئت اعتمد على احمد زكي وارجع اليهِ فيما اقرأ واكتب

كان احمد زكي راسخ القدم في الفنون العربية : عالماً بفقه اللغة وقواعدها ، بالتفسير ومذاهبه ، بالفقه ودقائقه ، بالتاريخ ونوادره ، بالجغرافيا وشواردها ، بتراجم الرجال المبرزين . وكان — فوق هذا — متضلعاً من اللغة الفرنسية ، مطلعاً على أدبها القديم والجديد ، وكان يقرأ الاسبانية والانكليزية ، وكان يأسف على جهله الألمانية ، وطالما قال لي : تعلم الالمانية ان اردت ان تتمكن من فن الاستشراق

ولم يكن علم احمد زكي مقصوراً على شؤون العرب واللغات ، بل كان ينبسط على الفلسفة والتاريخ العام والجغرافيا العامة والقانون والاقتصاد السياسي

هـذا ، وقد يظن الناس ان سعة الاطلاع كانت خاصية احمد زكي . والذي عندي ان خاصيته كانت بين البصيرة الخطافة والذاكرة الممكينة . ثم انهُ كان يفضل سائر العلماء باستعمال الجزازات fiches ، وهي طريقة علمية اخذها عن الفرنجة : فكنتَ ترى في داره خزانات يملأُها جزازات مرتبة على حروف المعجم ، كل طائفة منها على حسب الفن او الباب الذي ترجع اليهِ . وهذا ما يبين لنا كيف كان يأتي احمد زكي بالحجج القاطعة والاستشهادات الصحيحة في اسرع من ارتداد الطرف . وكيفما كانت الحال فان احمد زكي كان قوي الحجة ، طلق البديهة . وقد رأيته — غير مرة — يكتب مقالاً كاملاً في جلسة واحدة . وكان يؤثر الكتابة عند الفجر

واظنّ المناظرة الفن الذي مهر فيهِ احمـد زكي . وانه لا يخفى عليّ ان خصومه في العـلم كانوا يخافونه لثباته وعارضته ، ولربما خافوه للذعه . والحق ان قلم احمد زكي كان ينحرف الحين بعد الحين عن الهدوء فيهيج ، الاَّ ان هيجانه لم يشذَّ قط عن ادب المناظرة ، وجلّ ما يقال فيهِ — اذن — انهُ كان متهزلاً ساخراً . واني أشهد ان احمد زكي لم يعمد الى التهزل والسخرية الاَّ ليدفع سقطة خصومه ويشلّ مكابرتهم

***

ومن فضائل احمد زكي العلمية انهُ كان حرّ الفكر ، كثير التحري والتثبت ، منقاداً للحق . وكل هذه صفات العالِم الحق

أما حرية فكره فانهُ لم يقل ولم يكتب الاَّ ما رسخ في ذهنه . ثم انهُ ما تملَّق احداً من الناس . والمعلوم انهُ كان كثير الخصوم والاعـداء لصراحته وصدقهِ . (وواللهِ لو صانع لحَـلَّ في مقدمة المجمع العربي المصري !) واكبر دليل على حرية فكره انهُ فسَّـر طائفة من الآيات الكريمة مستنداً الى عقله فأقبل عليه العلماء والفقهاء يحاجّـونه ولم يظفروا منهُ بشيء

واما تحريه وتثبته فقد عرف المُـقرَّبون اليهِ كيف كان يطيل النظر في الكتب العُـمَـد ويوازن بينها ابتغاء الوصول الى الحقيقة ، وكثيراً ما كان يثبت المظانّ فلا يرسل الـكلام ارسالاً كمثل غيره من علمائنا

واما انقياده للحق فقد اجتمع ذات مساء عندي بالاستاذ زكي المهندس المدرس بدار العلوم . فدارت بينهما مناظرة حول استعمال « لا » مع « كاد » . فقال احمـد زكي : تقول العرب « يكاد لا يفعل » وقال الاستاذ المهندس : بل تقول « لا يكاد يفعل » . فثبت احمد زكي عند رأيه ، وبقي الاستاذ المهندس على قوله ، حتى انصرفا جميعاً . ولما كانت الساعة الخامسة صباحاً ايقظني جرس (التلفون) ، واذا احمد زكي يصيح : ان الاستاذ على صواب ، ولـكن أجهل عنوانه ، فأخبره لساعتك اني قضيت ليلتي في التنقيب والتصفح حتى أصبت الدليـل على قوله — في القرآن — « أم انا خيرٌ من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين — سورة الزخرف »

ومما يؤسف عليه ان احمد زكي باشا بذل حياته العلمية في كتابة المقالات . فاذا نظرنا الى تآليفه لم نصب الاَّ كتباً ضئيلة او محاضرات او رحلات او ترجمات وكم قلت له يا باشا توّج حياتك بمؤلف ضخم لا يقدر على اخراجه الاَّ انت . فما زلت به وما زال بهِ خلصاؤه ومريدوه حتى دعاني يوماً فقال لي : يا بنيَّ اني نويت ان اؤلف معجماً مختصراً سهل المتناول على شاكلة معجم Larousse الفرنسي مع لحق ادرج فيهِ اسماء الاعيان والبلدان . فصفقت لتلك النية . فقال لي الباشا : اني ارغب اليك ان تعاونني على تأليف ذلك المعجم ، وليكن عملك موقوفاً على تهذيب المعاجم العربية بحيث تطرح الزوائد والشواهد وتقصر الشرح على الالفاظ الحية التي بنا حاجة اليها سواء كانت علمية او عملية ، ثم اراني بعض جزازات كان قد هيأها على سبيل المثال . فاتفقنا على ان نشرع في تأليف المعجم بعد اشهر معدودات ، وقد اوصاني احمد زكي ان اجعل الامر بيني وبينه . وهأنذا اذيعه اليوم

***

ومن مباحث احمد زكي الاخيرة انهُ كان يشتغل باثبات خارطة الجزيرة ولا سيما اليمن . وقد اطلعني على رسم اولي لهذه الخارطة ، واخبرني انهُ بعث الى الحكومة اليمنية يسألها عن اشياء وانهُ راحل الى تلك البلاد ليحقق مولد النبي

ومن اعماله الاخيرة انهُ صحح طائفة من تجارب كتاب « موافقات الحديث » ، ذلك الكتاب الذي يطبعه الآن البروفسور (فنسنك) في (هولندا) . وكان احمد زكي يرسل تلك التجارب بالبريد الجوي على الغالب

ومن آثاره في خزاناتنا تلك الكتب النفيسة التي صححها وطبعها وعلّق عليها ، واليك مثلاً « كتاب التاج » . ولربما ظفر بكتاب فريد يحلم العلماء بهِ فلم يدخر وسعاً في اقتنائه وطبعه الطبع الذي لا يترك غاية وراءه (دونك « كتاب الاصنام » لابن الكلبي) او تصويره تصويراً محكماً (اليك « كتاب الامتاع والمؤانسة »)

ومن آثاره على السنتنا واقلامنا الفاظ ولدها واسماء رجال وبلدان احياها احياء . اما هذه الاسماء فقد ظلَّ يجاهد في سبيلها في الصحف ولا سيما « الاهرام » . واما تلك الالفاظ فقد برى لها قلمه . ومنها لفظة « السيارة » . واني اقف عندها لان « الباشا » حدثني عما عانى من اجلها قال : كتبت فيما مضى من الزمان اعرض لفظة « السيارة » بدلاً من لفظة « اوتوموبيل » . فسفَّهني لفيف من الادباء ، على رأسهم المويلحي وظهروا عليَّ . الاَّ اني كنت في ذلك العهد صاحب السر في مجلس الوزراء ، فوقعت لائحة « النقل » ذات يوم بين يدي ، فجعلت لفظة « السيارة » مكان لفظة « اتوموبيل » حيث اصبتها ، ثم دخلت على رئيس الوزراء ، فوقَّعها على وجهها ، وهكذا شاعت لفظة « السيارة »

وعلى الجملة ، ان احمد زكي كان العالم الذي يقف حياته على العلم ويتلف ماله في سبيله : ترجم وألف وكتب وخرّج التلاميذ وعاون العلماء وجمع الكتب ثم بذلها للخلق . وما أظن احداً من الشرقيين لهذا العهد ظفر بالصيت الذي ظفر به احمد زكي . ولعلَّ بعض خصومه يذهبون الى ان صيته انما رفع على حبهِ للعرب ودعايته لهم ودفاعه عنهم ، فاعلموا ان الرجل كان ابعد صيتاً عند الافرنج على تحديهِ لهم وتشيعه للعرب وتعصبه للشرق والدليل على ذلك ان مكانته عند المستشرقين رفيعة جدًّا ، ولقد اتفق لي وأنا اطلب العلم في « السوربون » ان اسمع غير واحد من اولئك القوم يثني على احمد زكي ويعترف لهُ بالعلم الغزير ، ولولا ان يكون الامر هكذا ما قصده البروفسور (فنسنك) ولما قال فيهِ استاذي البروفسور (دومامبين) ما قال في المقدمة التي عملها لكتابي المذكور في مستهل هذا المقال

— الرجل —

لازمت احمد زكي سنة ونصف سنة . فكان رحمه الله ابًا لي وشيخاً وصديقاً في آن

ان خلق احمد زكي [1] خلق عربي كريم حتى الاتلاف أبيّ (لا يطأطىء ولا يلتمس شيئاً) — سمح النفس (لا ينصب عداوة لمن يخالفهُ في عقيدة) — وفيّ (لم يخفر ذمة ولم يخن صديقاً) — عصبي المزاج (سريع الغضب ، سريع الرضى) — مقدام (وانما كانت شجاعته في الرأي) — ميال الى النضال (وانما كان يبارز بالقلم واللسان) — ثابت الرأي (لا ينقاد لامر عن هوى) — لطيف المحاضرة ، ظريف البادرة ، حلو الحديث

بيد ان هزّة الشباب ابرز ما في خلق احمد زكي

كان — رحمه الله — وثاباً متحركاً ، لا يقعد عن الكتابة والقراءة ، ولا عن الجولان ، فتارةً تراه في داره ممسكاً بكتاب او قابضاً على قلم ، واخرى في سيارتهِ ، واخرى عند صديق لهُ ، واخرى في دار علم او محفل قومي

الاَّ انهُ لم يتخلف عن داره بعد العشاء . وكان يفد اليهِ خلصاؤه في تلك الساعة ، فيتعشون معه ويلاعبونهُ « الدومينو » او يساقطونهُ الوان الحديث . وكم مرة قلت لصديقي الفاضل الشيخ محمد الغنيمي التفتازاني: هذا الظلام قد خيَّم على مصر ، اين نمضي ؟ فينظر كلانا الى الآخر : واذا نحن نسير الى « شيخ العروبة » اندفاعاً وهل تنبسط النفس الاَّ بين يدي صديق يصافيك الود وتخالصه الاجلال !

---

(١) اني في هذا المقال ما ازال اقول احمد زكي من دون ان اضيف الى هذين الاسمين لقب «الباشا» أو «شيخ العروبة» لان الرجل — رحمه الله — كان يقول لي اذا رأى الي يفخر بنفسه او يتوعد خصماً : انظر الى احمد زكي — او : سترى ما يصنع احمد زكي

خليل شيبوب

الغريبة

..

مكحولة العينين ذات لمى احوى وثغر رائق الشنب
البدر يطلع من ترائبها والشمس صفحة خدها الذهبي
ويزين لبتها بجوهره نوط كنظم السبعة الشهب
فكأن نور الدر زاد سنا وجه بنور الحسن منتقب
وكأن زنديها بياضهما عاجٌ زها في قالب عجب
جلست الى رجلٍ يحدثها في محفلٍ بجموعهِ لجب
تصغي اليهِ وهو منشغل معها ببعض الاكل والشرب
وجلست في سهوي حيالهما لاهي النواظر غير مرتقب
متفرداً بين الجموع بما عندي من الحسرات والكرب
لكنها اخذت تخالسني نظراتها عفواً بلا سبب
فتدير نحوي الوجه في لهف وتدير عني الوجه في ادب
تصغي له وتكاد تبسم لي في جرأة طوراً وفي رهب
وتمدُّ الحاظاً قد اخترقت بالسحر ما في القلب من حجب
ماذا تريد ولست اعرفها حتى اسلم — وهو لم يجب
ان الذي جلست تحدّثهُ يبدو محبًّا والمحب ابي
تجني عليهِ اذ تخالسني نظراتها فأراه وهو غبي
فعلى مَ تدنيه لتبعده وعلى مَ ترضيه على غضب
وعلى مَ تغريني وما عرفت اصلي ولا فصلي ولا حسبي
ما راقني ان يستباح لها حلمي وان يُلهي ويُعبث بي
لكنها بقيت تخالسني نظراتها وتجدُّ في لعب
وصديقها عن ذاك في شغل يصغي لما في الحفل من صخب
فشعرت اني قد فقدت هدى نفسي واني جدّ مضطرب
وتزيد في غزلي ومشغلتي سيان في صدق وفي كذب
حتى تركت لها المكان ومن فيه ورحت ولم ارح تعبي

يا بنت ساحك الالّـه على ما هجت في صدري من اللهب
ايقظت في قلبي لواعجه ودعوته عرضاً فلم يجب
عجباً لصبر القلب عنك ولي قلب على حب الجمال ربي
حوّاء ما انتسبت لآدم في عدنٍ بغير الحسن من نسب
فأقرّه دون الخلود لنا وكذا ورثناه على الحقب
ما كنت اجهل ناظريك وقد متّا اليّ بكل ما سبب
لـكن تعارضت الطريق بنا حتى تباعد كل مقترب
فاذا الحياة مضلة واذا معنى الخيانة جدُّ منقلب

***

كم عدتُ مرتقباً هناك وكم حاولت لقياها فلم اصب
هي طفرة عفو الحياة اتت منهوبة لشقاء منتهب
بل نظرة كالبرق قد ومضت آب الدجى والبرق لم يؤب
يا من جهلت ومن عرفت ومن ودّت تفرّج همٍّ مكتئب
ذنبي مراعاة الحقوق وان هي اوردتني مورد العطب
وأمانة للناس توجبني اغفال حقٍ غير مكتسب
لـكن حسنك انت ربتهُ والحسن فوق العرض والطلب
خالفتهُ جهلاً فأوقفني في العمر بين الويل والحرب
ان كنت غبتِ الدهر عن نظري فجمال ذاك الوجه لم يغب
وأظل اذكر ناظريك وما غزلاه من سحر ومن عجب
والـكحل في عينيك مبتسماً والثغر احوى رائق الشنب
والنوط والدرّ النظيم به والمعصمين وخدّك الذهبي
فيقيم اشجاني ويقعدها يوم لقيتك فيه عن كثب
اني تعذبني وتسلبني رشدي فرشدي اي مستلب
ذكرى فتاة حاولت صـلةً بفتى نخاب بها ولم تخب
جهل لعمرك لا يسوّغهُ دفع الخيانة عن اذل غبي
هذي الغريبة ربما شعرت في العمر اني جدّ مغترب

صلة الكندي بعصره

تمهيد — بيئة الكندي — الفلسفة والكلام — الحركة العلمية بوجه عام

لمحمد متولي

تمهيد

أما أن الصلة وثيقة بين الشخص وبين العصر الذي يعيش فيهِ ، فهذا ما لن نحاول أن نحصّنهُ بالدليل ، لانهُ ، أولاً ، شديد الظهور فلا يحتاج الى تفصيلٍ وتدليلٍ ، ولأنك ، ثانياً ، سوف ترى أن الكندي ، فيلسوف العرب كما يسمونهُ ، كان صورة واضحة لزمانهِ ، بحيث لو تقدم وجوده قرنين ، أو لو تأخر ، إذن لكان شيئاً آخر غير الذي سنعرفه

بلى ! ينفخ الزمان في الشخص من روحه ، ويفيض عليهِ من نوره ، فتكون شخصيته مشعة مع ما لهُ من استعداد وكفاية ، ومع ما لزمانه من قوة وإشراق

وإذ نريد دراسة عصر الكندي لنتعرَّف الصلة بينهما ، فقد لزم أن نتغلغل في الماضي حتى نشرف على العراق في الفترة الممتدة من منتصف القرن الثاني الهجري الى ما حول منتصف القرن الثالث ، فنرى كيف كانت بيئة فيلسوفنا ، ثم نحاول أن نقف على شيءٍ من حال الفلسفة والكلام هناك ، ونحاول أن نتقصّى مدى الحركة العلمية بوجه عام

— ١ —

ونحن اذا كنا في العراق ، كان علينا ان نتنقل بين الكوفة والبصرة وبغداد . فالرواة يحدّثوننا ان الكندي قضى حياته في البصرة وبغداد . وأنا سأبين لك أنهُ ، كذلك ، عاش في الكوفة زمناً ما

والكوفة والبصرة مدينتان أنشأهما العرب في صدر الاسلام لتكونا قاعدتين حربيتين . وبغداد بناها المنصور وكانت مقرًّا للخلافة . فأنت ترى ان هذه المدن الثلاث قامت على أنقاض الحضارات البابلية والأشورية والفارسية واليونانية ، وغيرها من الحضارات التي تناوبت الازدهار على ضفاف دجلة والفرات . فلما سكن العرب العراق على هذا النحو ، وخالطوا اهله من الاعاجم ، كان لهم حظهم من غناه . وكان لهم حظهم من ثقافة أهله الذين قاموا بأكبر نصيب في الحركات الفكرية مع من استقدمهم الخلفاء من علماء الامصار [1]

(١) فجر الاسلام ج ١ ص ٢١٨ — ٢١٩

والكوفة والبصرة كانتا الى هذا ميداناً لتطاحن المسلمين على الامامة ومثاراً لخلافاتهم الكلامية منذ حروب علي ومعاوية . وبغداد ما كان أعلى مكانهـا وهي حاضرة المسلمين يختلف اليها العلماء ليس من الكوفة والبصرة فقط ، بل ، أيضاً ، من الشام وفارس والهند وغيرها

واذن فقد تعددت العوامل التي تجعل في هذه البيئة تطوّراً فكريًّا . والتطور الفكري يكون في جوّ ملائم لطبيعته كي يستطيع ان يعيش وينمو ، فكيف كانت نزعة القوم ؟

لقد يبدو انهُ كانت هناك نزعة ترمي الى اصطناع العقل في بعض المسائل . فالخليفة المنصور كان يدعو الى الرأي في شـدة فأمر فضرب مالك بن أنس ، ثم استقدم أبا حنيفة من الكوفة الى بغداد إعلاءً لشأن فقهاء العراق واعزازاً لقوله بالرأي [١] . والخليفة المنصور أيضاً هو الذي كان يبكي لموت عمرو بن عبيد المعتزلي فيقول « كلكم طالب صعيد غير عمرو بن عبيد » [٢]

والمأمون والمعتصم كانا معتزلين يقولان بخلق القرآن ويتشددان في إذاعة رأيهما فينكلان بمن يعارضهما ، فلم يكن نصيب احمد بن حنبل عند المعتصم خيراً من نصيب مالك عند المنصور [٣]

وكان المتوكل من اهل السنة وقد وُشي لهُ بالكندي فصادر مكتبتهُ زمناً . ونحن لا نعلم هل كانت هذه الوشاية تتصل بكون الكندي معتزليًّا أم تتصل بشيءٍ آخر . وعلى اي حال فنحن نستطيع ن نقول ان فيلسوف العرب نعم بحريتهِ الفكرية طول حياتهِ ، لان غضبة المتوكل لم تكن طويلة بحيث تعطل عليهِ حريتهُ تعطيلاً مؤثراً

— ٢ —

ويحدّثنا صاحب « الملل والنحل » فيقول « ورونق علم الكلام ابتداؤه من الخلفاء العباسية هارون والمأمون والمعتصم والمتوكل » [٤] ونحن نحب ان نستبين ما دعا الى نشاط المتكلمين وبهاء الكلام فنجد ظاهرتين قويتين

اما الاولى فهي آثار أصحاب الاديان القديمة الذين كانوا يعيشون بين المسلمين ، سواء من اعتنق الاسـلام ومن بقي على دينه منهم ، فهؤلاء أثاروا مسائل كانت مثارة في أديانهم من قبل ، وكانوا سبباً في ان تسربت الى المتكلمين تعاليم غريبة عن الاسـلام — والقول بالقدر من أمهات المسائل التي شغلت أصحاب الاديان جميعاً ، وفكرة التجسيم عند المجسمة من الشيعة قريبة منها عند الثنوية. وما يقول بهِ أبو عيسى الوراق الرافضي في استكراهه لقتل الحي هو بعينه ما نجده في مذهب ماني [٥]

وأما الظاهرة الثانية فهي ما حصلهُ العرب من حكمة الاوائل عن طريق العقل فيذكرون أن عبد الله بن المقفع (١٤٣ هـ) ترجم بعض منطق أرسطو وفورفوريوس [٦] ويذكر ان يوحنا بن

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ج ٣ ص ٧١ — ٧٢ (٢) الملل والنحل ص ٣٤ (٣) مفتاح السعادة لطاش كبرى اده ج ٢ ص ٣٨ (٤) الملل والنحل ص ٣٤ (٥) الانتصار للخياط (مقدمة الناشر) ص ٥٤ — ٥٦
(٦) تاريخ التمدن الاسلامي ج ٣ ص ١٣٨

البطريق والحجاج بن مطر (عاش ٢١٤ هـ) وقسطا بن لوقا البعلبكي (عاش ٢٤٠ هـ) وعبد المسيح ابن ناعمه الحمصي (عاش ٢٢٠ هـ) وحنين بن اسحاق (٢٦٠ هـ) يذكرون ان هؤلاء تعاونوا مع غيرهم في نقل كتب ارسطو وأفلاطون وبعض الفلاسفة الآخرين [١]

وهاتان الظاهرتان قويتا قالتا بالعقول الى نحو جديد فاذا نحن أمام ما استجدَّ في الكلام بما احدثهُ المعتزلة وبما حاربهم بهِ اهل السنة وغيرهم ، مما نجده عند ابن قتيبه في « تأويل مختلف الحديث » وعند الاشعري في « مقالات الاسلاميين » وعند سواهما من اصحاب الفرق الاخرى

والكندي لم يكن بعيداً عن حركة النقل ولا كان بمعزل عن تلك الحرب الكلامية . فهو لم يأل جهداً في معرفة فيثاغورس وسقراط وافلاطون وارسطو [٢] وهو قد اشترك في مناقشة المسائل التي تناولها معاصروه امثال العلاف (٢٢٦ هـ) والنظام وابن النجار وابن المعتمر وثمامة بن أشرس والجاحظ (٢٥٥ هـ) وهشام بن الحكم ومن اليهم

فأبو الهذيل العلاف ، كان يقول « ان الباري تعالى عالم بعلم وعلمه ذاته ، قادر بقدرة وقدرته ذاته ، حي بحياة وحياته ذاته » ويقول الشهرستاني ان ابا الهذيل « انما اقتبس هذا الرأي من الفلاسفة الذين اعتقدوا ان ذاتهُ — اي ذات الله — واحدة لا كثرة فيها بوجه » [٣]

وكان ابو الهذيل يقول ايضاً ان « الاستطاعة يُحتاج اليها قبل الفعل فاذا وجد الفعل لم يكن بالانسان اليها حاجة بوجه من الوجوه وقد يجوز وقوع العجز في الوقت الثاني فيكون مجامعاً للفعل ويكون عجزاً عن فعل لان العجز — عنده — لا يكون عجزاً عن موجود فيكون الفعل واقعاً بقدرة معدومة » [٤]

وقال ابراهيم بن سيار النظام « ان الانسان في الحقيقة هو النفس والروح والبدن آلتها وقالبها » وقال « ان الروح جسم لطيف مشابك للبدن مداخل للقالب بأجزائهِ مداخلة المائية في الورد والدهنية في السمسم والسمنية في اللبن ... والروح هي التي لها قوة واستطاعة وحياة ومشيئة وهي مستطيعة بنفسها والاستطاعة قبل الفعل » [٥]

وقال النظام أيضاً « ان كل ما جاوز محل القدرة من الفعل فهو من فعل الله تعالى بايجاب الخلقة. اي ان الله تعالى طبع الحجر طبعاً وخلقه خلقة اذا دفعته اندفع واذا بلغت قوة الدفع مبلغها عاد الحجر الى مكانه طبعاً » [٦] . ومن آثار النظام كذلك انهُ « وافق الفلاسفة في نفي الجزء الذي لا يتجزأ » [٧] وأنهُ انبرى للمنانية فسفههم في قولهم في النور والظلمة وفي التناهي [٨]

وقال أبو الحسين بن النجار « ان الاستطاعة لا يجوز ان تتقدم الفعل وان العون من الله يحدث في حال الفعل مع الفعل وهو الاستطاعة وان الاستطاعة الواحدة لا يفعل بها فعلان وان لكل فعل استطاعة

---

(١) عصر المأمون ج ١ ص ٣٧٩—٣٨٣ وتاريخ التمدن الاسلامي ج ٣ ص ١٤٢ — ١٤٨ (٢) راجع مؤلفات الكندي في الفصل الثالث (٣) الملل والنحل ص ٣٤ (٤) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٢٢٢
(٥) الملل والنحل ص ٣٨ (٦) الملل والنحل ص ٣٨ (٧) الملل والنحل ص ٣٨ (٨) الانتصار ص ٣٠—٣٤

تحدث معه اذا حدث وان الاستطاعة لا تبقى وان في وجودها وجود الفعل وفي عدمها عدم الفعل»[١]

وبشر بن المعتمر تكلم – كأصحابه – في الاستطاعة فقال إنها « سلامة البنية وصحة الجوارح وتخليها من الآفات . وقال لا أقول بها في الحالة الاولى ولا في الحالة الثانية . ولكني أقول الانسان يفعل والفعل لا يكون الاَّ في الحالة الثانية »[٢]

وقال ثمامة بن أشرس ان الاستطاعة هي « السلامة وصحة الجوارح من الآفات» وهي قبل الفعل[٣]

وذهب الجاحظ ـ كالفلاسفة ـ الى نفي الصفات عن الله والى اثبات ان القدر خير وشره من العبد . وهو إذ يصف الله بالارادة فانه يعني « انهُ لا يصح عليه السهو في أفعاله ولا الجهل ولا يجوز ان يغلب ويقهر »[٤]

ويحدثنا ابو الحسين الخياط فيذكر ان الجاحظ أبلى في دفاعه المجيد عن النبوة بكتابته في تثبيتها[٥]

وقال هشام بن الحكم الشيعي « ان الله جسم محدود عريض عميق طويل . طوله مثل عرضهِ . وعرضه مثل عمقه . نور ساطع . له قدر من الاقدار بمعنى ان له مقداراً في طوله وعرضه وعمقه لا يتجاوزهُ »[٦] وقال « ان مكانه هو العرش وانهُ مماس للعرش وان العرش قد حواه وحده »[٧] وقال « ولكن لا يشبه شيئاً من المخلوقات ولا يشبههُ شيء » ويروى انهُ قال « هو سبعة اشبار بشبر نفسه وانهُ في مكان مخصوص وجهة مخصوصة وانهُ يتحرك وحركته فعله وليست من مكان الى مكان » ثم قال « هو متناه بالذات غير متناه بالقدرة »[٨]

وهشام يقول عن الاستطاعة انها « كل ما لا يكون الفعل الاَّ بهِ كالآلات والجوارح والوقت والمكان»[٩]

فاذا تأملنا الكندي في ضوء هذه الامثال التي ضربناها وجدنا انهُ قد كتب في الاستطاعة وزمان كونها وفي تثبيت النبوة وفي قول من زعم أن جزءًا لا يتجزأ وفي التجسيد وفي قول من ادعى أن الاشياء الطبيعية تفعل فعلاً واحداً بإيجاب الخلقة وفي الرد على المنانية والثنوية[١٠] وأنهُ كان يقول بمذهب المعتزلة في صفات الله[١١]

— ٣ —

على ان شخصية الكندي بلغت من التركيب انها تكاد تمثل كل ما كان في عصره تمثيلاً صادقاً فقد اهتمَّ العرب إذ ذاك بنقل علوم جديدة من لغات مختلفة وظهرت الوان من التطور في نواحٍ اخرى فكان للكندي أثر في كل هذا

والمنصور اول من اهتمَّ بالترجمة فنهض بعلوم النجوم نهضة واسعة لانهُ كان يستعين بها في قضاء أموره فقرَّب اليه نوبخت العالم باقترانات الكواكب والحوادث، وقرَّب ابنه أبا سهل . وكانت لابراهيم الفزاري وابنه محمد وعلي بن عيسى الاسطرلابي، كانت لهم جميعاً حظوة عند المنصور . وقد

(١) مقالات الاسلاميين ج ١ص ٢٧٠ (٢) الملل والنحل ص ٤٥ (٣) الملل والنحل ص٤٩ (٤) الملل والنحل ص ٥٢ (٥) الانتصار ص ٢٢ ، ١٥٥ (٦) مقالات الاسلاميين ج ١ ص١٩٧ (٧) مقالات الاسلاميين ١ ص ٢٠٠ (٨) الملل والنحل ص ١٤١ (٩) الملل والنحل ص ١٤١ (١٠) راجع مؤلفات الكندي الفصل الثالث من هذه الرسالة (١١) راجع الفصل الرابع منها

ترجم له اولهم كتاب السند هند الكبير في حركات الكواكب وبقي هذا الكتاب عمدة للنجوم حتى ايام المأمون. ويذكرون ان كتاب اقليدس ترجم للمنصور أيضاً بسبب حاجة النجوم الى العلم بالهندسة[١]

وسواء كان المنصور قد استدعى جورجيس بن بختيشوع لعلته او لسبب آخر ، فهو قد استدعاه فحضر مع بعض تلاميذه وكرَّمهم الخليفة فكان لهم أثر كبير في النهضة الطبية بما ألفوهُ وبما ترجموهُ عن اللغة اليونانية من كتب الطب

واهتمَّ الرشيد بالترجمة بعد المنصور غير انهُ وجّه اكثر عنايته الى نقل الكتب الطبية التي عثر عليها في انقره وعمورية . ويقولون ان يحيى بن خالد البرمكي عُني بترجمة المجسطي في ذلك الوقت[٢]

ولكن هذا الذي كان في ايام المنصور والرشيد لم يكن الاَّ تدرّجاً معقولاً لتلك النهضة الشاملة التي اتسم بها عصر المأمون وما بعده فان الترجمة في هذا العصر قد تناولت امهات الكتب من لغات كثيرة وتناولت اكثر فروع المعرفة

ويروون ان المأمون كان يقوّم الكتاب المنقول بوزنهِ ذهباً . وهذا ان يكن بعيد الحصول من ناحية ، فهو يدل ، من ناحية اخرى ، على مقدار عنايته بنقل الكتب . ويدل على تهافت المترجمين على النقل ثم تهافت الناس على القراءة والدرس — وهاك حنين بن اسحاق الذي كان يعرف اليونانية والسريانية والفارسية والعربية وقسطا بن لوقا البعلبكي وثابت بن قره الحرّاني (٢٢١ هـ — ٢٨٨) وعبد المسيح بن ناعمة الحمصي ويحيى بن البطريق الذي كان يعرف اللاتينية ويوحنا بن البطريق ويوحنا ابن ماسويه الذي عُني بنقل الكتب الطبية . اولئك بعض الذين كانوا ينقلون الكتب عن اليونانية والسريانية واللاتينية بينما كان غيرهم ينقل عن الفارسية والهندية والنبطية[٣]

فاذا تلمسنا أثر هذه الحركة في الكندي فاننا نبلغ حقيقة كونه منجماً وفلكيًّا ورياضيًّا وطبيباً مما هو واضح في بيان مؤلفاته

وكان للحياة الادبية نصيبها من نشاط العرب في هذه الفترة من تاريخهم فكان من الشعراء بشار (حول ١٦٨ هـ) وابو نواس (حول ١٩٨ هـ) وابو العتاهية (حول ٢١٣ هـ) وابو تمام (حول ٢٣٠ هـ) وكان من الادباء الجاحظ والمبرد وابن قتيبة (حول ٢٧٠ هـ) والاصمعي (حول ٢١٧ هـ) وابو عبيدة (حول ٢٢٠ هـ) وغير هؤلاءِ واولئك من اعلام الادب والشعر

وهذه الناحية إلاَّ تكن مستحدثة في حياة العرب فقد جدّ فيها لون من الكتابة لم يكن معهوداً فامتزاج العرب بغيرهم ونقل العلوم والفنون من اللغات الاخرى ونمو الفلسفة والكلام ، كل هذه كانت سبباً في ان كسبت اللغة العربية ثروة من الالفاظ الطبية والاصطلاحات الفلسفية ومن غيرها من الكلمات المعرّبة الكثيرة[٤]

---

(١) تاريخ التمدن الاسلامي جـ ٣ ص ١٣٨ (٢) تاريخ التمدن الاسلامي جـ ٣ ص ١٣٩ — ١٤٠ (٣) عصر المأمون جـ ١ ص ٣٧٩ — ٣٩٣ وتاريخ التمدن الاسلامي جـ ٣ ص ١٤٢ — ١٤٨ (٤) عصر المأمون جـ ١ ص ١٦٥

ثم ان معالجة الفنون والفلسفة كانت داعية الى اسلوب ضروري لها ، هو الاسلوب العلمي السهل القائم على الحجة القوية والبرهان المبين

وصلة الكندي بهذه الحياة الأدبية ظاهرة في أسلوبه العلمي الذي عالج به ما عالج من العلوم والفنون والفلسفة وفيما يرويه لنا ابن خلكان من ان الكندي كان يسمع أبا تمام وهو يلقي إحدى قصائده في حضرة احمد بن المعتصم وكان آخر هذه القصيدة قوله :

اقدام عمرو في سماحة حاتم   في حلم احنف في ذكاء إياس

فلما سمعهُ قال « الامير فوق من وصفت » فقال أبو تمام على البديهة :

لا تنكروا ضربي لهُ من دونه   مثلاً شروداً في الندى والباس

فالله قد ضرب الاقلّ لنوره   مثلاً من المشكاة والنبراس[1]

فهل لا نجد في هذا ما يدل على ان الكندي كان على اتصال بالحياة الادبية بحيث يذوق آثارها وبحيث يستطيع ان يأخذ شيئاً على شاعر كبير كأبي تمام

ثم انهُ كان من دواعي البيئة ان نشأ علم النحو ونضج في العراق . وهذا لانهُ كان ملتقى الشعوب الاسلامية المختلفة حيث عاش الاعاجم بين العرب وتعلموا لغتهم ودرسوا الاسلام. وحسبك سيبويه (حول ١٨٨ هـ) وتلميذه الاخفش (٢١٥هـ) ثم الكسائي (حول ١٨٣ هـ) وتلميذاه المبرد والفراء (٢٠٧ هـ) حسبك سكان العراق هؤلاءِ لتقول بهِ موطناً للنحو ولتقول ان النحو بلغ الغاية في اواخر القرن الثاني الهجري واوائل القرن الثالث[2]

وانت قد تعجب اذا قلت لك ان الكندي الفيلسوف كان يتصل بالنحو والنحويين ولكن هذا هو الواقع فالجرجاني يروي عن ابن الانباري انهُ قال « ركب الكندي المتفلسف الى ابي العباس وقال لهُ : اني لأجد في كلام العرب حشواً . فقال له ابو العباس : في أي موضع وجدت ذلك ؟ فقال : أجد العرب يقولون : عبد الله قائم . ثم يقولون : إن عبد الله قائم. ثم يقولون ان عبد الله لقائم. فالالفاظ متكررة والمعنى واحد» ويروي الجرجاني ردّ أبي العباس على هذا :[3]

***

والآن ، وقد عرضت عليك صلة الكندي بعصره مجملة ، فهل لا ترى أحدهما صورة واضحة للآخر ؟ لقد رأيت — إذن فقل : انهُ لكذلك

(١) وفيات الاعيان ج ١ ص ١٥٢

(٢) تاريخ التمدن الاسلامي ج ٣ ص ٧٤ — ٧٦ وفجر الاسلام ج ١ ص ٢٢٠

(٣) دلائل الاعجاز ص ٢٢٦

الشباب والإشباب[1]

والتعمير[2] والشيخوخة

للدكتور شوكت موفق الشطي

الاستاذ بمعهد الطب العربي في دمشق

يبصر الوليد النور ويستهل[3] فتقام الافراح في دار أبويه ويهش ساكنوه وتكثر التهاني والزيارات فرحاً بقدومه ترضعهُ امه لبنها فتعطيه بذلك أعز ما لديها وهو دمها راضية هاشة ثم يدب[4] ويثغر[5] وهو ما زال طفلاً ساذجاً لا يميز بين الجمر والتمر ويأخذ بعد ذلك بالنمو والترعرع فيشتد ويسير مرحاً ثم يصير يافعاً فراهقاً حتى اذا ما اجتمعت قوته واحتلم عاد حزوراً فاذا صار ذا فتاء فهو فتى وشارخ ثم يصبح شاباً في شرخ الشباب وذلك في عشرين سنة ثم تستقر حالته وتكاد تكون ثابتة مدة عشرين سنة اخرى لولا ان بعض الوهن يعتريها

والانسان في هذا الدور قوي الجسم ، صحيح البنية ، نشيط ثم يأخذ بالتدني ويزداد ذلك شيئاً فشيئاً فيهن نشاط عضلاته وتعود مشيته بطيئة وتنحني قامته ويحدودب ظهره وتخور قواه ويبطىء عمل اجهزته وتصبح اعصاؤه كسلى وينتزع الكلس من عظامه فتسقط اسنانه ويشتعل الشيب في رأسه ويتناثر شعره ويجف جلده ويتحسف ، لا يقوى على النهوض هذا ان لم يك مقعداً ، لايستطيع ان يمسك ريقه لانهُ ماج يسيل لعابه كبراً وهرماً اذا جاع، لا تقوى يداه المرتعشتان على ايصال الطعام او الشراب الى فمه بسهولة بل ينصبُّ ما في الملعقة او الآنية على لحيته وثوبه، يضعف حسه وشعوره ويخبل عقله . صورة تهلع لها قلوب من داسوا عتبة العقد السابع من العمر وترتعد لها فرائص من استوفوا السبعين لانها تمثل الانسان بأجلى مظاهر الضعف واهنَ الجسد والعقل مستقفاً[6] في زاوية الغرفة معتزلاً العالم وحيداً حزيناً

فلو تبصرنا في حالة الانسان في اول عمره ومنتهاه لرأينا انهُ بدأ حياته مقعداً لا يستطيع الحركة وانتهى عمره وهو كذلك غير انَّ بعد سكونه في الصغر دبًّا وحركةً ومشياً ، وبعد قُعادهِ[7] في

---

(١) تأويل rajeunissement من أشب يشب. لم يرد ذكر هذه الكلمة بهذا المعنى في كتب اللغة على ان الحريري صاحب المقامات قد ذكرها في المقامة البكرية فقال « والضجيع الذي يشب ولا يشيب » اي يجعلك شاباً ولا يشيبك

(٢) من عمره الله اى ابقاه زمنا طويلاً وقد جاء في القرآن الكريم — «وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب» ..

(٣) الاستهلال اول بكاء الصبي وفي الحديث « الصبي اذا ولد لم يورث ولم يرث حتى يستهل صارخاً »

(٤) الدب او مشي الطفل

(٥) أثغر الصبي نبتت اسنانه

(٦) استقف الشيخ اذا ضمر وانحنى وانضم ومنه قيل كبر حتى كأنه قفة

(٧) القعاد : الداء الذي يقعد واُقعد الرجل لم يقدر على النهوض

الكبر رمساً ولحداً ، ترافق السذاجة والبساطة كل عمل يأتي به وهو طفل وتصحب السماجة سكناته وحركاته وهو شيخ ، لا يميز في صغره الضار من النافع ولكنهُ مع ذلك وديع لطيف يُنْظَرُ بعين الرضى الى كل ما يبدو منه ، ولا يفرق في كبره بين الغث والسمين الا ان عين الغضب تظهر مساويه، يخدَمُ في طفولته بحنو وأمل ويقوم افراد العيلة في قعاده بواجبها نحوه وكثيراً ما يشوب ذلك الضجر والملل فالامل معقود عليه في صغره وليس الامر كذلك في كبره وقد نعتت هذا السن بأنها ارذل العمر وقد جاء في القرآن الكريم : « يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مُضْغة مُخَلَّقَة وغير مخلقة لِنُبيّن لكم ونقر في الارحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشُدَّكُمْ ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العُمُر لكي لا يَعْلَمَ من بعد علم شيئاً (١) »

ان هذه النتيجة المؤلمة التي يؤول اليها حال الانسان وهذه الحالة المحزنة التي يبلغها جعلت لهُ ذكرى الصبا سلوة وسيرة الشباب عزاءً وعوده حلماً ولذلك اكثر شعراء العرب من وصف الشباب فبكوه وأوجسوا خيفة من الشيب فهجوه واليك بعض اقوالهم قال أبو تمام :

غدا الشيب مُخْتَطّاً بفودي خطّةً ... سبيل الردى منها الى النفس مَهْيَعُ
هو الزَّور يُجْفى والمُعاشِر يُجْتَوى ... وذو الإلف يُقْلى والجديد يُرَقَّعُ
له منظر في العين أبيض ناصع ... ولكنهُ في القلب اسود اسْفَعُ

وقال محمود الورّاق :

بَكَيْتُ لقرب الاجل ... وبُعْد فوات الأَمَلْ
ووافق لشيب طرا ... بعقب شباب رَحَلْ
شبابٌ كأن لم تكُنْ ... وشيب كأن لم يَزَلْ
طوى صاحب صاحباً ... كذاك اختلاف الدُّوَلْ

وكان ينشد ابو العتاهية شعره الآتي ودموعه تسيل على خديه

لهفي على وَرَق الشباب ... وغُصونه الخُضْر الرطابِ
ذهب الشباب وبانَ عني ... غيرَ مُنْتَظر الإيابِ
فلأَبْكِيَنَّ على الشَّبا ... ب وطيب أيام التصابي
فلأبكينَّ من البلى ... ولأبكينَّ من الخضابِ
إني لآملُ ان أُخَلَّدَ ... م والمنية في طلابي

ومن ابلغ الاقوال في التفجع على الشباب وفي ذم الشيب قول ابي حازم الباهلي :

لا تكذبنَّ فما الدنيا بأجمعها ... من الشباب بيوم واحد بَدَلُ

(١) [illegible]

شَرْخَ الشباب لقد ابقيت لي اسفاً ماجدَّ ذكرك الاَّ جدَّ لي شكلُ

وأحسن منه على رأي اللغوي الاديب الامام ابي هلال العسكري قول منصور النمري

ماتنقضي حسرةٌ مني ولا جزع اذا ذكرت شباباً ليس يرتجعُ
بان الشبابُ ففاتتني بشرَّتهِ (١) صروفُ دهر وأيام لنا خُدعُ
ما كنت اوفي شبابي كنه غِرته حتى انقضى فاذا الدنيا له تبعُ

وقد سئل ابو العتاهية اي شعر قلتهُ اجود واعجب اليك قال قولي :

ان الشباب حجة التصابي روائح الجنة في الشباب

وفي قول أبي العتاهية « روائح الجنة في الشباب » على رأي الجاحظ معنى لمعنى الطرب الذي لا يقدر على معرفته الاّ القلوب وتعجز عن ترجمته الالسنة الاَّ بعد التطويل وادامة الفكر الجليل والتفكر الجزيل وخير المعاني ما كان الى القلب اسرع من اللسان

وبكى شاعرنا ابو العتاهية الشباب بقوله المشهور

عريت من الشباب وكان غضّاً كما يعرى من الورق القضيب
ألا ليت الشباب يعود يوماً فأخبره بما فعل المشيب

غير ان الحلم الذي تغنى بهِ ابو العتاهية بقوله «ألا ليت الشباب يعود يوماً» صار حقيقة واصبح رد قوة الشباب ممكناً

جدَّ الانسان منذ خُلق في اجتناب الموت ولكنهُ رأى استحالة الوصول الى مطلبه ونظر في حالته التي ينقلب اليها فألفى الموت خيراً منها كما قال الشاعر زَبّان بن سيَّار الفزازي

اذا المرءُ قاسى الدهر وابيضَّ رأسهُ وثُلّمَ تثليمَ الاناء جوانبه
فللموت خير من حياة خسيسة تُباعده طوراً وطوراً تقاربه

بُحث لذلك في اسباب العتيّ وسعى الى تحاشيه بوسائل مختلفة كالتمائم والتعاويذ والأكسيرات والمستحضرات والوصفات المتنوعة وقد اشتهر امر كل منها وراج مدة من الزمن وما لبثت تلك الوسائل ان عادت نسياً منسيّاً لأنها لم تحقق الغاية ولم تنل الأرب

لجأ الانسان في الأعصر السابقة الى طريقة ما زلنا نشاهد اثرها اليوم وقد اوصى بها الطبيب الشهير « سيدنهام » في مذكراته اذ قال ما من وسيلة توقظ العافية في مريض مضنك انجع من العناصر المتصاعدة من انفاس شاب قوي وسليم واشار بتنويم الشبان الأصحاء في غرف المرضى

ليس هذا الرأي من مبتكرات سيدنهام فقد قال به من قبل ابقراط وقد روي ايضاً ان الملك المقدس داوود لما أثر فيه العمر وبرد جسمه وضعف واعيي امره نطس الاطباء تشاور خدمه فقرروا البحث عن فتاة عذراء تدفىء الملك فعثروا على الفتاة الجميلة ابيكايل فصرفت عنايتها لخدمته فاصطلح حاله

(١) شرة الشباب : نشاطه في ديوان المعاني لأبي هلال العسكري وفي الاغاني (بلذته)

وقد شاعت هذه البدعة مدة من الزمن وهنالك من الأقوال الكثيرة ما يدل على ذيوعها حتى اليوم منها المثل الشامي «لاتقترن من عجوز فتمتص ماء الحياة منك ولاتزوج ابنتك شيخاً فيمتص مائيتها»

وروي عن امير المؤمنين علي بن طالب رضي الله تعالى عنه انه قال من اراد البقاء ولا بقاء فليجوّد الغذاء ويتمشى بعد العشاء ولا يبيت حتى يعرض نفسه على الخلاء ودخول الحمام على البطنة من شرّ الداء واكل القديد اليابس معين على الفناء ومجامعة العجوز تهدم اعمار الاحياء . واشار المتنبي الى الاستشفاء بروائح الفتيات في شعره فقال

وفتّانة العين قتّالة الهوى اذا نفحت شيخاً روائحها شبّا

وضع كوهاوزن (Cohausen) سنة ١٧٤٢ كتيباً تناول فيه تأثير انفاس الفتيان والفتيات في تحسين صحة الشيوخ فعمت هذه البدعة ووجد بعض الشيوخ في هذه السنة الطريفة ضالتهم المنشودة فاستنّوا بها . ويروي لنا التاريخ بعض من اشتهروا بطول البقاء وربما كان لهذه البدعة شأن في إشبابهم منهم حيان بن قيس وقد تزوج ثلاثة اهلين فتيات ولا شك كما يستدل من شعره

لبست اناساً فأفنيتهم وأفنيت بعد اناس اناسا
ثلاثة اهلين افنيتهم وكان الاله هو المستاسا

ويدل قوله الآتي على عمره وانهُ ما زال قويًّا

ومن يك سائلاً عني فأني من الفتيان ايام الخُنان [١]
اتت مائة لعام ولدت فيه وعشرٌ بعد ذاك وحجتان
فقد ابقت خطوب الدهر مني كما ابقت من السيف اليماني

وقد بقيت اسنانه ترفّ [٢] حتى مات وفي النهاية وكأن فاه البرَدُ وذكر ابن قتيبه انهُ عمَّر مائتين وعشرين سنة ومات باصبهان وما ذلك بمنكر لانهُ قال لعمر رضي الله تعالى عنه انهُ افنى ثلاثة قرون وكل قرن ستون سنة فهذه مائة وثمانون سنة ثم عمر بعده فمكث بعد قتل عمر الى خلافة عثمان وعلي ومعاوية ويزيد

ويروي لنا التاريخ ان غوته قد عشق في سنته الثانية والثمانين ماريان يونغ التي كانت في العقد الثاني من عمرها وان طوماس بار دعاه ملك الانكليز في سنته المائة والثانية والثلاثين وكان تزوج في السنة المائة والتاسعة عشرة وبتر البرخت الذي عاش مائة وثلاث وعشرين سنة تزوج في سنته الثمانين ورزق سبعة اولاد وجورج دوغلاس عاش مائة وعشرين سنة وسبعة اشهر وتزوج في الخامسة والثمانين ورزق ثمانية اولاد وولد ابنه الاخير اذ كان عمره مائة وثلاث سنوات وهيريانوس وقد عاش مائة وخمس عشرة سنة . ومَن منا لم يسمع باسم زارو اغا التركي الذي مات حديثاً عن عمر يزيد على المائة والعشرين سنة وقد اقترن من ست فتيات وكان يلاكم وهو شيخ حفيد حفيده الشاب

(١) زمن الخنان كان في عهد المنذر بن ماء السماء (٢) ترف اسنانه اي تبرق وتتلألأ

ومن غريب الصدف ان مامن شيخ ممن ذكرنا اسماءهم الآ وقد تأهل مراراً عديدة وكانت عرائسه فتيات

ويزعم كوهاوزن ان الهواء يدخل رئة الفتاة فيتضرج فيها بعناصر نافعة فتزفره حاملاً خواص غريبة تهب الشيخ النشاط وان الشيخ اذا مكث في مكان حيث يحيط به عدد من الفتيان والفتيات استنشق هواء ممتلئاً فتوة منشطاً للشيخ

اننا لو بحثنا في هذه الوسيلة واستنرنا بنور العلم الحاضر لوجدناها مستندة الى اسس اوهى من خيط العنكبوت لان الهواء الذي يزفره الانسان اشيخاً كان ام شاباً وعجوزاً ام فتاة يحمل عناصر ضارة لا نافعة . غير ان الكشوف الحديثة تفاجئنا بين الفينة والفينة بكل ما هو غريب ولا يبعد ان ينبه منظر الفتوة والشباب غدد الشيخ الصم فيجعلها تفرز بعد ان نضب افرازها وقد ثبت ان للرسل (هورمون) شأناً كبيراً في الشيخوخة .وهل لا يغزر سيلان اللعاب في فنا اذا شممنا رائحة طعم ذكي او نظرنا الى طعام شهي ؟ على ان من الوسائل المتخذة اليوم في تجديد الشباب ما يتناسب والطريقة المذكورة . وقد قلنا في مقال سابق نشر في هذه المجلة الغراء [1] ان العلم كالتاريخ يعيد في بعض الاحيان نفسه مع الاحتفاظ بالتناسب بين شتى العصور

ويزعم دعاة هذه الطرائق الحديثة ان حقن الشيوخ بخلاصة الاجنة وبدماء الفتيان خير وسيلة لمكافحة العجز الشيخي . وتستند الفكرتان القديمة والحديثة الى اساس واحد وهو الاستشفاء بالفتوة

خيل الى كوهاوزن وقد وضع كتابه قبل عهد لافوازيه ان الهواء عنصر مركب كالدم يفسد اذا خالطتهُ مواد ضارة ويصلح اذا امتزج بعناصر نافعة ومن العناصر النافعة فيهِ انفاس الفتيان والفتيات

ولا يخفى ان مستنبطي الطرائق يثبتون دعواهم بالاختبار والمشاهدات ولم يقصر كوهاوزن عنهم في ذلك فقد ابان ان معلمي الولدان اطول عمراً من غيرهم لانهم يتنفسون هواءً مشبعاً بريح الفتوّة والصبا . وقد عرف كوهاوزن نساء بلغن من الكبر عتيًّا عدن نشيطات اقوياء اثر اقترانهنَّ مَن ازواج في شرخ الشباب وميعة الصبا وشاهد دوالف[2] اشبُّوا اثر اقترانهم بفتيات منهم (ليتسيسوس) وقد تزوج وهو ابن ثمانين سنة بفتاة لها من العمر خمسة وعشرون ربيعاً فمرض في بادىء الأمر ثم عاد قويًّا نشيطاً لذلك اقترح بعض المختبرين حينها ان يُستخرج من انفاس الفتيان والفتيات الكسير للحياة وذلك بأن يتنفس عدد كبير منهم في غرفة محكمة فيها ثقب متصل بوعاء فيهِ ماء فتتصاعد العناصر النافعة من الانفاس فتجري في الثقب وتنحل في الماء وقد سموا هذا الماء المضرج بريح الصبا وانفاس الفتيان ماء الحياة فباعوهُ بأثمان باهظة

قيل بهذه الآراء في عهد غابر لم تكن العلوم فيهِ متقدمة هذا التقدم المدهش الذي نرى اثره اليوم اما الآن فقد اعدت الدول مختبرات للعلماء يشتغل فيها عدد كبير من الباحثين وقد اخذ

---

(١) المقتطف عدد فبراير ١٩٣٤ صفحة ١٤٩ (٢) جمع دالف والدالف الشيخ البطيء المشية لثقله

هؤلاء بالبحث عن الشيخوخة تلك القضية المعقدة التي لم تنل قسطها من البحث والتي ما زالت غامضة لم يعرف كنهها ولم يسبر غورها؛ تماماً مع ان الرغبة في الخلود والخشية من الموت رافقتا الانسان منذ الأزل واذا سئم الشيخ الحياة فليس ذلك طلباً للموت ولكن ضجراً من الضعف كما يقول شاعرنا الكبير المتنبي

واذا الشيخ قال أفٍّ فما مـــلَّ حياة وانما الضعف ملاّ

آلة العيش صحـة وشباب فاذا ولّيـا عن المرء ولّى

يسأل العلماء عن الاسباب الداعية الى اختلاف عمر المخلوقات فمنها ما كانت حياتهُ قصيرة لا تزيد عن سنة كبعض انواع النبات ومنها ما يعيش زمناً طويلاً كالأرز الخالد ومن الحيوان ما يعمر ساعات محدودة ومنهُ ما يبقى حيًّا ثلاثة عصور . وما هذه الأسباب الاَّ اسرار استصعب العلماء البحث فيها لكشف القناع عنها على اختلافهم فاجتنب الحيويون التنقيب عنها زاعمين ان الشيخوخة حادثة خلقية وتركوا التقصي فيها للأطباء ولم يفحص عنها المختبرون من الاطباء لأنها حالة ليست مرضية وشغلهم معالجة المرض ولم يعرها الفسيولوجيون ما تستحقهُ من الاهتمام لأنهم يرون انها حالة طبيعية والتنقيب عنها معقد وامعن الفلاسفة فيها فكتبوا عنها ما سوّلت لهم انفسهم ولم تك ابحاثهم مثمرة فقد اعتادوا الاكتفاء باعطاء الرأي في الغالب ، على ان هذه القضية العويصة لا تحل بنظرية فلسفية وفرضية خيالية ولابدَّ من الاختبار وليس ذلك رأيهم

ينسب علماء هذا العصر الشيخوخة الى اسباب عدة فيقول مشنيكوف انها انسمام بانقاض الاختمارات المعوية الذاتية وان للبلعمات الكبيرة نصيباً كبيراً في تكوين نسيج ضام يسيطر على الاعضاء فيشيخها ولا تنطبق هذه الفرضية على جميع المخلوقات لأن كثيراً منها محروم من الجهاز الهضمي والبلعمات مع انها تشيخ وتموت . ولو نقَّبنا عن هذا الرأي في كتب اطباء العرب لرأينا له اثراً اذ يقول ابن سينا في قانونه حين البحث عن اسباب الشيخوخة وضرورة الموت : « اما الاسباب الخارجة فمثل الهواء المحلل والمعفن وأما الاسباب الباطنة فمثل الحرارة الغريزية التي فينا المحللة لرطوباتنا والحرارة الغريبة المتولدة فينا عن اغذيتنا وغيرها المتعفنة وهذه الاسباب كلها متعاونة على تجفيفنا » ثم يقول « وكلما اخذ التجفيف في الزيادة أخذت الحرارة في النقصان فعرض دائماً عجز مستمر الى الامعان وعجز عن استبدال الرطوبة » الى ان يقول فيزداد التجفيف من وجهين احدهما لتناقص لحوق المادة والآخر لتناقص الرطوبة في نفسها بتحليل الحرارة فيزداد ضعف الحرارة لاستيلاء اليبوسة على جوهر الاعضاء ونقصان الرطوبة الغريزية التي هي كالمادة وكالدهن للسراج لان السراج له رطوبتان ماء ودهن يقوم بأحدها وينطفىء بالآخر كذلك الحرارة الغريزية تقوم بالرطوبة الغريزية وتختنق بالغريبة وازدياد الرطوبة الغريبة التي هي عن ضعف الهضم والتي هي كالرطوبة المائية للسراج فاذا تمَّ الجفاف طفئت الحرارة وكان الموت الطبيعي »

يستنتج مما سبق ان ابن سينا يعتقد ان للحرارة الغريبة المتولدة فينا عن اغذيتنا ولضعف

الهضم تأثيراً كبيراً في الشيخوخة والموت الطبيعي ويرى ان خير وسيلة لمكافحة الشيخوخة هي منع العفونة وحماية الرطوبة الطبيعية واجتناب الرطوبة الغريبة التي هي عن ضعف الهضم

فينسب مشنيكوف الشيخوخة الى الانسمام الذاتي وضعف انبوب الهضم ويعزو ابن سينا ايضاً الموت والشيخوخة الى العفونة والمواد الغريبة الناتجة عن ضعف الهضم وهي ليست الاّ الاختمارات المعوية التي بحث عنها مشنيكوف

ويرى فورنوف ان الشيخوخة تنشأ من اختلال التوازن بين الخلايا الضامة والخلايا النبيلة فمتى اشتعلت هذه الفوضى في الجسد سار الانسان الى الموت لأن الخلايا الضامة تكوّن وسادة تضطجع عليها الخلايا الجوهرية او تضم بعضها الى بعض وتغذيها فلا ضرر منها البتة بل هي نافعة نفعاً كبيراً مازالت لاتتجاوز الحد الذي وضعته لها الطبيعة وهي شديدة الضرر متى تجاوزت حدها وطغت فخنقت الخلايا النبيلة لأنها لاتستطيع القيام بما تقوم بهِ تلك . وقلما تبدو هذه الفوضى في الحداثة لأنها مظهر من مظاهر الشيخوخة بل هي الشيخوخة نفسها . ويزعم غيره ان تعب الخلايا ونفاد قواها الحيوية الكامنة وعدم توالدها او بطوءه من الأسباب الداعية الى الشيخوخة

ويعتقد الأزليون ومنهم اهل الكتاب ان الحياة والموت والشباب والشيخوخة حادثات كتبت منذ الأزل وان حفظ النوع يقضي بزوال الشيوخ ليحل محلهم الشبان

ويدعي بعضهم ومنهم لوميار وماراغليانو ان الشيخوخة والموت وغيرها من مظاهر الحياة حادثات لها صلة كبيرة بالقانون العام الذي يرأس الحالات الغرائية . والواقع ان التدني الشيخوخي ولا سيما في الأنسان والحيوانات العليا ينتج من عوامل عديدة يمكن جمعها في زمرتين

١ — العوامل الباطنية : وهي عوامل ذات صلة بالأمم [1] تنظم الحد الأعظم من عمر كل منها فتجعل حياة بعض انواع النبات قصيرة لاتزيد عن فصل واحد وحياة بعضها مديدة كأنها خالدة ولم يتوصل العلم حتى الآن الى وسيلة تبدل مدة هذا الدور الحيوي الخاص بكل امة

٢ — العوامل الخارجية : وهي كثيرة ومختلفة تختلف باختلاف البيئة التي يعيش فيها الانسان وباختلاف عمله وطوره قد تقصر عمره وتقوده الى الشيخوخة المبتسرة وقد تعينه على بلوغ اعلى درجات التعمير . ويمكن تنظيمها باتباع القواعد الصحية وبجعل البيئة التي يعيش المرء فيها صالحة

واخيراً حذار ايها الشيخ القارىء لمقالتي ان تغتر بما مرّ فتلجأ الى طريقة الاستشفاء بالفتوة ولا يخدعنك فيها سهولتها واستحسانك لها وتذكر المثل الطبي القائل «الغادة الشابة والطعام النفيس معولان يحفران قبر الشيخ»

(١) جمع امة تأويل espèces بدلا من انواع والامة جنس كل حيوان وقد جاء في القرآن الكريم ما يؤيد هذا المعنى : « وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم امثالكم » سورة الانعام آية ٣٨

مصطلحات علم النفس

ومشكلة ترجمتها وتعريبها

لمحمد مظهر سعيد
الاستاذ بمعهد التربية وكلية اصول الدين

النزعات الموروثة

يطلق المصطلح الافرنجي Innate Tendencies على جميع نزعات الانسان وقواهُ التي تنتقل اليهِ من النوع الانساني عامة بطريق الوراثة فتدفعه الى القيام بأعمال معينة — تختلف ثبوتاً ومرونة بحسب مرتبة النزعة الخاصة من سلم التطوُّر الانساني — من دون سابق خبرة او ارشاد او تعلم. وهي تتدرَّج من الجمود التام والثبوت على حال واحدة لا تتبدل ولا تتغير كحركة اغماض الجفن فجأة عند تحرك شيء ما بسرعة نحو العين، الى القابلية للتغيير والتبديل والتهذيب نوعاً ما بالخبرة والذكاء كغرائز الهرب من الخطر وقتال العدو، وأخيراً الى اكبر قسط من المرونة والتعديل كاللعب والتقليد. وكان علماء النفس في اوربا وامريكا الى عهد قريب جدًّا يخلطون بين انواع هذه النزعات خلطاً لا حدَّ لهُ ويذهب كل منهم في تفسيرها وتسميتها ما شاء ان يذهب

أما الآن بعد ان دالت دولة التداعيين Associationists والمسلكيين Behaviourists والآليين Mechanistics وانتصرت مدرسة وليم ماكدويل الهورمية Hormic او الغائية Purposive فقد تحددت المعاني وانتظم التقسيم وصارت النزعات الموروثة تنقسم الى ثلاث طوائف رئيسية — اولاها وأبسطها تركيباً طائفة الأفعال المنعكسة (او المعكوسة) Reflex actions وتتضمن الردود او التلبيات او الاستجابات reactions التي يقوم بها عضو واحد من اعضاء البدن لا البدن كلهُ بطريقة آلية ثابتة لا تتغير في جوهرها مع الزمن والخبرة كلما وجد مؤثر طبيعي خاص، وقد يشعر بها الانسان شعوراً واضحاً او غامضاً او لا يشعر بها على الاطلاق وقت حدوثها . ولكن لا يصحبها انفعال او لون وجداني خاص بها ولا تخضع لارادة الانسان ولا لتفكيره ومنها تغير اتساع حدقة العين عند التعرض للنور والظلام، والعطس عند وجود جسم غريب يلامس غشاء الانف، واغماض الجفن عند وجود شيء يفاجيء العين . وكل ما يحصل فيها من التعديل هو مجرد ارتباط الفعل المنعكس بمؤثر آخر غير المؤثر الطبيعي يكون قد صحبه عدة مرات كسيلان لعاب الكلب عند سماعه

رنين الجرس اذا تكرر قرع هـذا الجرس كلما وجد الطعام امام الـكلب . أما الفعل ذاته او التلبية للمؤثر فلا تتغير في الحالتين وتسمى في هذه الحالة افعـال منعكسـة معدلة او محوّلة او شرطيـة Conditioned

والطائفة الثانية هي طائفة الغرائز Instincts وقد عرّفها ما كدوجل « بالنزعة البـدنية النفسية (او السيكولوجية الفيزيقية Psycho-physical) الموروثة التي تدفع الكائن الحي الى ادراك موقف او مؤثر طبيعي معين (او مجرد الشعور بوجوده والانتباه لهُ) . والشعور بانفعال نفساني خاص على أثر هذا الادراك . ثم النزوع او التصرف تصرّفاً خاصّـاً للوصول الى غرض خاص او على الأقل الشعور بوجود دافع نفساني لهذا التصرف ولو لم يتم . وهذه النزعات يتعين ان تكون عامة مشتركة بين الانسان والحيوان وان اختلفت مظاهرها وألوانها . فلا بد اذن من توافر هذه الشروط الاربعة في كل استعداد او نزعة موروثة حتى يصح اعتبارها غريزة . وعلى هـذا الاعتبار صارت الغرائز الاساسية هي مجموعة غرائز حفظ الذات كالبحث عن الطعام بصرف النظر عن طرق هذا البحث ، والمسكن والوقاية وغيرها من الغرائز الفردية كالهرب من المخاطر والمقاتلة والنفور والجمع والغرائز الاجتماعية كالتسلط والخنوع والاستطلاع والتجمع وغيرها لان كلاً من هذه الغرائز لهُ مؤثرات طبيعية محدودة وتحدث في النفس انفعالات محدودة واضحة كالخوف والغضب والحنو وغيرها.وهي كذلك تدفع الانسان الى القيام بأعمال خاصة توصله الى غرض خاص محدود يختلف في كل غريزة عن الاخرى وفوق هذا كله فهي عامة عند الانسان والحيوان ومهما تبدلت المؤثرات الطبيعية بغيرها مما يتصل بها او يماثلها او يحل محلها ومهما تعدلت أساليب التصرف وتغيرت مظاهر السلوك بالخبرة والذكاء والبيئة فالانفعال باق على ما هو عليه لا يتغير . ولا يتبدل والغرض الطبيعي الذي ترمي الغريزة الى تحقيقه عن طريق النزوع كذلك موجود في جوهره وان اختلف وارتقى وسما في مظهره

والطـائفة الثالثـة — تتناول النزعات الموروثة الراقية غير المحدودة المتنوعة الجوانب التي لا يثيرها مؤثر خاص بعينه ولا ترمي الى غرض خاص بعينه . واظهر ما فيها انهُ لا يصحب كلاً منهـا انفعال خاص يمـيزها عن غيرها كما هي الحال في الغرائز وان شعر معها الانسان بالارتياح عند تمام النزوع واشباعه او القلق والالم عند تعطيله والوقوف في سبيله او ثارت في نفسه عدة انفعالات . ولذلك تسمى بالنزعات الموروثة العامة او غير النوعية General or Non - specific Tendencies ومن اهمها الاستهواء Suggestion ومشاركة الغير في حالته الوجدانية Sympathy والتقليد Imitation والتعويض Compensation واللعب.وسنتحدث عن كل من هذه النزعات في شيء من التفصيل فيما بعد

***

هذا في المصطلحات الافرنجية اما في المؤلفات العربية فلا يزال الـكتّاب والمؤلفون يخلطون

بين هذه الطوائف الثلاث فضلاً عن الخلاف في تسمية النزعة الواحدة مع تحديد مداها واغراضها

فتجد المرحوم الشيخ شريف يقول (ص ٤٢) بواعث غريزية صرفة يندفع اليها الطفل بطبيعته من غير علم ولا شعور ولا يتأثر منهُ بالكلية . ويقصد هنا منع وجود الانفعال . وفي (ص ٤٣) حركات غريزية غير مشعور بالغرض منها البتة او الشعور بهِ خفي جداً كحركات الاجفان (وهذا فعل منعكس) واطلق على الغرائز في بعض المواقف بالقوة الطبيعية (ص ٣٤) الغرائز وغيرها مما ليست نفسية محضة ولا فكرية صرفة تدخل تحت القوة الطبيعية

***

ولا يزال الكثيرمن الكتاب والمؤلفين يخلطون بين انواع النزعات الموروثة فيسمون الارتضاع (مص الثدي) غريزة وهو فعل منعكس معقد واللعب والتقليد غرائز ناهجين نهج القدماء من علماء النفس امثال باين وسللي وهي نزعات عامة غير نوعية كما بينا سابقاً وبعضهم يعتبر الحب والكراهية غرائز وهي عواطف

فتجد الاستاذ حامد عبد القادر في صفحة ٧٥ (في علم النفس الجزء الاول) يتكلم عن غرائز بناء الاعشاش او البيوت والغناء عند الطيور والدكتور علي عبد الواحد في مقاله عن الغرائز (العدد الاول من صحيفة دار العلوم) يذكر غريزة الجراحة عند بعض الطيور وغيرها من الاسماء الغريبة الذي تذكرنا بنزعة التقسيم والتبويب المتطرفة التي استولت على العلماء في اواخر القرن الماضي واوائل القرن الحاضر فجعلتهم يعتبرون كل مظهر من مظاهر السلوك الانساني غريزة كاملة مستقلة بذاتها ويعطونها اسماً خاصاً حتى بلغ عدد اسماء الغرائز التي وردت في مؤلفاتهم مائتين وخمسين وضع منها ثورندايك وحده اربعين . ولقد اراحنا مكدوجل من هذا الهوس فأصبحنا نعتبر هذه الغرائز الخاصة بجنس واحد من اجناس الكائنات الحية مظاهر والوان لغريزة واحدة عامة عند الانسان والحيوان فالهرب مثلاً هو اسم الغريزة او النزعة العامة عند الكائنات الحية اما التلون عند الحرباء والتماوت عند بعض الزحافات الصحراوية فألوان خاصة لغريزة الهرب وليست هي غرائز مستقلة نعطى لها اسماء خاصة بها

واعتبر الاستاذ حامد في صفحة ٧٦ التعبير عما في النفس وحب الجمال وكذلك حب الثناء (ص ٨٥) غرائز ولا نعرف واحداً من علماء النفس المحدثين المعتبرين قال بهذا وقال بأن التأثر للحالة الوجدانية للغير غريزة وهو نزعة عامة . ونسب الاستاذ الابراشي في الفصل الذي كتبه عن النزعات العامة في نفس الكتاب (ص ٨٩) الى العلامة ماكدوجل انه يعتبر نزعة التدين والمنافسة والتعبير عن النفس نزعات عامة تتمم مع الاستهواء والمشاركة الوجدانية واللعب والتعويض مجموعة النزعات العامة غير النوعية وهو لم يقل بغير الاربعة السابقة

اما الاستاذ قنديل فقد جمع في صفحة ١٦١ في الجزء الاول من كتابه اصول علم النفس عدة تعاريف متضاربة متناقضة للغرائز في نظر مدارس علم النفس المختلفة وعطفها جميعاً عطفاً يجعل القارىء يعتقد ان هذه التعاريف كلها مترادفة ومقبولة . ثم تتبع تقسيم ماكدوجل للغرائز ولكنهُ ذكر معها غريزة الاستغاثة ونحن لم نسمع بها عن ماكدوجل او غيره من العلماء

اسماء الغرائز الاساسية

سنذكر الآن الترجمة التي نرتاح اليها لاسماء الغرائز الاساسية بحسب تقسيم ماكدوجل : —

١ — Flight : غريزة الهرب (من الخطر او المخاطر او الاشياء الخطرة) اما الخوف فهو اسم انفعالها

٢ — Fighting, Combative : غريزة المقاتلة او القتال وانفعالها الغضب ـ Pugnacity المشاكسة (او حب الخصام : قنديل)

٣ — Repulsion النفور او النبذ وانفعالها الاشمئزاز او التقزز (للامور المادية كالمدوقات العفنة والروائح الكريهة)

٤ — Self-assertion اثبات الذات والتسلط والسيطرة جميعها ترجمات مقبولة اما الظهور او حب الظهور او الرآسة فلا نرتاح اليها لانها درجات او نواحي خاصة للغريزة

٥ — Self-abasement الخنوع لانها تعبر تماماً عن المصطلح الانجليزي وفيها معنى الشعور بضعة الشأن وتليها في الافضلية كلمة الخضوع اما غريزة الانقياد فلا نرضاها لانها تدخلها في النزعات العامة وخصوصاً الاستهواء

٦ — Gregarious غريزة التجمع ولا نرضى البتة بكلمة الاجتماع (قنديل) لان كل انسان كما يقول ماكدوجل يميل بغريزته الى مجرد التجمع والوجود مع بني جنسه او على مقربه منهم ولو لم تربطه بهم رابطة او مصلحة او حتى لغة للتفاهم اي انه Sociable ولكنه لا يتعين بالضرورة ان يكون عضواً في جماعة منتظمة لها مصالح او اغراض معينة society حتى يكون Social فالغريزة اذن تدفع الى مجرد التجمع لا الى الاجتماع الذي هو ارقى مراتب التجمع وأرفعها . خصوصاً وان هذه الغريزة موجودة ايضاً عند الحيوان وهو ليس اجتماعياً وان كان يتجمع مع غيره

٧ — Curiosity الاطلاع او الاستطلاع — اما محبة الاستطلاع (قنديل ص ٢١٠) وحب الاطلاع (حامد ص ٨٥) وحب الاستطلاع (عند غيرها) وكذلك حب الاقتناء وحب الظهور الخ لا نرضاها مطلقاً لان كلمة حب ومحبة تنقلها من مرتبة الغرائز طفرة واحدة الى مرتبة العواطف وشتان بين مجرد النزعة او الغريزة وبين الحب والمحبة

عبقرية محيطة

ليوناردو دافنشي

لاديب عباسي

عصور الانتقال الحاسمة هي احفل عصور التاريخ بالمتناقضات وأملاها بالاضداد . في مثل هذه العصور يقترن الكفر العنيد بالايمان الوطيد ، ويجاور الاخلاص للعلم الدجلَ والتغرير ، ويواطن التعصب الذميم والحرج في التفكير الحرية المطلقة في النظر والتقدير . وعصر النهضة الذي يقع حوالي سنة ١٥٤٦ من ابرز العصور في هذه الخصائص وأقواها تمثيلاً عليها . ففيه ابيحت حرية التفكير وفيه استبيحت هذه الحرية . كان فيه العلم الراجح وكان فيه الجهل الفاضح . ساد فيهِ الالحاد الجريء ، وساد فيهِ ايمان العجائز . كان فيهِ حمق الجمهور وجموده ، وكان فيه تساهل العلم وسعة المعرفة . وغالى فيهِ قوم في تمجيد القديم والجمود عليهِ والافاضة بذكره واغرق قوم آخرون في تحدي القدماء وقدحهم والزراية عليهم وعلى ارثهم الذي ورّثوا . كان فيه الحب العذري والهوى الافلاطوني ، وكان فيه الحب الدنس والهوى الاثيم يتمثلان في قصص بوكاشيو وما يروى عن آل بورجيا من حب الاب لابنته والاخ لاخته

وتعليل ذلك — في رأينا — هو ان هذه العصور تجيء زاخرة مفعمة ، وتحل غالباً حلولاً مفاجئاً دون تمهيد طويل او سبق انذار ، فتحدث ما لا بدّ ان تحدث من ارتجاج في العقائد واضطراب في الاخلاق واحتراب بين الافكار في الفئة اللينة المطاوعة ، وتحدث ما لا بدَّ ان تحدث من صلف وعناد بين الفئة الجامدة المحافظة التي تزيد محافظة وجموداً كلما ازدادت موجة التجديد في الازدخار وامعن تيارها في الهجوم . وتظل هذه الفئة على موقفها من الجمود ريثما تعمل الموجة عملها ويفعل التيار فعله من زعزعةٍ لاركان وتقويض لبنيان في عقائد هذه الفئة واخلاقها

وليوناردو الذي نترجم له في هذه الصفحات يمثل لنا في شخصه معظم نواحي العصر الايجابية ابلغ تمثيل . ولا يمثلها بالوقوف منها موقف المرآة من المرئيات تنعكس عنهُ صور النهضة واشكالها وترتسم فيهِ دون ان يكون له اثر في ازجائها وازخار تيارها . انما هو يمثلها في انهُ كان رائداً من روّادها الاولين وعاملاً من اقوى العاملين على تقويض صرح القديم واقامة الجديد على انقاضهِ قوياً ثابت الاساس . وهذا لم يكن بالكثير على ليوناردو ، وهو في ذلك العقل الجبار والعبقرية النادرة والاكمال الذهني المحيط . ولعلَّ التاريخ لا يحفظ لنا اسماً كاسم ليوناردو من حيث الاحاطة

والشمول مع العمق في التفكير والاجادة في نواحي العلم والفن الى حدود العبقرية والاعجاز . يذكر لنا التاريخ اسمين غير اسم ليوناردو — ارسطو وغوته . ولكن يقيننا انهُ لا ارسطو ولا غوته بلغا مبلغ ليوناردو عمقاً واحاطة في ناحيتي العلم والفن . فالاول كانت اجادتهُ في ناحيتي العلم والفلسفة والثاني تركزت عبقريته في ناحية الفن ، وان كان له نظر صائب في بعض مسائل العلم . وهذا يفسر الى حدٍّ لماذا ظلَّ اسم ليوناردو عصوراً ادلَّ على الاستحالة منهُ على الامكان وألحق بالخرافة منهُ بالواقع . ويفسر لنا ايضاً لماذا احيطت شخصية ليوناردو بالشكوك والظنون رغم نصوع هذه الشخصية ووضوحها . فقد اتهم بالسحر ، وهو عدو السحر الاكبر . ورُمي بالكفر ، وكانت آخر كلماته على فراش الموت في ذكر الله والفزع اليهِ . وروّج عنه انهُ يسمُّ الاشجار ويدس بأثمارها الى الناس ليرى هل انتقل فعل السم الى الثمر ، وهو الذي تدركه الرأفة بالطائر الحبيس ، فيبتاعهُ ليطلق جناحه ويهبه الحرية الغالية

وليس في هذه الخصومة بين الجمهور وليوناردو خروج على القاعدة العامة التي يجري عليها التاريخ في معاملة الممتازين والعباقرة . فالعبقري دائماً مثار للارتياب وهدف للوقيعة وغرض يرمى لحماقة الجمهور وانانيته . يشعر هذا الجمهور بالحطة والصغار وضآلة القدر اذ يقيسون اقدارهم الى قدره فيحاولون ان ينزلوه الى مستواهم الذي يضطربون فيهِ . ذلك لانهم لا يستطيعون الدنو من مستواه ليساووه ويشعروا معه بشيء من وحدة الحال والتقارب ويخفقون غالباً في محاولاتهم هذه فيلفونهُ في ضبابة من الريب ويجللونهُ بغمامة من الشكوك . ولم لا يحقد الجمهور على ليوناردو وهو القائل فيه وفي متعلميه :

« ديدان كتب وعبّاد لارسطو (لاحظ هذا !) ، غربان في اثواب طواويس واصداء تردد ما يقوله الغير ، ينتحلون لانفسهم زينــة ليست لهم ، ثم لا يريدون ان يتركوا لي جنى يدي الذي جنيت . ان بين مستوحي الطبيعة ومقلدي القدماء فرق ما بين الجسم وصورته في المرآة . انني لا استطيع ان استشهد ، ولا احب ان استشهد بأقوال القدماء ، انما استشهد بما هو اصدق من الكتب والاقوال — استشهد بالاختبار والتجربة : « الاستاذ لكل استاذ »[١]

اضف الى ما تقدَّم من عوامل المباعدة بين ليوناردو وابناء عصره انهُ كان يقوم بتجارب واختبارات علمية كانت تظهره في نظر معاصريه بمظهر العابث الذي يقتل الوقت ويهدر الزمن في غير طائل . فقد رُوي انهُ كان ذات يوم يجرب تجربة كيماوية في مختبره . وفيما هو مهموك في عمله شاهد الخادم تهرول وبيدها « دلو » من الماءِ تهمُّ بسكبهِ على المنضدة . ولولا ان امتدَّت يد ليوناردو بسرعة البرق الى الفتاة ، لكانت افسدت عليهِ وعلى العالم عمل سنين واغرقت كل ما تكدَّس على المنضدة من رسوم واشكال وصور ومخطوطات لا تقوَّم بمال ولا تقدر بثمن . ولما سألها ليوناردو

(١) القطع المحصورة بين اقواس مترجمة عن كتاب « حياة ليوناردو » لمرجفسكي

فيما همّت ان تصنع اجابت : رأيت كأنَّ النار تلتهم المنضدة فبادرت اخمدها بدلو من الماء . فضحك عندها ليوناردو وصرف الفتاة صرفاً جميلاً بعد ان ابان لها ان ما رأت لم يكن بنار ، وانهُ انما كان يلهو ، وان ما شاهدتهُ وخالتهُ ناراً لم يكن الاَّ دخاناً متصاعداً لبعض المساحيق الخاصة

وزاد في المباعدة ما بين ليوناردو ومعاصريهِ ايضاً ان كانت لهُ صفات جسمانية مميّزة اشتركت مع صفاتهِ العقلية البارزة في إفراده من بين هؤلاءِ المعاصرين إفراداً قويًّا واضحاً . فقد روي انهُ كان لفرط قواهُ الجسدية يعمد الى نعل الفرس ويلويهِ كما تلوى قطعة من الرصاص . ويروي التاريخ مؤكداً انهُ كان يرسم ويصوّر بكلتا يديهِ في اجادة متعادلة لليدين . ثم كان ليوناردو يكتب بيسراه وبشكل لا يستطيع امرؤٌ معهُ قراءة خطهِ الاَّ معكوساً في مرآة . وكان معاصروهُ يتخذون ذلك حجة يؤيدون بها ظنونهم في انعكاف ليوناردو على السحر والشعوذة اذ ما حاجته الى هذا الاسلوب من الكتابة لولا ان ثمَّ اموراً يودُّ ان يصعّب على الجمهور اكتشافها ومعرفة كنهها

هذا ما كان ليوناردو في نظر معاصريهِ ، ولكن من كان ليوناردو في نظر الحقيقة ؟ ليوناردو في نظر الحقيقة والانصاف رائد العصر الحديث وبشير التجديد والابداع في العلم والفن . درس مظاهر الحياة من الحياة ذاتها وليس من بطون الكتب . وكان دقيق الحس قوي الملاحظة في هذه الدراسة يقيم الدليل على آرائهِ ونظرياتهِ بالتجارب يقوم بها والاختبارات يجريها في مختبره الخاص بدل ان يعمد الى الخيال يستوحيه والقدماء يستلهمهم فيما يرى ويقدّر . وهو في رأي بعض العلماء مؤسس علم الجيولوجيا الحديث ، فكان بمكنتهِ ان يميّن عمر المتحجرات من النظر الى عدد طبقاتها المتراكمة التي تدل كل طبقة منها على عدد من السنين . وبمثل هذا الاسلوب كان يقدّر اعمار الاشجار ايضاً . فكان يجدُ جذع الشجرة جذًّا افقيًّا فيعرف من عدد حلقاتهِ المتراكزة عمر هذه الشجرة وليوناردو نباتي من الطراز الاول . وقد كانت لديهِ مجموعة نباتية جيدة . ولعلَّهُ كان اول من حاول ان يدرس فعل السموم في النباتات والاشجار . وهذا مصدر ما كان يشيعهُ الناس من انهُ كان يسمّم الناس باثمار تغذَّت بالسم وهي لا تزال على اشجارها . ودرس ليوناردو الجسم البشري دراسة العالم المحقق ، فشرَّح الاجسام ليعرف علاقة كل عضو بوظيفته وانتهى من هذا التشريح الى حقائق خطيرة . فكان مما انتهى اليهِ ان تصلُّب الشرايين سبب من اسباب الشيخوخة والفناء وان درهم وقاية خير من قنطار علاج . ومن هنا كانت قلة ثقتهِ بالاطباء في عصره ، وقد قال ينصح صديقاً في مرضهِ : نصيحتي لك ان لا تفكر في كيف تنال الشفاء : انما انصحك ان تبتعد عن الاطباء ، وبقدر ما تبتعد عنهم تنال الشفاء

وهذا الاتجاه العلمي المحض من ليوناردو صيَّرهُ حرباً على المشعوذين واصحاب الدجل . ادعى احد هؤلاءِ انهُ يستطيع ان يحوّل المعادن الخسيسة ذهباً فاستدعاه امير المدينة وطلب اليهِ ان يجري تجاربه امامه . وقام الدجال بتجربته وخرجت فعلاً قطعة من الذهب اثارت رؤيتها دهشة الجميع واطماعهم

الاَّ ليوناردو الذي اخذ الدجال من يده وسار به ناحية وهمس في اذنه ان لا يُعيدها والاَّ اضطرَّ الى فضيحته . ولما كابر الدجال وابى الاعتراف بالتدجيل اضطرَّ ليوناردو الى التفسير وابان له ان قطعة الذهب التي خرجت كانت موضوعة في تجويف في اسفل العصا التي كان يحرّك بها السائل المصهور على النار ، واراها للجمهور وانهُ حينما احترقت السدادة التي كانت تسدُّ على قطعة الذهب سقطت هذه القطعة فتناولها على انها خرجت من السائل بعلمه وفنه . ولم يُحر الدجال عندها جواباً ووعد بان لا يُعيدها

وليوناردو واضع قانون متوازي القوى المعروف والذاهب الى ان المادة في ابسط حالاتها ذات خصائص متشابهة لجميع العناصر . وهو اول من فكر في الطيران على اسلوب علمي محض . وقد فحصت مخطوطاتهُ التي تبلغ ٥٠٠٠ (خمسة آلاف) صفحة فوجد قسم منها حافلاً برسوم لأجهزة معقدة أعدها ليوناردو ليحاول على أساسها الطيران . ولكن لم يكن يرضَ ولا عن واحدٍ من هذه الاجهزة والرسوم . وقد انشأ ليوناردو واحداً من هذه الاجهزة بشكل الخفَّاش ، ولكنه لم يطمئن اليهِ وكان يشعر ان ثمة صعاباً علمية وقتية لم يتغلب عليها بعد . الاَّ ان معاونه الملحاح أصرَّ على تجريب الجهاز رغم معارضته الشديدة وتحذيره اياه من سوء العقبى . غير ان هذا المعاون أصرَّ الاَّ تجريباً للجهاز . ولم يسع ليوناردو ازاء فضوله والحاحه الشديد الاَّ اجابته الى طلبه . فاعتلى صاحبنا بالجهاز ربوة عالية وهوى مع الجهاز الى اسفل . وكان ما قدَّر ليوناردو وسقط صاحبه سقطة كادت تطير معها روحه . ولم يحاول ليوناردو بعدها ان يبني جهازاً آخر للطيران الاَّ أن هذا لم يكن ليزحزحه عن اعتقاده الثابت بأن الانسان يستطيع ان يطير ، بل هو لا شكَّ طائر يوماً من الايام نأى ذلك اليوم أم دنا ، وذلك حينما تكتمل معرفته بالطبيعيات والرياضيات . وهو يقول متنبئاً ، وقد وقف على شاهق يشاهد تحليق الطيور في إعجاب كالعبادة

« سوف توجد الجنحان . وليكن غيري موجدها اذا لم استطعها أنا . لا فرق عندي في ذلك . سوف يطير الانسان ! ان الروح لا يكذب ولا يمين . ان اولئك المجنحين سوف يكونون صنو الآلهة . سوف يُقلع ذلك الطائر الأول العظيم . وليتمجد الى الأبد العش الذي يدرج منهُ ذلك الطائر ! »

وليس ما أسلفنا ذكره من حقائق الاَّ معبراً بعض التعبير عما حفلت بهِ مخطوطات ليوناردو من علم صائب وابتكار صادق يضعه في مصاف رجالات العلم الحديث طريقة في البحث وجلداً في التتبع والتنقيب مما جعله أسبق لعصره بنحو اربعة قرون . وهذا ما حمل عالماً وفيلسوفاً رصيناً مثل هفلوك الس على القول — بعد ان درس مخطوطات ليوناردو — بأن ليوناردو مؤسس علم الهندسة الحديث وعلم الجيولوجيا والتشريح وأنهُ علم من أعلام البحث الصائب والعلم النافع

على أن شهرة ليوناردو المستفيضة وإسمهُ الذائع لم يكونا من ناحية العلم انما جاءا عن طريق فنه الخالد — الفن الذى رفعهُ الى أعلى عليين وأحله أسمى ذرى المجد ومراتب الخلود . ويكفي المتحف من متاحف الفن شهرة واجتذاباً لحجاج الفن ان يضمَّ لوحة من لوحات ليوناردو الخالدة.

اما صورة العشاء الرباني — اعظم اعمـال ليوناردو الفنية — فهي في نظر ارباب الفن أعظم عمل فني لفنان قديم او حـديث . . . . وليست شهرة ليوناردو منحصرة في الفن بالتصوير ، بل هو نحات في الطراز الاول من النحاتين وموسيقي بارع وكاتب مبدع في الفوج الاول من كتّاب النهضة . والذي يدهش حقّـا ان يبلغ ليوناردو حد الاعجاز وانقطاع النظير من الابداع في نواحي الفن وبعض نواحي العلم ، ثم لايتطرّق الوهن الى عمل من اعماله الفنية . ولعلّ هذا ان ليوناردو، رغم توزيع ميوله وبسط جهوده . ظلّ يقبل على جميع اعماله الفنية والعلمية دقيقها وجليلها اقبالاً يكاد يبلغ حد الذهول . فهو اذا ذهب احد الامسية الى الرواق الذي كان يخلّـد على جداره صورة العشاء الرباني نسي العالم ونسي وجوده ولم يبق امامهُ الاّ صورة العشاء الرباني . وهو اذا اجرى في يوم آخر تجربة من تجاربه العديدة في النبات او الكيمياء كانت هذه التجربة كل ما يهمهُ من شؤون هذا العالم . واذا انصرف الى صنع درع تلبسها اكاديمية المصورين (الخيالية ؟!) في ميلان نسي ان في العالم شيئاً لهُ خطر وقيمة غير هذا العمل التافه . وهكذا كان ليوناردو يقبل على جميع اعماله اقبال العابد وينقطع اليها انقطاع العاشق . فكان هـذا مضافاً الى عبقريته النادرة سبباً في خروج اكثر آثاره في هذه الرتبة من السمو والابداع . هذا الى انهُ كان يقف من فنه وعلمه موقف المحاسبة الشديدة والنقد الصارم . فلم يكن يفتنه عمل من اعماله عن اجتلاء مواطن الضعف ونواحي النقص فيها ، فيعمل على ازالتها واستكمالها . ولعلّ هذا كان في اول الاسباب في بقاء كثير من أعمال ليوناردو الفنية والعلمية مبتورة ناقصة

ولم يكن ليوناردو يسير في فنه بحسب الالهام والوحي فقط شأن كثير من الفنانين ، بل كان فضلاً عن استيحائه الالهام والعبقرية يسير على هدًى من العلم والمعرفة ويرصد للجانب النظري من فنه شطراً ليس باليسير من وقته وجهوده ، ولهذا الغرض درس دراسة جيدة علم التشريح وعلم الالوان والظلال فجاءت صوره وتماثيله من اصدق الصور والتماثيل في تقريب الفن من الحياة . وقد كان يقول :

« الالوان الواضحة تأسر الرعاع . ولـكن الفنان الذي اخلص لفنه لا يخضع لنزوات الرعاع ، انما هو يجب ان يرضخ لنخبته المختارة الممتازة فقط . والذي يفخر بهِ الفنان ويصبو اليه ليس الألوان البراقة اللامعة انما هو ان يكوّن من الضوء ما يشبه المعجزة . ان الضوء والظل يجعـلان السطوح المستوية مستديرة . فالذي يحتقر الظلال في التصوير يشبه الثرثار الذي يضحي بالمعنى في سبيل الكلمات الجوفاء الرنانة »

هذه صورة مصغرة لليوناردو العالم الفنان . وفي فصل آخر صورة اخرى لليوناردو الانسان

بعض المصادر التي رجعنا اليها في هذا الفصل :

1 - Men of Art : Thomas Craven
2 — LeonardoDa Vinci : Siren
3 — دائرة المعارف البريطانية
4 -- Lives of the Painters : Vasari

التعقيم واصلاح النسل

في ١٩ يونيو الماضي بعث مراسل « الصحافة المشتركة » البرليني ببرقية الى نيويورك قال فيها ان محكمة التعقيم النازية ببنت في تقريرها الاول الذى نشر في ذلك اليوم ان ٣٢٥ رجلا وامرأة من سكان برلين عملت لهم عمليات التعقيم خدمة للاجيال المقبلة . من هؤلاء ١٤٣ تقدموا بمله اختيارهم لعمل هذه العملية التي تحول دون اخلافهم نسلا ، ولكن من دون ان تترك اي اثر آخر في حياتهم الجنسية . وان معظم الذين عملت لهم هذه العملية كانوا من الرجال

في ٢ يناير سنة ١٩٣٤ بدأ الالمان ينفذون القانون القاضي بتعقيم المصابين من الالمان بأمراض وراثية مثل ضعف العقل الخلقي (١) والسرسام (٢) والجنون التهيجي الانقباضي (٣) والصرع الوراثي (٤) ونقاز هنتنغتن (٥) (داء الرقص) والكمه (العمى) الوراثي والصمم الوراثي وادمان المسكرات . ويؤخذ من انباء المانيا انهُ ينتظر تعقيم ٤٠٠ الف الماني مصابين بهذه الامراض او ما هو من قبيلها والغرض من ذلك تطهير الآريين من الالمان من كل شائبة تشوبهم

وقد كان سن هذا القانون باعثاً على احتدام المناقشة في موضوع تحسين النسل بالتعقيم ، فسألنا القراء عن حقيقة التعقيم وكيف يختلف عن الخصي ، وما اثره في حياة الانسان المعقم بوجه عام ، وفي حياته الجنسية بوجه خاص ، واي الناس يجب ان تعمل لهم عملية التعقيم ، وفي اي البلدان تمارس هذه العملية ، وهل هي عملية الية وتنطوي على خطر ام لا ؟

يقدر علماء الولايات المتحدة الاميركية، ان نحو ٢٥ مليوناً من الشعب الاميركي مصابون بأحد الامراض والعاهات المذكورة في صدر هذا المقال فلا يصلحون للقيام بما يفرضهُ عليهم المجتمع من تبعات ، او لا تواتيهم احوال البيئة الاقتصادية على ذلك . فمتوسط المرضى في مستشفيات الولايات المتحدة الاميركية سنة ١٩٣١ كان ٣٩٦ر٧٧٥ اما عدد المرضى في مستشفيات الحكومة الخاصة بالامراض العقلية فبلغ في آخر سنة ١٩٣٠ نحو ٧٢٤ الفاً فزاد هذا العدد في تلك السنة عن عدد السنة السابقة بنحو ١٢ الفاً . من هؤلاء ٦٤٢٥٣ مصابون بضعف العقل والصرع . وكان في سجون الولايات سنة ١٩٣٠ نحو ١١٧ الف سجين . وفي سجون الحكومة المتحدة ١٤٤٧٣ سجيناً . وبلغ عدد الذين حوكموا وسجنوا في اميركا سنة ١٩٣١ نحو ٧١ الفاً . ثم ان الحكومة الاميركية تميل الى الاعتقاد بأن عدد مدمني المخدرات في بلادها سنة ١٩٣١ كان مائة الف مدمن . والاحصاء

(١) hereditary feeble-mindedness (٢) Schizophrenia (٣) manic-depressive insanity
(٤) hereditary epilepsy (٥) Huntington's chorea

الاميركي العام لسنة ١٩٣٠ يدل على ان عدد البكم في اميركا سنة ١٩٣٠ كان ٦٣٤٨٩ اكمه وعدد الصم ٥٧٠٨٤ اصم وفي البلاد علاوة على ما تقدم نحو عشرة ملايين متعطل عن العمل، والراجح ان خمسة ملايين منهم لن يتسنى لهم وجود عمل في المستقبل كائناً تحسن الاحوال الاقتصادية ما كان . فالقول بأن في الولايات المتحدة الاميركية نحو ٢٥ مليوناً من الناس لا يصلحون للقيام بما يفرضه عليهم المجتمع من التبعات — او لا تواتيهم البيئة الاقتصادية على ذلك — ليس فيه غلوّ ولا اغراق

ويذهب بعض المتطرفين من دعاة تحسين النسل في اميركا امثال وِجَم Wiggam وهنتنغتن Huntington وستودرد Stoddard الى ان الناس المصابين بأمراض او عاهات من هذا القبيل خطر على الجنس البشري . فهم يعتقدون ان هؤلاء الناس يورثون امراضهم وعاهاتهم ، وان الحضارة التي بنيت بأرواح الانبياء وعقول العباقرة ، انما تخلّف ، لافزام الجسم والعقل والروح . ويضيفون الى وجوب تعقيم اصحاب الامراض والعاهات الوراثية التي تقدم ذكرها ، وجوب الحيلولة بين بعض المجرمين واخلاف النسل

وهناك طائفة اخرى من دعاة تحسين النسل، تذهب الى ان الخطر ليس من الشدَّة بحيث يصوره وجَم وهنتنغتن وستودرد . فهم يقولون ان اصحاب الامراض والعاهات المذكورة لا يزداد عددهم اكثر مما كان يزداد في الماضي ، وان زيادة عددهم في دفاتر الاحصاء ، ليست الا زيادة ظاهرة ، سببها شدة العناية الآن بفحصهم وتشخيص امراضهم وعاهاتهم والتبليغ عنها وتدوينها . ثم يتمادون فيقولون ان الحضارة الميكانيكية بحاجة الى امثال هؤلاء ليقوموا بالاعمال الآلية التي لا تحتاج الى قدح زناد الفكر

***

وقد كانت الولايات المتحدة الاميركية اسبق الامم الى سن قوانين تقضي بتعقيم المصابين بأمراض وراثية . ففي سنة ١٩٠٧ سنَّت ولاية انديانا اول قانون من هذا القبيل ، وكانت ولاية مشيغن قد حاولت سنّ مثل هذا القانون سنة ١٨٩٧ فرفض مشروعه في مجلسها النيابي . وفي اميركا الآن سبع وعشرون ولاية من ثمان واربعين ولاية سُنَّت فيها هذه القوانين ويبلغ عدد الذين عملت لهم عمليات التعقيم ودونت اسماؤهم ١٧٨٩٨ شخصاً وهناك مَن عملت لهم هذه العملية ورفضوا تدوين اسمائهم خشية بعض العقد القضائية

وتبعت الولايات المتحدة الاميركية في هذا ، ولاية البرتا — وهي احدى ولايات كندا — سنة ١٩٢٨ وبلادا الدنمارك وفنلندا ومقاطعة ڤو Vaud في سويسرا سنة ١٩٢٩ وولاية فيراكروز بالمكسيك سنة ١٩٣٢ والمانيا سنة ١٩٣٣

هذه هي الحكومات التي اصدرت تشريعاً بهذا المعنى . ولكن حكومات انكلترا والنرويج والسويد وغرب استراليا ، تعنى الآن بدراسة الموضوع توطئة للتشريع فيه

وكانت بعض المحاكم الاميركية قد حكمت بأن هذه القوانين غير دستورية ، لما كانت طريقة التعقيم محصورة في الخصي في الرجل او في ما يقابله في المرأة . فلما استنبطت طريقة جذّ الأسهر (القناة المنوية) Vascctomy في الرجل وجذّ قرن الرحم في المرأة salpingzectomy زال اعتراض المحاكم

وعملية جذّ الاسهر عملية صغيرة بسيطة تقوم على جذّ القناتين المنويتين وربطهما فيمتنع بذلك افراز النطف المنوية . اما عملية جذّ قرن الرحم فأخطر من عملية جذّ الاسهر ويحتاج فيها الى شق البطن وجذّ قناتي المبيضين وربطهما حتى يمتنع وصول البيضة من المبيض الى الرحم . والعملية الاولى تتم في نحو ١٥ دقيقة وألمها قليل والنقه منها لا يستغرق الا بضعة أيام من دون ان يحول بين الرجل وقيامه بعمله اليومي . اما العملية الثانية فتقتضي استعمال مخدّر عام وشق البطن فهي من قبيل عملية استئصال الزائدة الدودية . ولا بدّ للمرأة من ان تبقى في المستشفى تحت اشراف الطبيب والمرضة مدة عشرة أيام . ولكنهما — اي العمليتان — على كل حالٍ لا تؤثران اي تأثير غير طبيعي في حياة الرجل والمرأة من الناحية الجنسية . فحيض المرأة مثلاً لا يتأثر بهما . ولكن اذا تقدم رجل وزوجتهُ للتعقيم من تلقاءِ نفسيهما فالاطباء الاميركيون يفضلون ان تعمل العملية للرجل ، لأنها اسهل وتكفل تحقيق الغرض منها

***

يظهر من مقالات متتابعة في هذا الموضوع نشرتها مجلة السينتفك اميركان ، ان علماء تحسين النسل (اليوجنيين) مجمعون على ان المتوكلين — مثل المتعطلين عن العمل والصم والكمه — ومقترفي الآثام — امثال المتشردين والمجرمين — والمنحطين امثال العهّار الصاديين Sadist ومدمني المخدرات — والملوثين — امثال المصابين بالدرن والزهري — يجب ان لا يخضعوا لقانون التعقيم رغماً عنهم لان اصاباتهم هذه مكتسبة في الغالب لا متوارثة . ولكن هناك طائفتان من الناس اولاها طائفة المصابين بأمراض عقلية مثل المجانين ، والثانية طائفة ضعاف العقول مثل المعتوهين والبله . وقد اختلف العلماء في اسباب اصاباتهم

ومما لا ريب فيهِ ان الوصول الى رأي قاطع في الموضوع لا مندحة عنهُ لكل مشروع غرضهُ تحسين النسل عن طريق التعقيم

رأي الدكتور ادولف لورنتز
الجرّاح النمسوي المشهور

أؤمن بالتعقيم لان الواجب على الطب ان يمنع المرض ، والتعقيم وسيلة من وسائل منع المرض العقلي وغيره . واعتقد ان التعقيم يجب ان يشمل جميع اصابات الامراض العقلية ، والاصابات الوراثية من مدمني السكر والمجرمين وضعاف الاخلاق . والامل ان تصيب هذه الطريقة في المانيا نجاحاً والراجح انها تصيبه . فتنتشر بعدئذ في جميع الامم كوسيلة للتخلص من حثالة الانسانية

فمعظم علماء تحسين النسل متفقون على ان الامراض العقلية مكتسبة اكثر منها متوارثة ولكن كثرتهم تذهب الى ان الضعف العقلي متوارث اكثر منهُ مكتسب . والامر الذي يجعل الحكم في هذا الموضوع متعذراً انك قد تجد أبله مولوداً من أب وأم سويين ولكنهما يحملان في عقود كروموسوماتهما عيوب الضعف العقلي . فالخطر على المجتمع في حالة كهذه ليس الأبله — لأن الابله لبلهه قلما يخلف نسلاً لاعراض النساء عنهُ — بل الوالدان السليمان في الظاهر

اما احصاء العمليات في اميركا فيدلُّ على ان عمليات التعقيم لا تماشي الرأي العلمي السائد في في هذا الموضوع . ففي ١٥ ولاية من الولايات المتحدة الاميركية ، عملت ٩٢٦٠ عملية تعقيم اجبارية منها ٦٢٤٦ عملية لاشخاص مصابين بالجنون Insanity و ٢٩٣٨ عملية لاشخاص مصابين بضعف العقل و ٥٥ عملية لاشخاص مصابينّ بالصرع و ١٦ عملية لمجرمين و ٥ عمليات لاشخاص مصابين باضطراب الاعصاب . فيبدو من هذا الإحصاء ان العمليات التي عملت لاناس مصابين بالجنون هي ضعف العمليات التي عملت لاناس مصابين بضعف العقل ، مع ان علماء تحسين النسل مجمعون او يكادون ، على ان ضعف العقل اكثر انتقالاً بالوراثة من الجنون

***

وقبل ان نختم هذا المقال نريد ان نذكر الطريقة التي تجري عليها حكومة ولاية كاليفورنيا في تطبيق قانون التعقيم . فقانون التعقيم الكاليفورني ، يجعل عملية التعقيم اجبارية للمجانين وضعاف العقول الذين في منشآت الحكومة مثل السجون ومستشفيات الأمراض العقلية . فاذا ظهر لمدير القسم الطبي في أحد هذه المنشآت ان تعقيم احد هؤلاء مرغوب فيهِ ، حماية لهُ وللمجتمع وللذريات المقبلة ، قدَّم تقريراً في الموضوع الى القسم الصحي في حكومة الولاية ومدير قسم المنشآت كالسجون والملاجيء ، فاذا حكما بوجوب العملية وجب ذلك . ولكن في الواقع يستشار اقرب اقرباء المريض اولاً ويطلب اليهِ ان يعلن قبوله كتابةً . وقد اثبت الاختبار ان اقرباء المريض كانوا في الغالب يرحبون اشد الترحيب بالعملية ، بل كثيراً ما كانوا هم البادئين في الحث على عملها . فطريقة تنفيذ القانون الكاليفورني يجمع جمعاً عمليًّا بين عنصري الاجبار والاختيار

وعنصر الاجبار في هذه القوانين ، اصبح مبدأً قانونيًّا معترفاً بهِ في اميركا . ففي سنة ١٩٢٧ نظرت المحكمة الاميركية العليا في حكم محكمة بولاية فرجينيا فقررت ان للولاية ان تنص على مبدإ الاجبار في احوال معينة . وكتب الحكمَ القاضي الاميركيُّ المشهور اوليفر وندل هومز فقال « يكفينا ثلاثة اجيال من البله » ثم قال ان احداً لا ينازع في حق دولة من الدول ان تبذل حياة ابنائها الممتازين عقلاً وحيوية ، في الحرب، فمن المستغرب ان ينازع في حقها ان تطلب في ايام السلم من ابنائها المنحطين تضحية صغيرة في سبيل حماية الذريات المقبلة

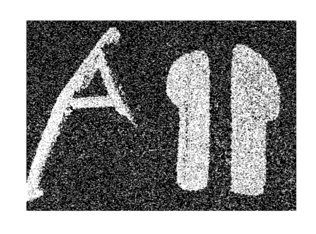

نماذج فؤوس ومدراتين في متحف فؤاد الاول الزراعي بالدقي . والاصل بدار تحف القاهرة
[تصوير الدكتور حسن كمال]

الصف العلوي : محراثان مصريان قديمان بمتحف فؤاد الاول الزراعي والاصل بدار تحف القاهرة وقد ورد وصفهما في المقال
الصف السفلي : فلاح مصري قديم يستعمل فأساً في الحقل .
بمتحف فؤاد الاول الزراعي بالدقي — تصوير الدكتور حسن كمال

نماذج لفؤوس مصرية قديمة في متحف فؤاد الاول [illegible]ي والاصل بدار تحف القاهره
[تصوير الدكتور حسن كمال]

الادوات الزراعية الفرعونية

الشادوف — الفأس — المحراث — المنجل — المدراه

للدكتور حسن كمال

﴿ الشادوف ﴾ — كثيراً ما تشاهد بالمقابر رسوم لترع توزع مياه الفيضان على الحقول وذلك بحضور السيد الذي يركب وقتئذٍ قارباً صغيراً مصنوعاً من سوق البردى . وما اكثر النقوش التي تمثل السفن النيلية ناقلة محصول الاراضي وكذلك الحيوانات على اختلاف انواعها من الحقول واليها . وعند ما يزول الفيضان يعمد الفلاح الى حراثة ارضه الرخوة التربة بالمحراث الذي تجره ثيران كما هي العادة الآن . وتمتد الترع من اقاصي الاراضي جنوباً الى نهايتها شمالاً . ومن هذه الترع تتفرع قنوات صغيرة لتوزيع المياه على اجزاء الحقول بالتساوي وفقاً لما تتطلب جغرافية الارض وتربتها

ومعلوم ان فيضان النيل يبدأ عادة في نهاية شهر مايو او بعد ذلك بقليل . وفي منتصف شهر يونيو يكون الفيضان بلغ درجة محسوسة وحينئذٍ تشاهد مياه النيل ضاربة الى الاحمرار نتيجة مزجها بالغرين الآتي من بلاد الحبشة . وبعد زوال الفيضان يخضرُّ لون المياه النيلية . واعتقد القوم وقتئذٍ في عدم صلاحيتها للشرب فكانوا يخزنون مياه الفيضان في الزلع الكبيرة لشربها زمن التحاريق . قال ارستيديس Aristides ان مصر هي الامة الفردة التي يخزن اهلها المياه ويحفظونها زمناً معيناً كما يفعل غيرها بالنبيذ

وفي اوائل شهر اغسطس تطلق المياه في الترع من النيل فتغمر الحياض . ولما كانت الاقاليم المجاورة للصحراء هي اوطأ الاقاليم منسوباً كانت المياه تغمرها اولاً بخلاف الاراضي القريبة من النيل فانها مرتفعة نسبيًّا ولذلك كانت تغمر اخيراً . وهذا الامر يشاهد فقط في الصعيد اما في الوجه البحري فان اراضيه تقع في مستوى واحد تقريباً . لذلك كانت الدلتا تغمر كلها وقت الفيضان بالمياه ما عدا المدن والقرى لان مستواها اعلى بكثير من مستوى الاراضي المجاورة . وكلما ارتفع منسوب الفيضان وغمرت المياه الاراضي زاد اهتمام القوم بنجاة بهائمهم التي في الاراضي المنخفضة كما هو مشاهد بمقابر بني حسن . وهذا المجهود وهذه العناية يتجسمان تماماً اذا ما انقطع جسر وفاضت مياه النهر فجأة واغرقت الاراضي المجاورة . وفي هذه الاحوال يشاهد القوم

واضعين ملابسهم على رؤوسهم وجاذبين اغنامهم وبهائمهم من المياه وواضعينها في السفن . وهناك مناظر اخرى يُرى فيها القوم يشدون الثيران وهي عائمة في المياه الى اقرب اكمة . واذا كان هناك زرع يمكن الانتفاع به بعد اقتلاعه عمد القوم الى ذلك وشحنوه في القوارب

والمعروف ان القطر المصري كان منذ عهد المملكة القديمة (٣٢٠٠—٢٢٧٠ ق. م.) يروى بالحياض . وهذه كان يصرف اليها ماء النيل بواسطة ترع كبيرة تحت اشراف المدير او الحاكم المحلي (راجع مقبرة رخمارا حائط A و B لوحة ١١ و ١٤ و ١٥) الذي لا يسمح بارسال الماء الاّ بعد ما يبلغ ارتفاعاً خاصًّا . وكانت المياه تصرف الى الجهات بمنتهى الحكمة والعدل وفق ما تقتضيه طبيعة ارضها ونوع زراعتها . وعند ما يهبط مستوى مياه النيل تغلق الفتحات الرئيسية لمنع تسرب المياه الى النيل بسرعة حتى تكتسب الارض اكثر ما يمكن من الغرين

اما الاراضي المرتفعة التي لا تصلها مياه النيل وقت الفيضان او التي تصلها بصعوبة فكانت تروى بواسطة الشواديف التي تصب مياهها في ترع او قنوات صغيرة موصلة الى الجهات المذكورة ويرجع استعمال الشادوف في القطر المصري الى الزمن السابق لعهد الفراعنة . ويظن البعض انه وجد مرسوماً على جدار بمقبرة بمدينة الكاب (راجع جرين وكويبل في كتاب هيركونبوليس طبعة ١٩٠٢ ج ٢ لوحة ٧٤ و ٧٥) . وقدر بعضهم مقدار المياه الممكن رفعها بهذه الآلة في الساعة الواحدة بما يتباين من ١٦٥٠ الى ٣٤٠٠ لتر (راجع كتاب Barois و Ringelmann عن الزراعة الريفية Essai d'hist. du genie rural ج ١ ص ٢٠٤) وهناك عدة طرق لري الحدائق منها تخزين المياه في حوض كبير وسط الحديقة ثم ارسال المياه منه بواسطة ميازيب صغيرة الى اجزاء الحديقة المختلفة . ومنها ايضاً نقل المياه بواسطة آنيتين معلقتين في طرفي قضيب خشبي يحمل على الكتفين الى النبات المطلوب ريه (راجع كتاب البرشة للاستاذ نيوبري لوحة ٢٦)

ويشاهد استعمال الشادوف بوضوح في جدار مقبرة (ايوي) التي يرجع تاريخها الى زمن رمسيس الثاني (١٢٩٢ — ١٢٢٥ ق. م.) وقد ورد وصفها في المجلد الخامس من سلسلة كتب بعثة العاديات الفرنسية المطبوع عام ١٨٩٤ ص ٦٠٤—٦١٢ . اما صاحب هذه المقبرة فكان حفاراً في خدمة المعبود آمون بطيبة الغربية — وفي هذه المقبرة رسمٌ لمدخل منزل هذا الموظف ويتكوّن من سلم ذي ست درجات يصل الى المدخل الرئيسي ذي العمد المتوّجة بباقة براعيم اللوطس والبردى . وتحت الاشجار يشاهد شادوفان لري الحديقة . والاشجار المذكورة تحمل ثماراً متباينة كالجميز والبرتقال ؟ وغيرها . وكل شادوف مكوّن من قضيب خشبي مثبت في ثلثه الاوسط على جدار وينتهي طرفهُ المؤخر بكتلة طينية . اما الطرف الامامي فينتهي بحبل طويل يحمل دلواً من الجلد له يدان . و الفلاح في كل حالة يقبض على الحبل بيديه . وبذلك يمكنهُ ان يؤدي حركة الملء والتفريغ باستمرار وهو واقف من دون ان يناله تعب . وذلك بحركة الموازنة بين الثقلين

بطرفي القضيب . وهناك شادوفان آخران مقابلان للسابقين . وعلى ذلك تكون حديقة ابوى المذكورة فسيحة لانها تطلبت شواديف اربعة أنفار للقيام بريها

وعلى اثر زوال الفيضان السنوي عن الاراضي تشاهد أعشاب نامية وأيضاً بعض النباتات الوحشية آخذة في الظهور في عدة جهات من الحقول . كذلك تلاحظ أحجار قذفتها مياه النيل وقت غمرها الاراضي . لذلك تجد الفلاح المصري من أقدم العصور يهتم باستئصال هذه الاعشاب والنباتات وازالة الاحجار من حقله قبل الشروع في زرعه . واذا لاحظنا ان تعداد القطر المصري كان يقرب في عهد الفراعنة من الستة ملايين نسمة وان القطر كان يورد لممالك البحر الأبيض المتوسط القمح الكثير امكننا ان نستنتج شدة عناية المصريين بتحويل اراضي الوادي الى حقول زراعية

وتشاهد في مقبرة (نخت) بالاقصر مناظر لفلاح يستأصل بفأس خشبية النباتات النابتة على حافة النهر كما أورد (لبسيوس) في الدنكمار ج ٢ لوحة ١٠٧ من زاوية المتين رسماً لفلاح قديم يبعد الاحجار عن طريق المحراث بواسطة عصاة طويلة

﴿ الفأس ﴾ حافظ الخط الهيرغليفي على رسم الفأس القديمة كحرف هجائي مركب مدى التاريخ . واستعمل المصريون في عهد الاسر الاولى الفؤوس في الفلاحة والهدم . وكانوا اذا قرر أحد ملوكهم تشييد معبد قبض على فأس واشترك في العمل . ومنذ مبدأ التاريخ المصري القديم (٣٤٠٠ ق.م) حتى العهد الصاوي (٦٦٣—٥٢٥ ق. م) كانت الفأس تتركب من قطعتين خشبيتين غير متساويتي الطول . وكانت احدى هاتين القطعتين تستعمل يداً وهي مستقيمة واقصر من القطعة الاخرى المستعملة أداة للحفر . ويختلف طول القطعتين طبعاً باختلاف طول صاحبهما . لكن متوسط طول اليد يبلغ خمسين سنتمتراً . ومتوسط طول الحد سبعين سنتمتراً . ويلاحظ في الحد انهُ مقوّس قليلاً وانه تارة مدبّب واخرى مفرطح وطوراً مفرطح ومشعب في آن واحد

ويثبت الحد في اليد بالحفر الخشبي او بوثاق او قضبان خشبية . وقد اتضح ان الفؤوس صنعت من المعدن منذ عهد الاسرة الخامسة (٢٥٦٠ — ٢٤٢٠ ق . م) (راجع كتاب العدد والاسلحة للاستاذ بتري لوحة ١٩ رسم ١٣) . وفي عهد الأسرة الثامنة عشرة (١٥٥٥ — ١٣٥٠ ق . م) وبالاخص بمقبرة (نخت) و (اوسركاسنب) و (شامته) يظهر ان الفؤوس كانت تصنع من المعدن واستمرّ القوم يستعملون الفأس الخشبية طول مدة التاريخ القديم وزودوا بها تماثيلهم الصغيرة التي كانوا يضعونها مع موتاهم لعمل الفلاحة اللازمة لهم في الدار الآخرة . وفي عهد الامبراطورية الحديثة (١٥٥٥ — ٧١٢ ق . م) غير البناؤون والنجارون شكل الفأس فجعلوا احياناً القطعتين متساويتين طولاً واحياناً جعلوا اليد اطول من السلاح . والفأس المدببة كانت تستعمل في حفر الاراضي الصلبة . اما المفرطحة فكانت تستعمل في حفر الارض الرطبة وتنظيف الترع

وقد سبق ان اوردنا رسماً لأحد ملوك مصر الاول يحتفل بحفر قناة مستعملاً الفأس الخشبية المدببة (عن كوبيل هيرا كونبوليس ج ١ لوحة ٢٦) . وهناك لوح اردوازي يرجع تاريخه الى اكثر من ٣٤٠٠ ق.م وقد نُقش عليه ملك مصر مرموزاً له بحيوانات وألوية مختلفة قابضاً على فأس يهدم بها قلاع الاعداء . واورد الاستاذ بتري رسماً في كتابهِ عن المقابر الملكية للاسرة الاولى جزء أول لفأس يظهر منها انها خشبية ويشاهد فيها تساوي اليد والحد طولاً وتثبيتهما احدهما في الآخر بطريقة الحفر وبقضيب خشبي . وهذا القضيب كان يستبدل احياناً بوثاق . واورد ولكنسون في كتابه عن عادات قدماء المصريين واخلاقهم ج ٢ ص ٢٥٢ رسماً لفأسين خشبيتين تستعملان لحفر الأرض الرطبة سلاحهما مصنوع على شكل الجرفة وهو اطول من اليد ومثبت بالحفر الخشبي وبوثاق وهذا الاخير يطوّق احد الاسلحة ويخترق الآخر . والفؤوس الخشبية الواردة بالدنكايلر ج ٢ لوحة ١٢٧ التي يرجع تاريخها الى الاسرة الثانية عشرة (٢٠٠٠ — ١٧٩٠ ق . م) يشاهد فيهـا قصر اليد وتقوّس السلاح الواضح ودبدبة نهايته وتثبيته في اليد بوثاق . وورد بمقبرة تحت بالاقصر رسم لفأس كانت تستعمل لاستئصال الاعشاب وهي خشبية مقوّسة اليد في موضعين وهي اطول من السلاح . وقد وردت للقارىء رسوماً لعدة فؤوس محفوظة بدار تحف القـاهرة وعمل منهـا نماذج لمتحف فؤاد الاول الزراعي لما كنت قائماً بانشاء قسم الزراعة المصرية القديمة هناك . وعددها خمسة يشاهد فيها تباين طول اليد والسلاح وطرق تثبيت الاثنين في بعضهما واستعمال الحبل وثاقاً واحياناً القضيب الخشبي بدله . اما طريقة استعمال هذه الفؤوس فقد وردت في كثير من المقابر مرسومة بوضوح . وقد سبق ان اوردت رسماً لتمثال لفلاح مصري قديم قابضاً على فأسهِ ورجلاهُ غائرتان في الطين وهو قائم بعملية حفر الارض

﴿ المحراث ﴾ واصلاً فأس كبيرة . وقد نسب المصريون الى معبودهم (ازوريس) طريقـة استعمال المحراث في الفلاحة . ولا يبعد ان المحراث كان يجرّ في بادىء الامر بالعمال دون الثيران لبساطتهِ وخفتهِ وقتئذٍ . واول ما ظهر المحراث في شكلهِ المعروف كان بجهة ميدوم (أسرة ثالثـة ٢٧٨٠ — ٢٧٢٠ ق.م) (راجع كتاب بتري عن ميدوم لوحة ١٨) وهناك لوحظ انهُ يجر بواسطة الثيران

اما كيفية اشتقاق المحراث من الفأس فتتلخص فيما يلي : زيد في طول يد الفأس حتى بلغت الثلاثة امتار تقريباً وصار (نافاً) واستعيض من الوثاق تدريجاً بوصلات خشبية في نفس الموضع . فنتج عن ذلك ان السلاح صار اقصر كثيراً من الناف

وللتمكن من ارسال سلاح المحراث في باطن الارض صنع لهُ يدان يضغط بهما الفلاح . وهاتان اليدان تتغيران باستمرار على مدى التاريخ في شكلهما وارتفاعهما ومقدار ميلهما وطريقة وصلهما مع الناف . وقد يستغنى عن احداهما ويكتفى بواحدة . وتقدمت صناعة المحاريث منذ عهد المملكة الوسطى (٢١٠٠ — ١٧٠٠ ق . م) فصار السلاح ضخماً وثقيلاً . ولا يبعد انهُ كان يصنع وقتئذٍ من حجر

الظرّ او المعدن لكن لم نتأكد للآن من تاريخ العهد الذي ظهرت فيه صناعة المحاريث المعدنية بالقطر المصري كما اننا لم نتأكد من نوع المعدن وهل كان حديداً او برنزاً

وفي عهد الامبراطورية الحديثة (١٥٥٥ — ٧١٢ ق . م) ازداد اليدان طولاً ووصلتا بعدة قضبان خشبية وزاد ثقل المحراث فصار قادراً على الغور الى مسافة أبعد في جوف الارض بسهولة

اما النـاف فينتهي اماماً بقضيب خشبي مستعرض يثبت في قرون الثيران بوثاق . وقد اوردت للقارىء هنا صورتين لمحراثين صغيرين محفوظين بدار تحف القاهرة . وقد عمل انموذجان لهما عندما انشأت قسم الزراعة المصرية القديمة بمتحف فؤاد الاول الزراعي وهما يمثلان نوعي المحراث الخفيف الذي يتولى استعماله رجل واحد والثقيل الذي يتطلب استعماله رجلين . والانموذجان يمثلان بوضوح عملية الحرث التي لم يعترها تبديل ولا تغيير منذ اقدم العصور التاريخية المعروفة الى الآن

واوردت ايضاً رسماً لمحراث وجد منقوشاً على آثار بسقارة يرجع تاريخهُ الى عهد الامبراطورية الحديثة وهو يمثل النوع الثقيل الطويل اليدين الصلب التركيب وقد بلغ اليدان خاصرة الفلاح القائم بعملية الحرث . وهذا النقش عمل منهُ ايضاً انموذج واودع متحف فؤاد الاول الزراعي بالدقي بالجيزة

واورد الاستاذ بتري في كتابه عن ميدوم رسماً لمحراث خشبي خفيف من الاسرة الثالثة (٢٧٨٠ — ٢٧٢٠ ق.م.) لهُ يدان يضغط بهما الفلاح لارسال السلاح في جوف الارض والسلاح مثبت بقضيب خشبي كي لاينفصل وقت الحرث . واورد الاستاذ نيوبري في كتابه عن البرشة ج ١ لوحة ٣١ رسماً لمحراث من الاسرة الثانية عشرة (٢٠٠٠—١٧٩٠ ق.م) لهُ يدان تكوّنان مع السلاح زاوية تقرب من ٩٠° . واليدان مثبتتان احداهما في الاخرى بوثاق مستعرض. اما السلاح فمثبت بحبل مع اليدين وباقي المحراث بوثاق وينتهي بحدّ مدبّب يظهر من شكله انه معدني المادة . واورد الاستاذ روزليني في مذكراته ج ٢ لوحة ٣٢ رسماً لمحراث طويل السلاح مرتفع اليدين تنتهيان بقوّس افقي بهيئة مقبضين . ويظهر عليه انه معدني السلاح وان يديه ونافه مثبتان فيه . واورد الاستاذان تيلور وجريفث في كتابهما عن بقرة پاحرى لوحة ٣ رسوم لمحراث من الاسرة الثانية عشرة (١٥٥٥ — ١٣٥٠ ق.م.) من مدينة الكاب نافهُ مثبت في سلاحه بقضيب خشبي . ولهُ يد واحدة طويلة تستعمل للتوجيه والضغط عند اللزوم

﴿ المنجل ﴾ ذكر المسيو ده مرجان في (Recherches I ص ١٣٢) انه يستحيل التمييز بين مناجل العصر الحجري ومناشيره . والمعروف ان المنـاشير في العهد الاول كانت تستعمل في قطع الاخشاب والعظام ثم استعملت بعد ذلك في الحصاد . وقد عثر الاستاذ بتري (راجع كتابه عن كاهون وجوروب والهوارة لوحة ٧ شكل ٢٧ ولوحة ٩) على منجل من عهد الاسرة الثانية عشرة (٢٠٠٠—١٧٩٠ ق م.) لهُ حدّ مسنّن مصنوع من الظرّ ومنزّل في دائر خشبي

ويستعمل المنجل في الخط الهيرغليفي كحرف مركب ، لكن كتّاب العصور الاولى لا تميز في

كتاباتهم اجزاءه بوضوح ولا حتى المواد المصنوعة منها. اما نقوش ميدوم الملونة (الاسرة الثالثة ٢٧٨٠ — ٢٧٢٠ ق . م.) فتظهر بوضوح اجزاء المنجل . فيلاحظ ان اليد وبعض السلاح ملونان بلون اخضر . اما السلاح المصنوع من الظرّ فلوّن بلون ابيض ويُرى بارزاً من الجزء الكاسي له واستمرت هذه الآلة ترسم بهذه الصفة في الخط الهيروغليفي في عهد الاسرة الخامسة (مقبرة تي) والاسرة الثانية عشر (مقابر بني حسن) . اما النقوش التي يرجع تاريخها الى العهد الاخير فلم يوضَّح بها بالدقة اجزاء هذه الآلة حتى تعذر معرفة اليد من السلاح بالتأكيد (الدنكمايلر ج ٢ — ٩) ولا يمكن الحكم بالضبط على العهد الذي ظهر فيه المنجل المعدني بمصر . وثمة في دار تحف اللوفر منجل بحد حديدي . اما المنجل المعدني المحفوظ الآن بدار تحف (جيميه) بباريس فقد عثر عليه بالدير البحري وهو مكوّن من حد حديدي ويد مصنوعة من خشب الجميز (راجع كتاب الزراعة المصرية القديمة لهارتمان ص ٨٣)

وتتلخص طريقة استعمال المنجل فيما يلي : يقبض الفلاح على جملة من سيقان القمح ويقطعها اسفل السنابل بمنجل بيده اليسرى . وهذه الطريقة بقيت مرعية على مدى تاريخ مصر القديم

ورسم المنجل الوارد في الخط الهيروغليفي من عهد الاسرة الاولى (حوالي ٣٠٠٠ ق . م .) غير واضح الاجزاء (راجع كتاب المقابر الملكية للاسرة الاولى للاستاذ بتري جزء ١ لوحة ٢٥ شكل ٥٣ — ٦ : و ج ٢ لوحة ٢٠ و ٢٤)

وتختلف رسوم المناجل القديمة على مدى العصور في اجزائها المتباينة . فالسلاح يكون احياناً ماضياً وطوراً مسنناً . ومرة مستقيماً واخرى مقوّساً . ودرجة الزاوية التي بين السلاح ويد المنجل غير ثابتة الانفراج

﴿ المدراة ﴾ — في دار تحف القاهرة قطعتان خشبيتان يقبض على كل منهما بيد وتقربان احداها من الاخرى فينتج من ذلك مسطح تقذف بواسطته الحبوب الى اعلى ثم تفصل اليدان فتسقط الحبوب الى الارض ويقذف الهواء القش والقاذورات بعيداً كما هي الحال الآن . وهذه القطع الخشبية عمل مثلها لمتحف فؤاد الاول الزراعي لما تمت بانشاء قسم الزراعة القديمة فيه وهي مصورة في الشكل المرفق بهذه المقالة. وهناك مدراة طويلة اليد مشعبة النهاية كالمستعملة الآن كانت تستعمل ايضاً من عهد المملكة القديمة كما هو واضح في لوحة من قبر بدار تحف القاهرة

﴿ البلطة ﴾ — اخذت البلطة تتحسن تدريجاً في الزمن السابق للعهد الحجري وفي العهد الحجري ايضاً حتى عهد الاسر الاولى حيث ذكر المسيو ده مرجان رسماً لبلطة على اسطوانات العرابة سلاحها الحجري منزل في يد خشبية [١] . وكان السلاح حينذاك مثبتاً في اليد بواسطة ثقب صغير اسفل السلاح [٢] . وهذه الثقوب تشاهد كثيراً في بلط وادي النيل والقصد منها تثبيت السلاح

(1) De Morgan Recherches t. II p. 241 fig. (2) Même Oeuvre t. II p. 75

في اليد وزيادة في هذا التثبيت ومنعاً لكسر اليد استعمل القوم على تثبيت هذين الجزئين بواسطة اوثقة جلدية. ويلاحظ في البلطة الحاملة لاسم الملك تحوتمس الثالث ان سلاحها مصنوع من البرنز على الشكل المتبع في الأسرتين الأوليين وكانت تستعمل في اوقات العبادة على روح هذا الملك العظيم فقط[1]

وفي زمن الاسرة الثالثة ظهر رسم البلطة في الخط الهيرغليفي بشكل يتبين منهُ ان السلاح كان يصنع من المعدن (النحاس او البرنز) كما يستدل عليهِ من اللون الاصفر او الرمادي الضارب الى الخضرة[2]

وفي عهد الاسرتين الحادية عشرة والثانية عشرة بلغت صناعة البلط حد الكمال من حيث تثبيت السلاح في اليد. فالبلط التي عثر عليها جهة رفح[3] تتكوَّن من سلاح مستدير تقريباً وطرفاه (أو طرف واحد احياناً) ينتهي بخطاف وبين هاتين الطرفين تشاهد عدة ثقوب (اربعة أو خمسة) لوضع اوتاد خشبية فيها لتثبيت اليد

ومنذ الاسر الاولى حتى العهد الصاوي استعمل الحَطَّاب البلطة ذات الحد المستدير (بتاح حوتب ج ١ لوحة ٣ . البرشة ج ١ لوحة ١٣) واليد المستقيمة او المقوَّسة يسيراً وذلك وقت قطع الاشجار في اثناء تهيئة الحقول للفلاحة

﴿ المدية ﴾ — ان اقدم المدى المصرية هي المصنوعة من حجر الظرّ . وقد اعتنى القوم بصناعة هذه الآلة كثيراً . فكانوا بعد ما يقطعون من الحجر القطعة المراد صنعها مدية يبدأون في نحت الحد القاطع على عدة دفعات حتى يصير ماضياً جهد الطاقة (راجع كتاب نقادة والبلاص للاستاذين بتري وكويبل ١٨٩٦ لوحة ٧٦). ثم كسا القوم الجزء الآخر من المدية بالمعادن كالنحاس وجعلوا منه يداً لهذا السلاح[4] . والخط الهيرغليفي في مبدئه يظهر المدية كاملة التركيب . فعلى شاهد قبر (جابيوسوكارى) رسم لاشارة هيرغليفية تمثل مدية ذات يد خشبية او معدنية[5] . وفي مقبرة بتاح حوتب (ج ١ لوحة ١٣ رقم ٢٧٣) يشاهد رسم للمدية المصرية القديمة ذات اليد الخشبية . واخيراً عثر على مدية من هذا النوع (راجع كتاب الآلات والاسلحة لبترى ١٩١٧ لوحة ٢٤ رقم ٣٥ ، ٣٦) . لكن بالرغم من كل هذه التحسينات بقيت المدية الحجرية مستعملة على الدوام في الحفلات الدينية

﴿ ادوات اخرى ﴾ وهناك ادوات اخرى كان يستعملها الفلاح في معيشتهِ كالامشاط التي كان يفصل بها خيوط الكتان والمطارق والمدراة البسيطة والمشعبة والمكنسة المصنوعة من القش والغربال والعصي وغير ذلك . (وجميع هذه الادوات ذكرتها Jane Ellen Harrison في مجلة The Journal of Hellenic Studies ج ٢٤ سنة ١٩٠٤ ص ٢٤١ — ٢٥٤)

---

(1) Maspero. Hist. Ancienne t I p. 60 fig. Birch Cat. of Collect. of Egyp. Antiq. at Alnwick Castle London 1880 pl. B No 1482
(2) Medum pl. 10, 13, 14. (3) Petrie Gizeh & Rifeh 1907 pl. 3 No 108-113
(4) Capart Les debuts de l'art en Egypte p 68 fig.
(5) Weill, Les orig. de l'Egypte pharaon. p 247

استدراك على معجم الحيوان

وبحث علمي طريف

بقلم الفريق امين باشا المعلوف

— ٤ —

لما نشرت معجم الحيوان سنة ١٩٠٨ وما بعدها ثم في طبعتهِ الأخيرة سنة ١٩٣٢ كنت اكتب للخاصة الذين يعرفون شيئاً عن هـذا العلم . ثم رأيت الآن ان اشرح اموراً ظننتها واضحة في أول الامر فاذا هي غامضة على بعضهم منها ما يلي فقد قلت في الصفحة ٩٣ ما يأتي :

فصيلة السعالي Pongiidae

قرود شبيهة بالانسان منها الغورلّى اي الغول والبعـّام والسعلاة والشِق . انظر ص ١٩ و ٢١ و ١١٥ من هذا المعجم . انتهى

وقولي هذا المعجم يراد بهِ معجم الحيوان . أما سبب تسميتي لهذه الفصيلة باسمها العلمي هذا فمن الكتاب الآتي وقد ذكرته بين أسانيدي وهو من أحدث الكتب وأوسعها في المقدّمات وهي الرتبة العليا من رتب الحيوان والكتاب هو

Elliot, A. Daniel. A Review of the Primates, New York 1912

فقد جاء ذكر هذه الفصيلة بهذا الاسم في المجلد الثالث ص ١٨١ وفي الحاشية ما ترجمتهُ :

« لما كان نموذج القرود المعروفة باسم سيميا هو قرد المغرب فان سيمييدا لا يمكن ان يتخذ اسماً لفصيلة القرود العظيمة . ولما كانت كلمة بُنجو اقدم اسم جنسي اقترح لهذا الحيوان فانهُ ينبغي اتخاذه اسماً للفصيلة لذلك كانت كلمة بنجييدا الاسم الصواب » . انتهى والترجمة حرفية

ثم بحث الدكتور اليوت في ص ١٧٢ في قرد المغرب وناقش العلماء في صحة هذه التسمية مما لا حاجة الى الاسهاب فيهِ . ولا يخفى ان اسم الفصيلة Family مأخوذ من اسم الجنس النموذجي لذلك يقال فصيلة البشر من « هومو » اللاتينية اي الانسان في آخرها لاحقة من أصل يوناني فتصير هومينيدا وترجمتها ابناء الناس اي البشر وهذه اللاحقة معناها في الاصل ابن كما قال اليونان جفنيد وعباسيد اي ابن جفنة وابن العباس وعند المحدثين فيليبذس وقسطنطينيذس ابن فيليب

وابن قسطنطين وعند العرب في اسماء الحيوان ابن كقولهم ابن آوى وابن عرس والجمع بنات على ما هو مشهور . وهذا الاستعمال اصطلاح حديث جرى عليه العلماء وهو في الاصل قديم في اليونانية كما تقدم في قولهم ابن جفنة وابن العباس فيجب ان يكون الاصطلاح العربي كما هو عند العلماء اي يؤخذ الاسم الجنسي وتصاغ الفصيلة منهُ فيقال فصيلة البشر وفصيلة السراعيب وفصيلة الابل وفصيلة الايائل وفصيلة الدعاسيق من اسم الجنس وهو الانسان والبعير والايّل والدعسوقة على الطيء والنشر ومثل ذلك فصيلة السنانير وفصيلة الكلاب وهلمَّ جرًّا . اي ان الفصيلة ينبغي ان تكون باسم الجنس النموذجي او اقدم جنس وضعه علماء الحيوان فان أقدم جنس من هذه الفصيلة اي بنجبيدا هو الجنس المعروف باسم بنجو فيكون من الطبيعي ان تسمى هذه الفصيلة باسم بنجبيدا كما اثبت الدكتور اليوت. ثم ان بعض العلماء منهم ليناوس سموا هذا القرد باسم سيميا ومعناه القرد وسموا هذا القرد عينه سيميا ساتيرس اي القرد ساتيرس ومعنى ساتيرس كما بينت في معجم الحيوان ص١٥ وما بعدها السعير او السعلاة وكان الهاً عبده اسلافنا ففضلت السعلاة أي جريت على تسمية العلماء ومن شاء زيادة ايضاح في ذلك فليراجع ما كتبه بلنيوس وما جاء في اساطير اليونان عن ساتيرس وما كتبه علماء التوراة في كلمة ساتيرس لانهُ كان الهاً عبده الساميون . فلو كان اسم هذا القرد عفريتاً لكانت القاعدة ان تسمى الفصيلة فصيلة العفاريت ولو كان ملاكاً فصيلة الملائكة اي ان الفصيلة يجب ان تسمى باسم هذا القرد عينه لا باسم قرد آخر

***

هذا وقد ثبت اخيراً ان علماء الحيوان قد اخذوا برأي الدكتور اليوت اي بعد مضي عشرين سنة او اقل من ذلك فقد اطلعت على كتاب في اللبونات جمعه الميجر فلور لجمعية الحيوان البريطانية وهو عضو فيها والكتاب آخر كتاب تعتمد عليه الجمعية في اسماء الحيوان وهو مطبوع سنة ١٩٣٠ اي انهُ احدث من كل كتاب آخر في تصنيف الحيوان والأسماء المعتمدة في بريطانية واميركة وقد جاء فيهِ ذكر هذه الفصيلة بهذا الاسم العلمي اي بنجبيدا ونبذ الاسم القديم اي سيمييدا مع الاشارة اليهِ بين قوسين في قوله ان بنجبيدا هو سيمييدا عند بعض المؤلفين اي ان جمعية الحيوان البريطانية اتبعت في ذلك تسمية الدكتور اليوت الاميركي فالعلماء لا يبالون بصغار الامور كما يفعل بعض المشارقة في ايامنا فلا يقول الواحد منهم مثلاً هذهِ كلمة وضعها كوفي او بصري او عربي او فارسي او عراقي او سوري او مصري وينبغي ان ارفضها او اغير فيها بعض التغيير او التحذلق فيها بعض الحذلقة لان واضعها ليس من قومي بل يقولون كما قال النبي الكريم اطلبوا العلم ولو بالصين الى آخر الحديث . فالميجر فلور الانكليزي وعلى شدة تعصب الانكليز لقومهم قبل التسمية التي وضعها الدكتور اليوت الاميركي اللعين وقبلتها جمعيته البريطانية الانكليزية لانها صواب

ومما يسرني ان صديقي الاستاذ اسمعيل مظهر جرى على مذهب كبار العلماء فنبذ كلمة قسم لانها خطأ وكان يقولها قبلاً وقبل كلمة قبيلة وكان قبلاً يقول القبيل لان القبيلة اصلح او لعلهُ اصابه ما اصابني فجمع القبيل على قُبُل فانصرف ذهنه الى المفرد ونقيضهِ كما انصرف ذهن صفي الدين الحلي فنظم فيه شعراً اي صفي الدين يعده ارباب الفن من جيد الشعر . واملي كبير ان الصديق المحقق يقبل اصطلاحات اخرى متى وجدها صواباً فيكون عمله هذا قدوة نحتذيها

***

انتهت المداعبة الى اجل . قلت وقد اخطأت في الشقوق وجعلتها في معجم الحيوان من فصيلة السعالي وكان يجب اخراجها وجعلها فصيلة على حدة كما فعل الميجر فلور في كتاب اللبونات المشار اليه والميجر فلور كما لا يخفى كان مديراً لحدائق الحيوان في مصر وهو مواليدي مشهور كذلك ابوه قبله . اما الفصيلة التي وضع فيها الشقوق فهي الفصيلة الآتية

فصيلة الطافرات في الشجر وهي الشقوق او الجبابين Hylobatidae. The Gibbons.

والواحد جبُّون

الطافرات في الشجر فصيلة من مرتبة اى ردف رتبة البشريات وهي اي الفصيلة تشمل الشقوق على أنواعها والكلمة يونانية الاصل في صيغة لاتينية ومعناها الماشيات في الشجر وربما كان قولنا الطافرات في الشجر اصلح منها لانها اكثر ما ترى في الشجر تطفر فيه من غصن الى آخر . اما قولي الشِق بمعنى الجبُّون فقد ذكرته في معجم الحيوان ص ١٥ وذكرت السبب الذي دفعني الى تسميته بهذا الاسم . وقد قلت البشريات ترجمة لكلمة انتروبويديا كما قال الاستاذ اسمعيل مظهر لا كما كنت اقول قبلاً لان البشريات اصلح

وايضاحاً لما تقدم أقول :

رتبة المقدَّمات Primates

هي رتبة من طائفة اللبونات تشمل مرتبتين البشريات والشبحيات

مرتبة او ردف رتبة البشريات وهي تشمل البشر وجميع القرود Anthropoidea

مرتبة او ردف رتبة الشبحيات وهي تشمل الهوابر على أنواعها Lemuroidea

اما أشباه البشر ففصيلتان وقد تقدم ذكرهما فهاتان الفصيلتان يقال لهما الاشباه او اشباه البشر فلو خصصنا الفصيلة الواحدة بالاشباه فبماذا نسمي الفصيلة الثانية . هذه هي المسألة الدقيقة لذلك أرى ان خير الامور هو اتباع العلماء في تصنيف الحيوان لاننا اذا تصرفنا في التصنيف فان المسألة تصير فوضى او نزيدها عرقلة

العنصر الثالث والتسعون

كشف طبيعي خطير

تختلف العناصر في وزنها الذري (Atomic weight) من الايدروجين (وزنه الذري واحد) الى الاورانيوم (وزنهُ الذري ٢٣٨) وتختلف كذلك في خواصها الطبيعية والكيماوية . فبعضها غازي كالاكسجين والايدروجين والنتروجين والكلور وبعضها سائل في الاحوال العادية كالزئبق والبروم ، والباقي جامد كالذهب والفضة والكربون والفصفور . بعض المعادن صلب قاسٍ كالبلاتين والاريديوم وبعضها لين كالصوديوم والبوتاسيوم . الليثيوم معدن خفيف يطفو على سطح الماء مع ان الاسميوم معدن يفوق وزنه النوعي specific gravity وزن الماء النوعي اثنين وعشرين ضعفاً ونصف ضعف . ثم ان هذه العناصر تختلف لوناً . فالنحاس احمر والذهب اصفر واليود رمادي قاتم والفصفور ابيض . وبعض الفلزات كالنيكل يصقل حتى يخطف البصر بلمعانه ، وبعضها يمكن صقله ولكنه يظل مكمدًّا فلا يلمع . الذهب لا يكمدُ عند تعريضه للهواء وأما الحديد فيصدأ وأما اليود فيتصعد . وبعض هذه العناصر يتحد بذرة واحدة من الاكسجين وبعضها بذرتين وبعضها بثلاث ذرات . ومنها طائفــة قليلة كالبوتاسيوم والفلور شديدة الفعل يصعب تناولها بالانامل ومنها عناصر لا يطرأ عليها تغيير ما طال الزمن . تبايُن في الصفات والخواص يحيّـر اللبّ ! ولكن العناصر مع ذلك لا تخرج عن كونها اثنين وتسعين عنصراً ، من الايدروجين ورقمه الذري atomic number واحد الى الاورانيوم ورقمه الذري اثنان وتسعون

فما هو السرُّ في ترتيب العناصر ترتيباً عدديًّا صاعداً من ١ الى ٩٢ يتفق وتدرجها في الوزن ؟ ظل هذا السؤال من دون جواب ، حتى قام موزلي قبيل الحرب بمباحثه الخالدة ، فبيَّن الصلة بين هذه الارقام الذرية وعدد الكهارب في كل ذرة من الذرات او بالحري بعدد الكهارب حول كل نواة منها

فقد كانت الذرة في نظر علماء عصره ، مبنية من نواة حولها كهارب . وكانت النواة في رأيهم مبنية من كهارب وبروتونات ، ولكن عدد البروتونات فيهـا يفوق عدد الكهارب اي ان عدد الشحنات الموجبة في النواة يفوق عدد الشحنات السالبة . واذن فلا بدّ ان يكون حول النواة عدد من الكهارب يقابل عدد البروتونات الفائض في النواة

وعلى ذلك كانت ذرة الايدروجين — وهو أبسط العناصر وأخفُّها — مبنية من نواة فيها بروتون واحد وحولها كهرب واحد . والهليوم يلي الايدروجين . ورقم الهليوم الذري ٢ فما الصلة بين هذا الرقم وبناء ذرته . ان النواة في ذرة الهليوم مبنية من اربعة بروتونات وكهربين . اي ان الشحنات الموجبة فيها تزيد شحنتين على الشحنات السالبة . واذن فالذرة تحتاج الى كهربين حول النواة لتعديل فعل البروتونين . واذن فرقم الهليوم الذري يتفق وعدد الكهارب التي حول النواة . اما الاورانيوم فهو أثقل العناصر وعددهُ بينها ٩٢ ورقمهُ الذرى ٩٢ كذلك . فهل ثمة صلة بين رقمه الذرّي وعدد

الكهارب حول نواتهِ كالصلة بين رقم الهليوم الذري والكهربين اللذين حول نواتهِ ؟ ان نواة ذرة الاورانيوم مبنية من ٢٣٨ بروتوناً و ١٤٦ كهرباً فعدد البروتونات الذي يفيض على عدد الكهارب في نواة الاورانيوم ٩٢ بروتوناً فهي تحتاج الى ٩٢ كهرباً لتعديلها واذن فرقم الاورانيوم الذرّي متفق وعدد الكهارب حول نواتهِ . وقد تغيَّر الآن النظر في بناءِ النواة ، ولكن ذلك لم يغيِّر الصلة بين الرقم الذرّي وعدد الالكترونات التي حول النواة في كل ذرّة من كل عنصر

هذا البناء يعلل فعل الاشعاع . ان ذرات العناصر الثقيلة غير مستقرّة البناءِ فتنحلُّ الى ذرات عناصر أخف منها وفي خلال انحلالها تطلق نواها بعض الدقائق . فالاورانيوم يتحوّل مثلاً الى راديوم . والراديوم يتحوّل الى رصاص فتنطلق منهُ في خلال هذا التحول دقائق الفا (وهي نوى عنصر الهليوم) ودقائق بيتا (وهي كهارب) واشعة غما (وهي من قبيل الاشعة السينية) ولكنها أشدُّ اختراقاً منها للمواد

أفلا يوجد عنصر أثقل من الاورانيوم ؟ أي ألا يمكن ان يكون عدد العناصر اكبر من ٩٢ عنصراً ؟ كان الرأي انهُ لا يمكن ان يوجد عنصر أثقل من الاورانيوم لانهُ اذا وجد انحلَّ لساعتهِ ، إذ لا بدَّ ان تكون ذرتهُ أقلُّ استقراراً في بنائها من ذرة الاورانيوم . ولكن المباحث النظرية التي قام بها جينز وادنغتن وغيرهما حملتهم على القول بأنهُ اذا لم تكن الاحوال على الأرض مواتية لوجود عنصر أثقل من الاورانيوم فالراجح ان في قلب النجوم عناصر مشعة لا يقابل بها الاورانيوم والراديوم وقد ذهب ادنغتن الى ان عدد العناصر هو ١٣٦ عنصراً على الاكثر

وفي اوائل هذه السنة كشف الاستاذ جوليو الفرنسي وقرينتهُ (وهي ابنة مدام كوري) ان في الامكان احداث اشعاع وقتي في بعض العناصر غير المشعة باطلاق هليومات (اي نوى ذرات الهليوم) عليها فأطلقا هذه الهليومات على عناصر البور والمغنيسيوم والالومنيوم فنشأ منها اشكال مشعة — ولكن اشعاعها وقتيٌّ — من عناصر النتروجين والسلكون والفصفور . وما لبثت مباحث جوليو وقرينتهِ حتى تأيدت نتائجها بنتائج التجارب التي أجريت في جامعتي كمبردج وكاليفورنيا . ولكن الباحثين في انكلترا استعملوا البروتونات بدلاً من الهليومات وفي كاليفورنيا استعملوا الدوتونات (نوى الايدروجين الثقيل) وكان الغالب في تجارب هؤلاء العلماء ان اطلقوا مقذوفاتهم على بعض العناصر الخفيفة . ولكن فرمي — وهو عالم ايطالي شاب في الثانية والثلاثين من عمره — اطلق النوترونات على العناصر الثقيلة ومنها الاورانيوم أثقل العناصر على الاطلاق ، فتكوَّن لديهِ عنصر اثقل من الاورانيوم دعاه بعضهم « سوبر اورانيوم » — اى فوق الاورانيوم — واطلق عليهِ غيرهم « العنصر الثالث والتسعين » والظاهر ان النوترون الذي يطلق على الاورانيوم ينقسم الى قسمين عند اصطدامهِ بالذّرة فيندمج البروتون بنواة الذرّة فيزداد وزنها الى ٩٣ وينطلق كهربهُ ولكن هذا العنصر غير مستقر كما يتوقَّع فلا يكاد يتكوَّن حتى ينحلّ

اخونا سليم

لما توفي شاهين بك مكاريوس سنة ١٩١٠ نعاهُ الدكتور صرُّوف — رحمة الله عليهما — في المقطم بعنوان « اخونا شاهين » فقال : — « اصبحنا نحن الثلاثة اصحاب هذه الجريدة اشبه الناس في اعتبار الجمهور بالشخص الواحد ، منا بثلاثة اشخاص . فكم من كتاب يأتينا كلَّ يومٍ معنوناً باسم « الدكتور صرُّوف نمر » او باسم « نمر مكاريوس » كأنَّ لا فرق في اعتبار الكاتب بين يعقوب صرُّوف ، وفارس نمر ، وشاهين مكاريوس . وكثيرون من الذين يفرقون بيننا ويعلمون اننا ثلثة لا واحد ، يحسبوننا ثلثة اخوة ابناءَ اب واحد وام واحدة ويظهرون من العجب والدهشة ما لا يوصف ، كلما علموا اننا ثلثة رفقاءٍ لا قرابة بينهم ولا نسب . . . »

تآخى الآباءُ وتآزروا ، فلا عجب في ان يمتدَّ أثر تآخيهم وتآزرهم الى الابناءِ ومن يلي الابناءَ من الاهلين مع ان الاسر الثلاث ما تزال حتى الساعة لا يربط بينها رابطة نسب . وكذلك نرى اليوم وقد قضى الموت علينا بنعيّ سليم مكاريوس الى قرّاءِ المقتطف ، ان ادل كلام على مكانتهِ في نفوسنا ، وحسرتنا على فقدهِ ، هو قولنا : « أخونا سليم »

***

نشأ سليم مكاريوس في بيت علم وفضل واجتهاد فطمح من صباه الى التشبه بأساطين العلم وكان له من ذكائه النادر ونشاطه العجيب ما بعث فيهِ الرغبة وأحيا فيهِ الامل فطلب العلم في مدارس بيروت ومصر ونبغ بين اقرانهِ فكان أنجب طلبة جامعة بيروت الاميركية الى العام الذي أتمَّ فيهِ دروسه فيها . وعلق الفلسفة وأحب بحوثها حبًّا جمًّا وأحاط بمذاهبها ولا سيما الحديث منها وآثر من هذه فلسفة هربرت سبنسر الفيلسوف الانكليزي فكان يعرف اصولها وفروعها معرفة تامة فلما زار صاحبها في داره في مدينة بريطن بانكلترا وحادثه ولم يكن قد جاوز الحادية والعشرين دهش الفيلسوف لسعة علمه وصحة مداركه وامتلاكه لناصية الانكليزية وأعجب بهذا الشاب الشرقي الأسمر اللون فلما فارقه الفقيد ليذهب الى لندن وباريس اعطاه كتباً من كتب التعريف والتوصية الى جماعة من خيرة اعضاء نادي الاثينيوم وهو ندوة العلماء والكتّاب بلندن فتوصل من هناك الى معرفة طائفة من كبار رجال العلم والصحافة كالبرنس كروبتكين والمستر سدني وب (اللورد باسفلد الآن) وقرينته والسر راي لنكستر والطبيب السر لودر برنتن والسر ميخائيل فوستر الفسيولوجي وشارل جيد العالِم الاقتصادي الفرنسيّ وغيرهم

ودرس الحقوق في مدرسة الحقوق الفرنسية واجتاز امتحاناتها السنوية في فرنسا بنجاح عظيم

فلما اراد اجتياز امتحان المعادلة كان بين ممتحنيه المرحوم رشدي باشا فطرح عليهِ سؤالاً عاديًا فأجابه الفقيد عليه وقال لرشدي باشا لماذا لا تتفضل بأسئلة أصعب من هذا السؤال السهل فدهش رشدي باشا وابتدره بأسئلة عويصة فكانت اجوبته عليها في منتهى الاحكام ومن ذلك الحين اتخذه صديقاً وقدمه الى المرحومة قرينته الاولى . ولقي مثل هذه العناية من السر ملكُم مكارايث المستشار القضائي في ذلك الحين ففتح له أبواب مكتبته يطالع فيها ما يشاء ويأخذ منها ما يشاء

وبعد ما اشتغل بالمحاماة مدة رغب عنها الى الصحافة وقد نشأ في وسط صحافي فانضم الى قلم تحرير المقطم ثم عين مكاتباً في مصر لجريدة الديلي مايل فظل يكاتبها نحو عشرين سنة ودعته ادارتها الى ان ينتظم في هيئة تحريرها بلندن فلبى الدعوة ، وقدر لورد نورثكلف صاحب الديلي مايل كفاءته واخلاقه فانزله منزلة رفيعة من الاعتبار وبلغ من دالة الفقيد عليهِ انهُ كان يستعمل مكتب اللورد الخاص كأنهُ مكتبهُ بل فعل ما لم يتفق مثله في ادارة جريدة كبيرة فانهُ كتب مرة مقالة عن « كسوف الشمس » وبعد ما دارت آلات الطباعة مدة خطر له ان يبدل عبارة في المقالة وينقل توقيعه من اسفل المقالة الى اعلاها فنزل الى مكان المطابع وأمر بوقف الطبع وبدل العبارة واقتضى ذلك تبديل الصفحات التي هي فيها ونشأ عن العمل ان تأخر توزيع الجريدة في شمال انكلترا . ونمي الخبر الى اللورد نورثكليف فأرسل اوامر مشددة بمعاقبة من يعد مسؤولاً عن الحادث حتى ابلغه رئيس التحرير ان الآلات وقفت « بأمر مكاريوس » فعدل عن العقوبات ولكنهُ افهم الفقيد ان ما صنعه محظور لم يسبق له مثيل ولا يجوز ان يعاد . ولم يستقلْ من مكاتبة الديلي ميل الا في مطلع الثورة المصرية لانهُ اختلف وهيئة تحريرها في الرأي

وعرف هناك اللورد روذرمير شقيق نورثكليف ثم اللورد بيفربروك صاحب الديلي اكسبرس وكانا يزورانه في منزله عند زيارتهما لمصر ويرحبان به في لندن ويعدانه من اصدقائهما

***

ولما كان في لندن حينئذ زارها الوفد البرلماني العثماني برئاسة طلعت باشا الصدر الاعظم الاسبق وكان حينئذٍ رئيساً لمجلس المبعوثان فطاف بهم الفقيد على ادارات الصحف وانشأ لهم اتصالاً بهيئات سياسية وعلمية وادبية واقتصادية واعجب طلعت باشا بمقدرته ونفوذه فعرض عليه ان يتقلد منصب مستشار للسفارة العثمانية في لندن فاعتذر الفقيد عن القبول بحجة انهُ يؤثر العمل الصحافي على سواه. ثم زار استانبول بعد ذلك وكان طلعت باشا قد قلد وزارة الداخلية فاحسن استقباله وكان يأخذه معه الى الباب العالي وقد اشتبك ذراعاها واعاد طلعت باشا في استانبول ما عرضه عليهِ في لندن فأبى قبوله معتذراً وشاكراً. ومن الزعماء الذين توطدت صلة الصداقة بينهُ وبينهم المستر مكدونلد عرفهُ في مطلع حياته السياسية ولقيهُ لما زار مصر سنة ١٩٢١ وشرب الشاي عنده ولما زار الفقيد لندن في صيف ١٩٢٩ دعاه المستر مكدونلد الى زيارتهِ في داره في ١٠ دوننج ستريت [البقية في باب الاخبار العلمية]

احدث معجزات الصوت

الاصوات الحادة النبرات تحلل السوائل وتقتل البكتيريا وتساق البيض سلقاً خفيفاً وتهدم المباني الضخمة وتشل الافاعي بالانغام المنتظمة

نقلاً عن مجلة العلم العام الاميركية : ترجمها عوض جندي

جاءَ من امريكا انهُ قد تمَّ اطلاق مدفع ضخم من المدافع الحربية الساحلية ٧١ طلقة في ميدان من ميادين التجارب الحربية ، طوله اربعة اميال ، حيث نُصبت عدة ميكروفونات على ابعاد يسيرة بعضها عن بعض . وكان ذلك الميدان مجهزاً عند القيام بالتجربة ، بفلم متحرك ، يطبع عليهِ بطريقة اوتوماتيكية ، عند كل طلقة ، خط متمعج يبيّن سرعة موجة صوت المدفع في الثانية الواحدة . وكانت الميكروفونات متصلة باجهزة مركزية دقيقة جداً تقدّر الزمن تقديراً صادقاً . وقد قسّمت فيها الثانية الواحدة الى ١٠٠٠ جزءٍ . فاسفرت التجربة عن تمكن الدكتور ديتون مِلر ، الاستاذ بمدرسة العلوم التطبيقية في كليفلند بولاية اوهيو ، من جمع المعلومات التي تذرَّع بها الى تحديد سرعة الصوت في الثانية الواحدة تحديداً صحيحاً . وبعد ما حسب حساباً لعوامل الحرارة والرطوبة والضغط الجوي واتجاهات الارياح وسرعتها استدلَّ على ان سرعة الصوت المضبوطة في الهواء ١٠٨٧٫١٣ من القدم في الثانية وكانت قبل تختلف من ١٠٨٥ قدماً الى ١٠٨٩ قدماً في حساب العلماء

ويتوقع العليمون ان هذا المقياس الصحيح لسرعة الصوت سوف يفيد فوائد جليلة في كثير من ميادين العلم . ذلك لأنهم اصبحوا يستخدمون الصوت خدمات شتى تبعث على الدهشة . فترى ربابنة السفن مثلاً يتلمسون طرق مراكبهم ، عند انتشار الضباب الكثيف ، بوساطة جهاز يسجل الاصداءَ الخافتة التي ترتد من اجسام في طريقهم ، يحجبها الضباب عن انظارهم وكذلك يتسنى للخبراءِ الحربيين معرفة مواقع الطيارات الخفية المحلقة في اجواءِ بلادهم ، وتعيين مواقع مدافع الاعداء القاصية بوساطة جهاز دقيق يسمى (محلل الصوت)

ثم ان الاجهزة المستعملة لسَبْر اعماق البحار تمكن السفن المستخدَمة لعملية المساحة البحرية من رسم خرائط الجبال والاودية الغائرة في اليمّ على عمق الوف من الاقدام . ويتضح من تجارب جربت في كاليفورنيا من عهد قريب ان امواج الصوت الوثّابة قد ترشد الطيارين الذين يضلّون طرقهم الى مبلغ ارتفاعهم الصحيح عن سطح الارض . وتقوم امواج الصوت في معامل الكيمياءِ بسلق البيض وكيّ الاصابع وتطهير اللبن مما يشوبهُ من الجراثيم وبتغيير المواد الكيميائية وغيرها من الغرائب

وقد عرض منذ عهد قريب الدكتور بيرس استاذ الطبيعة (كرمي رمفورد) في جامعة هرفرد

جهازاً يجعل « الاصوات الصامتة » مسموعة كأنها قصف الرعد . وهو جهاز حساس جدًّا يفخم صوت اشتعال ثقاب تفخيماً شديداً جدًّا فيصيره كأنهُ قعقعة عجلة في مركبة ثقيلة ، ويصير شخشخة قصاصة الورق كأنها دويُّ مدفع رشاش ، ويجعل انفاس طائفة من الناس الصامتين تدوي كقطيع من الافيال الجفلة ، حتى خشخشة النسيج في ثوب قشيب ، يتاح تفخيمها فتسمع في اطراف الحجرة التي يجتازها اللابس . ويتسنى التذرع بكشاف من هذا النوع الى التقاط الاشارات الواردة على الملتقط من عمق عشرة اميال في الماءِ ، لان سرعة اختراق الصوت للماءِ تفوق سرعة اختراقه للهواءِ اربعة اضعاف . ويمكن استخدام هذا الجهاز ايضاً في اثناءِ الحرب لارسال الاشارات لانهُ يلتقط الامواج الصوتية الدقيقة جدًّا ولاسيما السريعة التذبذب التي لا تستطيع الآذان البشرية سماعها

اما خبراء مختبر « بل » التليفوني ، فقد عرضوا على مؤتمر المعهد الامريكي للمهندسين الكهربائيين ظواهر صوتية مدهشة ، فركبوا طائفة من الميكروفونات ومفخمات الاصوات اللاسلكية ولكل منها دائرة كهربائية خاصة فاستطاعوا ان يولدوا موسيقى ذات « ثلاثة أبعاد » واذاعوا الاصوات المطبوعة على اسلوب المتكلم من بطنهِ . ذلك ان النظارة وهم جلوس في الغرفة سمعوا ازيز طيارة محلقة فوق رؤوسهم فأشرأبوا اليها وشاهدوا دهشين مبوقاً يتمشى على مسرح بينما كانت الحان بوقه تنبعث من الموضع الذي كان واقفاً فيهِ ، ثم رأوا راقصاً يرقص متجهاً الى جهة واحدة ووقع اقدامه يسمع في الجهة الاخرى

وعرض من بضع سنين في انكلترا طائفة من الجرذان المغنية فتحمَّس لرؤيتها فريق من المشاهدين واعتقد الفريق الآخر أنها تدجيل فلم يكترثوا لها . وأسفر البحث عن كون الفريق الذي اعتقد أن الامر خداع ، ان افراده لم يستطيعوا سماع الاصوات الحادة التي كانت تصدر من الجرذان وهي تشدو بعضها مع بعض . والواقع ان آذاننا يختلف بعضها عن بعض اختلافاً عظيماً في قدرتها على التقاط الالحان ، وان أخفت صوت نسمعه مؤلف من زهاءِ ٤٠ موجة في الثانية . وان أعلى صوت نسمعه مؤلف من ٤٠٠٠٠ موجة . وان طبقة الصوت تتوقف على عدد موجاته ، وارتفاعه يتوقف على اطوال موجاته . واما سبب سماعنا طنين النحلة الطائرة حينما تحرك أجنحتها ، وكوننا لا نسمع شيئاً عند ما يحرك امرؤ ذراعيه ، فلأن الانسان لا يستطيع تحريك ذراعيه بمثل السرعة التي تحرك بها النحلة اجنحتها فتولد موجات في كل ثانية تحدث صوتاً مسموعاً

وقد أعلن السير « فرنسيس غالتون » العالم البيولوجي البريطاني المشهور (١٨٢٢ — ١٩١١) أن السنانير أحدُّ الحيوانات سمعاً لأخفت الاصوات ، وعزا ذلك الى أجيالها التي عركها الدهر في صيد الفئران في الدجى فأضطرتها الحياة الى ارهاف وسائل السمع . ومن ادوات التجارب التي اشتهر بها عصا كانت تعرف باسم « صفارة غالتون » وهي عصا ذات مقبض تُذَبَّتُ فيه محجرة من الصمغ المرن تُركَّبُ في رأسها صفَّارة صغيرة . وجعل غالتون يطوف كل يوم في حديقة الحيوانات في لندن متوكئاً على تلك العصا وكان يقف هنيهة عند حظيرة كل طائفة من الحيوانات ثم يدني العصا من

الحيوانات ضاغطاً مقبضها ، مراقباً كل حيوان يرهف اذنيه لسماع اللحن الحاد النبرات . وكان غالتون إذا لقي كلباً في طريقه ، صفر خلفه بعصاه ، فكانت الكلاب الصغيرة تلتفت اليه ؛ واما الكبيرة فلم تحفل بالصفارة لعجزها عن سماعها

وفي احد المختبرات العلمية في كليفورنيا تذرَّع العلماء بمصابيح غاز النيون الكشافة ، الى استنباط حقائق اخرى خاصة بتغريد الطيور البرية ، فيرى المرء هاتيك المصابيح الكهربائية « تصور بالنور » اغاريد تلك الطيور وما فيها من الامواج الصوتية . والجهاز المستعمل لتلك الغاية من صنع الدكتور ملتن ميتفسل رئيس دائرة السيكولوجيا في جامعة كليفورنيا . وبيان ذلك انهُ يمكن احداث تقلبات في شدة استضاءة غاز النيون بواسطة صدح الطيور المحبوسة في الاقفاص فتنطبع تلك التقلبات على قرص دوَّار (كاسطوانة الجراموفون) بوساطة مجرى من النقط تمثل صورة الاغرودة ، فاستدل من تلك المباحث على مبلغ تفوق الطيور على الانسان في مدى الالحان

وجاء من جامعة جونز هوبكنز نبأ استنباط بديع خاص بالأصوات المرتفعة الطبقات اذ تحقق الدكتور هبرد Hubbard انهُ يستطيع تحليل السوائل المجهولة التركيب في معمل التحليل الكيميائي بامرار امواج صوتية سريعة التذبذب لان لكل مادة من المواد المعروفة ميزة في توصيل الامواج بسرعة خاصة تختلف عن سرعة غيرها كل الاختلاف . فاذا مرَّت الامواج في محلول ما بسرعة معينة ، استطاع المحلل الكيميائي معرفة كنه ذلك السائل والوقوف على عناصر تركيبه وتحديد مقدار كل عنصر منها ، وادرك أنقي هو أم مزيج

وتجلت للباحثين حقيقة اخرى وهي استخدام امواج الصوت في تحليل اللبن اذ اعلن كل من الدكتور لزلي تشمبرز والاستاذ نيوتن جاينز من اساتذة جامعة تكساس المسيحية ، انه اذا مرَّ الحليب في قمع مثبت فيه انبوب من النيكل يخترقهُ عند مرور الحليب فيه صوت حاد ، قتلت امواج ذلك الصوت ما قد يوجد فيه من البكتريا وذلك بنسبة تتراوح بين ٨٠ في المائة ومائة في المائة حتى بعض الميكروبات التي لا تؤثر فيها البسترة (تطهير اللبن بطريقة باستير) تقتلها تلك الامواج

واعلن الدكتوران تشمبرز وفلوسدورف من اساتيذ جامعة بنسلفانيا انهما استطاعا تضهيب[١] بيضة دون رفع درجة حرارتها . لأن الصوت الحاد يولد تأثيراتٍ كيميائية « تفاعلات » تجمد بروتين البيضة . ثم انهما تذرعا ببوق من ابواق الغواصات ، ذوات الامواج الصوتية الثاقبة التي تستعمل لتبادل الاشارات في اغوار البحر ، فتيسر لهما توليد غاز الاسيتلين من الزيوت النباتية واستخراج سكَّر العنب من سكر القصب وتحويل خلات الاتيل الى حامض خليك، بتوجيه صوت ذلك البوق اليها . وتفسير ذلك اللغز العلمي ان الامواج الصوتية تعجل بطريقة خفية ، سير الجزيئات في المواد التي تعالج بتلك الوسيلة ، فتحدث فيها تفاعلات كيميائية ذاتية

(١) ضهب البيضة — سلقها سلْقاً خفيفاً من ضهب الشيء تضهيباً شواه على حجارة محماة وشواه ولم يبالغ في نضجه — الفيروزبادي

وطالما اعلن العلماء ان امواج الصوت تدك الابنية المتينة وهذا حقيقي ، ولكنه عسير جداً . لانك اذا توخيت ذلك وجب عليك تسخير ٣٠ مليوناً من المبوّقين لينفخوا في الصور بأقصى جهدهم لكي يولدوا ما يعادل قوة حصان بخاري واحد من الصوت . وعلى هـذا الاساس يرى احد العلماء الامريكيين انه يتاح صدع صرح الامبيرستيت [1] ثم هدمه، متى استطعت توليد اللحن الصائب لذلك ، وواظبت عليه زمناً طويلاً موفور الضخامة . وهـذا هو التعليل الذي يعلل به العلماء دائماً حادث سقوط اسوار أريحا من تبويق رجال جدعون

ومن هذا القبيل ما حدث في مصنع من مصانع احدى الاقاليم الشرقية بالولايات المتحدة من عهد قريب . وذلك انه كان في المصنع مروحة كبيرة تمتص الهواء من داخله ثم تدفعه في مدخنة من الآجر لتجديده . وكانت المدخنة بمثابة جزء متمم للجهاز المتحكم في هواء المصنع . فاذا ادرت المروحة دوراناً سريعاً ، أثرت في المدخنة تأثيراً شديداً يعرضها للتداعي فالانهيار . نخيل الى المهندسين ان العيب في المحرك الكهربائي ، فوضعوه فوق قاعدة صلبة من البرقاء [2] فلم تنقطع الذبذبة بل ظلت على حالها . وحينئذ ضاق ارباب المصنع ذرعاً بالمدخنة فاستعانوا على تثبيتها بخبير من خبراء الصوت فجاء وفحص الجهاز ، فتبين له ان المروحة متى دارت ، دفعت كل ريشة من ريشها موجة من الهواء في المدخنة . فاذا دارت المروحة بأقصى سرعتها اصبحت تلك الامواج الهوائية بمثابة امواج صوتية تخفق خفقاناً مطرداً فتشتد ذبذبة المدخنة اكثر فأكثر حتى تكاد تنقاض . ثم استصوب معالجتها بتخفيف سرعة المروحة قليلاً فضؤل الخفقان وزال الخطر

ووقع في مدينة دترويت حادث صناعي كان يلابسه لغز من الالغاز العلمية حلّه علم الصوت ، وذلك ان مصنعاً من مصانع السيارات ، عرض ذات يوم نموذجاً جديداً من مركباته ، فكانت تلك المركبة اذا سارت بسرعة معينة ، ولدت صوتاً اشبه بطنين شنيع . فظنهُ مهندسو المصنع ناشئاً من ترومسها ، فقاموا بفحصها فلم يعثروا على اي عيب صناعي فيها واتفق ان كان احدهم من هواة علم الصوت ، فأدرك ان لذلك الطنين نبرة معينة تعادل ١٨٠ موجة في الثانية . وشاهد ايضاً ان السرعة التي تولد الطنين تجعل العجلتين الخلفيتين تدوران دورتين فقط في الثانية . فأحصى العقد المانعة الانزلاق فاذا هي تسعون عقدة في كل طوق من اطواق العجلات (المصنوعة من الصمغ المرن) فاذا دارت العجلة دورتين في الثانية ولّدت ١٨٠ هزة وهي التي يؤلف منها الطنين فاستبدلوا الاطواق بصنف آخر ، فانقطع ذلك الصوت الشنيع

واسفر استخدام الصدى عن استنباط مقياس جديد لقياس ارتفاع الطيارات في الجو بوساطة

---

(١) اعلى مباني العالم (٢) الابرق والبرقاء — الخرسانة — غلظ فيه حجارة ورمل وطين مختلطة — الفيروزابادي — وقد أقرني على استعمال هذا اللفظ الدكتور معلوف باشا وقال انه مستعمل في العراق . انظر مقالنا (الطبيعة رائد المخترعين) في مقتطف فبراير الماضي

الصوت فيمكن الطيار معرفة مبلغ علوه عن الارض ، وهو مثل المقياس الصوتي الذي يدل الملاحين على بعدهم عن قعر اليم . ومخترع هـذا الجهاز هو الدكتور (ليود لساسو) احد علماء جامعة كليفورنيا . وقد جرَّبه من عهد قريب بقرب لوس انجليس حيث حلَّق في بلون من بلونات الاستكشاف حتى بلغ ارتفاعه ٧٠٠ قدم عن سطح الارض وحينئذ ضغط زرًّا كهربائيًّا مسلطاً على بوق كهربائي فانبعث منهُ صوت مرتفع النبرة فاق دوي المحركات ووصل الى سطح الأرض في هنيهة ثم عاد الى البلون حيث التقطه ميكروفون منتخب منظم لالتقاط الاصوات الفريدة النبرة ، فلم يلبث الجهاز حتى حول الزمن المستغرَق الى اقدام ، دلت الطيار على مقدار ارتفاعه عن الارض

وقد قوبلت مقاييس الارتفاعات التي قيست بهذا الجهاز ، بما قيس بغيره من الآلات المعروفة فاختلفت عنها اختلافاً يسيراً ، لا يعدو قدماً واحدة في كل ٧٠٠ قدم. ودلت التجارب التي جربت فيما بعد ، ان ذلك الجهاز يكاد يستطيع التقاط الصدى في اثناء نزول المطر وتخييم الضباب بسهولة كما يلتقطها في الجو الصحو . وبناءً على ما تقدم تقوم هذه الآلة الجديدة بايضاح ارتفاع الطيار عن الارض التي يحلق فوقها ، لا عن نقطة قيامه فحسب ، بعكس المقاييس العادية . ومن ثم يرجى منهُ خير جزيل في الطيران الذي يحصل على غير هدى . ولم يبق أمام مخترعه الاَّ عقبة واحدة يرجو تذليلها وهي تأثير الاشجار والغابات في اخفات الاصوات ومنع صداها . ويتوقع الخبراء لهذا المقياس الجديد وامثاله فوائد شتى ، ولكنهم يرون انها سوف تصبح بلا فائدة ، حينما تخترع الطيارات السريعة التي تسبق الصوت ! ! والمعروف ان طيارات السباق قد تمكنت من قطع ٤٢٠ ميلاً في الساعة ، فلا يبعد ان تزيد سرعتها ٣٠٠ ميل اخرى فتصل الى ٧٢٠ ميلاً في الساعة وهي المسافة المساوية لسرعة الصوت

وعرض المستر (تشستر ريس) احد مهندسي شركة الكهرباء العامة في اميركا في فصل الصيف الماضي جهازاً آخر ، مما تستخدم فيه امواج الصوت بمثابة مساعد للملاحة ، وهو كناية عن آلة تعين الموضع بوساطة الصوت اذ تلتقط اصداء الصوت من الزوارق والعوامات واحواض السفن وقد تمكن بها المخترع من ارشاد زورق موطري وسقه ١٧ طنًّا الى السير في الضباب الكثيف في بوغاز لونج ايلند . واتيح له ايضاً الاهتداء الى البواخر التي كانت تبعد عنه نصف ميل ، والكشف عن الزوارق التي كانت سائرة بالمقاذيف على بعد ٨٠٠ قدم منهُ في الضباب . ولذلك يؤتى بثلاثة ميجافونات[1] وتوضع على دعامة صغيرة فوق السطح الاعلى للمركب على شكل مثلث فيصدر من احد الميجافونات صفير حاد يتجه اتجاهاً مستقيماً ، فاذا صادف شيئاً في طريقهِ انعكس الصوت عنه ، وكان الوقت الذي يستغرقهُ الصوت في اثناء انعكاسهِ ، والجهة التي ينعكس منها الصدى ، دليلين على المسافة والموقع اللذين فيهما نقطة الخطر . واعلى صوت سمعهُ العالم حتى اليوم ، هو انفجار بركان

(١) الميجافون ضرب من ابواق الكلام

« كراكاتوى » في جزائر الهند الشرقية الهولندية ، الذي حدث سنة ١٨٨٣ وسمع صداه كأنهُ قنبلة ضخمة صدمت الجو صـدمة شديدة جعلت الامواج الهوائية تؤثر في الباروجرافات [١] تأثيراً دام مشاهداً طول الزمن الذي استغرقتهُ ثلاث سياحات متوالية حول الـكرة الارضية

وقد اتيح للعلماء حديثاً اختراع اجهزة تدل على الصوت وتطبع ارتفاع الاصوات العادية بوحدات تسمى decibels فاستدلوا بها على ان هزيم محرك الطيارة اشد من ازيز مصنع المراجل واستعمل المستر ريموند ديتمارز المشرف على قسم الحيوانات الثديية والزواحف في حديقة الحيوانات في نيويورك ميكروفونات ومفخمات للصوت حساسة جداً واخذ يصغي للاصوات المنبعثة من قرية الارضة فتسنى له بجهازه الدقيق التقاط اللغط الناشىء من حركاتها في طرقاتها

وحدث مثل ذلك في تجربة اخرى في دار الافاعي بالحديقة نفسها حيث قام المستر ديتمارز بتجربة تحرَّى بها تحقق تأثير الموسيقى في الثعابين فجاء بقيثارة شرقية من صنع الهند واخذ يعزف بها خلف حظيرة الصل المصري المعروف بالناشر (حية الحواة) وهو المعروف هناك بالملك الناشر لضخامتهِ اذ يبلغ طوله ١٣ قدماً فجعل الصل يثب في الهواء عند ما سمع النغمة الاولى من نغمات القيثارة . وما لبث عند سماعه لحناً حادًّا ان ترنح ترنحاً ضئيلاً وارتعد عنقه ثم سقط على الارض كأنهُ ميت وبقي على تلك الحال عدة ثوان ثم استأنف الوثوب في الهواء

اما تأثير الموسيقى المسكنة والاصوات الجشة في انفعالات البشر ، فمشهورة . وقد اظهرت المباحث الحديثة مبلغ ما يحدث في الدماغ والمعدة عند ما يطرق اذني المرء صوتٌ جشٌ . ودلت الآلات الصوتية الحساسة انهُ اذا انفجر كيس من الورق قريباً من اذن امرىءٍ ، ارتفع الضغط في دماغه اربعة اضعاف الضغط الطبيعي . وثبت ايضاً في تجربة اخرى ان عمل المعدة الطبيعي يتعطل ثلثه من جراء اي صوت عنيف مزعج

اما الاصوات التي لا نستطيع سماعها على الاطلاق فقد تؤثر ايضاً تأثيراً ضارًّا في اجسامنا كما ثبت ذلك في تجربة مدهشة قام بها الباحثون اذ استخدموا تياراً كهربائيًّا قويًّا متناوباً فجعلوا طبقاً من البلور الصخري وضع في قعر باطية زجاجية كبيرة مملوءة ماء ، ينبض نبضات سريعة جدًّا بلغت تموجاتها ٦٠٠٠٠٠ في الثانية وحينئذٍ بدت للمشاهدين مناظر غريبة اذ اخذت الاعشاب العائمة في ذلك الماء تتفتت والسمك والضفادع [٢] تهلكَ كأنها اصيبت بآفة ذريعة خفية وهي متأهبة للسباحة . وكذلك شعر الناس الذين غمسوا اصابعهم في الماء نفسه بآلام حادة جعلتهم يرفعون اصابعهم حالاً . ثم جيء بخيط طويل من الزجاج فوضع طرفه بين الاصابع ووضع طرفه الآخر في الماء فاكتوى الجلد كما يكويه سلك محمى لدرجة الاحمرار

(١) الباروجراف : بارومتر تنطبع فيه انطباعاً اوتوماتيكيا تقلبات الضغط الجوي

(٢) راجع فصل « غرائب امواج الصوت » في كتاب « فتوحات العلم الحديث » صفحة ١٨٩

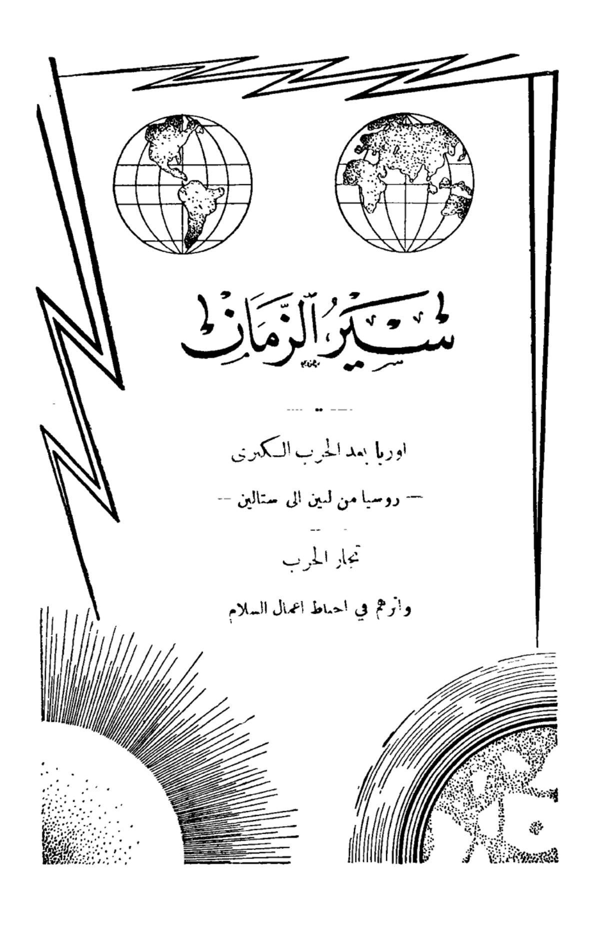
سير الزمان
اوربا بعد الحرب الكبرى
— روسيا من لنين الى ستالين —
تجار الحرب
وأثرهم في احباط اعمال السلام

روسيا بعد القيصر[1]

من لنين الى ستالين

لم يلقَ البلاشفة عناءً كبيراً في تقلُّد ازمة السلطان . فكادت ثورتهم في نوفمبر ١٩١٧ ان تكون ثورة بلا دم . وتسنى لهم ان يصدوا شبح الجوع ، صدًّا وقتيًّا بمصادرة الطعام . وعقدوا الصلح مع المانيا في برست ليتوفسك . ولكن المشكلات المعقدة كانت لا تزال امامهم ويجب ابداع حلول لها . كيف ينشئون نظاماً شيوعيًّا في بلاد سكانها نحو ١٥٠ مليوناً موزعين في مساحة تقدر بنحو ثمانية او تسعة ملايين من الاميال المربعة ويتكلمون اثنتين وستين لغة مختلفة ؟

كان سقوط القيصر ايذاناً بنشوب حرب اهلية . ولكن لو كان اعداء لنين وصحبه ، محصورين في الروس المقاومين للشيوعية لهان الامر قليلاً على اصحاب النظام الجديد . غير ان الحلفاء كانوا قد عزموا ان يبذلوا ما في وسعهم لنزع السلطان من الحزب الذي حمل روسيا على عقد الصلح مع المانيا فأيدوا الروس البيض (المقاومين للبلاشفة وهؤلاء يعرفون بالروس الحمر) بالمال وفي ربيع سنة ١٩١٨ تناهى الى لنين في بتروغراد ان فرقاً من جيوش الحلفاء والروس البيض كانت تجمع قواها على حدود روسيا لمناصبة البلاشفة العداء

كان الاميرال كولشاك في الشرق يقود جيشاً من الروس البيض ويحاول ان ينشيء حكومة روسية معادية للبلاشفة في سيبريا . وكان اليابانيون يؤيدونهُ ويشدُّون ازره . بل علاوة على ذلك كان ثمة جيش تشكوسلوفاكي مؤلف من ٤٠ الف جندي يحاول الاتصال به . وكان التشكوسلوفاكيون من ابناء امبراطورية النمسا والمجر ، فرأوا في الحرب الكبرى فرصة سانحة للفوز باستقلالهم . وكان بعض رجال هذا الجيش قد فرَّ الى روسيا ليحارب في صفوف جيشها . وبعضهم كان في صفوف الجيش النمسوي فأسرهم الروس بملء ارادتهم . فلما وقع الانقلاب الروسي ، كان جميع التشكوسلوفاكيين المقيمين في روسيا ، قد نظموا فرقة كبيرة تعرف بالفرقة التشكوسلوفاكية ، وكان البلاشفة قد سمحوا باعادتهم الى بلادهم عن طريق سيبيريا وأميركا ولكنهم اشتبكوا على ما يقال بفريق من مسرَّحي الاسرى الالمان والنمسويين فصدرت الاوامر اليهم بالقاء اسلحتهم . فرفضوا وتمردوا على الاوامر فحاول الروس تفريقهم . اما الذين كانوا منهم الى شرق جبال الاورال فتمكنوا من الاجتماع والاتحاد. وأما الذين كانوا الى غرب الاورال فحاربوا حرب اليائس المستميت حتى تمكن معظمهم من الاجتماع

(١) راجع فصل الثورة « الروسية » في هذه السلسلة — مقتطف يناير سنة ١٩٣٤ صفحة ٦٥

برفاقهم . فاستبشر الاميرال كولشاك بفلول جيش مستميت يحارب بهِ الروس الحمر

وكانت الحالة في الجنوب تبعث على اليأس ، في نفس غير راسخة العزم . ولكن لنين امتاز بعزمه الحديدي ، وارادته التي لا تقهر . ذلك ان قوزاق مقاطعة الدون كانوا قد اتحدوا وانشأوا حكومة ، غرضها مقاومة اية حكومة تحاول ان تنتزع منهم الاملاك التي ما زالوا يتوارثونها من مئات السنين . وفي غرب القوقاس ، قام قائد يدعي دنيكين فجمع جيشاً وحارب به البلاشفة في شتاء سنة ١٩١٨ الى صيف ١٩١٩ وكان في قبضة يده اهم مدن روسيا الجنوبية . وكان دنيكين كالاميرال كولشاك يتناول مدداً ماليًّا وعسكريًّا من الحلفاء . ففرنسا كانت قد بعثت بفرقة من جيشها الى مدينة اودسا ، والانكليز ارسلوا طائفة من سفنهم الحربية الى باطوم وباكو

اما في غرب روسيا ، فكان الالمان قد أيّدوا فريقاً من شعب اوقرانيا ، فأنشأ حكومة مقاومة للشيوعية . وفي بولونيا ، كان الجنرال بلسودسكي ، على رأس حركة قومية عنيفة بلغت في فتوحاتها مدينة كيف . وفي الشمال كان الانكليز قد انزلوا شراذم عسكرية في مدينة أركنجل ، وكانت بوارجهم رابضة في خليج فنلندا . وكان الانكليز يؤيدون في عملهم هذا قائداً يدعى يودنتش أعدَّ خطة لمهاجمة بتروغراد ، في ربيع سنة ١٩١٩ بجيش من الروس البيض والاستونيين والبريطانيين . فلما عرفت في بتروغراد أنباء هذه الخطة ، حدث فيها ذعرٌ أو ما هو من قبيل الذعر . فسكان المدينة كانوا يعلمون انهم لا يستطيعون المقاومة فجعل الشعب يستعدُّ لاستقبال الفاتحين . حتى لنين نفسهُ كان قد ضيَّع كل أمل في الفوز . وكان في نيته ان يخلي بتروغراد وينقل الحكومة الى موسكو . ولكن تروتسكي اقنعهُ بالصبر ، وبعث بشاب شيوعي من سكان جورجيا — يدعى ستالين — ليجمع جيشاً من عمال المصانع ففاز بحشد مجموعة بائسة من الرجال . وقد وصفهم الجنرال كراسنوف ، وهم مسوقون الى الدفاع عن بتروغراد فقال : «صفر الوجوه ، يعلو جباههم تقطيب ، غائرو الخدود والعيون ، ضيقو الاكتاف ، مرتدون سراويلات طويلة ، وأحذية كبيرة . . . »

ولكن جيش ستالين وتروتسكي القى الرعب في قلب يودنتش ، فتراجع قليلاً ينتظر المدد الانكليزي . ولكن المدد الانكليزي لم يصل وكذلك انقذت بتروغراد الحمراء

هنا انقلب التيار . ففي الشرق تعذَّر على كولشاك ان يجمع بين فرق التشكوسلوفاكيين وجيشهِ فتمكن الشيوعيون من هزيمتهم ، كل فريق منهم على حدة . وفي الجنوب تلقى ستالين من لنين امراً بانشاء فرقة من الفرسان الحمر ، فأنشأها وردَّ بها الجنرال دنيكين الى البحر ، فلم يبق من جيش دنيكين الاَّ شرذمة في القريم بقيادة الجنرال فرنجل . ولكن الجيش البولوني ظلَّ خطراً يهدّد البولشفية . فرُدَّ الخطر في اكتوبر سنة ١٩٢٠ لما عقدت روسيا الصلح مع بولونيا ، وخرجت ظافرة ، بعد ثلاث سنوات من الحرب والنزاع

وقد يتعذر على الباحث ان يعلل ظفرها . والغالب ان الباعث الاول على ظفر البولشفيك انما

كان تفرّق الكلمة في صفوف أعدائهم . فقد قال المؤرخ الانكليزي ستيفن غراهم في كتابهِ عن ستالين ما معناه : كان لا بدَّ من انتصار البيض ولكن رأيهم السياسي كان موزّعاً . فما كان يعلمون في سبيل من يحاربون ، أفي سبيل جمهورية دستورية او في سبيل القيصرية . . . . وزادت البلبلة في مجالسهم بوجود وكلاء انكليز وفرنسيين . وجلُّ عناية هؤلاءِ كانت موجهة الى الاعمال المالية الكبيرة لا الى روسيا . اما اعمال الارتكاب والفساد في جيوشهم فكادت تكون علنية . والواقع ان حديث المقاومة للثورة البولشفية حديث يثير الإشفاق على القائمين بها»

وكان يقابل هذا في صفوف البلاشفة اتحاد كلّ الاتحاد ، وحماسة كلّ الحماسة ، في سبيل فكرة عظيمة ، وغاية يرنون اليها ، ألا وهي روسيا الشيوعية . فعوّضهم ذلك شيئاً مما كان يعوزهم من النظام والمؤونة والملابس . ان حكايات انتصاراتهم في هذه الحروب ، لمن أمجاد هـذا الجيل من الروسيين . وقصص بعض الابطال الذين استشهدوا في معاركها ، اصبحت أشبه بالاساطير التي تروى عن أبطال القدماءِ

ثم ان جانباً كبيراً من ظفر روسيا في هذه الحروب ، يرتدُّ الى شخصية زعيم البلاشفة الحربي — ليون تروتسكي — فقد قضى تروتسكي سنوات هـذه الحروب (١٩١٨ — ١٩٢٠) في القطار متنقلاً من مكان الى مكان ، ومن ميدان الى آخر . كان تحت إمرتهِ ، في ميادين الحروب المختلفة ستة عشر جيشاً روسيًّا ، وكان عليهِ ان يبقى على صلة بها جميعاً للاشراف على خططها واعمالها ، وليكون صلة بينها وبين الحكومة البلشفية الجـديدة . فكنت تراه يوماً في بتروغراد وآخر في سامراءِ ففي سمولنسك ففي كيف ففي كرونستاد . ولا تنسَ ان روسيا المترامية الاطراف كانت تحارب في الشرق وفي الغرب ، في الشمال وفي الجنوب فكان تروتسكي في ناحية يجيءُ الجيشَ المحارب بضباط يتولون قيادته ، وفي ناحية اخرى يوزع الاحذية والملابس ، وفي ثالثة الخرائط والخطط ، وفي رابعة يحوّل الاسرى من الروس البيض الى فرق عسكرية في الجيش الاحمر بعد ان يلهب نفوسهم بخطبهِ النارية . وفي خلال كل ذلك كان على اتصال تلفونيّ دائم بالعاصمة . وكذلك كان وصول قطاره الى أقصى الميادين ايذاناً باتصال الجيش في ذلك الميدان بالجيش الاحمر قاطبة في سائر الميادين . ويقال أنهُ قطع في خلال تلك السنوات مسافة لا تقل عن مائة الف ميل او قد تزيد

ولكن العامل الأكبر في فوز روسيا ، كانت شخصية لنين لأن جميع اعمال الحكومة كان مرجعها اليهِ

وكان انتهاءُ الحرب ، ايذاناً للزعيم لنين بمواجهة أعقد المشكلات . ففي خلال الحرب ، كان حكمهُ قائماً على اساس من دكتاتورية عسكرية شيوعية ، فكل ما تحتاج اليهِ الدولة من المؤن والذخائر ، كانت تصادره . بل كانت الحكومة تتناول المواد الخام من المنتج وتوزع عليهِ — على قدرٍ — الخبز والملابس والاحذية . فكان هذا النظام قريباً بعض القرب من المثال الذي بنيت عليهِ

جمهورية أفلاطون . ولكن الفلاحين لم يقتنعوا بأن يعملوا عملاً لا يجنون منهُ ربحاً ما . وكانوا علاوة على ذلك يلومون الحكومة ، كلما اضطرب أمرٌ من أمورهم او اختلَّ شأن من شؤون حياتهم . ففي السنتين اللتين تلتا الحرب الاهلية أصيبت روسيا بجفاف أضرَّ ضرراً بالغاً بمحصول سنة ١٩٢١ فمات ملايين من الفلاحين جوعاً . فرأى لنين ببصيرتهِ النافذة ، ان الفلاحين لا بدَّ ان يحجموا عن الزرع لمحصول السنة التالية ، الاَّ اذا أرضاهم بعض الارضاءِ . وكانت الطريقة الفردة لحملهم على الزرع ، وعدهم بجانبٍ من الربح . ولكن ذلك يعني التخلي عن بعض المبادىء الشيوعية الاساسية ، والارتداد الى أصول الحكم الذي قضى عليهِ لنين وصحبهُ

وكذلك وجد لنين نفسهُ في مأزق . أيتخلى عن مبادىء حزبهِ ، او يتمسَّك بها وهو مقتنع بأن تمسكه يعني امتناع الزرَّاع عن الزرع ؟ ومما يدلُّك على جرأة لنين انهُ فضَّل الاول ، وهو يعلم ان ذلك الى حين ، فأعلن خطة اقتصادية جديدة تعرف بهذا الاسم عند الافرنج ويرمز اليها عادة عند الانكليز بالحروف اللاتينية الثلاثة N. E. P. أي New Economic Policy ويقتضي هذه الخطة اذن للفلاحين في ان يحتفظوا بمحصولهم ، وان يبيعوه في الاسواق بأنفسهم ، وفرض طبعاً على المحصول ضريبة تجنيها الحكومة . ولكنهُ سلَّم بمبدإ الملك الخاص ، وهو ما يتنافى مع مبادىء الشيوعية . اما الشيوعيون المستقيمو الرأي فرأوا في خطة لنين الجديدة قضاءً على الشيوعية ، وكان تروتسكي في مقدمتهم . الاَّ ان لنين كان يعلم ان هذه الخطة هي الطريقة الفردة لاجتناب الموت جوعاً . فلما كانت سنة ١٩٢٤ وقد نسي الناس الجوع وشبحهُ ، شرع لنين يتراجع رويداً رويداً على الخطة الاقتصادية الجديدة ، واخذ ينشىء تدريجاً ، الشيوعية الخالصة من شوائب الملك الخاص . فشجع الفلاحين على ادماج حقولهم الصغيرة في حقول كبيرة ، يكون ملكها مشتركاً بينهم . وأغراهم بعد ذلك بتوزيع الارباح المشتركة في المزارع المندمجة على أصحابها . أما في المدن فكانت الدولة مسيطرة على المصانع ، لان أصحابها ما كانوا يستطيعون انشاءها او العمل فيها الاَّ باعتمادات تفتح لهم في البنوك . والبنوك كانت ملك الدولة . وكذلك تحوَّلت القوى الاقتصادية في روسيا رويداً رويداً الى الخضوع لسيطرة الحكومة ، فأصبح الدولة الروسية دولة اشتراكية ، نظراً وفعلاً

وبعد ما فاز لنين بحلّ المشكلتين الحربية والاقتصادية ، واجه المشكلة السياسية . هنا أمة عدد أبنائها نحو ١٥٠ مليوناً يتكلمون نحو ٦٢ لغة ، فكيف ينشىء منها دولة اشتراكية مندمجة بالمعنى السياسي ! فكان ردُّ لنين : حكومات سوفييتية (مجالس عمال) مستقلة استقلالاً ذاتيًّا وللحزب الشيوعي الروسي ، الاشراف والسيطرة عليها

فعهد في كل قرية وكل مدينة ، الى مجلس سوفييتي في الاشراف على حكومتها المحلية . وفرض على كل مجلس سوفييتي في القرى والمدن ان يبعث بممثليهِ الى المجلس السوفيتي الخاص بالمقاطعة ، ومجالس المقاطعات تبعث بمندوبيها الى مجلس الولايات ، ومجالس الولايات تبعث بمندوبيها الى مجلس

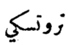

تروتسكي

ستالين

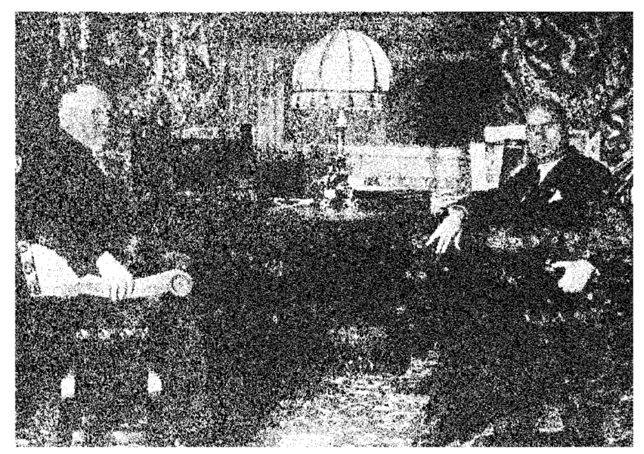

لتفينوف وزير خارجية روسيا (يسار القارىء) والسنيور موسوليني

السوفيت الأعلى للجمهورية. وقسّم البلاد الى ست جمهوريات — هي جمهورية روسيا وجمهورية روسيا البيضاء ، وجمهورية اوكرانيا ، وجمهورية عبر القوقاس (وهي مؤلفة من جورجيا وارمينيا وازيفيان) وجمهورية أزبك وجمهورية التركمان . من هذه الجمهوريات الست ينتخب اتحاد الجمهوريات السوفيتية ، وهو ما يعرف اليوم عادة باسم روسيا عند ما نقول مثلاً ان لتفينوف وزير خارجية روسيا — ويرمز لروسيا عادة بالحروف التالية U. S. S. R. فكل جمهورية من هذه الجمهوريات تبعث بممثليها الى مؤتمر اتحاد السوفيت الاعلى ، والمؤتمر ينتخب لجنة لتصريف شؤون الاتحاد ، تعرف باللجنة المركزية للقومساريين . ولتفينوف في هذه اللجنة قومسير الشؤون الخارجية

ولولا الحزب الشيوعي وسيطرته على المجالس السوفيتية من ادناها الى اعلاها ، لتفرق شملها ولغلبت عليها الثرثرة . والحزب الشيوعي فريق مختار من الرجال والنساء قد لا يزيد عدد اعضائه على المليون كثيراً . وهم يتصفون بالحماسة لنظامهم الجديد وبمعرفة مبادئه وأساليبه ، وخاضعون لنظام دقيق ازمته في ايدي لجنة الحزب المركزية . وكذلك يتاح للجنة الحزب المركزية ان تسيطر على اعمال كل مجلس سوفيتي في روسيا فتصدر المجالس قرارات في الشؤون المختلفة بحسب التعليمات الواردة اليها من هذه اللجنة . ولنين نفسه لم يكن رئيساً لاتحاد جمهوريات السوفيت بل سكرتيراً عامًّا للحزب الشيوعي ، وهذا المنصب جعله دكتاتور روسيا ، وقد خلفهُ ستالين فيه بعد موتهِ .

تمَّ وضع دستور اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية في سنة ١٩٢٣ ولكن الجهد الذي بذلهُ لنين في معالجة مشكلات روسيا الكبرى من ناحية الفلسفة الشيوعية ، كان فوق طاقة الجسم البشري وكان في سنة ١٩٢٢ قد اصيب بشلل موضعي فلما اتم وضع الدستور الجديد ، كان جسمه قد اقوى فتوفي في يناير سنة ١٩٢٤ ولكن روسيا كادت لا تصدق ان لنين قد مات . كان قد مضى عليه ست سنوات وهو حاكمها المطلق . بل هو الذي انشأها على المثال الجديد ، وأفرغها في هذا القالب الفذ . انقذها من القيصر ومن الدول المركزية ومن دول الحلفاء ، ومن الموت جوعاً ومن التفرقة والانحلال السياسي . كان الروسيون يصغون الى خطبه باجلال ويقرأون كتاباته باحترام . كان لنين بطل جيل بأسره من الروس . فكيف يموت هذا الرجل ؟!

***

نظر شيوعيو روسيا بعين الاحتقار والامتهان الى الدول الاوربية وهي تحاول ان ترم حضارتها بعد ما كادت الحرب الكبرى ان تأتي عليها . فالنزعة الوطنية التي اكتسحت اوربا الوسطى لم تكن في رأيهم الا عذراً لظلم الاقليات وتوطئة لحروب وطنية مقبلة . والنزعة الامبريالستية التي سادت بريطانيا وفرنسا كانت عندهم ، وسيلة للاستبداد بالشعوب المتأخرة وتمهيداً لحروب امبريالستية قادمة . والنظام الاقتصادي القائم على المزاحمة والمنافسة لم يكن الا اسلوباً من اساليب تجميع الثروة في ايدي الطبقة العليا من المجتمع الاوربي والاستبداد بالعمال . اما في اتحاد جمهوريات روسيا

السوفيتية فكانت جميع القوميات والطبقات متساوية في الحقوق . فليس ثمة طبقة تستبد بطبقة لان جميع الروس كانوا طبقة واحدة ، ذلك ان جميع الروس كانوا عمالاً

ولكن هذه النظرة لم تعن ان الشيوعيين حلوا جميع مشكلاتهم . بل الواقع انهم كانوا في مطلع الكفاح لحلها . وكان لنين قد عين الاغراض التي يتجه اليها الحزب الشيوعي الروسي ، وخص بالذكر منها غرضين : اما الاول فتنظيم اتحاد جمهوريات روسيا السوفيتية ، حتى يرتفع مستوى المعيشة فينعم كل واحد من السكان البالغين ١٦٠ مليوناً ، بالرغد والرخاء . وأما الآخر فهو نشر التعاليم الشيوعية حتى تعم الثورة الشيوعية انحاء العالم

فايُّ غرض من هذين الغرضين يقدَّم على الآخر ? هذا هو السؤال على قول هملت . فكان رأي تروتسكي ، ان الشيوعية ، دولية في نزعتها ، واذاً فالواجب على الشيوعيين الروس ان يبذلوا ما في وسعهم لاحداث الثورة العالمية . وكان شعاره شعار الاشتراكيين القديم : « يا عمال العالم اتحدوا » . غير ان لنين كان يعتقد ان الغرض المقدَّم ، انما هو تنظيم روسيا على اساس اشتراكي . فاذا تمَّ ذلك امكن الاهتمام بالغرض الآخر واصبح تحقيقه اهون منالاً . فاذا حاول الروس احداث الثورة العالمية قبل تنظيم بلادهم ، لم يكن من شأن الشيوعية الاَّ احداث فوضى عالمية . وكذلك قرر لنين ان ينصرف عن السعي لاحداث الثورة العالمية ، الى العناية بتحقيق سياستهِ الاقتصادية الجديدة فأعاد الى الحياة الاقتصادية الروسية ، شيئاً من نزعة المنافسة الرأسمالية في الصناعة والتجارة ، لئلاَّ ينفر منهُ جماعات الفلاحين المحافظين

فلما توفي لنين في سنة ١٩٢٤ اعيد النظر في السؤال نفسهِ : اتقدم الثورة العالمية على تنظيم روسيا الاقتصادي او تسير روسيا بحسب الخطة التي وضعها لنين قبيل وفاته ? وكان المرجح ان يخلف تروتسكي زعيمه لنين . ولكن زعماء الحزب الشيوعي الروسي ، كانوا قد اخذوا يشكون في صلاح تروتسكي لمنصب الزعيم ، لشدة معارضته في خطة لنين هذه ، ولقوة ايمانهم بها . وكان كمنيف وزينونيف من اتباع لنين وأيدهم في ذلك سكرتير لنين المعروف باسم ستالين . فتمكن هؤلاء الثلاثة من اخراج تروتسكي من الحظيرة المختارة في الحزب الشيوعي . وتسلموا هم مقاليد الامور . ولكن حكم الثلاثة لم يدم طويلاً . فقد كان كمنيف وزينوفيف من رجال الثورة والشغب المتمرسين بأساليبهما . ولكن الحزب الشيوعي حينئذ كان لا يحتاج الى امثالهم من الرجال ، بل كان في حاجة اشد الى رجال يحسنون الادارة والتنظيم . فما لبث ستالين حتى اسقطهم من مكانتهم وأصبح هو وحده يحكم الحزب الشيوعي ، بل وروسيا كما فعل لنين حكماً دكتاتوريًّا

كان ستالين ، مجهولاً عند سواد الروسيين ، عند ما تسلم مقاليد الحكم ، بل وكان من قبل يعرف في صفوف الحزب الشيوعي باسم « سكرتير لنين الصامت » . ولكنه في الواقع كان قد حسن سني حياته ، من مطلع القرن العشرين ، في سبيل الشيوعية

وهو ليس روسي المولد . بل مسقط رأسه ولاية جورجيا في القوقاس . ولد سنة ١٨٧٩ من صانع احذية يدعى دوجاشفيلي ، وكل جل رجاء والده ، ان يصبح ابنه قسيساً . ولكنهُ قبل ان يدرك العشرين من العمر ، ادركه كتاب ماركس فقرأه . وفي سنة ١٩٠٣ التقى بلنين فتم اعتناقه للمذهب الشيوعي . وبدلاً من ان يصبح قسيساً مسيحيًّا ، اصبح مبشراً بالشيوعية . فضت عليهِ سنوات ، وهو يعمل في هذه السبيل في مدينة تفليس ، في صمت وهدوء . وقبض عليهِ ما لا يقل عن خمس عشر مرة فنفي او سجن . وكان في كل مرة يفر من السجن او من المنفى . فاطلق عليه لنين لقب «الرجل الصلب» — ومن هنا اللقب الذي اشتهر به اي « ستالين » . فلما كان شهر يونيو سنة ١٩١٧ سنحت له فرصة للظهور . وكان الحزب الشيوعي في حاجة ماسة الى المال . فعلم ستالين ان مبلغاً كبيراً من المال — مقداره ٢٤٠ الف روبل — على وشك ان ينقل الى بنك في تفليس . وان اوراق النقد سوف تكون في كيس يحمله الصراف وتحرس مركبته سيارة بوليس وزمرة من فرسان القوزاق . فلم تكد العربة تخرج من المحطة يحيط بها الحرس ، حتى انفجرت قنبلة تحتها ، فانقذف الصراف من العربة ، واطلقت الخيل العنان ، واضطرب الحرس واختلط الحابل بالنابل ، وفاز رجال ستالين بالمال

عند ذلك اصبح ستالين محل ثقة الزعيم لنين . وهو من ناحيتهِ ايد زعيمه بوجوب الاعتماد على العنف في اغتصاب مقاليد الحكم . وسار وراءه في انقلاب اكتوبر سنة ١٩١٧ . وفي خلال الحرب الاهلية كان لنين يعهد اليهِ في ادق الامور . ولما هددت جنود الروس البيض مدينة تسارِتسن ، نظم ستالين شؤون الدفاع عنها . فصمدت في وجوه المحاصرين . وظل فيها يثير روح الحماسة ويتولى اسباب النظام حتى استدعاه تروتسكي غيرة منه على ما يقال . وقد كان الدفاع عن هذه المدينة من عجائب افعال البولشفيك في الحرب الاهلية . لذلك اطلق عليها بعد انتهاءِ الحرب اسم ستالنغراد نسبة الى ستالين ، منظم الدفاع عنها . وفي سنة ١٩١٩ بعث بستالين لمقاومة الاميرال كولشاك في سيبيريا . فلما هدد يودنتش مدينة بتروغراد استدعاه لنين الى مركز القيادة العامة . ثم لما هاجم الجنرال دنيكين المنطقة الصناعية في حوض الدونتز ، ارسل ستالين للدفاع عنها ، فنظم فرقة من الفرسان الحمر ، واكتشف جنديًّا عبقريًّا لقيادتها يدعى بودني ، فطرد دنيكين من تلك المقاطعة ولكنهُ استشهد بعيد ذلك فأصبح اسمهُ علماً من أعلام الوطنية الجديدة ونسج حولهُ خرافات سداها ولحمتها أحاديث البطولة والشجاعة والاستشهاد

وفي سنة ١٩٢٢ خلا منصب السكرتير للحزب الشيوعي فعرضهُ لنين على تروتسكي فرفضهُ ولكن ستالين قبلهُ لانهُ ادرك ان هذا المنصب يقربهُ من لنين السكرتير العام ، ويمكنهُ من القبض على اعنة الحكم متى سقطت من يدي الزعيم . وقد كان ما توقع

تجار الحرب

اصحاب مصانع الاسلحة خطر على السلام

منذ ما وضعت الحرب اوزارها وانظار الشعوب ترنو الى ما وعدهم بهِ رجال السياسة من ان الغرض من الحرب الكبرى انما هو القضاء على الحروب او بكلام الرئيس ولسن الغرض منها « ضمان سلامة العالم للحياة الدمقراطية» . لذلك توالت المحادثات في موضوع نزع السلاح وخفضه وتحديده من مؤتمر وشنطن البحري (سنة ١٩٢١ — ١٩٢٢) الى مؤتمر نزع السلاح الذي اصبح في عرف الناس جميعاً مؤتمراً للتسلح . في خلال هذه السنين ، اذ كان الوزراء ودعاة السلام يتحدثون في نزع السلاح في عواصم الدنيا الكبرى ، في وشنطن ولندن وباريس وروما وطوكيو ، كانت مصانع السلاح ، تصنع المدافع والدبابات والطيارات والدروع والقنابل والغازات الخانقة والكمامات الواقية منها ، بل ان اصحاب هذه المصانع ، كثيراً ما روَّجوا اشاعات الحروب ، ونشروا الدعايات القائمة على أنباء مختلقة في صحف اشتروها بالمال ، لكي يثيروا المخاوف في صدور الناس ، ويحملوا الحكومات المتنافسة على شراء الاسلحة والذخائر واعدادها لليوم العصيب . هؤلاء هم تجار الحرب، الذين يثرون من تأجيج نيرانها ، فلا يتورعون عن أية وسيلة في سبيل تأجيجها

***

ولعلَّ المستر هندرسون رئيس مؤتمر نزع السلاح وهو الداعية الجوالة للسلام في عواصم اوربا، من أدرى الناس بما يصنعهُ هؤلاء التجار . فمن عهد قريب، اذ كان هندرسن يعد حقائبه ليسافر الى باريس فالى جنيف ، ليسعى مساعيه الصادقة في سبيل نزع السلاح ، والتوفيق بين وجهات النظر المختلفة ، وقف اثنان من مواطنيه في جماعة من حملة الاسهم في شركتيهما ، فألقيا خطبتين نزلتا كصاعقتين على رأس هندرسن فثبطتا من عزمهِ وفلَّتا من نشاطهِ . لانهُ ادرك حينئذٍ أن قوى عظيمة تعمل من وراء ستار على احباط المساعي العظيمة التي يبذلها . هذان الرجلان هما السر روبرت هدفيلدز رئيس شركة هدفيلدز لمتد والسر هربرت لورنس رئيس مجلس ادارة شركة فكرز وكلتا الشركتين من اكبر شركات صنع السلاح في بريطانيا

فالسر روبرت هيدفلدز، قال في التقرير الذي قدمهُ للمساهمين عن الارباح التي ينتظر توزيعها :

« ولحسن الحظ اتجهت الاحوال اتجاهاً طيباً بعد وقوع الازمة العالمية ، واننا لشاكرون للنعم التي حبينا بها . بل ان شكرنا لأعظم ، للنعم التي نتوقعها » ثم قال : —

« من عهد قريب صنعت شركة هدفيلدز قنبلة قطرها ١٥ بوصة ووزنها طن ..... فلما اطلقت على درع معينة اخترقتها مزيلة في اختراقها ما وزنه ٧٣٥ رطلاً من الصلب القاسي ، وظلت بعد

اختراقها للدرع حائزة لسرعة مكنتها من الانطلاق مسافة تسعة اميال . هذه القنبلة تضع في ايدي المهاجين قوة عظيمة لا توصف » . اما زميله السر هربرت لورنس فقد اعلن في خطبته ان الشركة ربحت في السنة السابقة ما يزيد على نصف مليون من الجنيهات ، وان مجلس الادارة ينوي ان يوزع ارباحاً قدرها ٤ في المائة . ثم قال ان من بواعث سروره ورضاه ، ان الطلبات على الاسلحة من شركة فكرز التي يرأس مجلس ادارتها قد زادت زيادة كبيرة في تلك السنة

﴿ سوق السلاح ﴾ وقد اتسعت سوق الاسلحة والذخائر الحربية اتساعاً عظيماً ، بعد التقدم العظيم الذي طرأ على ادوات الحرب وأساليبها من الوجهة الصناعية والعلمية . فالجندي الكامل العدة في العصر الحديث ، ليس الاّ معملاً علميًّا متحركاً ، ورغماً عن خطب رجال السياسة ، في سنة ١٩١٩ على اثر انتهاء الحرب ، وتسليمهم جميعاً بان الاحتفاظ بالقوى المسلحة في المستوى الذي كانت فيه لا بدَّ ان يسفر عن نشوب حرب اخرى ، نرى جيوش اليوم وهي اوفر عدة ، وأشد بطشاً من جيوش سنة ١٩١٩ . ومع ان عدد الرجال في الجيوش ما يزال عنصراً خطيراً في تنظيم كل جيش ، الاّ اننا نرى ان التقدم العلمي والصناعي في صناعة الاسلحة الهجومية والدفاعية قد حوَّل مركز الثقل في تنظيم الجيوش من الرجال الى الاسلحة . ويقدر ما ينفق على جيوش الامم وأساطيلها الجوية والبحرية كل سنة بنحو الف مليون جنيه . من هذا المبلغ ١٥ في المائة من ميزانيات الجيوش و ٥٠ في المائة من ميزانيات الأساطيل، ينفق على الاسلحة والذخائر المختلفة

هذه الجيوش المجهزة باحدث وسائل الحرب ، هي الميدان الذي يتجه اليه أصحاب مصانع السلاح لترويج بضائعهم ومصنوعاتهم . واليك التقدير التقريبي التالي للجيوش الاوربية

	عدد الرجال		عدد الرجال
فرنسا	٧١٧٧٥٠	يوجوسلافيا	٢١١٥٩٢
بلجيكا	٨٠٣٨٤	رومانيا	٢٤٠٥٠١
بولونيا	٢٦٥٩٨٠	ايطاليا	٤١٤٨٥٩
تشكوسلوفاكيا	١٥١٤٣٥	روسيا	٥٦٢٠٠٠

أما المانيا فجيشها النظامي بحسب معاهدة فرساي يبلغ مائة الف جندي، ومن وراء هؤلاء الآن مليونان ونصف مليون من فرق الهجوم وفريق كبير منهم بحسب اعتراف قوّادهم قد اتخذ رويداً رويداً شكلاً عسكريًّا . وهذه الارقام لا تشتمل على نحو ٣٥ مليون جندي من الجيوش الاحتياطية المدربة في بلدان اوربا المختلفة التي تقتضي اعداد المعدات لها وخزنها حتى يمكن استعمالها يوم تنشب الحرب . والمعدات تتباين من المدافع والقنابل الى الرشاشات والدبابات الى قنابل الغاز والكمامات الواقية منها . وهذه جميعها تصنعها مصانع الاسلحة وتبيعها للدول

﴿ النفقات البحرية ﴾ أما النفقات البحرية ، في الدول البحرية الكبرى ، فعظيمة جدًّا

فنفقات بريطانيا البحرية قد زادت من ٥١ مليوناً من الجنيهات في سنة ١٩٣١ الى ٥٥ مليوناً ونصف مليون في سنة ١٩٣٤ . وميزانية اليابان البحرية قد زادت من ٢٢٧ مليون ين في سنة ١٩٣١ — ١٩٣٢ الى نحو ٤٨٨ مليون في سنة ١٩٣٤ — ١٩٣٥ وينتظر ان تبلغ ٦٠٠ مليون ين في سنة ١٩٣٦ أما نفقات الولايات المتحدة البحرية فقد قدرت بنحو ٦٧ مليون جنيه لسنة ١٩٣٤ وبنحو ٩٥ مليون جنيه لسنة ١٩٣٥ ومائة مليون جنيه لسنة ١٩٣٦

ولما كانت هـذه الاموال تنفق على ما يقال في سبيل الدفاع ، وحماية مصالح الدول التي تنفقها، فمن المعقول ان تتوقع من الحكومات ان يكون لها مصانعها الخاصة لصنع الاسلحة المختلفة ، كما تحتفظ كل دولة بحقها في ضرب النقود . ولكن الواقع ان الحكومات المختلفة ، تعتمد في الغالب على مصانع الاسلحة التابعة لشركات خاصة، وتسمح لهذه الشركات في ان تبحث عن أسواق لمصنوعاتها ، عند ما تستطيع ان تنتج منها علاوة على ما تحتاج اليه حكومتها ، حتى تبقى هذه المصانع مستعدّة لتجهيز حكومة بلادها بما تحتاج اليهِ عند نشوب الحرب . وهنا نجد مفارقة عجيبة في صناعة السلاح . البوارج ، والطيارات ، والدبابات ، والرشاشات ، والقذائف ، والقنابل ، والغازات — جميع هذه الاسلحة رمز للنزعة القومية الشديدة . ولكن أصحاب المعامل التي تصنعها لا يؤمنون الاَّ بالنزعة الدولية ، لأنهم يريدون ان يبيعوا أسلحتهم الى اكبر عدد من الدول ، سواء أكانت صديقة لبلادهم ام خصماً لها . ومع ذلك نجد انَّ لاصحاب هذه المصانع كلمة خفية ؛ ولكنها كلمة مسموعة، في المجامع التي تقرّر فيها الخطط العليا التي تجري عليها دولهم في السياسة العالمية

﴿ مصانع الاسلحة الشهيرة ﴾ ليست أسماء هذه المصانع مشهورة شهرة وزراء الخارجية الذين يلقون الخطب الرنانة في وجوب خفض السلاح والتعاون لمنع الحرب والتضافر على رفع مستوى الحياة الانسانية بتعزيز السلام وتوفير اسباب العمل لبنيها ، ولكن أثر هـذه الاسماء قد لا يقل عن أثر وزراء الخارجية اصحاب الخطب الرنانة !

والواقع ان عدد المصانع المسيطرة على تجارة الاسلحة قليل قد لا يعدو اصابع اليد الواحدة

وفي مقدمتها جميعاً شركة فكرز البريطانية ، ولهذه الشركة فروع كثيرة واغلب ما تخرجه من الاسلحة تبيعه للحكومة البريطانية ولكنها لا تمتنع عن تلبية طلبات الحكومات الاجنبية وهي مثل جميع مصانع الاسلحة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالحكومة البريطانية ورئيس مجلس ادارتها الآن كان ضابطاً كبيراً من ضباط الجيش البريطاني . ومن الشركات المتصلة بها او التي من قبيلها شركة «أمبريال كميكلز» التي تخصصت في ادوات الحرب الكيمائية ، علاوة على صنع الاسمدة

أما في فرنسا، فثمة اتحاد لصناع الاسلحة يعرف باسم «كوميته ده فورج» ورئيس مجلس ادارته رجل يدعى فرنسوى وندل وهو من اصحاب النفوذ العظيم في دوائر السياسة الفرنسية . وأهم شركة داخلة في هذا الاتحاد شركة «شنيدر كروزو» التي تبيع اسلحتها لحكومة فرنسا وسائر بلدان العالم

وقد قضت معاهدة فرساي ان تفكك المانيا معامل الاسلحة فيها كمعامل كروب وسيمنز . ولكن يقال الآن — وقد اعترفت الحكومة الالمانية بذلك ضمناً في مذكرتها بتاريخ (١٦ ابريل سنة ١٩٣٤ للحكومة البريطانية) — بأنها ماضية في التسلح . والاحصائيات التجارية تدل على ان المانيا تصدر أسلحة وذخائر ، وتستورد المعادن المختلفة وبعض الادوات اللازمة في صناعة الاسلحة

وأهم معمل للاسلحة في اوربا الوسطى قائم في تشكوسلوفاكيا ويعرف باسم معمل سكودا وله فروع مختلفة في مدن مختلفة في رومانيا وبولونيا ، وهو خاضع لمعمل شنيدر كروزو الفرنسي . وهذه الظاهرة اي ظاهرة اتحاد معامل الاسلحة الدولية من اغرب الظاهرات في هذه الصناعة التي يقال فيها ان غرضها الاول انما هو اعداد معدات الدفاع عن البلاد التي يكون المعمل فيها ، بل لقد قيل ان لشركة شنيدر كروزو حصة كبيرة في اتحاد المالي لصنع السلاح

هذا في اوربا — فكرز وشنيدر كروزو وسكودا في المقدمة — اما في الشرق الاقصى فمصانع متسوي في اليابان اهمها : وهذه المصانع مشتركة او متحدة بمصانع فكرز الانجليزية . ومع ان في ايطاليا وبلجيكا مصانع للاسلحة ، الاَّ انها لا تبلغ في مقامها الدولي مقام المصانع التي ذكرناها

اما في الولايات المتحدة الاميركية فلست تجد كذلك شركات ضخمة لصنع الاسلحة من مقام فكرز ولكن ٩٥ في المائة من معدات الجيش الاميركي تصنع في مصانع شركة بيت لحم (اي مفارقة في اطلاق اسم بيت لحم حيث ولد عيسى على شركة لصنع السلاح !) وشركة دوبون . وهذه الاخيرة اختصت بالاسلحة الكيمائية

﴿المصانع والعداوات القومية﴾ من يطلع على البرقيات التي تنشرها الصحف العربية كل يوم ، يدرك مبلغ العنف والحدة في العداوات القومية في اوربا ، ولكن اصحاب مصانع الاسلحة لا يأبهون لذلك كثيراً ، فانهم يبيعون اصدقاء بلادهم كما يبيعون اعداءها . وثمة في تجارة الاسلحة شيء لا تراه في غيرها ، فزيادة الطلب على احدى الشركات ، لا يعني ان الشركات الاخرى تحرم منه ، بل ان الزيادة تشمل جميع الشركات على السواء ، بل تكون باعثاً على توسيع نطاق الطلب لان الدولة الواحدة التي توصي بصنع قدر من الاسلحة في احد المعامل ، لا تلبث ان ترى مزاحمتها وقد اوصت على قدر اكبر منها في معمل آخر . واذا استنبطت شركة من الشركات وسيلة حربية جديدة تسرع جميع الامم الى شرائها لكي لا تحرم من ميزاتها ، فلا تلبث ان تستنبط شركة اخرى ، وسيلة جديدة لمقاومتها ، فتقبل جميع الدول التي اشترت الاسلحة الاولى على شراء الاسلحة الجديدة . وهذه الحقيقة في تجارة الاسلحة ، افضت الى التعاون بين شركات الاسلحة في مختلف الاقطار ، ومن هذا التعاون تنشأ المخاطر التي تهدد السلام . ذلك ان مصانع السلاح يهمها ، ان تنشيء جوًّا من الريبة والخوف يحمل الدول على التسلح

وكانت جمعية الامم قد عينت لجنة سنة ١٩٢١ للبحث في هذا الموضوع فأنحت على صنّاع

الاسلحة باللوم الشديد ، وقالت ان ممثليها عمدوا الى خلق إشاعات الحرب ، ورشوا موظفي الحكومات، وأذاعوا بيانات مختلقة عن الاستعداد البحري والبري والجوي في دول مختلفة ، وحاولوا التأثير في الرأي العام بواسطة الصحف — كل ذلك لكي يحملوا الدول على التنافس في التسلح لان هذا التنافس سبيلهم الى الثروة والسلطان . ولذلك يقول السر روبرت هد فيلدز ، ان شركته يجب ان تكون عظيمة الشكر لما حبيت به من النعم . والنعم في نظره طبعاً ، هي زيادة الطلب على المدافع والبنادق والقنابل وسائر الاسلحة التي تصنعها شركته

﴿ السلام ومندوبو مصانع السلاح ﴾ نشرت احدى الصحف في اوائل الصيف انهُ بينما كان جو الاستعداد لاستئناف مؤتمر نزع السلاح رائقاً راجت اشاعة ، أخذت جنيف فجأة ، مؤداها ان الدول قررت فض المؤتمر من دون ان تحاول الخروج من المأزق الذي بلغتهُ المفاوضات . فاضطربت جنيف لذلك ، واضطربت معها الدوائر الدولية العالمية ولكن الدول اسرعت الى تكذيب الاشاعة وكان المسيو بارتو وزير خارجية فرنسا من أصرحهم في تكذيبها

وليست هذه الاشاعة بالاشاعة الاولى التي تقلق مؤتمراً لنزع السلاح أو خفضهِ . ففي سنة ١٩٢٧ لما اجتمع المؤتمر البحري في جنيف استأجرت مصانع السلاح الاميركية رجلاً يدعى شيرر Scherrae ليذهب الى جنيف مراقباً بالنيابة عنها ، والواقع ان عمله كان محاولة احباط المؤتمر بكل ما يستطيعهُ من الوسائل ، كالتأثير في بعض المندوبين الذين يستطيع الاتصال بهم ، وخلق اشاعات تؤثر في الرأي العام الاميركي من جهة ، وفي الرأي العام الدولي من جهة اخرى . ولولا اختلاف شيرر بعدئذٍ مع الشركات التي ندبتهُ على قيمة الاتعاب التي طلبها لما فضحت المسألة . وليست المصانع الاميركية الوحدة بين مصانع السلاح الكبرى التي تستخدم امثال شيرر ، فقد كتب المستر فيليب نويل بايكر ، سكرتير رئيس مؤتمر نزع السلاح في هذا الصدد ما مؤداه : —

« قضيت معظم ايامي في خلال الستة الشهور الاولى من سنة ١٩٣٢ في أروقة مؤتمر نزع السلاح وما مضى علينا اسبوع واحد في تلك الفترة ، حتى سمعنا باشاعة تتناقلها الالسن ، مؤداها ان الدول قد قررت حل المؤتمر او تأجيله ، وهؤلاءِ المروجون بارعون كل البراعة في خلق الاشاعات لانهم يحسنون ربطها بتطور المفاوضات ، حتى يسبغوا عليها ظلاًّ من الحقيقة . وكانت كل اشاعة منها ، تذاع وفي عبارات اذاعتها ، اقوال خفية تشير الى ان ناقليها يملكون من الاخبار السرية ما لا تتسنى معرفتهُ لجميع الناس . فكان الناس — والمندوبون في المؤتمر ناس — يعتقدون حقًّا ، ان الوقت لم يحن بعد للبحث في نقص السلاح او خفضهِ دع عنك نزعه ، وكانت هذه الاشاعات في الغالب على اقواها واكثرها ، لما كانت المفاوضات سائرة سيراً حسناً

« كنت أسمع هذه الاشاعات في أروقة المجلس ، وأنا عالم حق العلم — (أليس هو سكرتير رئيس المؤتمر) — ان الدول لم تكن تفكر في حل المؤتمر أو تأجيله بوجه من الوجوه ، فخرجت الى النتيجة التالية

وهي ان هذه الاشاعات تختلق اختلاقاً ولست أملك الدليل على رأيي هذا ، وقد لا أملكه حتى يطلع علينا حادث آخر من قبيل حادث شيرر ومصانع السلاح الاميركية. ولكنني اعتقدت حينئذ وما ازال أعتقد الآن ، ان لمصانع السلاح وكلاء يستأجرون خاصة لاضعاف الروح المعنوية في المؤتمر ، بخلق الاشاعات على المنوال المتقدم ، وايهام الناس والصحافة والمندوبين أنفسهم بأن نجاح المؤتمر متعذر

«بل انني أعرف أناساً في مقامات رسمية يذهبون الى ابعد من هذا فهم يعتقدن ان مغامرة اليابان في منشوريا وحربها مع الصين في سنة ١٩٣١ أقرت في دوائر اليابان العسكرية بعد اتفاقها مع صناع الاسلحة في أوربا وان تاريخ تلك المغامرة العسكرية رتب خصيصاً حتى يجيء في وقت تكون فيه جمعية الامم قد صدمت صدمة عنيفة عند اجتماع مؤتمر نزع السلاح . ولا أريد ان احمل تبعة هذا الاعتقاد ، وانما هناك من الحقائق ما يحول دون اهماله كل الاهمال . فان عداوة العسكريين اليابانيين ، وصناع الاسلحة الاوربيين للمؤتمر تشير من وجوه مختلفة الى هذه العلاقة وتوضحها . فعندنا اولاً الطلبات الكثيرة للسلاح التي طلبتها اليابان من مصانع السلاح الاوربية، وثانياً السهولة التي دبر بها المال لتسديد ثمن هذه الطلبات بعقد قروض اوربية خاصة لها ، وثالثاً التأييد الذي تناله اليابان في الصحف المتصلة بمصانع السلاح حتى في البلدان التي تطلب صحافتها تأييد جمعية الامم وتعزيزها — ان الادلة متوافرة على ان ذلك الاعتقاد الغريب له ما يستند اليه »

بل هنالك ماهو أغرب من هذه الحكاية . زاد انتاج مصانع السلاح ، زيادة كبيرة بعد قيام هتلر في المانيا ، وتقلده لأزمة الحكم فيها . وليس هذا بالامر الغريب فهتلر قد نفخ في أمته روح الكرامة الغاضبة ، ونزوعاً الى المساواة في سبيل تلك الكرامة . فالناس في اوربا يحسون قلقاً ، مهد السبيل الى المضيّ في التسلح . وانما يهمنا في هذا المقام ، أن نذكر ، ان مديري شركة سكودا — وهو مصنع سلاح كبير في تشكوسلوفاكيا متصل بمصنع شنيدر كروزو بفرنسا — اكتتبوا بمبالغ من المال لتأييد حركة هتلر قبل تقلده الحكم ، مع ان هتلر كان حينئذ صريحاً في أنه يدعو الى تنقيح المعاهدات التي تدافع عنها فرنسا وتشكوسلوفاكيا بكل قواهما . والسر في موقف سكودا وشنيدر ، ان قيام هتلر يبعث القلق في أوربا على سلامة كل أمة فتعمد الى التسلح للدفاع عن كيانها . وهذا هو سبيل الربح لهذين المعملين . بل ان ملكي صناعة الحديد والصلب في المانيا — أي تسن Thyssen وكروب Kruppe — اكتتبا كذلك بمبالغ لتأييد الهر هتلر قبل تقلده لمنصب المستشار ، مع أن هتلر كان لا يخفي حينئذٍ أنه ينوي أن يجعل جميع الصناعات ملكاً للامة . أي أنه كان ينوي أن يجرد تسن وكروب من مصنعيهما

واذا أنت طالعت الصحافة الاوربية ، وهذه الحقائق الاساسية عالقة بذهنك ، تبينت كثيراً من الفضائح التي قد تند عنك في القراءة العادية . فانت تقرأ مثلاً في مجلة «هدوي» الانكليزية عدد مايو سنة ١٩٣٤ العبارة التالية : — « والواقع أن واحداً على الاقل من أصحاب الصحف التي تعادي جمعية

الامم أعنف المعاداة يملك ألوفاً من الاسهم في شركة من الشركات التي تصنع الطيارات الحربية »

اقرن هذه العبارة بما تراه مثبتاً في صحيفة الديلي ميل من الدعوة الى تقوية سلاح الطيران البريطاني او تقوية سلاح الطيران الفرنسي ، تدرك ان المقصود هو روذرمير نفسه . ففي ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٣٣ قالت الدايلي ميل ان بريطانيا تحتاج الى سلاح جوي اقوى عشرة اضعاف من سلاحها الحالي . وفي الشهر نفسه قالت بتوقيع روذرمير نفسه ان بريطانيا تحتاج الى خمسة آلاف طيارة اذا شاءت الاَّ تبقى تحت رحمة جاراتها. وفي ديسمبر قالت ان فرنسا القوية ضمان للسلام واذن فيجب ان يتألف سلاحها الجوي من ٢٠ الف طيارة . وبعد هذا يسهل على القارىء ان يصل الى النتيجة الصحيحة عن الصلة بين هذه الدعاية وما يملكه صاحبها من الوف الاسهم في شركة الطيران الحربي

بل هناك ما هو انكى من هذا كله ، لانه مصبوغ بصبغة رسمية . ذلك ان جمعية الامم كانت قد وجهت الى الحكومات اسئلة تتعلق بتنظيم صناعة السلاح في بلادها . فجاء في اجابة الحكومة البريطانية : « ان مصانع السلاح الكبيرة كشركة فكرز ارمسترونج ، تقف جانباً من وقتها فقط على صنع الاسلحة ، واما الباقي فموقوف على مصنوعات لا صلة لها بالسلاح » . هذا جواب رسمي من الحكومة البريطانية.ولكن رئيس تلك الشركة نفسه السر هربرت لورنس قال في خطبة له لحملة اسهم شركته : — «اننا نجتهد ان نوسع نطاق اعمالنا الاخرى . . الاَّ ان شركة فكرز ارمسترونج تعتمد في حياتها على صنع السلاح »

وقد جاءتنا ونحن نكتب هذا الفصل بعض نتائج التحقيق الذي تجريهِ لجنة عينها مجلس الشيوخ الاميركي، في فضائح صنّاع الاسلحة وتجارها ، فاذا كلُّ ما فيها مؤيد لمجمل ما تقدَّم . خذ مثلاً على ذلك شركة اميركية اسمها Electric Boat Co. متفقة مع شركة فكرز ، فقد دفعت هذه الشركة للسر باسيل زهاروف ١٥٠ الف جنيه من سنة ١٩١٩ الى ١٩٣٠ عمولة على طلبات السلاح التي جاءَها بها من حكومة اسبانيا . ولما كانت شركة رغز Riggs تحاول ان تبيع مدافعها للحكومة التركية ، بعثت وزارة البحرية الاميركية بالطراد راليه الى استانبول ، لكي يتاح للترك التفرُّج على مدافعهِ وهي من صنع شركة رغز. وسمح لضابط من الضباط العاملين في الجيش الاميركي ان يصبح مستشاراً فنيًّا لحكومة كولومبيا فوضع في مكتب شركة رغز تقريراً يشير فيهِ على حكومة كولومبيا بشراءِ مقدار كبير من الذخيرة التي تصنعها تلك الشركة. وفي سنة ١٩٢٩ لما كان الجفاء مستحكماً بين بيرو وشيلي اتفقت شركة فكرز وشركة Electric Boat الاميركية على ان تبيع الاولى الاسلحة لشيلي والثانية لبيرو ثم تتقاسمان الأرباح وكتب مندوب هذه الشركة في بيرو يقول انهُ يسعى لكي يعيَّن مندوباً لحكومتهِ في مؤتمر نزع السلاح وغرضهُ حماية مصالح صناع السلاح والذخيرة

هذه نواح من فضائح اصحاب المصالح في صناعة السلاح ، وهم يحاولون ان يحبطوا كل مؤتمر لنزع السلاح او خفضه ، ويعرقلوا كل مسعى

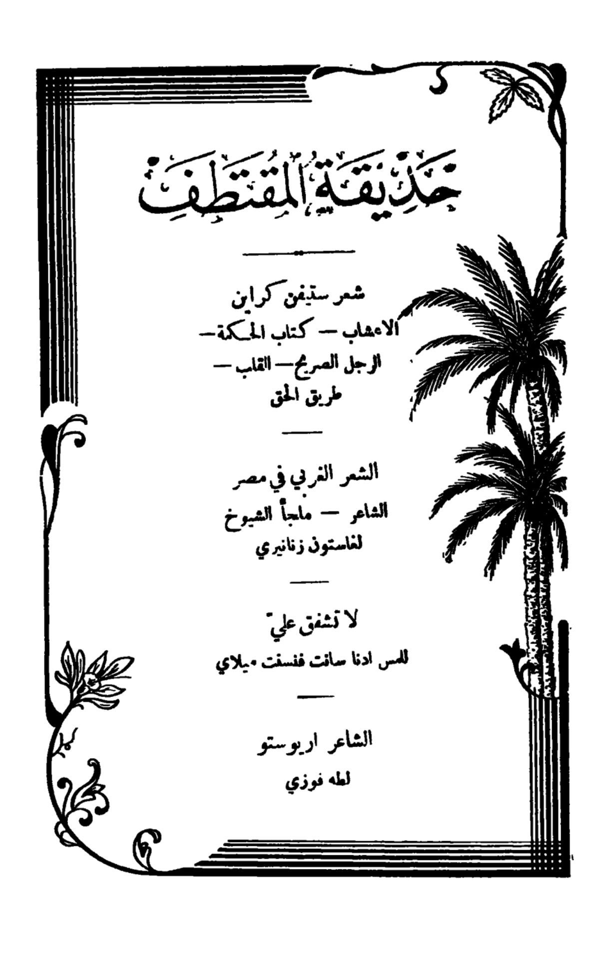

حديقة المقتطف

شعر ستيفن كراين

الاعشاب — كتاب الحكمة —
الرجل الصريح — القلب —
طريق الحق

الشعر الغربي في مصر

الشاعر — ملجأ الشيوخ

لغاستون زنانيري

لا تشفق عليّ

للمس ادنا سانت فنسنت ميلاي

الشاعر اريوستو

لطه فوزي

شعر ستيفن كراين

[القطع التالية مختارة من شعر اديب يدعى ستيفن كراين مرّ على مسرح الادب الاميركي مرور الشهاب اذ ولد سنة ١٨٧٩ وتوفي سنة ١٩٠٠ ولكنه ترك في القصة والاقصوصة والشعر الغنائي آثاراً رائعة]

الاعشاب

وقفت طائفة من الاعشاب في السماء امام العزة

فقالت العزة لها : ماذا فعلت ؟

فتهافتت جميعاً — الاّ واحدة منها — على تعديد مآثرها في الحياة .

اما العشبة الصغيرة فانتحت مكاناً وراءهنّ وعليها آثار الحياء .

فالتفتت العزة اليها وقالت : وانت ماذا فعلت ؟

فقالت : رباه ان الذكرى اليمة .

واذا كان لي في حياتي حسنات فقد نسيتها .

عندئذ تجلت العزة في كل ابهتها ونهضت

عن العرش وقالت : يا افضل الاعشاب !

كتاب الحكمة

التقيت بسيد يَحمِلُ في يديه كتاب الحكمة

فقلت يا سيدي ، دعني اطالع فيهِ

فقال : ايها الطفل — ولكنني قاطعتهُ قائلاً :

يا سيدي : لا تظنن انني طفل ،

لانني اعي كثيراً مما تنطوي عليهِ صفحات الكتاب في يديك

نعم ، واعرف كثيراً منها . فابتسم الرجل وفتح

الكتاب ونشر صفحاته امامي . فاذا بي — فجأة — قد كُفِفتُ

الرجل الصريح

خرج الرجل الصريح وجعل يخاطب الرياح
ولما تلفّتَ حواليه وجد نفسهُ في بلاد غريبة

خرج الرجل الصريح وجعل يخاطب النجوم
فبهرهُ نورها الاصفر الساطع

فالتفت اليهِ سائرٌ حكيم وقال :
ايها الاحمق الصالح . ان جميع اعمالك حمق وجنون

فصاح فيهِ الرجل الصريح قائلاً « انك كثير الصراحة »
ولما هوت عصاته عن رأس محدثهِ كانت قطعتين

القلب

رأيت في الصحراءِ كائناً ، عارياً ، وحشيًّا
متربعاً على الارض ، وممسكاً قلبهُ بيديهِ
وهو ينهشهُ

قلت : الذيذٌ ايها الصديق . قال :
انهُ مرٌّ . مرٌّ . ولكنني استطيبهُ
لانهُ مرٌّ ، ولأنهُ قلبي !

طريق الحق

لما شاهد المسافر الطريق الى الحق
اخذه العجب لانهُ رأى الاعشاب تغطيه
فقال : ارى ان احداً لم يسر عليه من زمن طويل !
ثم تبين ان كل عشبة سكين حادّ ، فتمتم :
« لا بدَّ ان يكون هنالك طرق اخرى » !

الشعر الغربي

في مصر

صح عزمنا بعدما نقلنا طائفة مختارة من الشعر الغربي ان ننقل مختارات من قصائد الشعراء المصريين والاجانب الذين ينظمون الشعر الغربي في مصر . وقد بدأنا بقصيدتين بليغتين للشاعر المصري المجيد خيري نشرتا في العدد الماضي . وفي هـذا العدد ترجمة قصيدتين فرنسيتين عامرتين للشاعر فاستون زنانيري

الشاعر

بيدٍ ترعدها الحمى ، كان يخطُّ كلمات تدعمها كلمات ، وتليها كلمات ، وبينما هو يكدُّ ويدأبُ سمع في قرارة نفسهِ صوتاً يهتف بهِ قائلاً :

انا الوهم فائق الوصف ، الذي لا يتسنى التعبير عنهُ ، غير العابىء بشرائع الحقيقة ، اسكب في القلوبُ جاذبيات نجواي ، واضع فيها سحرَ صفوي الخفي ، الذي لا تدركه عينٌ ، انا مثيل موجةِ البحرِ ، الصخبةِ المضطربة ، التي تبتلع الغوَّاص ، الساعي دون كللٍ ولا تمهُّلٍ ، للحصول على ضياء الفضة النقية البراقة ، المشعة في مستقرِّ اللجج ، كأنها الأمل البعيد المدى ، الذي لا يتسنى ادراكهُ ، ولا الوصول اليهِ

افتحُ آفاقاً ذات ضوءٍ ونورٍ ، يكادان يهزءان بحلول الليل ، ويتركان وراءهما ، بعد تلاشيهما ، سراباً تكفي لحظةٌ واحدةٌ ، لكي تعفو اثره ، وتلاشي معالمهُ

فالسمك في البحر ، والطير في الفضاء ، واللذة في الحبِّ ، والبريقُ في العيونِ ، والنَظَرُ التائهُ في لانهاية السماوات . . . جميعُ هذه الاشياءِ البديعة تضمحلُّ دون ان تتركَ أثراً

ولكن ذلك الهاتفَ ، قُوطِع في همسهِ بصوتِ السكوتِ ، وبحركةٍ خفيفةٍ في الظلام ، تُشبهُ النَفْشَةَ التي تمرُّ بقربِ العقلِ ، فنهضَ الشاعرُ من مكانهِ

وكانت الغرفةُ قد سادها غَبش المساءِ . ورأى الليل يتسلَّلُ الى غرفته . فأظلمَ كلُّ ما فيها ، وعاد لا يُبصر شيئاً

ملجأ الشيوخ

لا يَضيرهم ان تُغشي عيونَهم سحابةُ الكآبة والحزن ، وان يَجرُّوا تحت اشعة الشمس الدافئة ، اعضاءهم المتخدّرة اليابسة . . لا يضيرهم ان تكون قبضات ايديهم خُلُواً من كل حبٍ وحنان ، وان تكون وجوههم منقبضة تحوطها الرزانة ، وجباههم معتّمة تغشاها الظلمةُ والحلوكة

لا يضيرهم ان تكون السماء مشعّةً بالانوار ، وان تكون اشجارُ الخمائل يانعةً مزهرةً . . لا يضيرهم ان تحنو قلوبهم على تذكارات الماضي ، وان يقبل الليل اليهم بذكرى ، تعيد لهم ما سلف من حياتهم الهانئة السعيدة

لا يضيرهم ان يصبح الاملُ حلماً لذيذاً ، وان يكون الليل المقبل غير ذي صباح.. لا يضيرهم ان تضحي حياتهم نهاراً ، ينقضي تاركاً في القلب أسفَ الصباح وغصَّتهُ

لا يضيرهم كل هذا ، فقد عرَفوا نهايتهم ، وهم ينظرونها بهدوءٍ وسكينةٍ ، ينتظرون حلُولَها بصمتٍ وسكونٍ ، دون ان يأتي اليهم من يزورهم في ملجأهم الاخير ، ولا من يقبل ليزوّدهم النظرةَ الاخيرة وهم على فراش الموت

| نقلها جورج نيقولاوس |

لا تشفق عليَّ

للمس أدنا سانت فنسنت ميلاي — شاعرة أميركية معاصرة —

لا تشفق عليَّ لان نور النهار، عند الغروب، عاد لا يتماوج في الفضاءِ
لا تشفق عليَّ لزوال الوان الجمال من الحقل والغابة باختلاف الفصول
لا تشفق عليَّ لنقصان القمر ، ولا لجزر البحر
ولا لانَّ شهوة الانسان تخبو بسرعة
ولا لانك عدتَ لا تلقي عليَّ نظرة الحب.
لقد عرفت كلَّ هذا . ليس الحب اكثر من الزهرة التي تلفحها الريح
ولا اكثر من المدّ يغسل الشاطىء فينثر عليهِ صرعى العواصف .

بل اشفق عليَّ لان القلب بطيءٌ في ادراك ما يراهُ العقل في كل لفتةٍ

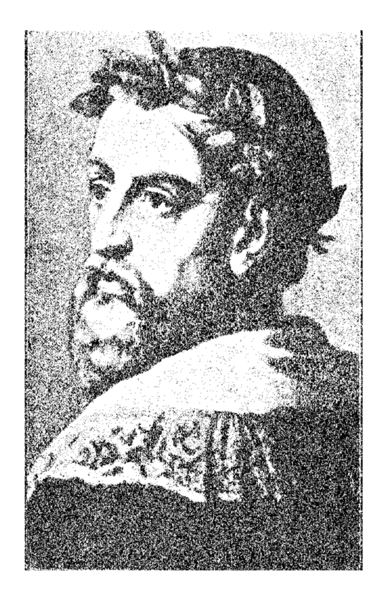

لودفيك اريوستو
شاعر ايطالي يقال انهُ تأثر بألف ليلة وليلة
مقتطف اكتوبر ١٩٣٤ أمام صفحة ٢٢٣

لودفيك آريوستو

| شاعر ايطالي تأثر بألف ليلة وليلة |

في اليوم السادس من شهر يونيه من العام الماضي احتفل الايطاليون في مشارق الارض ومغاربها بمرور اربعمائة عام على وفاة شاعرهم القصصي الكبير لودفيك آريوستو مؤلف قصة « اورلاندو فوريوزو » الخالدة . وكان اكبر هـذه الاحتفالات واعظمها شأناً ذلك المهرجان العظيم النادر المثال الذى اقامته مدينة « فرارا » Ferrara مسقط رأس الشاعر وقد قام بتنظيمه نفر من كبار رجالات تلك المدينة وعلى رأسهم السنيور ايتالو بالبو وزير الطيران الايطالي سابقاً . ويهمنا نحن الشرقيين ان نعرف شيئاً عن هـذا الشاعر الفذ وعن قصته الطريفة التي ادعى كثير من الكتّاب الافرنج ان قصة الف ليلة وليلة العربية انما هي مأخوذة منها لوجود شبه كبير بين القصتين مع ان هناك من الكتّاب الايطاليين انفسهم من يقول بغير هذا القول.فقد القى المستشرق الكبير الدكتور لويجي رينالدي في عام ١٩٢٠ محاضرة نفيسة عن المدنية العربية في الغرب بمدينة القاهرة كان لها وقع عظيم في نفوس الشرقيين عامة والمسلمين بنوع خاص ونشرتها مجلة المقتطف في حينها وقد جاء فيها ما يأتي بالحرف الواحد :

« انظر الى قصة « اورلاندو فوريوزو » تجد انها مأخوذة كلها من كتاب الف ليلة وليلة الشهير الذي احتوى على قصص عربية وفارسية وهندية غريبة وانك لتجد فيهما الاسلوب واحداً والمغزى واحداً ولاسيما تلك النقطة التي تدور حولها جميع هـذه القصص وهي زعمهم بأنه ليس في العالم امرأة عفيفة

« وبيننا كثيرون يعتقدون ان العرب هم الذين عرّبوا كتاب « اورلاندو فوريوزو » ولكن هذا محض افتراء ولقد تكلم في هذه النقطة المؤرخ الشهير آماري Amari فقال « اقول ان سرقة وقعت لكتاب الف ليلة وليلة ذلك ان قصص اريوستو وحوادث استولفو وجوكوندا كلها مقلدة من اولها الى آخرها او بالاحرى منقولة من قصص الف ليلة وليلة ما عدا تغيير بسيط في بعض الاسماء وفي بعض الظروف القليلة الاهمية »

ولكن هـذا على فرض التسليم بصحته لا ينقص من قيمة قصص آريوستو ولا يفقدها شيئاً من جمالها وسلاستها وروعتها لان هـذه القصص انما هي من بدائع الشعر الايطالي التي خلدت وستخلد على كرّ الزمن ومرور الايام

اما لودفيك آريوستو فقد كانت ولادته في اليوم السادس من شهر سبتمبر سنة ١٤٧١ بمدينة ريجيو دميليا Reggio d'Emilia وكان ابوه رجلاً من اشراف « فرارا » وكان قائداً لقلعة « ريجيو » من لدن الدوق هرقل الاول واما امه « داريا مالاجوتزي » فكانت احدى نبيلات مدينة ريجيو

تلقى آريوستو تعليمه الاول في مدينة فرارا حيث انتقلت اسرته ولم يبلغ الثانية عشرة من عمره ولم يكن كثير الميل الى التعلم على ان امياله جميعها كانت متجهة نحو التمثيل المسرحي الذي نبغ فيه الى حد كبير حتى انهُ في سنة ١٤٩٣ استدعاه هرقل الاول الى مدينة پاڤيا Pavia للتمثيل في حضرة لودفيك المورو. وعلاوة على اشتغاله بالتمثيل كان يميل الى قرض الشعر ولقد نظم في ايام شبابه قصة « تسبي Tisbe » التي قام بتمثيلها هو واخوته واخواته وكان موضع اعجاب المتفرجين لمبتدعاتهِ الشعرية التي زانت القصة اكمل زينة

ولقد تحدث آريوستو حديثاً مستفيضاً في قصيدته الهجائية السادسة التي وجهها الى « بيترو بمبو » عن تعليمه وعن غرامه بالشعر . فقد حاول والده عبثاً حملهُ على دراسة الكتب والتعليقات الشهيرة لانه كان حتى سن العشرين يكاد يجهل اللاتينية وكان يجد صعوبة كبيرة في مطالعة قصة فدرو Fedro ولكن اباه عاد واطلق له الحرية في ممارسة المهنة التي كان يهيم بها وكان من حسن حظه ان تتلمذ على عالم كبير من علماء اللاتينية واليونانية هو « جريجوريو دا سپوليتو » وكان ذلك لمدة قصيرة لان هذا الرجل الاديب سرعان ما استدعي الى ميلانو للتعليم في بلاط سفورزسكا Sforzesca لما ناله من الشهرة الواسعة

مضى آريوستو بعد ذلك في دراسة اللاتينية وحده دون معلم فقرأ مؤلفات فرجيل وهوراس وتيبولو وكاتولو واعجب بها كل الاعجاب ولقد بلغ من اتقانه اللغة اللاتينية ان نظم بها بعض اشعار لا تقل جودة ومتانة عن اشعار اشهر شعرائها الانسانيين المعروفين

ولقد كان فقده لاستاذه المحترم ثم فقده لوالده في سنة ١٥٠٠ في الوقت الذي فقد فيهِ ابن عمهِ العزيز باندولفو، من بواعث حزنهِ الشديد فاضطرَّ الى حمل عبء الاسرة وهي مؤلفة من الام واربعة اولاد وخمس بنات لان ما ورثهُ عن ابيهِ لم يكن ليسد حاجاتها وكان عليهِ ان يعلم اخوته واخواته ولكن هذا لم يكن ليمنعهُ لحظة واحدة من قرض الشعر الذي كان يقبل عليهِ بحماسة لانهُ كان يرى فيهِ سلواهُ الوحيدة في غمار هذه الهموم والآلام

اضطرَّ اريوستو اذ ذاك ان يلتمس منصباً في بلاط آل دستي Deste فانتظم في خدمة الكردينال ايپوليتو ولم يكن عمله يحول دون نظم الشعر فكتب كثيراً من القصائد الرائعة

بقي في خدمة الكردينال اكثر من خمس عشرة سنة بمرتب لم يكن كبيراً مع انهُ كانت توكل اليهِ في بعض الاحيان مسائل غاية في الخطورة تدل على ما حازهُ من الثقة كما كان يرسل في سفارات لم تكن دائماً قليلة الخطر كان ينتقل من اجلها الى مانتوفا وميلانو وبولونيا وفلورنسه وفي اغلب الاحيان الى مدينة روما وكان يطلب اليهِ ان يكتب بعض الروايات الهزلية فكانت اولاها قصة كاساريا Cassaria التي مثلت في سنة ١٥٠٨ وقصة الوكلاء Suppositi في سنة ١٥٠٩ ثم قصة الساحر Il Negromante والتنفس La Lena والطلبة وهي قصة التي بلغ فيها نصفها واكملها من بعده اخوه جبرائيل آريوستو ثم القصة المدرسية La Scolastica وكانت القصتان الاوليان مكتوبتين في مبدأ الامر بالنثر ولكنهُ عاد ووضعهما شعراً وكانتا اولى الروايات الهزلية في الادب الايطالي وكانت جميع رواياته على نسق روايات Trenzio ترنزيو و Plauto پلاوطو

وفي الفترة التي مضت بين سنة ١٥١٣ وسنة ١٥٣١ نظم اريوستو سبع قصائد هجائية تحدث فيها عن عصره وعمن عاصره من الرجال وعن بلاط روما وعن البابا ليون العاشر وعن مدينة جارافانيانا وبلاط فرّارا والدوق الفونسو والكردينال ايپوليتو وعن عادات النساء وعيوب الرجال وقبل كل شيءٍ تحدث باسهاب عن نفسه وعن اميالهِ وعن سوء حظه وعن جملة حياته وكان حديثهُ حديث رجل مخلص مستقيم ولكنهُ ضعيف الارادة قد خلا من الاطماع لا يهتم بالانعامات ولا بالرتب ويقتنع بان يعيش حرًّا بين جدران داره بين كتبه واوراقه تحوطه عناية زوجته وحبها . ولقد روى لنا الشاعر في قصيدتهِ الهجائية الاولى التي وجهها في سنة ١٥١٧ الى السيد جالاسو آريوستو انهُ كان مريضاً وكان يشكو السعال ولذلك اعتذر عن الذهاب في سفارة الى مدينة بودا في هنغاريا في سنة ١٥١٧ وكان يكفي هذا الرفض الذي كان العذر فيهِ واضحاً لكي يحرم الشاعر من عطف الكردينال ويقال من خدمتهِ

بعد ذلك عطف عليهِ الدوق الفونسو الذي اراد ان يصلح من خطإِ الكردينال والحقه بخدمته واعطاه مرتباً لا بأس بهِ وكان اريوستو يشكو دائماً حظهُ الذي كان يضطره لان يعيش على اكتاف الغير على انهُ كان مغتبطاً ببقائهِ في خدمة الدوق لانهُ كان يندر ان يبتعد عن موطنه وكان هذا يتيح له فرصة المطالعة والدرس وتصحيح

الشعر الذي لم يكن ينقطع يوماً واحداً عن العمل على تجويده

كانت علاقات الصداقة بين الشاعر وآل مدسيس قديمة ولذلك لم يكد يظهر كتاب « فوريوزو » حتى منح البابا حق الطبع للمؤلف وامتدح الكتاب وذكر صداقة آريوستو الثابتة والمستمرة لاسرته. ونستطيع ان نقرأ شيئاً عن ذلك في مرثية لجوليانو دي مدسيس الذي ذهب ضحية مؤامرة المهووسين في سنة ١٤٧٨

اوعز اليهِ اصدقاؤه ان يسافر الى روما لمقابلة البابا وبعد الحاح نفرٍ منهم سافر الى روما واستقبل فيها استقبال الغزاة والفاتحين قال فيهِ « ان البابا نزل عن كرسيه المقدس ومد اليَّ يديهِ مصافحاً » ثم بقي آريوستو في روما فترة من الزمن ضيفاً على الفاتيكان وكان يأمل الحصول على مرتب من بلاط البابا ولكن لما لم تتحقق هذه الامنية عاد ثانية الى (فرارا) حيث كتب قصيدته الهجائية الثالثة التي وجهها الى ابن خاله هانيبال مالاجوتزي واشار فيها الى رحلته الى روما قائلاً « انهُ رأى ثروة عظيمة تختفي من امام عينيه دون ان يأسف عليها »

ولما عاد الى بلاط الدوق الفونسو لم يكن لديهِ ما كان يتمتع بهِ من الطمأنينة فيما مضى ولم يكن عمله في البلاط ليساعده حتى من وجهة النظر الاقتصادية لانهُ بسبب الحرب التي كانت ناشبة بين الكردينال دستي والبابا اوقف صرف راتبه فجعله يشكو قائلاً انهُ اذا لم يُدفع اليهِ المتأخر له فانهُ سيضطر الى البحث عن طريقة اخرى لصرف هذا المتأخر

وفي سنة ١٥٢٢ ارسل الى مدينة جارفانيانا ليصلح بين احزابها المتخاصمة ولكي يلزم اهلها باحترام القانون فذهب اليها والحسرة تملأ فؤاده لفراق بيته ولكنه لما كان يأمل ان يصلح فيها من احواله الاقتصادية بقي حوالي ثلاث سنوات من سنة ١٥٢٢ الى سنة ١٥٢٥ نجح في خلالها في تهدئة المنطقة التي لم تكن تخضع لسلطان السلطات المدنية

بقي في هذه المدينة بضع سنوات اخرى ولي فيها القضاء بعيداً عن بلاده حتى سئمها ورغب في العودة الى حياة المنزل الهادئة فطلب ان ينقل الى منصب آخر ولقد اقترح بعضهم على الدوق ان يرسله سفيراً لدى بلاط البابا الجديد لانهُ كان الشخص الوحيد الذي يصلح اكثر ممن عداه لمثل هذا المنصب نظراً لصداقته بآل مدسيس ولكنه لم يعرب عن رغبتهِ في قبولها — مع انهُ لم يرفضها — محتجًّا بأنهُ لم ينل شيئاً من البابا السابق ولا ينتظر ان يحصل لآل دستي على شيء من هذه الاسرة. ولكنهُ لم يصرح بأن بقاءه بعيداً عن داره كان يسبب له كثيراً من المتاعب والآلام . وفي سنة ١٥٢٦

اشترى منزلاً صغيراً في مدينة فرارا يقع في شارع ميراسولي Mirasole واخذ في تجميله وادخال كثير من وجوه التحسين عليه ووضع لوحة على بابه كتب عليها باللغة اللاتينية «ان بيتي صغير ولكنه يكفيني وليس لاحد عليه سلطان وهو في نفس الوقت ليس قبيحاً واهم شيء عندي انني حصلت عليه بكدي وعرق جبيني»

وبعد وفاته اضاف ابنه فرجينيو الى اللوحة هذه العبارة : « ليبارك الآله بيت آل اريوستو كما باركتهُ آلهة الشعر »

ولقد اضيفت الى هذا المنزل الصغير حديقة لم تكن انيقة حتى لقد تجرأ احد اصحابه ان يقول له «ما بالك قد استطعت انشاء ابيات من الشعر غاية في الجمال دون ان تستطيع ان توجد عمليًّا واحداً منها» ولكنهُ اجاب بأنه لا يستطيع ان يوجد حديقة جميلة بنقود قليلة

قضى الشاعر سنين سعيدة في هذا المسكن الصغير مع صديقته الكسندرا ابنة السيد فرانشسكو بينو تشي التي كانت زوجة للشاعر الفراري النبيل تيتو ليو ناردو ستروتسي Strozzi والتي تزوج منها في آخر سني حياته وربما كان ذلك في سنة ١٥٣٠ مع انها كانت تصرح له بأنها لا تريد ملاءة ولا خاتماً تقيد بهما حريتها

وفي سنة ١٥٣١ ربط له الدوق الفونسو دافالو مركيز ڤاستو مرتباً سنويًّا قدره مائة دوقية غير المساعدات الاخرى التي كان يحصل عليها من الدوق اركولي دستي ولما حل الفونسو ولده محله قدم له مساعدات اخرى سهلت له اسباب الحياة

في هدوء تلك الدار التي تمتع فيها بالحب والعناية التي كانت تحوطه بهما امرأته بينوتشي Bennucci اشتغل بجد وبهمة لا تعرفان الكلل في نظم قصائده الهجائية وفي اعادة طبع قصته العظيمة بعد ان ادخل عليها كثيراً من التعديل والتنقيح في سنة ١٥٣٢. عند ذلك بدأت تظهر عليه علامات المرض والسقم والح عليه مرض السل الذي لا يرحم ثمانية اشهر كاملة فارق بعدها الحياة في ليلة ٦ يونيه سنة ١٥٣٣ ودفنت جثته في كنيسة القديس بنيدتو San Benedetto القديمة وبعد اربعين سنة من موته شيد له احد اشراف فرارا مقبرة اثرية فخمة وفي ١٦١٢ اقام له احد حفاده الذي كان يحمل اسمه ولقبه مقبرة اجل وافخم من الاولى ونقل اليها جثمانه في احتفال مهيب ثم في سنة ١٨٠١ نقل جثمانه مرة اخرى الى سراي المدارس بأمر الجنرال ميوليس Miollis

أعطي آريوستو بسطة في الجسم وكان متناسب الاعضاء قوي البنية ذا شكل حسن ومنظر نبيل مهيب وكان طيب الشمائل حلو الحديث حاضر البديهة مما جعل حديثه مقبولاً

لدى الطبقات العالية التي كانت تحب مجلسه والتي كان يبهرها بمواهبهِ النادرة وهي صفات قلما اجتمعت في شخص متعلم اعتاد مخالطة العظماء والكبراء. على انهُ كان يفضل الحياة المنزلية على حياة البلاط بما فيها من مسرات واحتفالات ومظاهر وافراح وكان يقول « اريد الهدوء فهو عندي خير من الحياة والغنى »

كان الدرس والشعر يفضلان لديه كل ماسواهما من الاعمال وفضلاً عما أوتيه من دماثة في الخلق فقد كان طيب القلب ميالاً الى الحب احب بلدته كما احب بيته وزوجته كما احب اميره الذي كان يفخر بحبه ويتفانى في الاخلاص له

كان آريوستو دائماً مشغولاً بكتاباته الادبية ومؤلفاته حتى في الساعات التي لا يكون فيها على مكتبه لدرجة انها كانت تصيّرهُ مذهولاً شتيت الفكر . وعلى ذكر هذا يروي ولده فرجينيو انَّ اباه خرج في صباح يوم من ايام الصيف من كابري Capri للتنزه فما زال سائراً يوماً كاملاً حتى وصل الى فرارا دون ان يشعر انه ينتعل خفين او انه كان يسير وقال عنه ايضاً انهُ كان يأكل بسرعةٍ دون ان يميز اصناف الطعام الذي يتناوله

كان آريوستو يحب اصدقاءه ويحترمهم ويعظمهم ويعترف بجميل من كانوا يساعدونهُ ويعاونونهُ كما كان يحب سادته الذين سرد لنا اسماءهم في آخر انشودة من اناشيد قصتهِ « فوريوزو » بعد ان تغنى في الانشودة الثالثة منها بنسب آل دستي

ولعل احب شيء لدى آريوستو كانت الحرية التي كان يهيم بها ويشيد بذكرها في قصائده ولو انهُ لم تتح له الفرص للتمتع بها يوماً من الايام فهو يضعها قبل كل شيء ويضحي في سبيلها بمنصبهِ وبصداقتهِ للعظماء وحتى بحبهِ لانهُ كان يخشى ان يتزوج من المرأة التي احبها لئلاَّ يقيد حريته بزواجهِ . وبعد الحرية كان كل غرامهِ متجهاً الى الشعر لانهُ كان يرى فيهِ اكبر عزاء لنفسهِ وكان يوحي اليهِ بانبل المشاعر والاحساسات

وفي مقال آخر سنتكلم عن قصة « اورلاندو فوريوزو » التي صادفت نجاحاً عجيباً والتي لا تزال الى يومنا هذا موضع اعجاب المتأدبين والتي بلغ من عظمتها وتعلق الناس بها ان كان لها كثير من المقلدين بينهم الكونت فنشترو بروسانتيني دا فرارا الذي كتب قصة « انجليكا العاشقة » ولودفيك دولتي الذي وضع قصة « ساكربيانتي » و« محاولات اورلاندو » ثم بيترو آرتيني في رسائله عن مارفيزا ودموع انجيليكا واستولفيدى وغيرهم ولم تكن جميع هذه الاَّ محاولات غير مجدية لان فن لودفيك اريوستو كان فنَّا لا يمكن تقليده ولا الاتيان بمثله

طه فوزي

مملكة المرأة

مقام المرأة واتجاهها

في المانيا النازية

الفروق الجنسية

للاستاذين الابراشي وحامد عبد القادر

مهام المرأة في الحياة

المسز روزفلت سيدة البيت الابيض

ارشادات نسوية

مسائل وأجوبتها

مقام المرأة واتجاهها

في المانيا النازية

كتب الفرد روزنبرج ، في مؤلفهِ الكبير « روح القرن العشرين » العبارة التالية :— «الرجل المتأنث والمرأة المترجلة ، دليلان على الانحطاط السياسي والثقافي . فنتيجة السيطرة النسائية على حياة اميركا ظاهرة في انحطاط مستوى الثقافة في تلك الامة » . وعنده ان ادوار الانحلال في المانيا، وبوجه خاص في الفترة التي انقضت بين هزيمة المانيا سنة ١٩١٨ وبلوغ النهضة الوطنية الاشتراكية مقام الحكم سنة ١٩٣٣ اقتضت نشوء الرجل المتأنث والمرأة المترجلة فيها

والهر روزنبرج هو الرجل الذي عيّنهُ هتلر اميناً على التعليم الروحي والفلسفي في المانيا ، ورسالة المرأة في رأيهِ — وهو شبيه بالرسمي — ان تحتفظ بالسلالة نقية من اية شائبة تشوبها

ولما كانت الحركة الوطنية الاشتراكية تبغي انشاء سلالة نقية عديدة ، فهي تقتضي من المرأة الالمانية خضوعاً لمقتضيات الاسرة والدار ، وتأييداً لسياسة الحزب . وشعار هذه الحركة ، من ناحيتها النسوية ، « العودة الى البيت » . وثمة وسيلتان يتوسل بهما الزعماء لجعل هذا الشعار مما يحلو في عيون النساء . فهم ينددون بالحركة النسوية ، التي انتشرت قبل الحرب وافضت بعيدها الى منح النساء جميع حقوق الرجل في دستور ڤيمار سنة ١٩١٩، ويقولون انها افضت بهنَّ الى المناداةبالسلام كائناً ثمنهُ ما كان ، وجعلتهنَّ لا يعبأنَ بالتقاليد . فالمحاولة التي قصد بها الى تمهيد طريق الاستقلال للمرأة ، قوّت فيهنَّ حب الذات والايثار، وقذفتهنَّ الىالشوارع . ثم ان التحرر الصحيح في نظرهم، هو تحرر المرأة من واجبالارتزاق، فالزعيمة النسوية النازية الدكتورة صوفيا رابي Rabe تقول : « اننا نطلب تحرر المرأة من قيود الارتزاق ، لا تحرر المرأة من الرجل »

اما قول هتلر فلا يختلف عن قولها كثيراً . ففي توجيهه النداء الى كل الماني للدفاع عن حرية الامة قال : — ليس ثمة كفاح للرجل ، ليس هو كفاحاً للمرأة . وليس ثمة كفاح للمرأة ، ليس هو كفاحاً للرجل . اننا لا نعترف بحقوقٍ للرجل وبحقوق للمرأة . اننا لا نعترف الاّ بحقوق واحدة للجنسين. نعترف بحق هو في الوقت نفسهِ واجب ، حق الحياة والعمل والكفاح معاً في سبيل الامة»

ومع ان زعماء النازي يحاولون ان يثنوا المرأة عن اي عمل الاّ العمل البيتي، ولا يشجعونها الاّ على الزواج واخلاف النسل، لكنهم في الوقت عينهِ، لايمنعونها رسميًّا من الانتظام في الحرف والاعمال المختلفة، الاّ القضاءِ والادارة الحكومية والجيش . وحجتهم في منعها من الانتظام في سلك القضاء والادارة الحكوميةميل المرأة الى اللين. ولذلك ترى ان النازي لم يبعثوا بنائبة واحدة الى الريخستاج مع ان النائبات في الريخستاج في العهود السابقة بلغنَ احياناً تسعاً وكان لهنّ شأنغير يسيرفي التشريع

وقد نظمت الآن جميع الجمعيات النسوية في المانيا في جمعية واحدة تدعى «دويتش فراو نورك» يقال ان عدد اعضائها يختلف من ثمانية ملايين الى عشرة ملايين . ورغبة في تنسيق اعمالهنَّ ، اخضعت هذه الجمعية الى جمعية نسائية نازية عدد اعضائها من اربعة ملايين الى خمسة ملايين

وعلى رأس هذا النظام سيدة تدعى فرو شولتس كلنك . فهي زعيمة هاتين الجمعيتين ، وزعيمة قسم العمل النسائي وممثلة الجمعيات النسائية الالمانية في جمعية الصليب الاحمر الالماني . قالت كاتبة اميركية : ولما ذهبت الى احدى السيدات اللواتي تعاونها في عملها وسألتها هل سيرة الفرو كلنك سيرة حافلة قالت تلك السيدة « انها والدة اربعة اولاد . فما حاجتها بعد ذلك الى سيرة حافلة ؟ »

ان عمل المرأة في رأي النازي اخلاف جنود المستقبل . وقد ضمَّ عدد حديث العهد من المجلة النازية الرسمية الخاصة بالنساء ، مقالاً يبيّن نواحي عمل المرأة . ففي ناحية واحدة من عملها عليها ان تربي الاولاد على اصول الثقافة العسكرية . يضاف الى ذلك تنشئتهم على فضيلة البساطة الاسبرطية ، وتنمية قوة المقاومة الروحية فيهم ، لانها تحميهم من الامم الاجنبية . حتى النساء العوانس واللواتي يمارسن عملاً فنيًّا يستطعن ان يؤدين نصيبهنَّ التثقيفي ، بالعمل في الجمعيات الدينية والعسكرية

والمسلَّم بهِ في المانيا الآن ، ان اقل عدد من الاولاد يجب ان تنجبهُ المرأة النازية هو اربعة اولاد . وقد لاحظ بعض الكتّاب الاجانب في المانيا ، انهُ اذا زاد عدد الاولاد في الاسرة الواحدة الى خمسةٍ او ستةٍ منح الوالد وساماً يرتديهِ ويباهي بهِ . لان الدولة النازية تشجع على الزواج بتمهيد العقبات المالية لمن يبغي الزواج ولا يستطيعهُ ، ثم انها تتبع ذلك بمنح امتيازات مالية وغيرها لمن يكون كثير الانجاب . ومع ان دستور ڤيمار نصَّ على وجوب العناية بالام ، الاَّ ان المانيا النازية تفاخر بان الام موضوع عناية خاصة منها . فميادات الامومة في المانيا تحاول ان تتصل باكبر عدد من الامهات . وثمة معرض نقال يعرف باسم معرض « الام والطفل » يتنقل في الريف ، ويسدي الى الامهات الارشاد الصحي والنصح الخاص بالتناسل

ثم ان النساء النازيّات ، يقاومنَ مذهب تعليم المرأة تعليماً عالياً . وعندهنَّ ان جميع النساء اللواتي انتظمنَ في الجامعات في الفترة بين ١٩١٨ — ١٩٣٣ انما فعلنَ ذلك تقليداً ومجاراة . فكان عملهنَّ هذا باعثاً من بواعث تعقيد مشكلة التعطل عن العمل التي يعانيها خريجو الجامعات . فاذا سألت : «ولكن الا يمكن ان يكون بين اولئك اللاتي انتظمنَ في الجامعات ، نساء على جانب عظيم من الذكاء» اتاك الجواب الغريب : لاريب في ذلك ، ولكن مبدأ الزعامة عندنا يمكن الزعماء من تبيُّن النساء المتفوقات واختيارهنَّ ومنحهنَّ امتيازات خاصة ، تفتح امامهنَّ آفاق البحث والارتقاء العلمي

ان اذكى النساء ، في نظر المرأة النازية ، يجب ان توجه عنايتها الى اخلاف النسل ، اكثر مما توجهها الى ممارسة ذكائها . والظاهر ان عدد النساء في الجامعات الالمانية في المستقبل ، سوف لا يزيد عن نسبة ١٠ في المائة من مجموع الطلاب . لذلك يجب ان يكون اختيارهنَّ دقيقاً كل الدقة

وطريقة الاختيار هي انتخاب المتفوقات عقلاً وذكاءً من النساء اللواتي عرفنَ بامكان الاعتماد عليهنَّ من الناحية السياسية ، فيسمح لهنَّ بالانتظام في سلك الجامعات . وعلى الفتيات قبل بدء حياتهنَّ الجامعيـة ان يشتغلنَ ستة اشهر في « معسكرات العمل » حيث تتعلم الفتيات اعمال البيت ، فيعدهن تمرينهنَّ فيها ليتقلدن زعامة الحركة الالمانية التي شعارها « العودة الى الارض» . فاذا زاد المواليد في المانيـا كما يتوقع زعمـاؤها ، اقتضى ذلك توسعها ، اما شرقاً (على ما يرى هتلر في كتابهِ « كفاحي » ولـكن هذا متعذر الآن بسبب معاهدة الصداقة وعدم الاعتداء التي عقدت بين المانيا وبولونيا لمدة عشر سنوات) او في المستعمرات الالمانية القديمة بعد استردادها او استرداد بعضها ، وعندئذٍ يكون لهؤلاء النساء الشأن الاكبر ، في استعمار الاراضي الجديدة

وقد قلَّ في المانيا شأن النساء اللواتي يبالغنَ في الانفاق على الملابس ووسائل التجمل ، حتى لتجد ممثلة مشهورة من ممثلات الصور المتحركة مثل « بريدجت هلم » تقول لمن يقابلها من رجال الصحافة ، مشيرة الى لباسها : لا يمكنك ان تعلم انني كوكب سينميٌّ ! وقد عني رجال النازي في اول عهدهم بدعوة النساء الى الاستغناء عن وسائل التطرية والتجمُّل والتبرُّج فصار الوجه الذي لا تغطيهِ المساحيق ، موضعاً للاستحسان

اما النساءُ اللواتي تلقينَ العلم العالي ، فقد سدَّت في وجوههنَّ ابواب الرزق او كادت ، لان موقفهنَّ نحو الزواج واخلاف النسل ، مما لا يروق زعماءَ النازي . فالمدرّسات اللواتي كنَّ يدرّسنَ الفرق العالية في مدارس البنات ، قد حلَّ محلَّها في الغالب مدرّسون ، او عهد اليهنَّ في تدريس فرق الصغيرات ، يدلك على ذلك ان مدرّسة الرياضة في مدرسة بثورنجيا ، اضطرّت الى التخلّي عن تدريس المسائل الرياضية اللذيذة والاكتفاءِ بتدريس : (اثنين زائد اثنين يساوي اربعة)

ثم ان الطبيبات لا ينلن من اولي الامر اي تشجيع على المضي في ممارسة صناعتهنَّ

اما موظفات الحكومة فكنَّ قلائل في العهد السابق ، وكان جلهنَّ من اليهود والاشتراكيين فهؤلاءِ فصلنَ من وظائفهنَّ طبعاً ، وحلَّ رجالٌ محلهنَّ

وكان الظنُّ في بدءِ العهد الهتلري ان الكواتب على المكتاب (تيب ريتر) في الشركات والبنوك سوف يستغنى عنهن ليحلَّ الرجال محلهنَّ . ولـكن اصحاب هذه الاعمال ومديريها رفضوا الاستغناءَ عنهنَّ . وكذلك البائعات في المخازن الكبيرة . اما العاملات في المصانع فقد استغني عنهنَّ بوجهٍ عام ، بيد ان الدكتور لاي (Ley) زعيم « جبهة العمل » قال ان ذلك يجب الاَّ يكون اطلاقاً لانهُ من العبث الاستغناءُ عن النساءِ في اعمال يجدنها اكثر من الرجال

فالاتجاهُ العام في المانيا النازية ، هو حصر عمل النساءِ في البيت وخدمتهِ واخلاف النسل والاستعداد بالتمرين لاستعمار الاراضي الزراعية مع رجالهنَّ ، والاعراض جهد الطاقة عن التعليم العالي والاعمال التي يستطيع الرجل ان يتولاَّها

الفروق الجنسية

بين الرجل والمرأة

فصل من كتاب « علم النفس » الجزء الثالث

تأليف محمد عطية الابراشي وحامد عبد القادر

ان الرجل لا يختلف عن المرأة من حيث كونه فرداً له مزاجه وطباعه وسجاياه الخاصة فحسب ولكنهُ يختلف عنها أيضاً من حيث كونه رجلاً ، كما انها تختلف عنه من حيث كونها امرأة ، إ ان الاختلافات الجنسية والجثمانية الهامة المشاهدة بين الرجل والمرأة تعد موازية لاختلافات عقلية ليست بأقل منها أهمية . والمعقول ان يكون لهـذه الاختلافات الجنسية العقلية آثار في السلوك . وان التاريخ الانساني يبرهن لنا على ان وظائف المرأة لم تكن في يوم من الايام مثل وظائف الرجل في الحياة ، وان قانون الرقي المستمر الذي يعمل عمله في الحياة الانسانية يبرهن لنا على ان الرقي لا يمكن ان يكون الا بتوزيع الاعمال ، وتخصص كل من الجنسين لأعمال خاصة ، وعلى ان التخصص في الاعمال والوظائف يتبعه على مر الزمن تغير ظاهر في التكوين الجثماني

وليس لنا ان ننتظر التقارب والتشابه الشديد بين الجنسين الا اذا كنا ننتظر ان نقترب من الحياة الساذجة الاولى ، فمن المشاهد ان اختلاف الجنسين ليس من الظهور بين الامم المتوحشة التي هي بمعزل عن الحضارة كما هو بين الامم المتمدينة

ولا تزال الحوادث التاريخية تبرهن لنا على ان مساواة المرأة بالرجل في الاعمال والوظائف تؤدي الى انقلاب اجتماعي . وقد يؤدي هـذا الانقلاب الى ثورة عنيفة ضد النظم والقوانين الاجتماعية لا يعلم الا الله تعالى مصيرها

وليس هنا موضع الكلام على هذه الثورة ، ولا البحث فيما يكنه لنا المستقبل ، ولكنا نريد ان نقول ان المشاهدات والتجارب قد برهنت على ان المرأة ليست كالرجل في الاستعدادات الجسمية ، ولا في المواهب العقلية ، ولا في النزعات الخلقية

وأهم ما بينهما من فروق : —

﴿ ١ — ان المرأة تنظر الى العالم متأثرة بوجدانها اكثر من الرجل ﴾ فمزاجها اقرب ما يكون الى المزاج الانفعالي ، ويشتد تأثرها بجمال الاشياء وتناسبها مع بيئاتها ، وتقل عنايتها بالافكار المجردة ، واذا حاولت التعميم والوصول الى قواعد كلية فانها لا تعنى بالتحليل والتدقيق والبحث العميق ، وهذا هو السبب في انها تميل الى التسرع في الحكم والخطأ في التطبيق

وكراهة التحليل المنطقي العميق الذي يصل بهِ الرجل الى القوانين العلمية الصحيحة يعد من اهم ما تمتاز بهِ المرأة عند الرجل

﴿ ٢ — ان المرأة عملية اكثر منها فلسفية ﴾ أما الرجل فيميل الى النظر ، ويجنح الى التفلسف والتدبر والتفكير في العواقب فاذا رأى خطراً محدقاً بهِ فكر في طرق تجنبه وهو هادىء الفكر وربما اعتراه ألم او ضجر وقد يثور أو يغضب او يسب ويلعن اذا لم يصل الى نتيجة مرضية ، اما المرأة فانها تبكي وتصيح وتولول في وجه الخطر ، وقد يعتريها اضطراب يمنعها من التفكير والتروي

والرجل ينظر الى دواخل الاشياء وبواطنها ، ويعتد بقيمها الذاتية الحقيقية وحقائقها الواقعية ، ولا يغتر بظواهرها ، اما المرأة فتغرها الظواهر ، وتعجب بحسن المنظر وان ساء المخبر ، فالجواهر الرائقة ، الحسنة الشكل ، المنسجمة الصوغ تقع لديها موقعاً حسناً — وان كانت قليلة القيمة في ذاتها

﴿ ٣ — ان الرجل مستعد بطبيعته وقواه الجسمية الى الزعامة والقيادة ﴾ لقدرته على التصرف في المواقف الحرجة ، وعلى الابتكار للخروج من المآزق بسرعة ، اما المرأة فانها لا تبلغ منزلة الرجل في ذلك ، وان كانت تفوقه في الصبر والجلد ، والقدرة على المقاومة ، والسرعة في التنفيذ ، ولذا يقال ان الرجل اكثر استعداداً للتشريع والابتداع ، اما المرأة فأكثر استعداداً للتنفيذ ، ومن ثمَّ كانت الأغلبية الغالبة من القادة والمشرعين والمبتدعين من الرجال ، ولم يعرف عن امرأة انها برزت في عالم العلم،[1] او ابتكرت آلة قيمة ، وهي بصبرها ، وقوة وجدانها وحنوها ، وشفقتها ، مستعدة استعداداً طبيعيًّا لأن تكون أمًّا ، وطبيبة وممرضة ، وسلوة للرجل اذا حلَّت بهِ النكبات ، او استولت عليهِ الهموم ، او تحكمت فيهِ الامراض

وان هذه الاختلافات والفروق التي بين الرجل والمرأة لتظهر واضحة جلية بعد النمو والكبر ، أما في عهد الطفولة فان هذه الفروق تكون يسيرة غامضة ؛ فالذكر والانثى لا يكادان يختلفان عند الولادة ، وبعد ذلك تأخذ فروق ما في الظهور ، فأنت اذا رأيت طفلة صغيرة سنها اربع سنوات لا تشك في أنها بنت صغيرة بمعنى الكلمة واذا رأيت طفلاً صغيراً في هذه السن علمت انهُ غلام صغير بمعنى الكلمة أيضاً . والبنت في العادة تسبق الغلام في القدرة على الكلام ، وقلما تصاب باضطراب في اعضاء التكلم ، ومعنى ذلك ان المراكز العصبية والخيوط العصبية الوصلية المرتبطة بالتكلم تنمو في الطفلة قبل نموها في الطفل

ويلاحظ ان لعبها يختلف في النوع والاسلوب عن لعب الطفل سواء ألعبت وحدها ام مع غيرها فلعبها ينقصهُ النشاط في الحركة ، وسعة النطاق التي تلاحظ في لعب الغلام . وهي تصل الى مرتبة اللعب التقليدي قبل الطفل ، وتبقى في هذه المرحلة مدة اطول منهُ . ومن المشاهد انها تولع حتى في عهد الطفولة الاولى باللعب بالدمى ومعاملتها معاملة الاطفال ، فتلبسها ملابسها ، وتحملها الى مراقدها

(١) المقتطف : ألا تستثنى مدام كوري على الاقل ؟

وتحاول إطعامها ، كما انها تحنو على الحيوانات الداجنة وتطعمها كلما سنحت لها الفرصة ، اي انها تحاكي امها في اداء وظيفتها ، كأن طبيعتها تملي عليها انها ستصير يوماً ما من الامهات

والبنت تفوق الغلام في إظهار شعورها بحدة ، فهي تضحك وتبكي بصوت مرتفع ، وتظهر تأثرها ببيئتها بسرعة وشدة ، ولكنها تميل الى الانكماش والانزواء والمقاومة السلبية إذا أغضبها أحد ، في حين ان الطفل يحتد ويقاوم مقاومة ايجابية عند الغضب

والبنات لسنَ كالبنين عند حصول نزاع فيما بينهنَّ ،فهنَّ يشكونَ ويبكينَ ويسببنَ ، في حين ان البنين يتقاتلون ويتضاربون ، ويهاجم بعضهم بعضاً مهاجمة فعلية ، كأنَّ طبيعتهم تملي عليهم انهم سيصيرون رجالاً مسئولين عن الدفاع عن انفسهم وعن ذويهم

والنزاع لا يحسم بين البنات بصفة نهائية ، ولكن آثاره تبقى مدة طويلة ، وقد يسعى بعضهنَّ في الكيد والدس لبعض . ولكن البنين كثيراً ما يتصالحون ويتصافون بعد انتهاء التشاجر

وفي الغالب يتلوَّن التنافس بين البنات بألوان سيئة ، وأخلاق مكروهة ، كالحقد والكراهة وحمل الضغينة ، لا سيما ضد من كانت منهنَّ موضع التفات وعناية من بعض الاقارب او الاصدقاء

وتظهر الفروق التي بين الجنسين من الناحية الادراكية في المواد التي تحتاج الى بحث فكري واستنباط وابتكار ، فالبنات يساوين البنين بل يفقنهم في السنين الاولى من سني الدراسة التي يكون التعليم فيها محصوراً في دائرة المحسوسات، إذ انهنَّ يستظهرنَ المعلومات بسهولة ، ويعنينَ بالنظافة ، والنظام ، والدقة في عمل التمرينات التي يعملنها ، ويقدرنَ الجمال تقديراً تامًّا ، ولذا يولعنَ بالادب قبل ان يولع بهِ البنون ، ويجدنَ الكتابة الانشائية في اول الامر ، لاعتمادهنَّ على محاكاة ما قرأنَ في كتب الادب ، او على ما كتبه لهنَّ الاساتذة . وهذا يظهر بنوع خاص في القصص ، فالحكاية التي ينشئها الغلام تكون في الغالب مفككة الاوصال ، أما الفتاة فتنسج حكايتها نسجاً محكماً مترابط الاجزاء كامل العناصر ، وتسير بالقارىء الى نقطة الموضوع الهامة سيراً منسجماً

ولذلك نرى ان الغلمان يكذبون ، ولكن كذبهم يظهر ، لانهم لا يجيدون التلفيق . اما البنات فيفقنهم على العموم في اجادة هذا الفن . وقد دلت التجارب على ان كذب البنات اكثر من كذب البنين ، وان كذبهنَّ يتأثر في الغالب بنزعات واغراض شخصية ، فقلما تكذب البنت لانقاذ غيرها ، أما الولد فكثيراً ما يفعل ذلك . والحق ان الغلام المربَّى تربية حسنة لا يكذب مطلقاً الاَّ لهذا الغرض ، فالأولاد تنقصهم المهارة ، والتظاهر بمظهر المتأكد عند الكذب . اما كذب البنات فمنمق ملطف ، مفرغٌ بصيغة توهم السامع ان ما قيل هو الحق الصراح . وهذا نوع من المهارة اللغوية ، وهو أساس الفرق بين الرجال والنساء في وصف الحوادث الخارجية : وتقدير الأعمال ، فالحق عند الرجال ما كان مطابقاً للواقع — بصرف النظر عن شكله أو صيغته . اما النساء فالذي يظهر أنهنَّ يخدعنَ بالشكل الظاهري ، وبالصيغة ، والانسجام ، والزخارف

المقتطف

اكتوبر ١٩٣٤

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الثاني من المجلد الخامس والثمانين

١ اكتوبر سنة ١٩٣٤ — ٢٢ جمادى الثانية سنة ١٣٥٣

مدام كوري

في خريف سنة ١٩٢٠ ذهب الى ولاية كولورادو الاميركية جيش من العمال وقصدوا الى منطقة قاحلة في جنوبها لينقبوا فيها عن تبر معين . كانوا قد بحثوا في مختلف الولايات الاميركية عن هذا التبر النفيس ولم يظفروا بهِ لذلك اضطر زعيمهم الى الاكتفاء بنوع من الرمل يكثر في صحارى كولورادو القاحلة يدعى كارنوتيْت . فأخذ رجاله — وكانوا اكثر من ثلاثمائة — يشتغلون ليل نهار في جمع اطنان منهُ ثم نقلوها في صحارٍ لا تخترقها طرقٌ ماء مسافة ١٨ ميلاً الى اقرب مكان فيهِ ماء حيث عنوا بتشييد معمل خاص لغسل هذا الرمل وتنقيته . هنا عولجت خمسمائة طن منهُ معالجة كيمائية حتى بقي منها مائة طن فقط . وما بقي سحن حتى صار مسحوقاً دقيقاً ثم وضع في اكياس نقلت بسكة الحديد الى بلدة تدعى بلايسرفِل . ثم شحنت الاكياس في مركبات شحن خاصة مسافة ٢٥٠٠ ميل الى بلدة تدعى كانونزبرغ بولاية بنسلفانيا في الشمال الشرقي المتوسط من الولايات المتحدة الاميركية

وفي كانونزبرغ عُهد الى مائتي رجل في تحويل هذه الاطنان من المسحوق الناعم الى بضع مئات من الارطال فقط مستعملين مقادير كبيرة من الماء في غسل المسحوق ثم معالجتهِ بمواد كيمائية واحماض لاستخراج كنز ثمين منهُ . لم يضيع الرجال ذرة واحدة منهُ على رغم تعدد عمليات الغلي والتصفية والبلورة . وانقضت اشهر فاذا ما بقي من ٥٠٠ طن من رمل كولورادو مقدار يسير حداً ارسل الى معامل البحث في شركة بتسبرغ الكيمائية بحراسة حرس خاص . هنا في المعامل الكيمائية أجريت العمليات الاخيرة في استخراج بضع بلورات من ملح معين . فلما تمَّ استخراجها كانت سنة

وقد اثبتت التجارب التي قام بها كثير من العلماء في ظروف مختلفة ان البنين يفوقون البنات — في ادوار التعليم الراقي — في العلوم والرياضيات ، وان البنات يفقن البنين في الفنون كالرسم والتصوير والموسيقى والادب وتعلم اللغات

وقد بحثت اللجنة الاستشارية بوزارة المعارف الانجليزية سنة ١٩٢٢ الفروق التي بين البنين والبنات من هذه الناحية ، مستندة في ذلك الى الدرجات التي حصل عليها كل منهما في امتحانات كيمبردج المحلية فتبين لها :

« ان الدرجات التي حصل عليها البنون كانت اعلى في الرياضة — ومنها الحساب ، وفي الطبيعة ، والكيمياء ، واللغة اللاتينية ، وكذلك في الجغرافية الطبيعية

وان البنات فقن البنين في اللغة الانجليزية ، والتاريخ الانجليزي ، وعلم النبات ، والجغرافية ، واللغة الفرنسية كتابة ومحادثة ، وكذلك في الرسم والتصوير »

وهذه الفروق راجعة الى الفرق الاساسي الذي لخصهُ مسيو لافت بقوله : « نستطيع ان نقول على وجه العموم : ان المرأة على ما يظهر تتأثر بالحقيقة الحسية الواقعية اكثر مما تتأثر وتعني بالفكرة العامة ، واننا معشر الرجال نعني بالعلاقة بين الاشياء اكثر مما نعني بالاشياء ذاتها ، وان عقل المرأة يتعلق بالحسيات اكثر من عقل الرجال الذي يسبح في عالم المعقولات اكثر من عقل النساء »

وقد وجد تيرمان [1] ان الكتب التي يميل البنون الى قراءتها وهم في الحادية عشرة : هي كتب المغامرات ، والاقاصيص المشتملة على مفاجآت غريبة ، وكتب الميكانيكا والطيران والكهرباء ، وكتب الاختراع والكشف ، وكتب العلوم الطبيعية وغيرها

***

اما البنات فيملن في تلك السن الى القراءة في كتب العشق ، وفي كتب القصص المتعلقة بالحياة المنزلية والمدرسية ، وفي الكتب المتعلقة بحياة الحيوان والنبات والازهار او بفلاحة البساتين ، ولا تملن الى الكتب العلمية او الميكانيكية

وقد وجد تيرمان ايضاً ان البنين في الرابعة عشرة يميلون كثيراً الى قراءة المجلات ، ويحبون القراءة عن الرياضة البدنية وعشاقها ، ويزداد شغفهم بكتب الميكانيكا ، وبتراجم الرجال ، وكتب الاسفار ، وحكايات الغابات والادغال

ويميل البنات في هذا السن الى القراءة في المجلات ايضاً ، ويشتد ولعهن بالاقاصيص الغرامية والشعر ، ولا يحفلن كثيراً بحكايات المغامرات ، ولا بكتب الاطفال

وقد اختبر « جوردان » عدداً من البنين والبنات ليعرف انواع الكتب التي يحب مطالعتها كل فريق فوصل الى النتيجة المبينة في الجدول الآتي

(1) Terman. See. The Psychology of Adolescence, by F. D. Brooks P. 295—297

المادة	النسبة المئوية من ١٢ — ١٣ سنة		النسبة المئوية من ١٤ — ١٦ سنة		النسبة المئوية من ١٧ — ١٨ سنة	
	بنون	بنات	بنون	بنات	بنون	بنات
حكايات خرافية عن الكبار	١١ر٧	٣٤ر٦	١٣ر٩	٤٨ر٣	٢٤ر٦	٥٦ر٩
حكايات خرافية عن الصغار	٣ر١	٣٨ر٥	٢ر٥	١٧ر٣	١ر٩	٩ر٧
كتب المغامرات	٦٢ر١	١٩ر٧	٦٣ر٣	٢٥ر٤	٥٢ر٨	٢٧ر١
كتب التراجم	٣ر١	ر٦	٢ر٣	ر٨	١ر٣	١
كتب التاريخ	٢ر٣	—	ر٥	—	ر١	—
كتب الشعر	ر٥	—	١ر٢	١ر٦	٣	٢ر٦
كتب العلوم	—	—	ر١	ر١	ر١	١
كتب الاسفار	—	—	ر١	—	ر١	—
كتب المعلومات العامة	ر٥	ر٢	ر٦	—	ر٦	—
كتب المزاح	٩ر٩	٢ر٥	٧ر٣	٣ر٣	٨ر٥	١ر٩
كتب فنون مختلفة	ر٣	ر٤	ر١	—	ر١	—
لا يولعون بشيء خاص	٦ر٥	٣ر٥	٨ر١	٣ر٢	٨ر٩	١ر٧
	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

ولا يجولنَّ بخاطر القارىء الكريم ان معنى هــذه التفرقة استصغار شأن المرأة او الحط من كرامتها ، اذ ان التفرقة لا تستدعي الحط من الكرامة وصفات المرأة الخاصة لم تنشأ عن تأخرها في سلم الترقي ، ولـكنها نتائج طبيعية للاتجاه العام المستمر نحو التخصص وتوزيع الاعمال

يقول فوييه : « ان المرأة لم تتأخر عن الرجل بل انها سارت معهُ جنباً لجنب ، ولـكن تقدمها دائماً الى الغاية التي ترغمها طبيعتها على السير نحوها »

ويقول جيمز ولتون :[1] « انقياس قوة المرأة الفكرية بقوة الرجل قياس باطل ، وان استنباط ان الرجل اعلى منزلة من المرأة من عجزها عن التفكير الفلسفي استنباط كاذب . نعم ان تقدير الرجل للقوانين والاحكام العامة شيء ، وتقدير المرأة للامثلة والنماذج الحسية المادية شيء آخر ، ولـكننا لانستطيع ان نقول ان هذا اقل منزلة من ذلك ، فكل منهما ضروري في الحياة ، والمرأة باتجاهها الى ناحيتها الخاصة تكمل الرجل في اتجاههِ الى ناحيته ، كما انهُ باتجاهه الخاص يكمل المرأة في اتجاهها فكل منهما مكمل للآخر »

« فليست المسألة مسألة تفضيل الرجل على المرأة ، ولـكنها مسألة بيان اختلاف كل عن الآخر

(1) See : The Psychology of Education, P. 131—132

في الصفات الجسمية والعقلية ولذا نعد عبثاً كل محاولة عملية يقوم بهما المجتمع ، وكل منهج تسير عليه الامة يكون الغرض منهُ جعل المرأة مثل الرجل في قواه العقلية ، لانها تكون حينئذٍ محاولة ضالة ، ومنهجاً مبنيًّا على اساس سيكولوجي واهٍ لا يلبث ان ينهار »

يهمنا كثيراً ان نلفت نظر القارىء الى ان هذا البحث يفضي بنا الى نتيجة عملية لا نزاع في صحتها هي : انهُ ليس من الحزم في شيء ان نرغم البنت على ان تسير مع الولد جنباً لجنب في ادوار التعليم ، او ان نجعل المناهج التي نسير عليها في تعليم البنين مثل التي نسير عليها في تعليم البنات ، فلكل ميول واستعدادات ، ولكل وظيفة خاصة في الحياة تنتظره . فلنعد كلا لوظيفته خير اعداد متبعين في ذلك ما تمليه علينا الطبيعة البشرية ، وما يرشدنا اليه القانون الالهي الاعلى ، الذي يأبى الاّ ان يكون الرجل رجلاً ، والمرأة امرأة

اننا ان خالفنا تلك الطبيعة البشرية ، وخرجنا على ذلك الناموس الالهي فاننا نعرض ابناءنا لاخطار اجتماعية ربما لا يستطيعون مقاومتها ، ونقع في اخطاء تعليمية قد لا نستطيع إصلاحها

سر النوم وقرب حله

علاج للارق والامراض العصبية

يعمل نفر من علماء مستشفى الامراض العقلية في هوايتشرتش بلمدن ويبذلون همة عظيمة لحل لغز يعد من اهم الاسرار الطبيعية وهو لغز النوم لكشف الحجاب عن سره وهم يأملون انهُ لا يمضي طويل حتى يستطيع الطبيب جاب النوم الطبيعي الى المريض الذي يعالجه اذا برَّح بهِ الارق مع الداء ولا سيما اذا كان من المصابين بالنورستينيا فيخلص بذلك الوفاً من الذين يموتون كل سنة لان الارق ينهك قواهم او يساعد امراضهم على الفتك بهم

والمبدأ الذي اتخذوه اساساً لبحثهم هو ان الغدد النخامية التي في قاعدة الدماغ تفرز شكلاً من اشكال البرومين وان سبب النوم اطلاق البرومين لسريانه مع الدم

وقد وصف طبيب معروف في مستشفى تشارنغ كروس معنى هذا الاكتشاف لعالم الطب فقال : ان خلو النوم ثماني ساعات من الاحلام والتقطع المزعج يعود بأعظم فائدة على المرضى والمصابين بالارق . فلذلك يعد هذا الاكتشاف اعظم نعمة على البشرية لان المريض او المؤرق الذي ينام نوم العافية بلا تقطع ينسى كل شيء في نومه فيزول المه كما يفعل السحر فاذا صحا من نومه والالم على حاله في ساعات يقظته امل ان ينام نوماً هادئاً في الليلة التالية وهذا مما يساعده على التغلب على الداء لانه ينبهه تنبيهاً معنويًّا اذا صرفنا النظر عن التأثير الطبيعي ويسبغ عليه شجاعة لمحاربة الداء

ان النوم اعظم لغز في العالم ولا يعلم احد سببه الحقيقي فاذا تمكن اولئك الباحثون من ان يقولوا لنا ما هو كان لهم فضل عظيم على الطب وعلى النوع الانساني

مهام المرأة في الحياة

للمسز روزفلت

سيدة البيت الابيض

نشرت المسز فرنكلين روزفلت قرينة المستر روزفلت رئيس الولايات المتحدة هـذا المقال في احدى الصحف الاميركية وهو ينطوي على كثير من الاختبارات والآراء النافعة فلخصناه فيما يلي:

صرت جدة واريد الآن ان اذيع اني بلغت الخمسين من عمري من دون ان اشعر بذلك واذا قدر لي ان اعيش السنين السبعين التي تمنحنا اياها التوراة فاكون قد طويت الآن من عمري ثلثيهِ

اسمع كثيرين وكثيرات يلقون عليَّ السؤالين الآتيين :—

لماذا تظهرين يا مسز روزفلت بمظهر الشباب ولماذا لا تزالين تنهضين باعباء اعمالك كأنك في مقتبل العمر مع انك اصبحت جدة ؟

ان هذين السؤالين يثيران فيَّ عاطفة الاعجاب ولما كنت لا ازال اشعر انني في نضارة الشباب لم يخطر لي قط ان اسأل هل اخذ دبيب الشيخوخة يدب اليَّ او هل يهددني الوهن

لا اشعر باني شيخة وهذا لا يمنعني من النفور من الذين يصرون على التصرف تصرف الشبان مع ان شبيبتهم قد ولت من عهد بعيد ولذلك احاول غير مرة ان اتذكر باني ادركت سن الكهولة ولا اسمح لنفسي او لاولادي او لاصدقائي ان ينسوا هذا الامر. ومع كل ذلك فلا اشعر البتة باني «شيخة»

وقد صرت من عهد بعيد اشعر بوجوب تمتع الانسان بالحياة والتمرس بشتى الشؤون الخطيرة التي تعرض له في حياته فان اكتفاءه بالاهتمام بالامور التي يراها عند متناوله والتي قضت عليهِ الاحوال بالتأمل فيها يحكي بسخافته جلوسه على كرسي وتأمله في الورق الملصق على جدران الغرفة بدلاً من النافذة فيجب علينا ان نوسع دائرة افق حياتنا ونتذرع بما يتسنى لنا من الذرائع لفهم حياة قريبنا ونكثر من الاصدقاء في مختلف الاوساط ونطلع على ما يشغل خواطر الناس ويستهويهم

اعرف سيدة تجاوزت السبعين من عمرها وارتاح كثيراً الى محادثتها وتشعر ابنتي بمثل ما اشعر بهِ من الارتياح الى معاشرة تلك السيدة العجوز ففي صحبتها تزول فوارق السن بيننا ولا نضطر الى التحفظ من القاء الكلام على عواهنهِ فكأن تلك السيدة الكريمة قد اكتشفت سر الشبيبة الدائمة وما ذلك السر سوى شبيبة الفكر فكم من الذين يشيخون مع بقاء اعضائهم على مرونتها في الحركة ينفرون من معاشرة الشبيبة . لقد صدئت اداة التفكير عندهم واحاطت بها الاوهام فلا قيمة عندهم الاَّ للمبادىء التي كانت شائعة في شبيبتهم واصبحت اذهانهم عاجزة عن تمثيل المبادىء الجديدة لانهم لم يعرفوا كيف يدربونها على معالجة الجديد فهؤلاء يشيخون قبل وصولهم الى سن الشيخوخة

وهذا ما جعلني ادرك سبب عدم تفاهم الوالدين والاولاد . ولا تقضي علينا الحال بان نهتم بترويح خواطر الفتيان والفتيات العائشين معنا بمثل اهتمامنا بترويح خواطرنا

وما عرفت واسطة لبلوغ الشيخوخة قبل الآن كترك سوانا يعمل لنا كل شيء . فالناشئة الجديدة تعدنا — من دون اطالة التفكير في ذلك — في مصاف العجائز او الضعيفي البنية لتوهمهم انا نعجز عن عمل ما يعملونه لنا . وما نقوله عن الجسم يمكننا ان نقوله عن الفكر وقد لا يتيسر لنا في شيخوختنا تجنب الامراض التي تلم بجسمنا ولكننا اذا فكرنا تفكيراً جديًّا في ذلك مشينا منتصبي القامة الى القبر وانا موقنة ان نشاط الفكر المنوع هو افضل علاج لادواء الجسم

كنت اعرف من سنوات سيدة طاعنة في السن نحيلة الجسم لطيفة المعاشرة فذهبتُ وسيدة في مقتبل الشباب لزيارتها ذات يوم وبعد ما قضينا زيارتنا ورجعنا قالت لي السيدة الشابة هنيئاً لك بمقامك في مدينة تستطيعين كلما شئت ان تزوري فيها مثل هذه السيدة الفاضلة التي يسري حديثها الهمّ عن الفؤاد

والحق يقال ان صديقتي العجوز كانت تنسى نفسها وتظهر بمظهر اللطف والرقة والعطف والجودة والذكاء والتساهل وقد اقتبست تلك الخلال من التجارب وكانت تتفنن في طرق ابواب الموضوعات فتلجها ذاهبة فيها كل مذهب . ويحسن بالنساء الآيسين ان بقاءهنَّ على نضارتهنَّ منوط بحسن صحتهنَّ فيجب على كل منهنَّ ان تنظم اسلوب معيشتها بتعيين ساعات النوم ومقدار الغذاء وانواعه ومواعيد التنزه وترويح الخاطر من دون اذاعة ذلك على رؤوس الاشهاد

وما اكثر النساء اللواتي يعنينَ بتربية اولادهنَّ ويهملنَ العناية بانفسهنَّ فالالعاب الرياضية تعد من خصائص المرأة العصرية وهي تشمل رياضة الجسم ورياضة الفكر . ولا ينبغي للمرأة ان تنبذ هذه الرياضة مع تقدمها في العمر فلعبة الجولف مثلاً تلائم المرأة التي هي في الستين من عمرها ملاءمتها للفتاة التي لا تزيد سنها على ثماني عشرة سنة . واذا كانت المرأة قد تعودت ركوب الخيل في العشرين من عمرها فلا مسوغ للعدول عن ذلك حينما تبلغ الثمانين ولكن لا بد لها حينذاك من الاعتدال

أما مهمة المرأة الجوهرية فهي ان تجعل حياتها وحياة الذين تحبهم والذين لها صلة بهم على جانب عظيم من الهناءة والراحة ومن الواجب عليها ان تجعل الحياة محبوبة وذات معنى

فالمرأة التي تعود بالفكر الى الذكريات الماضية تغتبط بان يكون لها الفضل على والديها وزوجها واولادها بجعل روض حياتهم خصباً وجعل شمس البهجة تشرق فيه

واذا شاءت المرأة ان تجعل الذين يحيطون بها راتعين في بحبوحة الهناءة كان امامها مجال واسع للعمل والتفكير ولا يبقى لها وقت لجمود جسمها وقلبها وفكرها . والمرأة الطاعنة في السن لا تخلو حياتها من الفائدة أبداً . أجل انه لا سبيل لها الى المجاهرة بمثل ما كانت تجاهر به من الحب ابان شبيبتها ولكنها تشتد فيها قوة الفهم والادراك والشعور والحنان مما يساعد الذين تحبهم على المعيشة وفقاً لما تمليه عليهم عواطفهم من دون ان تضطرهم الى العمل بمشيئتها

باب المراسلة والمناظرة

صورة قلمية

ديمتري بك خلاط

بقلم نقولا شكري

كل ما هو خير وقوة في الطبيعة يستحيل في الغالب الى مزايا وصفات سامية في الانسان . كذلك استحال اخلاف النورمانديين الذين انحدروا الى غرب اوربا من ملاّحين وغزاة الى تجار ومستعمرين بسطوا جناح سيطرتهم على جزء من العالم لا تغيب عنه الشمس

ومن الممكن ان يقال ايضاً عن طبيعة الشرقي انها بمقدار ما تختزن من الخير منذ القديم لا تزال تهب الشرقيين مزايا وصفات يندر ان توجد في غيرهم . ولم تكن رمال الصحراء في بوادي الحجاز تخلو من هذه المزية فان العرب قد استحالوا من رجال اكفاء الى فاتحين وحكّام

وكأنما يعد من تقاليد الشرق ان يكون الشرقي تاجراً وفي الوقت نفسه أديباً او عالماً واسع الاطلاع او بالعكس مشتغلاً بالعلم وفي مزاجه حب العمل والتوسع في الرزق بوسائل تنم على ذكائهِ واتصاله القوي بالطبيعة عن طريق المعاملات المادية

ولقد سبق ان كتبنا عن شرقي كبير من العصاميين الذين استحال فيهم خير الطبيعة الشرقية الى مزايا وصفات سامية ونعني بذلك كبير تجار الخشب الكاتب الباحث أسعد باسيلي

ونود ان نقوي هذا المثل في نفوس النشء بوصف شخصية اخرى من هذا الصنف من الرجال الذين كان اساس نجاحهم يرجع رأساً الى الفطرة . شاعر وتاجر من الطراز الاول لا تزال حياته واعماله مثلاً يستحق ان يقتدى بهِ هو حضرة صاحب العزة العالم العامل ديمتري بك خلاط

قلنا ان خير ما في الطبيعة يستحيل بالعصاميين الى مزايا ومواهب سامية ولعلَّ اصدق صورة لذلك تتمثل في ديمتري بك خلاط

بدأ حياته بالاشتغال بالادب والعلم وهي وظيفة لا تزال نعدها من الوظائف الكمالية ولكن يغيب[illegible] دائماً انها من تقاليد الفطرة الشرقية التي كأنها تأبى ان تقطع شوطاً في سبيل النبوغ والنجاح قبل ان تدل على مواهبها السامية أما في العلم او في الادب . وقد كان نبوغه في التجارة والاعمال المادية الصرفة بعد ان اشتهر اسمه كشاعر وكأديب . وكانت كبريات المجلات العربية قد

فتحت لكتاباته صفحاتها فانتج كثيراً من قبل ان يحقق بذكائه ذلك النجاح العظيم الذي وفق اليه في الاعمال التجارية . ولم يكن من الممكن لرجل دلَّ على مواهبه السامية في الادب ان يؤدي مهمته الكبيرة في الاعمال المادية من دون ان يحقق معجزة تميزه وتشير الى فضله وقد كانت العادة المتبعة لعهده ان التجار يستوردون بضائعهم من الاسواق الكبيرة في اوربا ولكن ديمتري بك خلاط التاجر خالف هذه السنَّة بذكائه وجعل يستورد هذه البضائع عينها من مواردها الاصلية فخلق لنفسه خطوطاً تجارية جديدة ساعدت كثيراً على نجاحه . ويجب ان نعترف بأن النجاح الكبير في التجارة ليس بالمهمة الميسورة ولكن ديمتري بك خلاط امتاز فضلاً عن مواهبه بالجرأة وهي رأس مال التاجر وربما كانت جرأته هي اساس اتساع معاملاته عند ما اختار ان يكون من رجال الاعمال . وهي تلك الجرأة نفسها التي جعلت منه في بادىء الامر أي قبل هجرته الى مصر كاتباً حرَّ الفكر لا يطيق الصبر على الافتئات والازدراء بالحقوق . فقد يذكر لديمتري بك خلاط الاديب تلك المقالات الرنانة القوية التي ثار بها على رجال الحكومة في بيروت وطرابلس الشام وقت ان كان الشاعر الرقيق والاديب السليم الذوق والافكار . وقد استحال ذلك الشاعر عند ما بدت له وجوه النقص التي يكابدها الجمهور الى صحافي جريء لا يهاب تهديداً ولا وعيداً في سبيل نصرة الحق فأفضت حملاته الى قيام النزاع بينه وبعض أهله . بل لقد أفضت الى هجرانه لموطنه وهبوطه مصر حيث صار من رجال الاعمال البارزين

ولم تكن هجرته سبباً في ظهور مواهبه وفطرته الشعرية فقد اشتهر بهذه المواهب وتلك الفطرة وهو بعد فتى في موطنه طرابلس الشام وكان يملأ بمقالاته وشعره اعمدة « الجنان » و« الجنة » اللتين كان يصدرها المرحوم المعلم سليم البستاني فقد خص الاولى بالادب والثانية بالسياسة وربما كان من المستظرف ان نذكر لهذه المناسبة محاولة قامت بها الجنان وقتئذٍ في تعريب قصة « سرفانتس » المشهورة باسماء عربية . وهي محاولة تدل على اخلاص ذلك الجيل من الادباء في جهودهم . ولم يكن شاعرنا وقتئذٍ ينقصه ذلك الاخلاص في اعماله الادبية . بل لقد كان اخلاصه مقروناً بالجرأة وحرية الفكر فكان الى جانب شاعريته وأدبه خطيباً قوي النفس اتفق انه في سنة ١٨٨٩ القى خطاباً في تاريخ التمدن الانساني على غرار خطاب جان جاك روسو في الاختلاف بين حالات الناس « عدم مساواة الناس » ونشر الخطاب في صحيفة الاهرام فكان له أثره العظيم الذي ادى الى تعرفه بتلاميذ جمال الدين الافغاني ولاسيما امير بلغاء ذلك العصر وسيد خطبائهم ونعني به أديب بك اسحق وكان وقتئذٍ يدير جريدة مصر ويحررها . ونحن نعلم مقام اديب بك اسحق وفضله وأثره العظيم الذي خلفه في ادباء العصر الاخير فجعل ديمتري بك — وكان لا يزال شاباً مملوءاً حماسة يعمر قلبه الاخلاص والوطنية والشعور القومي — يكتب المقالات والرسائل في جريدة مصر . ولاشك في ان الذين يحفظون ذكرى اديب بك اسحق يغبطون ديمتري بك خلاط على الحقبة التي نعم بها بصداقة خطيب عصره

صاحب جريدة مصر . ولاشك ان هذه العلاقة وغيرها لم تكن بلا تأثير في شاعر ناشيء قد ادّخر له الزمن القيام بجهود ادبية ومادية من الطراز الاول

وفي الحقيقة ان ديمتري بك خلاط جعل يباري بقلمه واتخذ من جريدتي مصر والاهرام ميداناً لاظهار مواهبه وبلاغته فنشر في الاخيرة رواية «عزة النفس» ضمنها افكاره الحرة عن دياجي الاستبداد التي كانت مخيمة وقتئذٍ على افق الشرق وكان ذلك قبيل سنة ١٨٨٢ وكذلك شهد ديمتري بك خلاط خير عصر من عصور الادب في مصر ، هو ذلك العصر الذي اشتهر بالاسماء الخالدة التي تستحق تمجيدنا واعترافنا بالجميل، عصر جمال الدين الافغاني ومحمد عبده واديب اسحق وعبد الله نديم وابراهيم اليازجي وغيرهم من الذين اقاموا قواعد هذه النهضة وبنوا للاخلاف ذلك الهيكل العظيم الذي نمجدهُ الى اليوم

وفي ذلك العصر الذي امتاز بتحرره من القيود عاش ديمتري بك خلاط . ولا شك ان ارتباطه بالعلاقات الادبية مع عظماء ذلك العصر قد وهب لتفكيره كثيراً من الحرية والروح العملي الذي هو اساس الانتاج . ولما كان ديمتري بك خلاط قد هبط مصر قبيل الثورة العرابية وشهد حريق الاسكندرية سنة ١٨٨٢ لم يكن من الممكن ان يشذ عن الحالة التي سادت مصر في ذاك الوقت ، فانهُ عقب خمود تلك الحركة استأنف الناس في مصر اعمالهم وكان ذلك بقوة وجهد عظيمين كما يكون عادة عقب الفترات التي تشل فيها حركة الاعمال فاختار أن يقف كل جهوده على توسيع دائرة اعماله التجارية وكان لا بد ان تعينهُ مواهبه وذكاؤه الفطري على النجاح فكان اول ما فكر فيه كما قلنا استيراد انواع من البضائع من مصادرها وعيونها على خلاف ما يفعل سائر التجار ولم يستنفد العمل التجاري مع ذلك جهوده فقد كان يسترق الوقت للاطلاع والتأليف ولم يترك وقتاً يفلت منهُ دون ان يقيد رسالة او ينظم قصيدة وكان من حظهِ وحظ الادب وقتئذٍ ان قدم استاذه وصديقه العلامة الدكتور يعقوب صرُّوف مع رفيقه الدكتور فارس نمر فنقلا الى القاهرة ادارة المقتطف وانشأا بالاشتراك مع المغفور له شاهين بك مكاريوس جريدة المقطم فظلَّ من ذلك الحين يوالي المقطم والمقتطف بمقالاته وقصائده . ونذكر انهُ في سنة ١٨٨٨ نشر في المقتطف قصيدة سماها « القصيدة الهندية » وهي من بدائع الشعر العصري ومن خير ما نظمه شاعرنا منها قوله : —

أراك في يقظة من لوعة الألم ... إني شبيهك مكلوم فمي كلمي

أصغي ولا تعجبي مما أصبت به ... اني سعيت الى حتفي على قدمي

وقد حصدت ثمار الوجد يانعة ... لما زرعت بذور الضر والنقم

وهكذا الذنب مشفوع بنقمته ... وصاحب البرّ لن يشقى ولم يضم

وقد نشرت هذه القصيدة في خير صحف العلم والادب في الشرق العربي وفي مصر حيث امتازت الاكثرية بتذوق الشعر الجيد وتقديره . نقول انه بلغ من استحسان القراء لهذه القصيدة ان المقتطف اعاد نشرها كاملةً بعد سنوات

ومثل ديمتري بك خلاط الرجل الذي كان حب الاطلاع قد استحوذ على ذهنه ، وكان شغفه بالجديد والطريف مزية لمواهبه كشاعر عصري وأديب ملم باللغات الحية ينقل عنها مختارات الرسائل بذوق سليم ومقدرة فائقة — كان من الطبيعي ان تحمله مهمته كتاجر الى القيام برحلة واسعة في انحاء اوربا فجعل زيارته لمعرض باريس الذي اقيم سنة ١٨٩٠ وسيلة لتحقيق هذه الرحلة التي اطلع فيها على مراكز الصناعة والتجارة في العالم المتمدن وقيد ملاحظاته كتاجر واسع المعاملات او كأديب دقيق الملاحظة ميال بفطرته الى الطريف من الاشياء فجاب اوربا غرباً وشرقاً وزار متاحفها والاوساط الكبيرة ورافقته في تلك الرحلة زوجته الفاضلة وهي من السيدات المستنيرات تجيد مع لغتها العربية الانجليزية والفرنسية وتحسن الكلام بالايطالية واليونانية والالمانية . ونعلم ان والدها المرحوم وهبة الله كرم عني بتثقيفها عناية كبيرة ونعتقد ان من النعم الكبرى ان تكون الزوجة مستنيرة تشارك زوجها إفكاره وطباعه وتعينه في جهوده كذلك كانت مدام ديمتري بك خلاط وقد جمعت الى هذه الاستنارة اخلاقاً سامية وتواضعاً كبيراً ولا تزال تساعد زوجها في اعماله وتقيد ما يمليه عليها بعد ان حال الداء الذي اصابه في عينيه عن ادائه لهذه المهمة

ولما عاد من رحلته وضع كتابه النفيس الذي اسماه « السمير في السفر » وضمنه ملاحظاته ومشاهداته وظهرت في ذلك الكتاب مواهب الشاعر والاديب الاريب في تصوير المدن والناس ووصف العادات ولولا ان اصيب منذ سنوات بداء كان يوشك ان يودي بحياته وكتب له الشفاء منه لما انقطعت اعماله الادبية الجليلة التي كانت نواة مجده ونجاحه الكبيرين في ميدان الاعمال

ولقد زرت ديمتري بك اخيراً في منزله وسرني ما شاهدته في فردوسه الارضي كما يسميه وحسب هذه التسمية دليلاً كبيراً على حب الشاعر التاجر لمغناه الذي تتولاه سيدة من انبل العقيلات وافضلهن خلقاً فانشدني ابياتاً فكهة شكا بها الداء الذي اصابه في عينيه « كتراكت » وحجب النور عنهما ضمنها مصراعاً من شعر لبيد قال :—

ولقد سئمت من الحياة وطولها	وسؤال اهلي ماذا تأكل في غد
اكبيبة ام سمكة مشوية	ام لون أرز بالفراخ مزود
ام هل تروم السير في سيارة	تطأ الثرى في خفة كالهدهد
ومنها : — كلاً . فما من لذة مذ مقلتي	حرمت قراءة كل سفر جيد
حسبي ضباب بالعيون مخيم	في كل آن بالظلام مهددي

وانشدني قصيدة اخرى عن الحرية قال — :

جاءت مقنعة بالحلم زائرة	تشق صدر الدجى في طلعة الفجر
فقلت يامهجتي طال البعاد فهل	يبقى الحجاب على محياك والنحر
هلاً تميطينه قالت أتضمن لي	رؤيا الرقيب فيدري كامن السر

ومنها :— تورعت من هوى المحبوب في زرد يرد سهم العدى بالذل والكسر
والحب ليس جميلاً الا صادفه قولاً وفعلاً شريف القصد والفكر
ومنها :— بالله يا معشر العشاق فاتئدوا وقلبوا الرأي بين الحلم والصبر
فهل تظنون قلبي كرة صنعت للعبة الناس بين الكر والفر
ومنها :— هل حالة القفص المصنوع من ذهب لنفسنا فرج من خيفة الحصر

وبقي ديمتري بك خلاط ينهض بأعماله التجارية خير نهوض من دون ان ينقطع عن الاشتغال بالكتابة والشعر. وفي سنة ١٩٢٠ نقلت جرائد سوريا قصيدته اللبنانية التي نشرها في المقطم يؤيد بها رأي اللبنانيين في ضم مدن صيدا وبيروت وطرابلس الى لبنان بعد انفصالها عنه سنة ١٨٦٠ وكانت منه بمنزلة القلب من الجسم فأفضى السعي الى ان رفعت الدولة المنتدبة ذلك الجور عن لبنان واعادته الى حدوده القديمة واطلقت عليه اسم لبنان الكبير

وكذلك كان شاعرنا الجليل موفقاً الى القيام بجهود مثمرة في دائرة السياسة كتوفيقه في الشعر والادب

وفي غضون ذلك كان تقدير صفات ديمتري بك خلاط من جميع الذين عرفوه وعرفوا فضله ومواهبه فانعم عليه سنة ١٩١٧ برتبة البكوية تقديراً لمكانته وكان من قبل قد اشترك في عضوية بعض الشركات والجمعيات لاسيما مجلس ادارة البورصة ومجلس ادارة شركة الملح والصودا والجمعية الخيرية للسوريين الارثوذكس وهو الذي تولى تصفية البورصة من المساهمين وكان وقتئذ قد احرز مكانته العظيمة في الدائرة التجارية مقدار ما ذاعت شهرته كاديب وشاعر . وفي سنة ١٩٢٦ انعمت عليه الحكومة البلجيكية بنشان رفيع تقديراً لمكانته وجهوده في سبيل شركة ترام الاسكندرية والرمل

***

هذه الحياة الكبيرة الحافلة بالاعمال والانتاج القيم التي جعلت من ديمتري بك خلاط تاجراً عظيم المكانة تستحق ان نسوقها لشباب هذا العصر لكي يقتدوا بها فان الاعمال المادية لا تعوق ابداً الاشتغال بالتفكير المنتج ولا تحول دون الانتاج في الادب . لقد رأينا كيف ان شاعرنا كان يقوم بتوسيع علاقاته ومعاملاته التجارية دون ان يمنعه ذلك من الاشتهار في الادب والشعر . ولا بد من معرفة الصفات التي امتازت بها شخصية ديمتري بك خلاط فهو رغم اشتغاله بالاعمال التجارية التي رفعت مكانته قد اشتهر بميوله الانسانية وتواضعه وهدوء نفسه

وديمتري بك قد بلغ اليوم حدود السبعين ولا يزال على عهده من الصراحة والجرأة وتلك الدقة التي الفها في تنظيم حياته واعماله . ولعلَّ ذلك اظهر صفاته وهي الصفات التي كوَّنت عناصر نجاحه . وهو رغم الصبغة الاوربية التي استحوذت على حياته بداعي الضرورات الاجتماعية فانهذه الحياة في جوهرها تمثل الاحتفاظ بالتقاليد الشرقية

عصر التبسيط والتعميم[1]

فتوحات العلم الحديث

في هذا العصر حاجة دائمة الى تبسيط العلوم والمعارف وتعميمها ، لانهُ عصر الجمهور وعصر الاخصاء

فالجمهور لا يفهم التفصيلات العلمية والدقائق الفنية ، ولا طاقة له بدرس المشكلات وحل الغوامض ولكنهُ يعيش في عصر كثرت فيهِ المخترعات التي يستفيد منها ولا بدَّ له من السؤال عن سببها ، ولا بدَّ له من جواب سهل صحيح يغنيه ما استطاع ويتيح له ان يعيش في زمانه كما يعيش البصير المدرك لما حوله . فكتب التبسيط العلمي تسد هذه الحاجة وتحقق وجود الانسان في عصره ، لانهُ بغير المعرفة التي يستمدها من تلك الكتب يعاني غربة عن الزمن شرًّا من الغربة عن الوطن ، ونعم الكتاب الكتاب يضع الحياة في مستقرها ويرد العقل الانساني الى زمانهِ ومكانهِ

وهناك من العلماءِ السبَّاقين من يفهم الدقائق المفصلة في علمهِ ولا يتسع وقته لفهم المبادىء المجملة في العلوم الاخرى فقد يبلغ من اتساع الطب والهندسة وعلوم الطبيعة ان يكون الفرق بين طبيب في فرع من الطب وزميل له في فرع آخر كالفرق بين الطبيب عامة والمهندس عامة ، من حيث الاحاطة باجزاء العلم وأبوابه ،فليست الحاجة الى التبسيط والتعميم مقصورة على جمهرة العامة والسواد دون الخاصة من فطاحل العلماء ، بل هي حاجة يدعو اليها فرط العلم وقلة الحظ منهُ في آن واحد ، إذ ليس يجمل بالقانوني الضليع أن يصغى الى حديث عن « المذيع » الذي يسمعهُ باذنيه كأنهُ يصغى الى رطانة او طلاسم ،وليس يجمل بالعالم الزراعي ان يصغى الى حديث عن السماء وشموسها وسياراتها كأنهُ لا يرفع بصره من الارض التي يزرعها، وانما يجمل بكل عالم ان يستوفي علمه ولا يجهل الضروري من العلوم كافة ، وهو في هذا يلتقي بجمهرة السواد في الحاجة الى مراجع التبسيط والتعميم

---

(١) « فتوحات العلم الحديث » اسم الكتاب الذي اصدرته مجلة المقتطف في اوائل سبتمبر ليكون هدية الى مشتركيها بدلا من عددي اغسطس وسبتمبر سنة ١٩٣٤ — صفحاته ٣٣٦ صفحة قطع المقتطف . وهذا هو المقال الذي تفضل فكتبه فيه الاستاذ عباس محمود العقاد ونشره في الصفحة الادبية من جريدة الجهاد وقد نقلناه باذن منه

وقد نشأت في اوربا شركات كبرى لنشر الاصول العلمية والفلسفية والادبية في قالب سهل التناول مفيد لجميع الطبقات ، فاصبح في مقدور كل قارىء ان يطلع على اغرب الحقائق العلمية والعقلية مفسرة ميسرة في رسائل صغيرة حسنة التمهيد والتقسيم تعطيه ما يغنيه وتريحه مما يشكل عليه . والى جانبي — وانا اكتب هذا — عشرات من العجالات تصدرها شركة ارنست بن في مختلف المعارف الانسانية وقد عهدت في كتابة كل عجالة منها الى حجة عليم بتلك المعرفة، وهأنذا أتناول عشراً منها بغير ترتيب مقصود ، فاذا العجالة الثامنة عشرة في تاريخ الهند ، والتاسعة عشرة في الاسلام ، والعشرون في عهد الاصلاح ، والحادية والعشرون في الصحافة ، والثانية والعشرون في السكك الحديدية ، والثالثة والعشرون في المصورين الانجليز بالالوان المائية ، والرابعة والعشرون في فلاسفة العالم العظام ، والخامسة والعشرون في الحرب على اليابسة ، والسادسة والعشرون في رؤساء الوزارات الانجليز ، والسابعة والعشرون في علم الجريمة ، والثامنة والعشرون في القصة الفرنسية ، وقس على ذلك تنوع المعارف واتساع الافق وكثرة الموضوعات ، فاذا فرغت من قراءة الرسالة ولم تستوف كل ما تتوق اليه من شرح وتفصيل فأنت واجد في الصفحة الاخيرة منها سجلاً باسماء الكتب المطولة يحصي لك اهم المراجع واحقها بالاعتماد ويدع لك ان تختار منها ما تشاء للتوسع والاستقصاء

ونحن احوج من الاوربيين الى امثال هذه العجالات او الى تبسيط المعارف وتعميمها وتشويق القراء اليها . ولهذا نرحب كل الترحيب بالسفر الجديد الذي اصدره الاستاذ الباحث فؤاد صروف محرر « المقتطف » ونعني به « فتوحات العلم الحديث » فانه سفر حافل بالبسائط الجليلة يدور البحث فيه على نحو ستين موضوعاً من المعارف الانسانية التي تدخل في علم الاجتماع والعمران او علم الفلك والسماوات او علم الطبيعة وألغازها او علم الطب او علم الحياة وما بين ذلك من مباحث يمتزج فيها العلم والفلسفة والتقرير بالتقدير ، وقد افتتحه الاستاذ بكلمة مقتبسة من « هربرت هوفر » رئيس الولايات المتحدة السابق يقول فيها : « ان علماءنا ومستنبطينا اغلى الممتلكات القومية التي نملكها . كل مبلغ من المال مهما يعظم ضئيل ازاء عمل هؤلاء الرجال الذين يملكون قوة الابداع والتفاني والمثابرة على ترقية الفكر العلمي خطوة خطوة حتى يصلوا به الى البيوت فينشروا فيها اسباب الصحة والراحة والرفاهة ، اننا لا نستطيع ان نقيس ما عملوه لترقية العمران بكل ارباح البنوك في جميع ارجاء المعمورة »

وهذه كلمة بديهية ولكنها ضرورية من رئيس جمهورية يخاطب الناس عامة ، فان الغريب في نظرنا ان توضع « ارباح البنوك » موضع المقابلة والموازنة لفتوح العقول ، ولكن ربما كان في الدنيا ملايين يستغربون ان توضع فتوح العقول موضع المقابلة والموازنة لارباح البنوك في جميع ارجاء المعمورة ، فهؤلاء يحتاجون الى تلك الكلمة من رئيس حكومة يعنى بالمعيشة قبل عنايته بالتفكير . وتحضرنا لهذه المناسبة كلمة الشاعر الالماني الاسرائيلي هنريك هيني التي يقول فيها على طريقته

في مزج التهكم بالجد : ان ابناء اسرائيل تركوا هيكل سليمان يحترق بما فيه من الحلي والجواهر والتحف النوادر ولم يستنقذوا منهُ الاَّ الكتاب . . . أليس هذا حجة على فضل الكتاب من « آل خبرة » بالاموال والنفائس ! !

وسيرى الذين يطالعون على «فتوحات العلم الحديث» انه امتع من قصة واولى بالقراءة من كتاب تسلية ، فهو اشبه بدليل الآثار الذي يتفقده السائح كل لحظة ولا يستمتع بسياحته أو يستفيد منها بغير الرجوع اليه ، وكذلك هذا الكتاب عند من يرى عجائب الكون وألغاز العلم في العصر الحاضر فهو دليل يريه واضحاً ممتعاً ما كان يراه غامضاً مغلقاً لا يتصل بالعقل ولا بالشعور ، وان انساناً يعيش في عصرنا ولا يشعر بالحاجة الى استطلاع هذه العجائب والالغاز لهو أغرب من سائح يزور الاهرام وابواب الملوك وقصر أنس الوجود ولا دليل معه ولا اطلاع على التاريخ

***

قال الاستاذ فؤاد صرُّوف في مقدمته على مقام العلم في الحضارة : « كثيراً ما نسيء فهم الفرق بين البحث الصناعي العملي والبحث العلمي المجرد . ان البحث الصناعي بطبيعته يتجه الى حل مسألة خاصة تعترض سبيل الصناع في عملهم : فاذا توصل الباحث الى حل المشكل الذي امامه فضى لبانته من البحث وحول جهده الى غيره جاعلاً همه في كل عمله الوصول الى غاية معينة . اما البحث العلمي فغايته توسيع نطاق المعرفة بكشف نواميس الطبيعة والحياة ، وبعض هذه المباحث قد يعود — وكثيراً ما يعود — على الصناعات بفائدة اكبر واعم من المباحث الصناعية الضيقة النطاق التي يقصد منها حل مشكلة خاصة . فالبحث الصناعي قد يكون وسيلة لاتقان جزء خاص من المحرك الكهربائي او المصباح الكهربائي ولكن البحث العلمي المجرد الذي كشف لنا ناموساً واحداً من نواميس الكهربائية جعل كل المحركات وكل المولدات الكهربائية في حيز الامكان . ولولا كشفه لما كانت هي على الاطلاق»

وقد صدق الاستاذ في ملاحظته العلمية الفلسفية . فان الواجب الاول على طلاب الخير للانسانية ان يغرسوا في النفوس حب الاستطلاع لانه يدل على سعة الحياة والشوق الى المزيد منها ، ثم تجيء الصناعات والفوائد المعيشية مما يكشفه المستطلعون ويبدعهُ المخترعون : فحب الاستطلاع كفيل بأن يمتعنا بالحياة والشعور . ويزوّدنا بالمنافع والصناعات ، وليس الفرق بين امة رفيعة وأمة وضيعة الاَّ الفرق في حب الاستطلاع الذي يؤدي الى اقتحام الجديد من الابواب وفتح المغلق من الاسرار ، وأول ما يبدو من علامات ارتفاع الامة ان تتصرف في معاشها تصرف المؤمنين بهذه الحقيقة . اما الامم التي لا يطمح فيها الانسان الى شرف المعرفة الاَّ اذا نقدوه الثمن سلفاً من الفوائد المحسوسة فبينها وبين التقدم والارتفاع شوط بعيد

عباس محمود العقاد

ما قلّ ودلّ

تأليف احمد الصاوي محمد — مجلدان صفحاتهما ٤٧٨ — قطع صغير — مطبعة دار الكتب

ينعم بعض الناس ، بموهبة النظرة السريعة الخاطفة ، يستجلون بها غامضاً من الغوامض ، او ينفذون بها الى كنه عمل من الاعمال او نفس من النفوس ، او يرون بها في حادث عبرة لا يراها الغير ، او يصيبون نكتة قد تجيء هي والعبرة سواء . والصاوي أحد هؤلاءِ . بل انهُ علاوة على ذلك كاتب رسَّام ، يرسم بالكلمات المشاهد والحوادث احياناً ، وخلجات النفس او همسات الضمير او العِبرَ المستخرجة من كل ذلك احياناً اخرى . وهو الغالب . فهو اذا رأى في الشارع فتاة تسير مرفوعة الرأس معتزّة بجمالها مزهوّة زهواً يكاد يبلغ حدّ الصلف كأنها تتحدَّى النساء وتكيد للرجال لم يكتفِ بقوله انها مسرفة وانها معتدّة بنفسها ، بل نظر اليها نظرة عاطفية فأسند اعتدادها بنفسها الى « ان قلبها لا يزال خالياً ، فهي تسير شاعرة باستقلالها ، تقطع الطريق رافعة الرأس لانها ترى من حولها القيود والاغلال . . . . أنا افهم هذا الجبين المرفوع . . . . انهُ رمز التحرّر من عبودية الجيل ، ولكنهُ رمز لا يطول مداه ، فان الرجل يتربص بهِ . . . . » وفي هذا التعليل كثير من الشعر

او قد تأتيهِ رسالة يستفتى فيها في موضوع عاطفيّ خاص وهو في الوقت عينهِ اجتماعي عام . أين تضع قلبها ؟ فيردُّ وفي قوله حكمة خالصة : « نعم يا سيدتي لها حق الحبّ والحياة على شريطة ان تعرف اين تضع قلبها ، صحيح ان هذا القلب ملكها ولكن ليس للمالك ان يلقي برأس مالهِ كلهِ في البحر ويجلس بعد ذلك على الشاطىء يندب سوء المآل ، بل ان المال الضائع قد يعوَّض اما القلب المنكسر فهيهات ان يجبَر . والفتاة المصرية يا سيدتي . قلما تعرف كيف تحب ، لانهُ لاسبيل لها الى اختبار النفوس ، فهي لا تكاد تحبُّ الاَّ الوجوه ، والوجوه كثيراً ما تكون خادعة »

واغلب ما يراه في شؤون المرأة المصرية ونهضتها ومكانتها الاجتماعية، متسم بسمة الجرأة والحكمة. وقد تكون اقوالهُ هذه في نظر الذين خبروا الحياة في الاوساط الاوربية او في اوربا نفسها ، كلاماً معاداً ، ولكن هؤلاءِ ينسون ، ان « نسبية » اينشتين ، ليست محصورة في الرياضة العليا والطبيعة

ولهُ كذلك في الاجتماع المصري نظرات ينقد بها ما يراه فيهِ من مواطن الضعف ، في بعض العادات والتقاليد ، ولكن ذلك لا يحول دون تمجيد ما يراه جديراً بالتمجيد ، مستعيناً عليهِ بأقوال الحكماء وعِبر التاريخ . بل انك لتقع احياناً على مقطعات في صفحاتهِ هذه ، تنم على شاعرية صاحبها مع اننا لا نعلم انهُ نظم او حاول نظم الشعر

ولقد أنصف الاستاذ انطون الجميّل بك في تقديرهِ هذا الكتاب اذ قال في مقدمتهِ: « بعض مقالات « ما قلّ ودلّ » وليد الحوادث اليومية العابرة ، يذهب معها وينطوي بطيّها ، والبعض الآخر يتناول موضوعات اجتماعية وخلقية وقومية ثابتة لا تضعف بهجتها ولا تبلى جدّتها » .فالذين يطلبون

من الصاوي التعمق في كل موضوع يتناولهُ ، ينسون انهُ صحافيٌّ ، يكفيهِ في التعليق على حوادث يومهِ ، ما تمليهِ عليهِ البداهة التي صقلها الاختبار وحفزها حب الخير ، فيدل على مواضع للبحث والتنقيب والتبسط ، يعالجها المتفرغون لذلك . ولا يصحُّ ان نختم هـذه العجالة في كتاب « ما قلَّ ودلَّ » من غير ان نشير ، الى ان الصاوي — مشتركاً مع مطبعة دار الكتب المصرية — جدير بأعظم الثناء ، على عنايته العظيمة بالناحيـة الفنية من طبع كتابهِ . فالحجم الذي اختاره ، والرسوم التي زان صفحاتهِ بها ، والغلاف البسيط الرزين القوي الذي غلفهُ بهِ ، كل ذلك يجب ان يصبح مثلاً للمؤلفين والناشرين يحتذونهُ . فانهُ اثبت ان في إمكان المطبعة العربية، اخراج كتب متقنة الطبع تبهج رؤيتها العين والنفس، وكم من كتاب نفيس كانت بليتهُ في سخف ورقهِ وسقم طبعهِ

تاريخ الامير فخر الدين المعني الثاني

حاكم لبنان من سنة ١٥٩٠ الى سنة ١٦٣٥

صفحاته ٤٥٠ بالقطع المتوسط وثمنه ١٣٥ قرشاً سورياً في الخارج

الف هذا الكتاب حضرة الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف عضو مجمع اللغة العربية الملكي بمصر وعضو المجمعين العلميين في دمشق وبيروت فجاءَ حافلاً بالمعلومات التاريخية الطريفة والبيانات المفيدة التي كان اكثرها مجهولاً لدى المشتغلين بالتاريخ . ويحتوي هذا الكتاب على خلاصة وجيزة لتاريخ لبنـان في زمن الفتح العثماني استطرد منهُ المؤلف الى الكلام عن نسب الاسرة المعنية وعن نشأة فخر الدين الثاني المعني وعن توليه حكم لبنان وعن سفره الى ايطاليا لاجئاً الى حكومتها ثم رجوعه الى بلاده وعودته الى تسلم زمام الحكم وتوسيعه نطاق امارته حتى طرابلس وحلب وفلسطين ودمشق وما تلا ذلك من حرب الدولة العثمانية له والقبض عليهِ وعلى اسرتهِ وارسالهم الى الاستانة وقتلهِ واولاده فيها

وفي الكتاب مباحث وافية عن اعمال المعنّي العمرانية وعن علاقاته بفرنسا وايطاليا ومعاهداته معهما وعن البعثات الدينية الاجنبية وتاريخها في الشام . وعن عادات الامير واخلاقه وعائلته مع رسوم شمسية نادرة . وقد رجع مؤلفهُ الفاضل الى كثير من المصادر التاريخية الايطالية والفرنسية والتركية والروسية والالمانية والمخطوطات العربية التي لم تنشر فجاءَ وافياً بالمقصود يمثل الحياة العامة في لبنان اصدق تمثيل في تلك الحقبة ولا يستغنى عنهُ الذين يعنون بالعلوم التاريخية ويحرصون على دراسة حالة لبنان في تلك العصور وما بلغهُ من تقدم وعمران على يد اميره المعني

واعترافنا بفائدة الكتاب وتنويهنا بخطورة شأنه من الجهتين التاريخية والعلمية لا يمنعانا من تذكير حضرة مؤلفهِ الفاضل بملاحظة بسيطة تختص « بالشكل » لا « بالموضوع » . وهي كثرة الحواشي وتعددها في ذيل صفحاته حتى يكاد القارىء يضل في تيهها الواسع فينصرف عن تلاوة المتن مع انهُ لو ادمج معظمها في متنهِ ما دامت متصلة بالموضوع او لو افرد لها صفحات خاصة وضعت كملاحق يرجع اليها القارىء المتبحر لخففت بعض العناء عنهُ ولعلهُ يأخذ بها في الطبعة الثانية ان شاءَ الله

مفتاح كنوز السنّة

وضعه بالانجليزية الاستاذ فنسنك وترجمه الاستاذ «محمد فؤاد عبد الباقي»
نشرته «لجنة ترجمة دائرة المعارف الاسلامية» مطبعة مصر سنة ١٣٥٣هـ سنة ١٩٣٤م

كتب الاستاذ العالم الجليل السيد محمد رشيد رضا المقدمة الاولى لهذا الكتاب ، والمقدمة الثانية كتبها المحدث البارع الاستاذ الشيخ احمد محمد شاكر ونحن ننشر هنا جزءًا من هذه المقدمة النفيسة ليفي بالغرض في تعريف القراء بهذا الكتاب : قال

هذا الكتاب جعله مؤلفه فهرساً لثلاثة عشر كتاباً من امهات كتب الحديث وهي : مسند الامام احمد بن حنبل ، صحيح البخاري ، صحيح مسلم ، سنن الدارمي ، سنن ابي داود السجستاني سنن الترمذي ، سنن النسائي ، سنن ابن ماجه ، وهذه الثمانية هي اصول السنّة ، ومصادرها الصحيحة الموثوق بها ، ويندر ان يكون حديث صحيح خارجاً عنها ليس موجوداً في احدها

ثم موطأ الامام مالك ومسند ابي داود الطيالسي ، وهما من اقدم الكتب المؤلفة في الحديث ، فان مالكاً والطيالسي من علماء القرن الثاني الهجري ، وان كان الطيالسيُّ تأخرت وفاته الى اول القرن الثالث (سنة ٢٠٤)

ثم سيرة ابن هشام المتوفي سنة ٢١٨ هجرية ، وهي اختصار وتهذيب لاول كتاب ألف في السيرة ، وهو كتاب محمد بن اسحق رئيس اهل المغازي المتوفي سنة ١٥١ هجرية

ثم كتاب المغازي للامام محمد بن عمر الواقدي المتوفي سنة ٢٠٧

ثم اعظم كتاب جمع سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وتراجم الصحابة والتابعين فمن بعدهم ، وهو كتاب (الطبقات الكبيرة) للامام الحافظ الثقة محمد ابن سعد المتوفي سنة ٢٣٠ وهو تلميذ الواقدي وكاتبه

والكتاب الرابع عشر : المسند المنسوب للامام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب المتوفي شهيداً سنة ١٢٢ . وهذا الكتاب عمدة في الفقه عند علماء الزيدية من الشيعة ، ولو صحت نسبته الى الامام زيد عليه السلام لكان اقدم كتاب موجود من كتب الأئمة المتقدمين ، الا ان الراوي لهُ عن زيد رجل لا يوثق بشيء من روايته عند أئمة الحديث ، وهو ابو خالد عمرو بن خالد الواسطي ، رماه العلماء بالكذب في الرواية ، قال الامام احمد بن حنبل في شأنهِ : « كذاب ، يروي عن زيد بن علي عن آبائه احاديث موضوعة »

وقد رتب الاستاذ ونسنك كتابه على المعاني والمسائل العلمية والاعلام التاريخية ، وقسم كل معنى او ترجمة الى الموضوعات التفصيلية المتعلقة بذلك . ثم رتب عناوين الكتاب على حروف المعجم . واجتهد في جمع ما يتعلق بكل مسألة من الاحاديث والآثار الواردة في هذه الكتب ، ولكني في مطالعتي وجدت انهُ لم يستقرِ كل الاستقراء ، وهذا مرجعه الى صعوبة العمل الذي قام به عن غير مثال يحتذى

واعتمد في مسند الطيالسي على طبعة حيدر آباد سنة ١٣٢١ هجرية ، وفي مسند زيد على طبعة ميلانو سنة ١٩١٩ ميلادية ، والاحاديث في الكتابين لها ارقام متتابعة ، فأشار الى ارقامها فيهما

واعتمد في مسند احمد على طبعة القاهرة سنة ١٣١٣ هجرية ، وفي طبقات ابن سعد على طبعة ليدن سنة ١٩٠٤ — ١٩٠٨ ميلادية ، وفي سيرة ابن هشام على طبعة غوتنغن سنة ١٨٥٩ — ١٨٦٠ ميلادية . وفي مغازي الواقدي على ترجمتها المطبوعة في برلين سنة ١٨٨٢ ميلادية . واشار الى ارقام الصحف في كل منها

ولكثرة الطبعات في سائر الكتب — وهي الكتب الستة والموطأ والدارمي — اعتمد على ارقام ابتدعها لكل واحد منها باصطلاح له أبان عنه في مقدمة كتابه ، وذلك انهُ قسم كلاً منها ماعدا صحيحي البخاري ومسلم وموطأ مالك — الى كتب (او مجموعات للابواب) وكل كتاب الى الابواب التي ذكرها مؤلفه فيه ، وجعل لكل كتاب منها رقماً متتابعاً ، ثم لكل باب من كتاب رقماً متتابعاً ايضاً ، واشار الى مواضع الاحاديث بأرقام الكتب والابواب ، الاَّ في كتاب التفسير من صحيح البخاري وهو المرقوم برقم (٦٥) ومن صحيح مسلم ، وهو برقم (٥٤) ؛ ومن سنن الترمذي ، وهو برقم (٤٤) فاعتمد على عدد سور القرآن ، واشار الى كل سورة برقمها في موضعها من المصحف

واما صحيح البخاري فان طبعة ليدن فيها ارقام الكتب والابواب من عمل مصححها

وأما صحيح مسلم فانه ليس فيه تراجم للابواب من عمل مؤلفه ، بل التراجم التي كتبت على حاشيته من وضع الشرَّاح الذين جاءوا بعده ، واهمهم الامام النووي رحمه الله . ويوجد في صحيح مسلم كثير من المتابعات ، وهي الاسانيد التي يروي بها حديثاً تأكيداً للاسناد الاول الذي رواه به ؛ فالراوي الثاني يتابع الراوي الذي ذكر قبله في روايته ويؤيده . فرأى الاستاذ ونسنك ان يعتبر الاحاديث الاصول في الابواب ويدع الاشارة الى المتابعات ، ورقَّم الاحاديث الاصول في كل كتاب من كتب صحيح مسلم بأرقام متتابعة يشير اليها في كتابه

واما موطأ مالك فان الاستاذ ونسنك قسمه الى كتب ، لانهُ لم يكن مقسماً تقسيماً واضحاً ، ثمَّ وضع ارقاماً متتابعة للكتب وللاحاديث فقط ، وترك ما لا يحتوي الاَّ على آراء مالك وغيره من الائمة ، لانها ليست من مقاصد هذا الفهرس

والطبعات التي اعتمد عليها في تقسيم الكتب والابواب الثمانية هي : البخاري طبعة ليدن سنة ١٨٦٢ — ١٨٦٨ و ١٩٠٧ — ١٩٠٨ ، ومسلم طبعة بولاق سنة ١٢٩٠ ، وابو داود طبعة القاهرة سنة ١٢٨٠ ، والترمذي طبعة بولاق سنة ١٢٩٢ ، والنسائي طبعة القاهرة سنة ١٣١٢ ، وابن ماجه طبعة القاهرة سنة ١٣١٣ ، والدارمي طبعة دهلي سنة ١٣٣٧ ، والموطأ طبعة القاهرة سنة ١٢٧٩

وقد وضع الاخ محمد فؤاد عبد الباقي افندي جداول مفصلة للكتب والابواب والاحاديث في كل كتاب من هذه الثمانية ، لتكون مرشداً للقارىء يستعين بها على البحث عما يريد من الاحاديث

« وانا انصح لكل من يقتني هذا الكتاب النفيس ان يعنى بدراسة اصطلاحه في تقسيم الكتب والابواب والاحاديث في الكتب الثمانية ، ثم يضع ارقام الكتب والابواب ، والاحاديث على النسخ التي لديه منها ، وبذلك يسهل عليه البحث عن اي حديث يحتاج اليهِ ، بأيسر الطرق واسرعها دلالة »

ولعلَّ نشر هذا الكتاب بلغتنا العربية الشريفة يكون سبباً في اقبال المتعلمين من جميع الطبقات على الاشتغال بالسنَّة النبوية ، وعلى الاستفادة من كتب الحديث ، وهي كنوز العلم والحكمة ، التي اعرض عنها اكثر الناس . اما جهلاً بفائدتها ، واما عجزاً عن المراجعة فيها عند الحاجة

هذا وقد عني الصديق فؤاد افندي بالدقة في الترجمة اتم عناية ، فانهُ لم يترجم معنىً من المعاني حتى رجع الى الاحاديث في مصادرها التي أشار اليها المؤلف ، وعبَّر عنها بالعبارة الصحيحة التي تدل عليها الاحاديث ، ولذلك مكث في ترجمته اربع سنين ، ثم لم يضن على طبعه بالمال ، فاختار له ارقى المطابع في القاهرة . وهي (مطبعة مصر) ، وانتقى اجود انواع الورق ، فأبرز الكتاب كاملاً

« ملوك الطوائف ، ونظرات في تاريخ الاسلام »

تأليف دوزى (المستشرق) وترجمه الاستاذ كامل كيلاني . نشرته مكتبة عيسى الحلبي وشركاه سنة ١٣٥١ و ١٩٣٤

دوزي — مستشرق معدود في الطبقة الاولى من الاعاجم الذين صرفوا قلوبهم الى دراسة العربية وما فيها من الكتب . و « بعد » فقد كتبنا في مقتطف مارس سنة ١٩٣٣ ان الأمة العربية ابتليت ببليتين : أولاهما ، انهُ لم ينتدب أحد من اهل هذه اللغة الى التنقيب عن آثار الامة العربية التي طويت في أرضها بين يمنها وشامها وحجازها وعراقها ومصرها ومغربها وما سوى ذلك ، والاخرى : انهُ لم يخفَّ احد الى دراسة كتب العرب ولمِّ شتاتها واستخراج ما خفي من أساليب العرب واحوالها وعاداتها في الاجتماع والادب واللغة حتى جاءنا في هذا العصر أصحاب الألسنة الاعجمية من دول اوربا بأقوالهم في تاريخنا وأدبنا وديننا بالكلام الجيد تارةً والفهم الملتوي والتعليل الفاسد تارةً اخرى

فهذا الكتاب الذي ترجمهُ الاستاذ كامل كيلاني وتنصَّل من الاثم فيه بقوله « اذا كان العلامة فخر الدين الرازي يقول في مقدمته لشرح « الاشارات » لابن سينا : « ان التقرير غير الردّ ، والتفسير غير النقد » فما أجدرنا ان نقول « والترجمة غير النقد » نقول هذا الكتاب قسمان الاول ما كتبهُ دوزي عن ملوك الطوائف والآخر فصول من كلام دوزي في تاريخ الاسلام . والاول أهونهما خطراً وأقلهما خطأً والآخر ما هو الاَّ تركيب فاسد قد اجتمع لهذا المستشرق من (استخراج) فاسد من كتب التاريخ الاسلامي وغيرها وترق فيها بالخديعة الكتابية الى تأليف كلام يشبه التحقيق العلمي وما هو منه في شيء . وهذه عادة هذه الفئة من المستشرقين الذين يتعرضون لتاريخ الاسلام ورجاله . لا يتورعون عن عرض آرائهم في اسواق الكتب ثم لا يبالون الاَّ بالنسج الذي نسجوه غير ناظرين الى الحقيقة العلمية

ولقد قرأت هذا الكتاب ووقفت على ما فيه من مواضع الخطإ وأحصيت عليه الآراء التي ترفق في عرضها وأخذ يلوكها مرة ثم مرة مجمجماً غير مصرّح ، وكنت على عزمة تبيانها للقارىء ولكني رأيت ان ذلك مما يستنفد معنا في هذا الباب من المجلة صفحات كثيرة ، ثم وجدت أن الاستاذ « محمد امين هلال » قد سبقني وكتب في جريدة البلاغ مقالات دقيقة اطلعت على الرابعة والخامسة منها ، وقد وقف فيها عند ما وقفت عليه ودافع كلام هذا المستشرق بالحجة الصحيحة ، وأوثر ان انقل الى القارىء هنا جزءاً من كلمة الاستاذ « محمد امين هلال » التي نشرت في بلاغ (الثلاثاء ٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٣ — ١١ سبتمبر سنة ١٩٣٤) لما فيها من الفائدة

«يظهر ان اتهام رجال العرب الفاتحين — خصوصاً في الدولة الاموية — بالوثنية والحنين الى عهودها كان صدًى لما كان يشيعه اعداء الاسلام من انهُ دين وثني وان المسلمين جماعة من الوثنيين تغلبوا على الارض المقدسة ونفوا منها كل فضيلة واخلاص ولقد رأينا هذه الاقوال الكاذبة ينشرها دعاة الحرب من رؤساء الكنيسة إبان الحروب الصليبية فلما قفل الغزاة الى ديارهم قصوا على قومهم ان اعداءهم كانوا أهل دين وتوحيد ومروءة ومجاملة

« ونحن اذا تخيرنا من بين خلفاء الامويين الذين يتهمهم العلامة دوزي ببغض الاسلام ابغض هؤلاء الخلفاء وابعدهم عن قلوب المسلمين وهو يزيد بن معاوية مثلاً نجده كان يعمل للاسلام ويأمر قواده بذلك فقد حدثنا التاريخ ان عقبة بن نافع عامل يزيد لما فتح بلاد البربر وسار الى السوس الاقصى حتى وصل الى بحر الظلمات (المحيط الاطلانطي) قال « يا رب لولا هذا البحر لمضيت في البلاد مجاهداً في سبيلك» وانه لما سار الى (تهوذا) ورآه الروم في قلة طمعوا فيه فأغلقوا باب الحصن وشتموه وقاتلوه وهو يدعوهم الى الاسلام ثم تكاثروا عليه وقتلوه

«ورأينا قتيبة بن مسلم عامل الحجاج بن يوسف «المشهور بغطرسته وقسوته» يخطب في الناس ويقول لهم : ان الله قد أحلكم هذا المحل ليعز دينه ويذب بكم عن الحرمات ويزيد لكم المال استفاضة والعدو قمعاً ووعد نبيه صلى الله عليه وسلم النصر بحديث صادق وكتاب ناطق فقال (هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) ووعد المجاهدين في سبيله احسن الثواب واعظم الذخر عنده فقال « ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطئون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً الاَّ كتب لهم بهِ عمل صالح ان الله لا يضيع أجر المحسنين * ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً الاَّ كتب لهم ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون *) ثم اخبر عمن قتل في سبيله انهُ حي يرزق فقال (ولا تحسبنَّ الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون *) فتنجزوا موعود ربكم ووطنوا انفسكم على اقصى اثر وأمض ألم وإياي والهوينا !

«وقتيبة هذا هو الذي تلقاه ملك الصغانيان بهدايا ومفتاح من ذهب ودعاه الى بلاده وكذلك

فعل ملك كفتان وأنصف له من ملك آخرون وشومان وكتب اليهِ الحجاج يقول : اذا غزوت فكن مقدم الناس واذا قفلت فكن في أخرياتهم وساقتهم ، حتى فتح بلاداً واسعة نشر فيها الاسلام فأخرجت العظماء من كتّاب المسلمين وفقهائهم ومحدّثيهم وعلمائهم

«وهذا أشرس بن عبد الله السلمي عامل هشام بن عبد الملك على خراسان ارسل لاول عهده الى اهل سمرقند وما وراء النهر يدعوهم الى الاسـلام على ان توضع عنهم الجزية فسارع الناس هناك الى الاسلام وحين كتب اليهِ امير سمرقند انهم لم يسلموا الاَّ تعوذاً من الجزية قال له من اختتن واقام الفرائض وقرأ سورة من القرآن فأرفع خراجه . وقد روى عن يوسف بن عمر عامل هشام على العراق انهُ مع اسرافه في العقوبة كان طويل الصلاة ملازماً للمسجد ضابطاً لحشمه واهله — وكان يصلي الصبح ولا يكلم احداً حتى يصلي الضحى . ولقد كتب عمر بن عبد العزيز الى ملوك السند يدعوهم الى الاسلام وقد كانت سيرته بلغتهم فأسلموا وتسموا بأسماء العرب .

«هذا قل من كثر من موقف خلفاء الامويين وعمالهم ازاء الاسلام وعملهم على نشره والترويج له في غير عنف ولا شطط ، أفبعد هذا يقول عنهم قائل « ان تلك الاقلية العربية التي اضطرت الى الاسلام اضطراراً واكرهت على الدخول في هـذا الدين اكراهاً ، عرفت كيف تثأر لنفسها حين سنحت لها فرصة الانتقام فتقاضت ثمن ذلك الفوز مضاعفاً وشفت غلة صدورها المكتومة» اه

هذا وكنا نراه لزاماً على مترجم الكتاب الاستاذ كيلاني ان يتعرض لهذه المواضع ولا يتنصل منها ، نعم نحن نقول معه ان الترجمة غير النقد ، ولكن ذلك صحيح حين يترجم للعلماء دون غيرهم أما حين يظن في كتاب مترجم انهُ ممـا يقع في ايدي الناشئين ، فلا . . . . إن أبناءنا في المدارس المصرية من ثانوية وعالية لا يعرفون عن مثل عمـرو بن العاص الاَّ انهُ فتح مصر ، وعن عمر بن عبد العزيز انهُ كان خليفة وعن فلان وفلان مثل هذا او اقل فكيف نترك مثل هذه الآراء الفاسدة غذاءَ ألباب الذين يريدون من ابنائنا ان يقرأوا كتاباً سهلاً داني الثمرة . وهم لا يعلمون من التاريخ دقائقه ولا من الاسلام الاَّ كلمات حفظوها لا تبلغ بهم درجة من العلم فيهِ . والمترجم الذي يقول في مقدمة كتابة للقراء اني قد آثرت نقل هذه الفصول من دوزي « لتبيان وجهة تفكير عالم اوربي كبير ، وهي — وان خالفت آراءنا احياناً في بعض مناحيها — جديرة ان تقرأ بعناية فائقة » الذي يقول هذا يجب عليهِ ان ينقد المغالطات والمفاسد بعناية فائقة كذلك في زمن قد اجتمعت فيهِ على التاريخ الاسلامي عناصر الفساد والافساد من كل ناحية . بل في زمن نحن نتهيأ فيهِ لاعادة المجد الضائع والحق المغتصب بفقه ما كان عليهِ اسلافنا فقهاً صحيحاً لا يميل الى الخرافة ولا يشطّ مع التقليد والتورط والفساد. اقول هذا وانا اشكر المترجم على ما اضافهُ الى قليل علمنا عن آراء هذه الفئة المستشرقة التي نفعت العربية نفعاً كبيراً بحفظ كتبها ونشرها حين اضاعتها ابناؤها وعموا وصمّوا ثم عموا وصموا ولولا رحمة الله عمن نشأ فينا واحيا بعض مجد العربية لغمرتنا الموجة الطاغية التي وقانا الله بعض شرّها ***

الروافد

نظم شكرالله الجر — صفحاته ٩٦ — مطبعة الاندلس الجديدة — ريو ده جنيرو برازيل

يقول الشاعر في مقدمة ديوانه « هذه مجموعة قصائد تمخضت بها النفس في حوادث مختلفة وهي كما يراها القارىء ليست بجملتها من الشعر الوطني المفرقع الذي يستشوق السامع فتعقد له مجالس السمر عند القوم » ... ثم يقول في ختام كلمته « واني وان اصابت هذه المجموعة وشلاً مما نوهت بهِ فلا يعني انني راضٍ عنها كل الرضا بل احب اليَّ منها مجموعة اعدها الآن للنشر تحت اسم «الغمائم» ربما كانت أثرى وآثر من الوجهة المعنوية لدى جماعة المفكرين الاولى يعنون بالشعر من حيث عمقه وجدته وتعدد صوره واصباغه » . وقد تصفحنا هذه المجموعة الشائقة فوجدنا شاعراً جزل اللفظ حسن الاداء بارع التصوير ولولا بعض ألفاظ تنبو بها قوافي بعض القصائد مثل

واسكب رحيقك في النفو س مطيباً أنفاس كارع

لخلا الديوان من المآخذ . ولقد أبان الشاعر في مقدمتهِ عن اتجاه شاعريته الى الناحية الانسانية واعتذر عن شعره الوطنيّ ونحن وان كنا نوافق الشاعر على قيمة الشعر ونعتز بهذا الغرض الانساني النبيل الذي يرمي اليهِ الادب العربي الحديث فانا ايضاً نقدر الشعر الوطنيّ ونقول اننا في حاجة اليهِ على الاقل لتخليد تاريخ نهضاتنا والاشادة بامجاد حاضرنا والتغني بالمستقبل المرموق وحفز ابنائنا الى المجد . وخلا هذا فاننا نوقن ان الشعب البريطاني مدين بمتانة جوانبه الاخلاقية ونبل اغراضه وقوته وعظمته الى ادب شكسبير . ولولا هذا الميراث الحي الذي يجري في دم الامبراطورية من ادبه الخالد لما وجدت صيحات كبلنج الوطنية مجيباً لصداها ولا محتفلاً بسماعها

وبعد فان «الروافد» ديوان لم يخل من شعر الطبيعة والانسان والوجدان وأنت تنهل من رحيق هذا الشعر في قصائد «على متون الامواج» و «شواطىء الاندلس» و «قطرة كأس» وغيرها . وفي الديوان قصائد حسان يجدر بكل اديب شرقي أن يقرأها فانها صدى لآلام هذا الشرق واحلامه ***

الثورة العربية الكبرى

أنجزت مطبعة عيسى الحلبي وشركائه بمصر طبع كتاب الثورة العربية الكبرى للباحث المحقق الاستاذ امين سعيد فصدر اليوم في ثلاثة مجلدات عدد صفحاتها ١٤٠٠ صفحة بالقطع الكبير فيها ثلاث خارطات و ١٥٠ صورة . والكتاب الجديد مفصل جامع للقضية العربيــة في ربع قرن اي من ١٩٠٨ الى ١٩٣٤ والجزء الاول منهُ خاص بأخبار النهضة العربية من ظهورها حتى دخول الجيش العربي الى سورية في ختام الحرب العظمى سنة ١٩١٨ وانشاء الدولة الفيصلية في الشام فهو تاريخ مسهب لنضال العرب والترك . اما الجزء الثاني منه فخاص بالنضال بين العرب من جهة والفرنسيين والانكليز من جهة اخرى وينطوي على اخبار الدولة الفيصلية في دمشق من قيامها حتى زوالها مقروناً بتاريخ الثورة العربية في العراق وما تلاها من قيام الدولة الجديدة في بغداد . والجزء الثالث خاص بتاريخ

أمارة شرقي الاردن وقضية فلسطين وقد بسطهما المؤلف بسطاً وافياً وعززها بأخبار سقوط الدولة الهاشمية في الحجاز وما تقدمها من سعي الانكليز لتصفية عهودهم مع الحسين وما تلاها من حوادث ثم تاريخ الحركة الوطنية في سورية من سنة ١٩٢٠ حتى اليوم . وفي الكتاب ما لا يقل عن ٥٠٠ وثيقة سياسية وجانب كبير من معلوماته مما لم ينشر قبل فلا يستغني عنه باحث ولا كاتب ولا عربي يهمه الاطلاع على تاريخ قومه ونهضتهم فهو في الواقع تاريخ العرب القومي والسياسي في العصر الحديث

﴿ الاصلاح ﴾ مجلة ادبية اقتصادية تصورية جامعة . لصاحبها الدكتور جورج صوايا وقد أصدرت عدداً فخماً ممتازاً يضم بين دفتيه كثيراً من المباحث العلمية والمقالات والأشعار البليغة منها قصيدة الخمر والحب والشباب للشاعر المبدع فرحات ووداع قنديل وهي قصيدة عصماء رائعة للشاعر القروي المعروف

﴿ الارلزيانة ﴾ مأساة تمثيلية ذات ثلاثة فصول تأليف الكاتب الافرنسي الشهير الفونس دوده وتعريب الدكتور جورج صوايا صاحب مجلة الاصلاح في بونس ايرس (الارجنتين)

﴿ في سبيل الحرية ﴾ بقلم الاستاذ الياس قنصل وهي خلاصة رواية تمثيلية للكاتب الشهير فرنسوى كوبيه جرت حوادثها في احدى مقاطعات ايطاليا في القرن الخامس عشر طبعت في المطبعة السورية اللبنانية في بونس ايرس (الارجنتين)

﴿ القراءة الفريدة ﴾ الجزء الرابع للمدارس الابتدائية للاستاذ شريف النشاشيبي وهي تضم رسائل بديعة وامثال لطيفة وقصص قصيرة جامعة وحكايات على ألسن الحيوانات ناطقة ونوادر يلذ سماعها — طبعت بمطبعة المعارف بمصر

﴿ مثلنا الأعلى ﴾ رواية تمثيلية وضعها عبد الحميد عباس وهذبها الاستاذ اكرم زعيتر وهي تشمل كثيراً من المبادىء القومية والخلقية التي يجب ان يدين بها الطالب العراقي طبعت بمطبعة الحكومة ببغداد

﴿ ازيس ﴾ قصة تمثيلية يدور محورها حول رجوع الروح وضعها الاستاذ محمد زكي صالح ، طبعت بمطبعة النظام بمصر

﴿ همام او في عاصمة الاحقاف ﴾ رواية شعرية تمثيلية للاديب علي احمد باكير ويرجع ناظم هذه الدرامة جهل شعبه الحضرمي الى جهل المرأة فهو يريدها متعلمة كشقيقاتها الشرقيات طبعت في المطبعة السلفية بمصر

﴿ الحسناء العربية اريناب بنت اسحق ﴾ رواية تمثيلية تاريخية اخلاقية ذات ثلاثة فصول بقلم الاستاذ فريد شاهين ابي فاضل منشيء مجلة الرياض يتجلى فيها دهاء معاوية وشهامة الحسين ووفاء المرأة العربية طبعت في مطبعة الرياض بانطلياس — لبنان

﴿ دلال ﴾ رواية تاريخية في عهد الأمير بشير الكبير بقلم الاديب كميل قرألى تصف الامير وحاشيته ورجال لبنان في عصره وعادات أهله وفتح الجيش اللبناني لمدينة دمشق سنة ١٨١٠ واقلعة سانور في نابلس سنة ١٨٢٩ . طبعت في مطبعة « المجلة البطريركية » في بيت شباب — لبنان

باب الأخبار العلمية

كرة الاعماق وريادة الاغوار

نشرت الصحف في اواسط الصيف صورة الكرة العظيمة، التي استعملها الدكتور بيب الاميركي والمستر اوتس بارتن، ليغوصا بها الى اعماقٍ لم يبلغها انسان من قبل. وتعرف هذه الكرة باسم باثيسفير Bathysphere اي «كرة الاعماق» ولعلَّ هذا افضل اسم يطلق عليها باللغة العربية

هذه الكرة مبنية من الصلب وزنتها نحو ٥٥٠٠ رطل، وقطرها اربع اقدام وتسع بوصات وثخانة جدرانها بوصة ونصف بوصة، ولها ثلاث فتحات قطر كلٍّ منها ثماني بوصات وقد وضع فيها وضعاً محكماً الواحٌ من زجاج البلور الصخري (الكوارتز) بعد صهره وتجميده، وسماكة كلّ لوح اربع بوصات وقطرهُ خمس بوصات

الغرض من هذه الكرة ان تكون وسيلةً للباحث العلمي، تمكنهُ من بلوغ اعماقٍ لا يستطيع الانسان ان يبلغها لشدة ضغط الماءِ وبردهِ في الغالب وعجز الغائص عن ان يلبث وقتاً ما يمكنهُ من اجراء المشاهدات العلمية على الاسماك التي تقطن هناك. فهذه الكرة تتسع لرجلين، يجلسان فيها ثم تقفل اقفالاً محكماً وتدلّى رويداً رويداً ثم تستقرّ عند عمق مطلوب، فينظر الباحث من خلال الواح البلور الصخري، وهي صافية كلَّ الصفاءِ، ويشاهد اشكال الاسماك والوانها، ويستطيع الآخر، ان يصوّرها، باليد او بآلة فتوغرافية يتصل بها مصباح كشاف

قلنا ان الكرة مقفلة اقفالاً محكماً، حتى لا تنفذ اليها قطرة ماءٍ واحدة، فكيف يتنفس الرجلان داخلها؟ انها في الواقع تشتمل على جهاز للتنفس، مؤلف من حوضين يحتويان على الاكسجين اللازم للتنفس، وللجهاز صمّام يخرج لترين من الاكسجين الى فضاءِ الكرة الداخلي كلَّ دقيقة. ومقدار الاكسجين الذي في الحوضين يكفي رجلين مدى ثماني ساعات وقبل الغوص يوضع فوق الحوضين طبقان على احدهما مركَّب من الجير والصوديوم لامتصاص اكسيد الكربون الثاني الذي يزفرهُ الرجلان، وعلى الآخر كلوريد الكلسيوم لامتصاص الرطوبة. وهناك مراوح لتحريك الهواءِ

فهذه الوسائل تكفل للغائصين اسباب الراحة الجسدية. وقد غاص «بيب» واحد اعوانه غير مرة فلم يستشعرا في خلال غوصهما اي ضيق ناجم عن قلة الاكسجين او كثرة الرطوبة وثاني اكسيد الكربون في الهواءِ

اما في محاولتهما الاخيرة فقد بلغا الى عمق ٢٥١٠ اقدام، على مقربة من جزيرة نونستش

وهي احدى جزائر برمودا ، ففاق العمق الذي بلغاهُ في السنة الماضية وهو ٢٢٠٠ قدم

ولا يخفى ان الاقدام على الغوص بكرة من هذا القبيل مغامرة تنطوي على خطر عظيم . لذلك جربت كرة الاعماق قبل نزول بيب وبارتن بها لمعرفة مقدار الضغط عليها عند اعماق مختلفة وهل تستطيع ان تتحمل هذا الضغط فثبت ان الضغط على كل بوصة مربعة منها يبلغ ٦٥٢٧ الرطل عند عمق ربع ميل اي ان مجموع الضغط على الكرة كلها، كان عند هذا العمق ٣٦٣٦٦ طناً . ولكنها تحملت هذا الضغط ، فلم تتحطم الواح الكوارتز في عيونها ولا نفذت اليها قطرة ماءٍ

والكرة عند غوصها تظل متصلة بالسفينة التي تدلّى منها ، بسلك تلفون ، وسلك للاضاءة الكهربائية . والحبل الذي تدلّى به طوله ٣٠٠٠ قدم وهو من الصلب وثخنهُ سبعة اثمان البوصة ويقوى على حمل ٢٩ طناً . ومن ادواتها مصباح كشّاف يوجّه من احدى عيون الكرة لاستكشاف الاغوار القاعة وما فيها من الاحياءِ

بلون كشاف
يحمل مذيعاً لاسلكيًّا

استنبط الدكتور ارثر كمطن استاذ الطبيعة في جامعة شيكاغو طريقة جديدة لاستكشاف احوال الجو في الطبقة الطخرورية stratosphere ذلك انهُ صنع بلونات صغيرة لا يزيد وزن البلون منها على ١٦ رطلاً وقطرها على ١٥ قدماً يطلقها في الجو صُعُداً فترتفع الى اعالي الطبقة الطخرورية من تلقاء ذاتها . وجهزها بأداة لاسلكية عجيبة ، وصلها بمقياس للحرارة ومقياس لضغط الهواء ومقياس لقوة الاشعة الكونية . وهذا الاداة انبوب لاسلكي متذبذب يرسل اشارات لاسلكية بأمواج طول الموجة منها عشرون متراً . فاذا حدث تغيُّر في ضغط الهواء ، بحسب ما يدونهُ مقياس الضغط (البارومتر) أثر ذلك في طول الموجة التي يطلقها الانبوب اللاسلكي ، فيعرف بذلك علو البلون . ثم ان الانبوب متصل بأداة دقيقة هي متصلة بدورها بمقياس الحرارة . فاذا تغيرت حرارة الجو ، دوّن ذلك في مقياس الحرارة وأثر في الاداة المتصلة بالانبوب اللاسلكي. وهذا الاداة فيها عجلة كعجلة الساعة تختلف سرعة دورانها باختلاف الحرارة . فاذا بطؤت سرعة العجلة او اذا اسرعت ، زادت المسافة بين فترات اطلاق الامواج من الانبوب اللاسلكي . وهذا يفسَّر في المحطة الارضية فيعرف منهُ حرارة الجو على ارتفاع معين . ثم ان قوة الاشعة الكونية تؤثر في مقياس خاص بها ، وهذا بدورهِ يؤثر تأثيراً خاصًّا في الامواج اللاسلكية يمكن فهمهُ على الارض

ولا يخفى ان نوعاً من هذه البلونات كان قد استعمل قبلاً في استكشاف طبقة الجو العليا ، وكان كل بلون منها يجهز بآلات تدوّن من تلقاء نفسها اعلى درجات الحرارة واخفض درجات الضغط وقوة الاشعة الكونية . ثم اذا هبط البلون الى الارض اخذت هذه الآلات وقرئ ما كان مدوّناً فيها . وهي طريقة لا بأس بها وانما يؤخذ عليها انهُ لا يمكن استعمالها الاَّ

في البلدان المزدحمة بالسكان . لانهُ من المتعذر ان تعلم اين يقع البلون عند هبوطه . فالعلماء يعتمدون على معاونة الناس لهم ، في العثور عليه وارساله الى المحطة التي اطلقتهُ وفقاً لبيان ملصق عليهِ . فاذا كانت المنطقة قليلة السكان ، تعذّر وجود البلون اذا سقط في قفر. اما البلون الجديد فلا حاجة بالعالم اليهِ ، بعد تدوين الرسائل اللاسلكية التي يبعثها في عنان الفضاء ، وسواء اهبط في قفر ام في منطقة مأهولة . فانهُ يؤدي مهمتهُ وهو في الفضاء ، ونفقات بنائهِ واطلاقهِ يسيرة ، فلا يعبأ باسترداده او فقده

عجيبة في بيضة

اخذ العالم الفرنسي الاستاذ جلينك Jellinek بيضة نيئة ووضعها بين لوحي مكثف كهربائي Condenser ووصل اللوحين بمذيع لاسلكي قصير الامواج ، مستعملاً قوة كهربائية قدرها الف وط وموجة طولها ثلاثة امتار . فاخترقت الامواج البيضة . وبعد خمس دقائق اخذ البيضة وكسرها ، فوجد محّها (صفارها) قد تجمد ، واما زلالها فلم يتأثر بالامواج التي اخترقه لأن قوامه من قبيل قوام الهلام . ثم ثبت عند فحص حرارة المح والزلال ، ان حرارة الاول لا تعدو ١٤٠ درجة بميزان فارنهيت (اي ٦٠ درجة مئوية) حالة ان حرارة الثاني بلغت ١٧٦ درجة بميزان فارنهيت (اي ٨٠ درجة مئوية) . ولم يكن الغرض من هذه التجربة الكشف عن شيء يبعث الدهشة ، بل كانت تجربة من سلسلة من التجارب غرضها معرفة أثر الامواج اللاسلكية القصيرة في المواد العضوية المختلفة . وقد جربت تجربة من هذا القبيل بعين ثور فثبت ان عدسة العين البلورية لم تتأثر كثيراً بالامواج ، ولكن نسج العين الاخرى تأثرت بها تأثراً عظيماً . ويرى الاستاذ جلينك ان درس اثر الاشعة اللاسلكية القصيرة في النسج المختلفة وما تولدهُ فيها من الحرارة لا بدَّ منهُ لضبط استعمال هذه الاشعة في الطب

سياحة زجاجة

في عشرين ابريل سنة ١٩٢٧ كتب الضابط بارستو الاميركي في السفينة الاميركية هاميرا ورقة ووضعها في زجاجة وسدَّ الزجاجة سدًّا محكماً والقاها في البحر بين جزائر برمودا وشواطىء الولايات المتحدة الجنوبية . فتقاذفتها تيارات المحيط الاطلنطي سبع سنوات الى ان قذفتها من عهد قريب على شواطىء ولاية تكساس وتقدَّر المسافة التي قطعتها في خلال هذه المدة بنحو ٨٠٠٠ ميل

الاشعة التي فوق البنفسجي

يختلف اثر هذه الاشعة في قتل خلايا النبات باختلاف طول امواجها . ذلك ان الاستاذ فلورنس ماير Meier احد علماء المعهد السمثصوني الاميركي اخذ لوحة مستطيلة من الزجاج وغشاها بطبقة من الفطر البحري سمكها سمك خلية واحدة ؛ ثم وضعها في تيار من الاشعة التي فوق البنفسجي ، بعد ما حلّها بموشور الى مناطق كل منطقة منها تحتوي على اشعة يختلف طولها عن طول الاشعة في المنطقة التالية او

سابقة . وعدد هذه المناطق ثمانٍ . فوجدت ان الخلايا المعرّضة لاشعة منطقة منها اسرع تلفاً من الاخرى مع ان الخلايا واحدة . والاشعة من مختلف الاطوال تميت الخلايا ولكنها تختلف في سرعة الفعل

النحاس المشع

نشرت مجلة نايتشر العلمية ان الدكتور ستكوت Westcot والدكتور بيرج Bjerge من علماء معهد كافندش بجامعة كمبردج اطلقا نوترونات على النحاس فأصبح عنصراً مشعًّا النحاس المشع ينحلُّ كما ينحلُّ الراديوم وهو عنصر مشع بطبيعتهِ ولكن الفرق بين النحاس المشع والراديوم ، ان الراديوم يفقد نصف وزنهِ بالاشعاع في مدة ١٦٠٠ سنة واما النحاس المشع يفقد نصف قوتهِ على الاشعاع في ست ساعات . ولكنهُ على كل حال يفوق العناصر الاخرى التي حولت الى عناصر مشعة باطلاق قذائف عليها، لان معظم هـذه العناصر يفقد كل قوتهِ على الاشعاع في بضع دقائق

اشعة غما والايدروجين الثقيل

يعلم قرّاء المقتطف ان للايدروجين نظيراً يدعى في الولايات المتحدة الاميركية دوتيريوم ونواة تدعى دوتوناً ، ويدعى في انكلترا ديبلوجين ونواة تدعى دبلوناً ، وهو يختلف عن الايدروجين في خواصه الطبيعية وفي مقدمتها وزنهُ الذري فانهُ ضعف الوزن الذرّي للايدروجين المألوف . وقد عني الاستاذ شـدِك (مكتشف النترون) والدكتور غـولدهابر Goldhaber باطلاق اشعة غما من طاقـة ٢٦٢٠٠٠٠ فولط على الدبلونات فحلَّ كل دبلون منها الى ذرة ايدروجين مألوف ونوترون . فـكأن الدبلون مؤلف من بروتون ونوترون. والنوترون مركَّب في نظر العلماء من بروتون والكترون قريب احدهما من الآخر . وهذا القرب بين الالكترون والبروتون، في النوترون، هو الفارق بين النوترون وذرّة الايدروجين المألوف ، لانها هي الاخرى مؤلفة كذلك من الكترون وبروتون ولكن احدهما بعيد عن الآخر بعداً نسبيًّا . ولما كانت الطاقة التي تربط بين الدقائق التي يتركب منهُ الدبلون كبيرة وجب استعمال اشعة غمَّا وهي اسرع ما ينطلق من الراديوم من الاشعة واعظمها طاقة

شهاب يرى في النهار

في الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة والاربعين من يوم ١٤ سبتمبر ١٩٣٤ شوهد في انكلترا شهاب مرق في الفضاء كالسهم الناري . وقد وصفهُ المستر كلن من موظفي مرصد غرينتش فقال انهُ خرج بعد الظهر لتدوين قراءات الترمومترات وكان الجو ازرق صافياً فاسترعى نظره جسم لامع كالصاروخ ، له نواة لامعة ووراءه خط مضيء . وظلت رؤيتهُ مستطاعة مدة ثانيتين او ثلاث ثوان . ثم اختفى كأنهُ انشق الى جسمين لامعين، ولكن المستر كلن لم يسمع فرقعة الانشقاق وقد رآه غير واحد من سكان جنوب انـكلترا

العنصر الثالث والتسعون

يرى عالمان من علماء جامعة شيكاغو ان العنصر الذي اطلق عليه اسم « العنصر الثالث والتسعين » (راجع مقال « العنصر الثالث والتسعون » في هذا الجزء صفحة ١٩٥) قد لا يكون عنصراً جديداً كما ظُنَّ اولاً بل يرجحان انهُ نظير للعنصر الحادي والتسعين

حرب المكروبات

ان التقدم العجيب الذي تمَّ في ميدان الطيران، قد قلب قواعد الحرب التي جرى عليها كبار القوَّاد والفاتحين من هنيبال الى الاسكندر الى نبوليون الى جوفر وفوش وهندنبرج . ذلك ان القيادات العليا في الجيوش الكبيرة اصبحت ترمي الى اضعاف الروح المعنوية في جيوش الاعداء بتدبير الخطط لالقاء القنابل من الجوّ على مراكز الصناعة التي تجهز الجيوش بما يلزمها من وسائل الكفاح ، وعلى المدن الآمنة الآهلة بالسكان وراء خطوط القتال . وقد لا تقتصر هذه القنابل ، على المواد المتفجرة ، تدمّر الدور وتحوّلها الى انقاض ، بل قد تحتوي على غازات كيمائية تفعل في الجلد او في العيون او في الاثاث فتعطل عن العمل ، او تسقي ناشقيها كأس الردى

وقد تفنن الكيمائيون في صنع الغازات المختلفة من هذا القبيل ، واستنباط الكمامات الواقية حتى اجمع الثقات ان امة من الامم لا تستطيع ان تتقي اغارة الاعداء عليها من الجوّ ، الاَّ اذا تمرن شيبها وشبانها واطفالها ذكوراً واناثاً على استعمال هذه الكمامات، وجهز كلٌّ منهم بكمامة منها تفي بالغرض . ومما يدلُّ على احتمال حدوث ما هو من هذا القبيل، ان الخزائن الجديدة التي بنيت لبنك ده فرانس تحت الارض ، ابتدع لها المهندسون الفرنسيون طرقاً عجيبة لاتقاء الغاز الخانق الذي قد يتغلغل حتى يتصل بها . والراجح ان هذه الوسيلة طبقت على المعاقل التي بنتها فرنسا على حدودها الشرقية . لذلك اجمع الثقات على ان الطيران الحربي خطر يهدّد الحضارة بالانقراض، واذا كان للطيارات الحربية ان تلقي قنابل تحتوي على الغازات المختلفة فما يمنعها ان تلقي قنابل تحتوي على مكروبات مميتة

هذا الاحتمال هز الدوائر العالمية في شهر يوليو الماضي ، على اثر مقالة نشرها المستر وكهام ستيد محرر التيمس سابقاً في مجلة القرن التاسع عشر . وستيد رجل متزن رزين والمجلة التي نشرت مقالته ذات مكانة عالمية لا تغامر بها في سبيل مقالة تستثير النفوس

قال المستر ستيد ، انه حصل من مصادر غير يهودية على وثائق خطيرة لا يرتاب في صحتها وهذه الوثائق صادرة على ما يقال من مصلحة في وزارة الحربية الالمانية تعرف باسم (لوفت—غاز — انجريف) اي « هجوم الهواء والغاز » وهي في شكل رسائل تبودلت بين المصلحة المذكورة وبعض خبرائها ووكلائها والمصانع المعنية بالطيران والحرب الكيمائية

بسطت في هذه الوثائق تجارب بدأت سنة ١٩٣١ — اي نحو سنة كاملة قبلما تقلد هتلر أزمة الحكم في بلاده — غرضها درس أفضل الوسائل لالقاء السوائل المحتوية على مواد كيميائية او مكروبات من الجو على مدائن الاعداء

ولكن أهم ما جاء في مقالة المستر ستيد ان رجال هذه المصلحة من وزارة الحربية الالمانية اختاروا مكروباً اسمه العلمي « ميكركوكوس بروديجيوسس » لا يسبب مرضاً ما ويستعمل في دراسة الطب في التمثيل والاختبار . وانهم بعد ما اختاروا هذا المكروب ، جربوا تجارب بهِ في لندن وباريس غرضها الوقوف على كيفية ازدراع هذا المكروب في مزدرعات خاصة لذلك توضع عند مداخل قطارات الانفاق ، حتى اذا اطلق في الجو ، وهبطت بعض عمائره الى الارض لصق بعضها بهذه المزدرعات ، فتتكاثر وتنتشر في الهواء فيستنشقها الناس

طبعاً ان تجربة التجارب بهذا المكروب لا تسفر عن خطر يتعرض له سكان العاصمتين المذكورتين الآن ولكن اذا صحت هذه الوثائق فان التجارب المذكورة لا بدَّ ان تكشف للمجربين ، الوسائل التي يستطيعون الجري عليها اذا نشبت الحرب ، في اطلاق مكروبات ليست مثل هذا المكروب في عدم ضررها. وقد جربت تجارب في سنة ١٩٣٣ لالقاء السوائل المحتوية على هذا المكروب من طيارات على ارتفاعات مختلفة تتباين من ٥٠٠ متر الى الف متر ، لمعرفة أصلح ارتفاع لالقاء السوائل منه . وتقول الوثائق ان هذه التجارب اسفرت عن نتائج تبعث على الرضا

وقد جاء في وثيقة تاريخها يوليو سنة ١٩٣٢ ما مؤداه ان المعاقل العظيمة التي بنتها فرنسا على حدودها الشرقية تجعل كل هجوم عليها من المشاة او المدفعية عبثاً، واذن لم يبق الاَّ استعمال سلاح الجو لشن الحرب من دون رحمة او شفقة على المراكز العسكرية والصناعية بل على الاهلين في المدن الكبيرة

وثمة وثيقة اخرى تاريخها اكتوبر ١٩٣٣ تحتوي على خطط للهجوم بالغاز على مدن مختلفة في فرنسا منها متز وستراسبورج وبلفور وفردون وضواحي باريس ومرسيليا وطولون وليون وهافر وغيرها . وليس الغرض من هذا المقال البحث في صحة هذه الوثائق. فقد انبأتنا البرقيات العامة ان الدوائر المسؤولة انكرت صحتها ولكن الامر الذي لا جدال فيه ان ليس ثمة ما يمنع القيام بهذه التجارب ، من جانب المانيا او جانب غيرها من الدول . ويقول كاتب في الابزرفر ان لا ريب في ان هذا الفرع في الاستعداد الحربي ، ينال الآن عناية خاصة مثل سائر الفروع . واطلاق الغاز والمكروبات على الطريقة المتقدمة يمكن ان يتم بواسطة الطيارات الحربية والمدنية على السواء

الهيموفيليا او النزف الوراثي

كانت الهيموفيليا او داء النزف الوراثي سبباً في وفاة الامير غونزالو نجل الفونسو الثالث عشر ملك اسبانيا سابقاً . والغريب في هذا الداء انهُ وراثي في الذكور دون الاناث ، لذلك لما حدثت حادثة الاصطدام اصيب الامير غونزالو وشقيقتهُ برضوض ، فتوفي هو متأثراً بها لانها احدثت فيهِ نزيفاً داخليًّا لم يستطع وقفهُ ولكنها لم تصب هي بنزيفٍ مثلهِ ، فنجت . واعجب من هذا ان النساء تنقل هذا الداء دون الذكور . لذلك نهى الملك الفونسو ابنتيهِ في سنة ١٩٣١ عن الزواج لئلاَّ تنقلا هذا الداء الى اولادهما

وليست اسرة بوربون — التي منها الملك الفونسو — بالاسرة المالكة الوحيدة المصابة بهذا الداء الوبيل . بل اسرة رومانوف كانت مصابة بهِ كذلك . فالقيصر نقولا الثاني وولي عهده كانا مصابين بهِ ، ويقال انهُ نقل اليها من اسرة هبسبرج ، وكثيراً ما يعرف هـذا الداءِ باسم « لعنة آل هبسبرج » . ولقد تعذَّر حتى الآن الكشف عن طريقة لمنعهِ او علاجـهِ ، ولكن الدكتور برتش Birch احد اساتذة كلية الطب بجامعة وسكنسن الاميركية، يظن ان حقن احد هرمونات الانثى في الذكر قد يفيد في علاجهِ وهو يجرب التجارب الآن لامتحان هذا الرأي

جو الزهرة

يؤخذ من المباحث الفلكية الحديثة ان في جو الزهرة قدراً كبيراً من ثاني اكسيد الكربون

كان الدكتور ادمز والدكتور دنهام Dunham من علماء مرصد جبل ولسن بكاليفورنيا قد اثبتا في سنة ١٩٣٢ ان جو الزهرة يحتوي على ثاني اكسيد الكربون ، ولكنهما لم يستطيعا ان يعينا مقداره حينئذ ، لانهما ما كانا يعرفان مقدار النور الذي يمتصهُ هذا الغاز عند مرور النور فيهِ . بيد ان الدكتور ارثر آدل احد علماء جامعة مشيغن كتب الى المجلة الطبيعية يقول انهُ عني بدراسة موضوع امتصاص ثاني اكسيد الكربون للضوء فوصل الى نتائج مكنتهُ من تقدير ما يوجد من هذه المادة في جو الزهرة . فقدَّر ان الطبقات العليا من جوّ الزهرة فيها مقدار من ثاني اكسيد الكربون يفوق عشرة آلاف ضعف مقدار ما تجده منهُ في جو الارض بكاملهِ . ولما كان الدكتور آدل عالماً طبيعيًّا فانهُ لم يتعدَّ حدود التقدير الى التكهن بعلاقة هذا المقدار الكبير من ثاني اكسيد الكربون بالحياة على سطح الزهرة

اخونا سليم

[تابع الصفحة ١٩٨]

وكان الفقيد محدثاً بارعاً قوي الحجة واسع الرواية ونذكر اننا ذهبنا في صحبتهِ يوماً لزيارة لورد بيفربروك، فجلسنا نتجاذب اطراف الحديث وبدأ الفقيد يقصُّ على بيفربروك قصة زيارتهِ للفيلسوف سبنسر ، وبيفربروك مأخوذ بطرافة الحديث . وتبيَّن سليم شغف مضيفهِ ، فجعل يتوقف في الحديث ، كأنهُ اتى عليهِ . فكان اللورد وصحبهُ يستزيدونهُ ولا يسلمون باي ايجاز في روايتهِ . اما زهدهُ في حطام الدنيا، ومروءتهُ، واقبالهُ على نجدة من يطلب نجدتهُ، فكانت مضرب الامثال . كان حرًّا يأبى الضيم ويمقت الجور ، فكان اذا عرف مظلوماً ، لا يقرُّ له قرار ، حتى يكشف غمتهُ . وعني بباعة المقطم فانشأ لهم مدرسةً علمهم فيها القراءة والكتابة ، وكان يعنى بصحتهم وصحة اهلهم ويدفع عنهم نفقات الاطباءِ والعلاج بماله الخاص، ولا ينثني عن تزويدهم بالنصائح وحثّهم على البعد عن المنكرات

وكان الى ذلك اديباً ، نظم بالانكليزية شعراً حكميًّا بليغاً، ووعى من تاريخ الادب الانكليزي وآثار شكسبير بوجهٍ خاص شيئاً كثيراً ، حتى كان من النادر ان يخطىء امرؤ في سرد بيت شعر من روايات شكسبير المشهورة الاَّ ويردَّهُ سليم الى الصواب . رحمهُ الله ونفعنا بذكر مناقبهِ

الجزء الثانى من المجلد الخامس والثمانين

التي عنيت بنشرها «ادارة المطبعة المصرية» بشارع الخليج الناصري رقم ٦ بالفجالة بمصر

ص
٣٠ القاموس المصري انكليزي عربي (طبعة ثانية)
٧٠ » » » » (طبعة ثالثة)
٧٠ » » عربي انكليزي (طبعة ثانية)
٣٠ » المدرسي عربي انكليزي وبالعكس
٣٠ قاموس الجيب عربي انكليزي وبالعكس
٢٠ » » عربي انكليزي فقط
١٠ » » انكليزي عربي فقط
٧٠ » سقراط سبيرو عربي انكليزي (بالاقفط)
٥٠ » » » انكليزي عربي (بالاقفط)
١٠٠ » » » » » وبالعكس
١٠ التحفة المصرية لطلاب اللغة الانكليزية (مطول)
١٢ الهدية السنية لطلاب اللغة الانكليزية (بالاقفط)
١٠ الف كلمة المانى (لتعليم الالمانية بسهولة)
١٥ في اوقات الفراغ (للدكتور محمد حسين هيكل بك)
١٠ عشرة ايام في السودان » » »
١٢ مراجعات في الادب والفنون للاستاذ عباس العقاد
١٥ روح الاشتراكية (لغوستاف لوبون) وترجمة
(الاستاذ محمد عادل زعيتر)
١٥ روح السياسة » »
١٠ الاراء والمعتقدات » »
١٠ اصول الحقوق الدستوريه » »
٢٠ الحضارة المصرية (لغوستاف لوبون)
١٥ حضارة مصر الحديثه (تأليف كبار رجال مصر)
١٠ الحركة الاشتراكية (رمسي مكدونلد)
١٥ ماقى السبيل في مذهب النشوء والارتقاء
٨ اليوم والغد (الاستاذ سلامه موسى)
١٠ مختارات » » »
٨ نظرية التطور واصل الانسان » »
٢٠ اناتول فرانس في مباذله للامير شكيب ارسلان
١٥ الدنيا في اميركا (للاستاذ امير بقطر)
١٠ المرأة الحديثة وكيف نسوسها (عبد الله حسين)
١٠ جريمة سلفستر بونار (اناتول فرانس)
٥ المرأة بين الماضي والحاضر
٥ مركز المرأة في شريعتي موسى وحمورابي
١٥ حصاد الهشيم (الاستاذ ابرهيم عبد القادر المازني)
١٠ قبض الريح (» » » » »)
٨ نسمات وزوابع شعر منثور مصور
١٠ رسائل غرام جديدة (سليم عبد الواحد)
١٠ الغربال في الادب العصري (ميخائيل نعيمة)
٥ حكايات الاطفال ، اول (مصور بالالوان)
٥ » » ثان » »
» » ثالث » »
كرة الكاتب طبعة منقحة لاسعد خليل داغر
رية افلاطون (الاستاذ حنا خباز)
اقي النجاح (الارشمندريت بشير)
م الجدلية (موريس ميترلنك)

ص
١٠ التربية الاجتماعية (للاستاذ علي فكري)
٥ خواطر حمار (الاستاذ الجمل)
٥ التعليم والصحة للدكتور محمد بك عبد الحميد
١٥ الحب والزواج (للاستاذ نقولا حداد)
١٥ ذكراً وانثى خلقهم » » »
٥٠ علم الاجتماع (جزآن كبيران) » »
١٥ اسرار الحياة الزوجية » »
٣٠ الامراض التناسلية وعلاجها للدكتور فخري
٢٠ المرأة وفلسفة التناسليات » »
٢٠ الضعف التناسلي في الذكور والاناث »
١٥ الزنبقة الحمراء (للاستاذ احمد الصاوي محمد
١٠ تاييس » » » »
٥ مكايد الحب في قصور الملوك (اسعد خليل داغر)
١٠ القصص المصرية (٨٠ قصة كبيرة مصورة)
١٠ مسارح الاذهان (٣٥ قصة كبيرة مصورة)
١٢ رواية اهوال الاستبداد ، مصورة
١٠ » فاتنة المهدي ، او استعادة السودان
٨ » الانتقام المذب (اسعد خليل داغر)
٥ » فقر وعفاف (للاستاذ احمد رأفت)
١٢ » باريزيت ، مصورة (توفيق عبد الله)
١٢ » غرام الراهب او الساحرة المجدورة
٧٥ » روكامبول ، ١٧ جزء (طانيوس عبده)
٢٥ » ام روكامبول ، ٥ اجزاء »
٢٠ » بارداليان ، ٣ اجزاء »
٢٠ » الملكة ازابو ٤ اجزاء »
٢٠ » الاميرة فوستا ، جزآن »
٢٠ » عشاق فنيسيا ، جزآن »
١٦ » الساحر العظيم ٤ اجزاء »
١٦ » كابيتان ، جزآن »
١٦ » الوصية الحمراء ، جزآن »
١٦ » بائعة الخبز »
١٢ » فلمبرج ، جزآن »
١٠ » فارس الملك »
١٠ » ضحايا الانتقام »
٨ » المرأة المفترسة »
٥ » المتنكرة الحسناء »
٥ » مروضة الاسود »
٥ » شهداء الاخلاص »
١٦ » دار العجائب جزآن (نقولا رزق الله)
١٠ » فرنسوا الاول » »
١٠ » الجنون فنون » »
٨ » حورية » »
٨ » الملاذان الطريدان » »
١٢ يسوع ابن الانسان (جبران خليل جبران)
٨ النبي (» » »
٥ آلهة الارض (» » »